

ألان أنترمان

اليهود

عقائدهم الدينية وعباداتهم

ترجمه وقدم له

د. عبد الرحمن الشيخ

مراجعة

د. أحمد شلبى

ألان أنترمان

اليهود

عقائدهم الدينية وعباداتهم

ترجمه وقدم له

د. عبد الرحمن عبدالله الشيخ

مراجعة

د. أحمد شلبى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٤

Alan Unterman

JEWS

Their Religious Beliefs and Practices

الألف كتــاب الثــانى

نافذة على الثقافة العالمية

المشرف العام

أ . د . سمير سرحان

رئيس التحرير

أ . د . محمد عنانى

مدير التحرير

عزت عبد العزيز

المشرف الفنى

محسنة عطية

سـكرتير التحرير

هند فاروق

تصحيح

محمد حسن

بدر شفيق

فهرس تفصيلى

الجزء الثانى

الشريعة اليهودية ((الطقوس والممارسات اليهودية))

مقـدمة المـراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما طلب منى ان أراجع هذا الكتاب (اليهود : عقائدهم الدينية وعباداتهم) للكاتب اليهودى « ألان انترمان » لم أتخيل أن ما يرد بهذا الكتاب ، يوافق ما لدى المسلمين من فكر وقيم فى العقائد والعبادات ، فاليهود — كما يظهر فى كتابى «اليهودية» — لهم فى أنبيائهم نظرتهم الخاصة التى تختلف مع نظرة المسلمين لهؤلاء الأنبياء ، وكذلك لهم عقائدهم وعباداتهم التى تختلف مع عقائد المسلمين وعباداتهم ، ومن أجل هذا كتبت بابين مختلفين فى كتابى « اليهودية » وضحت فى أولهما ، رأى الاسلام فى هؤلاء الأنبياء ، وتفاصيل العقائد التى أوحى الله تعالى بها لبنى اسرائيل ، ووضحت فى الباب الثانى الاتجاه الواقعى لفكر اليهود نحو هؤلاء الأنبياء ، والعقائد والعبادات التى يمارسها اليهود .

وليس من المتوقع ان يكتب مؤلف يهودى هذا النمط من الدراسة، فجاء كتاب « ألان انترمان » معبرا عن فكر اليهود وعقائدهم كما يراها اليهود .

وتبـعا لذلك رحت أقرأ الكتـاب بعناية ، وأجمع الهنـات التى لا يرتضيها الفكر الاسلامى وهى كثيرة متناثرة فى هذا الكتاب مثل :

— الله غير خلقه ، ولكنه موجود فى خلقه .

— خلق الله الانسان على صورته .

- حتى الله يدرس التوراة .
- الثواب والعقاب مرتبطان بالأعمال وليس الايمان .
- اليهود نوع من الجنس البشرى ، وغير اليهودى مجرد أشياء .
- الله مات فى الهولوكست .

وكثير جدا مما يرفضه الفكر الاسلامى .

وقدمت هذه القائمة ، للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الشيخ مترجم الكتاب ، وكان الأستاذ الدكتور عبد الرحمن سمحا كعادته وواسع الاطلاع ، فعنى عناية كبيرة بهذه القائمة من الهنات ، وكتب تعليقات مهمة هى التى نشرت فى مطلع هذا الكتاب .

وبقى على بعد ذلك ، أن أشير اشارات سريعة ، فى هامش بعض الصفحات التى وردت بها هذه الانحرافات ، لأذكر القارىء بما اتفق عليه راى المترجم والمراجع .

وهناك اتفاق واضح بيننا ، ان هذا الكتاب كتبه يهودى عن عقائد اليهود ، فهو ليس مصدرا للمسلم يستقى منه الفكر ، وانما هو تعريف بواقع هذه الجماعة التى أصبحت تعيش بيننا ، والتى تربطنا بدولتهم معاهدات رسمية ، فمن الطبيعى أن نتعرف على أفكارهم ونظم حياتهم .

وفى هذه المقدمة ، يتحتم على ان أشكر الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الشيخ على جهده وتعاونه ، وأدعو الله أن يحسن جزاءه على الترجمة الدقيقة والتعليقات الشافية الكافية التى نشرت فى صدر الكتاب .

أ.د. أحمد شلبى

أستاذ التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية بجامعة القاهرة

٢٠٠٠/٥/٢٤

مقدمة الترجمة العربية

ثلاثة كتب تراثية بين يدى – وقت كتابة مقدمة هذه الترجمة – تناولت اليهودية ، هى :

١ – « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » لابن حزم الأندلسى الظاهرى ، المتوفى فى سنة ٤٥٦ هـ (فى ثلاثة أجزاء) .

٢ – « الملل والنحل » للشهر ستانى ، المتوفى فى سنة ٥٤٨ هـ (فى جزءين) .

٣ – « هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى » لابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

وهى كتابات تغطى أكثر من اربعة قرون من الفكر الاسلامى .

ولم يرد فى هذه الكتب التراثية ، اية حقيقة تتعارض مع ما ورد فى هذا الكتاب المترجم ، والذى كتبه يهودى يعرض دينه . فما أورده ابن القيم عن اجبار الشريعة اليهودية التلمودية لأخى زوج الزوجة التى مات زوجها أن يتزوجها ليبنى نسلا لأخيه ، ورد فى هذا الكتاب – الذى بين أيدينا – الذى ذكر انه لم يلغ الا فى بواكير القرن العشرين . والخلافات التى ذكرها ابن القيم بين القرائين (طائفة يهودية) وغيرهم من اليهود ، لم يخالفها الكتاب الذى بين أيدينا .

والعرض الذى قدمه الشهر ستانى عن اليهودية، ليس فيه ما يناقض كتابنا هذا الذى تحدث عن طائفة اليهود المسيحيين ، ويقصد بهم

يهودا آمنوا بالمسيح ووقروه ، ولم يشتركوا فى تعذيبه أو السخرية م
لكنهم لم يؤلهوه . اما كتاب ابن حزم ، فيتسم بطابع هجومى عنيف
ومع هذا ، فالأفكار التى أوردها ، قال بها على نحو أو آخر بعض اليهود .
واذا كان ما ورد فى الكتب التراثية الاسلامية لا يتعارض مع ما ورد ف
هذا الكتاب ، فقد ورد فى كتابنا هذا أكثر بكثير مما ورد فى هذ
الكتب التراثية لسببين :

اولهما : أن معلوماتنا عن الأديان المختلفة وحقائقها تزداد بمرور الزمن ، فقد أتيح للمؤلف معرفة بالآرامية والعبرية قد لا يجيدها هؤلاء الكتاب التراثيون ، كما أتيح له كثير من الوثائق الدينية لم تكن متاحة لهم ، وثانيهما : أن بعض الأديان تحتفظ ببعض النصوص سرا ، لا يطلع عليه الا القليلون منهم ، وينقل شفاهة على شكل وصايا أو أسرار . والأهم من ذلك ، أن مؤلف كتابنا هذا يهودى .

وسيجد القارىء أن معرفة تفاصيل الأديان الأخرى والوصول - بقدر الامكان - الى دقائقها وأسرارها مسألة ذات أبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية مفيدة . فمن غير الممكن ، أن يجهل مسلم أو مسيحى بمفهوم السبت Shabbat عند اليهود ، ويكون قادرا فى الوقت نفسه على فهم جزء من طبيعة السوق ، والحديث عن السبت ينطبق على الحديث عن السنة السبتية التى يسميها بعض الكتاب العرب سنة التبوير ، وهى السنة التى يجب فيها ألا تنتج الأرض التى يملكها يهود شيئا .. وما دور هذه العقيدة فى الانتاج الزراعى والتجارى بل والصناعى المعتمد على انتاج الأرض ؟ ومهما فعل التنويريون اليهود لابطال هذا ، الا يظل فاعلا مؤثرا يتحتم علينا فهمه والتعامل معه ؟ وثمة نباتات أو أشجار معينة لابد أن يجمع منها اليهودى سبعة أفرع ، فى مناسبات طقسية مختلفة قد لا تتوافر فى أوروبا ، وفى حالة السنة السبتية - (سنة التبوير) - يفضل اليهود التقليديون تناول الأطعمة الواردة من بلاد الأغيار (غير اليهود) على الأطعمة التى أنتجتها الأرض التى يملكها

يهود ، لأن هذه الأطعمة فى هذه الحالة تكون (غير شرعية) لانتاجها فى السنة السبتية . وما الأبعاد الاقتصادية للطعام الحلال اليهودى (كوشر) ؟ وما معنى أن « الجبن » الذى تنتجه مصانع غير يهودية ليس حلالا الا اذا كان المشرف على صناعته يهوديا ؟ وما معنى هذا أيضا بالنسبة لمزارع الألبان ؟ وكيف نفهم طقسى بيع الخبز الذى استخدمت فيه خميرة للأغيار ، قبل عيد الفصح ، ثم شرائه بعد انتهاء الفصح ؟ وكيف نفهم أيضا بيع اليهودى لأرضه خلال السنة السبتية للأغيار (غير اليهود) ثم شراءها بعد انتهاء هذه السنة ؟

هذا عن المجال الاقتصادى ، فاذا ما انتقلنا لمجال آخر فكيف نستفيد أو حتى نفهم الفكر اليهودى المناهض للصهيونية والمصر على أن اقامة الدولة هى من مهام المسيح (المشياح) الآتى ؟ وكيف ننتبه الى الطقوس التى تحض أثناء العبادة على ايذاء شعوب بعينها ؟ وكيف نفهم الأفكار اليهودية عن « أرواح » الاغيار ؟ وكيف نفهم عقيدة قطاعات من اليهود أنهم « عنصر نظيف » فى محيط من القذارة (والمقصود بهذا المحيط العالم أجمع) والأساس العقائدى لهذا ما أوضحه مؤلف هذا الكتاب ؟ وكيف نفهم اقتصار الزواج داخل المجموعة الدينية على الزواج الداخلى ، أى من أفراد المجموعة الدينية نفسها ؟ وما معنى هذا على المدى الطويل ؟ وما معنى التوافق الشرعى فى كثير من الأمور بين المسيحية والاسلام ؟ وما معنى تصنيف اليهود للمسيحيين ضمن الوثنيين ، مع أنهم أهل كتاب سماوى لا شك فيه ؟ وعلى كل حال ، فبعد طرد اليهود - والمسلمين - من الأندلس لعب اليهود على هذا الوتر لقرنين من الزمان وتحالفوا - ظاهريا على الأقل - مع المسلمين ، وعملوا بكل الجهد على عدم تحسن العلاقات الاسلامية (العثمانية فى ذلك الوقت) مع أوروبا ، وكانت النتيجة غير طيبة للمسلمين والمسيحيين على سواء . كل هذه الأمور لا يمكن فهمها الا بفهم العقيدة اليهودية والشريعة اليهودية فهما حقيقيا محايدا بلا مزايدة ولا مغالطة ، وهو ما يقدمه هذا الكتاب .

فاذا ما انتقلنا الى أهمية دراسة اليهودية وغيرها من الأديان كعامل فعال ومفيد فى مجالات اخرى ، تساءلنا : أليست اليهودية هى الدين السماوى الأول المعروف لنا ؟ أليس من المعقول أن تكون آيات قرآنية كثيرة تقصد اليهودية وان لم تشر لذلك صراحة ؟ فدراسة اليهودية ، اذن ، مسألة لابد منها لفهم أسباب النزول (أى نزول القرآن الكريم)، وهو ما أفردنا له فقرة كاملة فى هذه المقدمة ·

انه لأمر مؤسف حقا أن نفتقد فى اللغة العربية ترجمة للوثائق اليهودية الرئيسية ، فيما عدا أسفار موسى الخمسة وأسفار الأنبياء فيما يسميه اخواننا المسيحيون العهد القديم ، وهو طبعا عنوان غير مقبول من اليهود · أين التلمود ؟ لقد ترجم أكثر من مرة للغة الانجليزية · وأين الزهر ؟ هذا النص الصوفى المشهور والفاعل والمؤثر بين اليهود ؟ وأين مدونة الشريعة اليهودية المعروفة باسم « شولحان عاروخ » · تلك هى الوثائق الأساسية لليهودية عقيدة وشريعة ، واتاحتها للباحثين العرب تعينهم على فهم كثير من أسباب نزول القرآن الكريم ، وكثير من الأحاديث الشريفة وما ورد بها من اشارات ·

وان قيل ان فى هذه الوثائق الآنف ذكرها ما قد يفسد الفكر الاسلامى ، لكانت الاجابة أن هذا غير صحيح ، لأن الفكر الاسلامى ليس ضعيفا ، ولأن المفكرين المسلمين يستطيعون بسهولة التفريق بين الطالح والصالح من الأفكار ، وقد أثبت التاريخ أن التحول كان دائما فى صالح الاسلام لا العكس ، وأن اليهودية عندما طورت بل وغيرت بعض عقائدها وشرائعها – مما يجده القارىء فى هذا الكتاب – انما هى بفعلها هذا اقتربت كثيرا من الشرع الاسلامى ، كما أن كثيرا من أفكار القبالة اليهودية قد أدخلها اليهود بالفعل الى التراث الاسلامى ، فمسألة أسرار الحروف واستخدامها لتحقيق الشفاء والمعجزات نجدها فى آخر معظم كتب الطب والأقرباذين التى كتبها مسلمون · خذ هذا المثل الطريف من تذكرة داود الأنطاكى (١٠٠٨ هـ) وغيره كثير جدا : ·· (غيره) يكتب فى جلد أسد ثم يوضع على الصناب فان صاحبه ينعظ

انعاظا شديدا ويأخذ كل يوم على الريق مثقالين من كل من اللبان والنانخواه وهذه صورته كما ترى :

و	ه	د	ج	ب	ا
١	٣٥ / ٨	٢٢ / ١١	١٩ / ١٤	٣٢ / ١	ب
ب	٢٠ / ١٣	٣١ / ٢	٢٦ / ٧	٢١ / ١٢	ج
ج	٣٠ / ٣	١٧ / ١٦	٢٢ / ٩	٢٧ / ٦	د
د	٣٣ / ١٠	٢٨ / ٥	٢٩ / ٤	١٨ / ١٥	ه
ه	د	ج	ب	ا	و

والسحر أدخله اليهود للثقافة الاسلامية بالفعل · لقد استوعب اليهود كثيرا من مفردات الحضارة الاسلامية المفيدة ، وأدخلوا فى التراث الاسلامى الكثير ، لعل من أسخفه علم أسرار الحروف هذا · ولبيان أهمية دراسة التراث اليهودى ، سوف نضرب بعض الأمثلة :

المجهول من أسباب النزول

لا تتناول كتب أسباب نزول آيات القرآن الكريم ، المتداولة بين أيدينا سوى عدد محدود من الآيات الكريمة ، تربط بين نزولها وأحداث جرت فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) كغزوة ، أو خلاف بين امرأة وزوجها ، أو رد على مكائد المشركين ··· الخ ، وتعتمد هذه الكتب فى تفسير سبب نزول الآية الكريمة على أحاديث شريفة وردت أو أخبار تفسير مسار الآية · وحقيقة الأمر ، أنه ما من آية فى القرآن الكريم الا ولها أسباب نزول ، أو على الأقل هذا ما يفرضه العقل ويطمئن اليه القلب ، فما بال كتب أسباب النزول اقتصرت فى تناولها للموضوع على آيات محدودات ؟ ان الاسلام – كما أصبح مؤكدا – دين للناس كافة وليس للعرب وحدهم ، ومعنى هذا أن البحث فى أسباب نزول القرآن الكريم يقتضى التفتيش فى كل حضارات البشر ، خاصة فى الدينين

السماويين السابقين على الاسلام ، وهما : اليهودية والمسيحية . ولما كان موضوع هذا الكتاب هو عقيـدة اليهود وشريعتهم ، فقد ربطنا بين جوانب فى العقيدة اليهودية ـ نحسبها تعرف فى اللغة العربية لأول مرة ـ وآيـات كريمة لا نجد تفسيرا لها سوى أنها تصحح عقائد يهودية (*) .

● نبدأ بالآية الكريمة (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . . .) الحج / ٧٣ .

والتفاسير المتاحة (ابن كثير وغيره) تربط بين هذه الآية وعبادة المشركين للأصنام التى لا تستطيع خلق شىء . وهذا اجتهاد على أية حال ، لكن الآية الكريمة ليست للعرب وحدهم ، ومن هنا لابد لمعرفة أسباب نزولها من البحث فى ثقافة أو ثقافات تزعم أن هناك من يستطيع ان يخلق كائنات حية بها روح . فهل هناك من قال أو يقول هذا ؟ نعم هناك . انهم بعض الرابيين اليهود المشتغلين بمعرفة أسرار الحروف العبرية ودلالاتها الرقمية ، والذين زعموا أن لديهم علما باطنيا بكيفية الخلق . يحدثنا هذا الكتاب عن « الجوليم Golem » ، أى الانسان الذى « خلقـه » اليهود من خـلال معرفتهم بالقبـالة (التراث السرى الباطنى) . وهذا هو نص تعريف « الجوليم » من هذا الكتاب الذى ألفه يهودى :

Golem : **Artificially Created man, brought into existence through Kabalistic means.**

وتراث القبالة يمتد بمسميات مختلفة الى فترة ما قبل الاسلام .

ونجد فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا أن أحد العارفين بأسرار الحروف والباطن كان وحيدا فلم يجد رسولا يبعثه الى جماعة اليهود ،

(*) رأى الفكر اليهودى فى أسباب النزول فى الحالات المذكورة هنا ، رأى مرفوض ، وليس من الضرورى أن يكون هناك سبب لنزول كل آية ـ (المراجع) .

فخلق انسانا وأرسله ، ولكن الحبر اليهودى الذى وصله هذا الرسول عرف حقيقته فقال له اوجع الى التراب الذى أنت منه ، فتحول هذا المخلوق فى التو الى تراب !

وفى هذا الكتاب أيضا ان العارفين بأسرار التوراة ، والحروف العبرية اجتمعوا ـ وكانوا ثلاثة ـ فلما جاءوا ولم يجدوا طعاما خلقوا عجلا ابن ثلاث سنين وذبحوه وأكلوه !

هل قال عرب الجاهليـة شيئا كهذا ؟ وهل قالوا ان الأصنام تخلق ، أم كانوا يقولون انهم يعبدونها لأنها تقربهم الى الله زلفى ؟ الآية الكريمة اذن ، نزلت بشأن هذه الفئة من اليهود . والله أعلم .

ان الدين الوحيد الواضح المعروف المفهوم لدى أتباعه وأعدائه على سواء هو الاسلام . أما اليهودية وبعض المذاهب الأخرى فمعلوماتنا عنها تزيد شيئا فشيئا كل يوم وببطء شديد ، لما فيها من أسرار يحرص اتباعها على كتمانها ، ولو أن علماء المسلمين الذين كتبوا عن الأديان الأخرى كانوا عالمين بهذه الحقائق لذكروها ، لكن المعلوم عن الأديان يزداد بمرور الوقت بظهور الوثائق ، وترجمة ما حال اختـلاف اللغة بيننـا وبين معرفته . . . الخ .

● « . . وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا (٣) وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا (٤) . . » الجن / ٣ ، ٤ . ونجد فى التفاسير تركيزا على الولد ، فالقرآن الكريم ينفى نفيا قاطعا أن يكون لله ابن على الحقيقة ، وانما على سبيل المجاز ، فكلنا عيال الله . لكن من الذى قال ان الله سبحانه اتخذ صاحبة . ان عرب الجاهلية المشركين لم يقولوا ذلك ، وانما كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله وغير ذلك . ولم يقل النصـارى ان لله سـبحانه صـاحبة ، بمعنى زوجة أو رفيق انثوى . ولم يصف أى مذهب مسيحى العذراء مريم عليها السلام بأنها (زوجة الله) . . لكن حقيقة الأمر أن اليهودية ، رغم أنها من أديان التوحيد الخالص ، الا أن فكرة الاله الواحد تحوى كثيرا من التفاصيل

والمفاهيم المختلفة ليس فى اليهودية فقط ، وانما فى الأديان الأخرى ايضـا ، فبعض اليهود رغم توحيدهم لله ، لم يسـتطع أن يتصـور أنه سبحانه بدون أنثى ، لكن معنى وجود أنثى لله (سبحانه وتعالى علوا كبيرا) يعنى أن له شريكا ، فهل هناك أنثى لا تسيطر ؟ وحلت طائفة من اليهود هذه المشكلة التى افتعلوها حلا غريبا ، بقولهم ان الله سبحانه رغم أنه واحد ، الا أنه ينطوى فى واحديته على جانب أنثوى ، وانه (أستغفر الله !) ان أراد أن يستأنس قليلا أو « يسعد » أطلق جانبه الأنثوى هذا الذى هو جزء منه (منه فيه) ، وهذه الفكرة منتشرة بين اليهود حتى اليوم ، اذ تعرف باسم الشخيناه Shekhinah .
ونفضل هنا نقل تعريف الشخيناه بالفاظ المؤلف – وهو يهودى – « The feminine aspect of the divine » ، وهـذا هو مفهـوم « الحضرة الالهيـة The Divine Presence » . وأفـاض المؤلف فى شرح هذه الفكرة فى أكثر من فصل من فصول الكتاب ، خاصة الفصل الذى تناول فيه الصوفية اليهودية . ان هذه الاشارات القرآنية تمثل اعجازا ،اذ توضح حقائق عن الأديان الأخرى لم تكن معروفة للعرب قبل الاسلام ، وربما لم تكن معروفة للباحثين المسلمين حتى وقت متأخر لفرط السرية التى يحيط بها بعض أصحاب الديانات دياناتهم .
الآية الكريمة ، اذن – فى جانب منها – توضح هذه الفكرة وتنكرها . تعالى الله علوا كبيرا .

● ثمة آية كريمة أخرى نرى أنها مرتبطة بعقيدة حفظ السبت اليهودية ، فما يوم « السبت » فى العقائد والشرائع اليهودية ؟ نفـهم من الكتاب الذى بين أيدينا أن يوم السبت « الذى يحظر فيه عند اليهود كل عمل دنيوى » لا يبدأ مع شروق شمس هذا اليوم المعروف Saturday ولا مع بزوغ فجره ، بل لا يبدأ فى الساعة الواحدة ليلا ، ولكنه يبدأ من مغرب يوم الجمعة أو قبله بقليل ، أى قبل «صلاة المساء» عنـد اليهودية يوم الجمعة ويستمر صـباح الأحـد . الشبات Shabbat أو السـبت اليهـودى ، اذن ، ليس مجرد يـوم السـبت Saturday,

الذى نعرفه ، وانما فترة زمنية تبدأ من قبيل مغرب يوم الجمعة .
فى ظـل هذه المعلومة التى اعرف أبعادهـا للمرة الأولى ، كيف افهم الآيتين الكريمتين :
(يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (٩) فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (١٠)) (سورة الجمعة : ٩ و ١٠) . فهل كان تجار قريش فى حاجة الى تذكيرهم بالسعى فى تجارتهم بعد الصلاة ؟ ربما كانوا فى حاجة لتذكيرهم بحضور صلاة الجمعة وأن يذروا البيع .
ان القرآن الكريم للناس كافة . وفى هاتين الآيتين المعجزتين اشارة واضحة – بعد أن فهمنا معنى السبت اليهودى – الى أن العمل واجب ولا يتعارض مع العبادة .

● ثم نتعرض لآية كريمة أخرى فى سـياق هذه الفقرة . فالشهور العبرية (اليهودية) شهور قمرية (كالشهور الهجرية) ، وهى كما جمعناها من هذا الكتاب :

١ – تشرى	: ٣٠ يوما	(معظمه فى شهر أكتوبر)
٢ – حشفان	: ٢٩ أو ٣٠ يوما	(آخر أكتوبر – نوفمبر)
٣ – كسلو	: ٢٩ أو ٣٠ يوما	(آخر نوفمبر – ديسمبر)
٤ – طيبت	: ٢٩ يوما	(آخر ديسمبر – يناير)
٥ – شباط	: ٣٠ يوما	(آخر يناير – فبراير)
٦ – آذار	: ٢٩ يوما	(آخر فبراير – مارس)
٧ – نيسان	: ٣٠ يوما	(آخر مارس – أبريل)
٨ – أيـار	: ٢٩ يوما	(آخر أبريل – مايو)
٩ – سيفان	: ٣٠ يوما	(آخر مايو – يونيـه)
١٠– تموز	: ٢٩ يوما	(آخر يونية – يوليو)
١١– آب	: ٣٠ يوما	(آخر يوليو – اغسطس)
١٢– أيلول	: ٢٩ يوما	(آخر أغسطس)

واذا كانت الشهور فى التقويم اليهودى تتبع الدورة القمرية ، فالسنون تتبع الدورة الشمسية المعروفة فى التقويم الميلادى ، فكيف هذا وعدد ايام الشهور القمرية الآنف ذكرها لا يكفى لملء السنة الشمسية (الميلادية) ؟ هنا أضاف اليهود شهرا آخر بعد شهر آذار سموه آذار الثانى كل بضع سنين لتصبح السنة ١٣ شهرا . فى ظل هذا الفهم أيمكن ان تكون الآية الكريمة :

(ان عـدة الشهور عنـد الله اثنـــا عشر شهرا فى كتاب الله) التوبة / الآية ٩ . أيمكن ان تكون هذه الآية موجهة للعرب خاصة وانها فى سورة مدنية ؟

ويجد القارىء فى معجم المصطلحات بآخر الكتاب تحت شهر آذار ما ننقله بنصه كالتالى :

Hebrew month usually falling around February / March. In a leap year an extra month, Azar Sheni, is intercalated at its Conclusion.

مسالة أخرى ، وهى أن اليهود كانوا يحددون بدايات الشهور القمرية ونهاياتها باستطلاع الهلال ، وكانوا يكلفون من يحاول رؤيته فاذا رآه استجوبته المحكمة الشرعية (بت دين) للتأكد من صحة شهادته ، ثم ترسل أخبار بداية الشهر (رؤية القمر) للتجمعات اليهودية فى كل مكان بطرق شرحها المؤلف . لكن صعوبة الاتصالات أدت الى اختلاف بدايات الشهور عند الجماعات اليهودية المختلفـة ، وما كان اليهود ليقبلوا أن تختلف أعيادهم ، فاستغنوا عن « الرؤية » كوسيلة لتحديد بداية الشهر القمرى ونهايته ، ووضعوا حسابا فلكيا بدءا من القرن الرابع للميلاد وحددوا الشهور، وعدد أيامها مما يراه القارىء بين ما ذكرناه آنفا . ويبدو أن هذا الحساب لم يكن منضبطا فلم تكن الأجهزة الفلكية قد تطورت ، ولم يكن هناك ـ بطبيعة الحال ـ أقمار صناعية . لا أستطيع

أن أفهم الحديث الشريف الذى يشير الى تحديد بداية الشهر القمرى برؤية الهلال دون أن أغفل هذه المعانى ، مع التوسع فى مفهوم الرؤية .
أما الأمر الطريف حقا ، فهو أن اليهودى المتدين كان ـ وظل الى عهد قريب ـ يرتدى تحت ثيابه العادية قميصا أو رداء قصيرا لابد أن يكون نسيجه من خيط أبيض وآخر أسود أو أزرق ، والهدف فيما يقول مؤلف هذا الكتاب ـ وهو يهودى ـ أن يستطيع تحديد ميعاد صلاة الفجر اليهودية ، فاذا تبين اليهودى الخيط الأبيض من الخيط الأسود فمعنى هذا أن صلاة الفجر اليهودية قد حل وقتها . اذن ، لقد كانت الآية الكريمة (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) البقرة / ١٨٧ تشير الى ممارسة موجودة بالفعل وليس مجرد صورة بلاغيـة ، وهذا لا يتعـارض مع تفسير ابن كثير وغيره ولا مع الأحاديث الشريفة فى تفسير هذه الآية الكريمة مما نوردها عن ابن كثير كالتالى :

وقوله (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل) أباح تعالى الأكل والشرب مع ما تقدم من اباحة الجماع فى أى جزء من الليل شاءه الصائم الى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل ، وعبر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود ورفع اللبس بقوله (من الفجر) كما جاء فى الحديث الذى رواه الامام أبو عبد الله البخارى حدثنى ابن أبى مريم حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال أنزلت (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل (من الفجر) وكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعد (من الفجر) فعلموا أنما يعنى الليل والنهار . وقال الامام أحمد حدثنا هشام أخبرنا حصين عن الشعبى أخبرنى عدى بن حاتم قال لما نزلت هذه الآية (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) عمدت الى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض قال

فجعلتهما تحت وسادتى ، قال فجعلت أنظر اليهما فلما تبين لى الأبيض من الأسود أمسكت فلما أصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأخبرته) بالذى صنعت فقال « ان وسادك اذا لعريض انما ذلك بياض النهار من سواد الليل » أخرجاه فى الصحيحين من غير وجه عن عدى . ومعنى قوله ان وسادك اذا لعريض أى أن كان ليسع الخيطين الخيط الأسود والأبيض المراد من هذه الآية تحتها فانهما بياض النهار وسواد الليل فيقتضى ان يكون بعرض المشرق والمغرب . وهكذا وقع فى رواية البخارى مفسرا بهذا حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابو عوانة عن حصين عن الشعبى عن عدى قال أخذ عدى عقالا أبيض وعقالا أسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينا فلما أصبح قال يا رسول الله جعلت تحت وسادتى قال « ان وسادك اذا لعريض ان كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك » وجاء فى بعض الألفاظ « انك لعريض القفا » ففسره بعضهم بالبلادة وهو ضعيف بل يرجع الى هذا لأنه اذا كان وساده عريضا فقفاه أيضا عريض والله أعلم : ويفسره رواية البخارى أيضا حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن مطرف عن الشعبى عن عدى ابن حاتم قال : قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما الخيطان ؟ قال « انك لعريض القفا ان أبصرت الخيطين ثم قال لا بل هو سواد الليل وبياض النهار ٠٠ » .

● ما ذكرناه آنفا ، مجرد أمثلة على ضرورة الالمام بتراث الأديان الأخرى لفهم الاشارات القرآنية الكريمة ومعناها ، فالقرآن الكريم نزل للناس كافة وليس للوثنيين فى شبه الجزيرة العربية فقط . وكما أشرت من قبل ، فان معلوماتنا الآن عن الأديان الأخرى أكثر بكثير مما كان يعرفه الشهر ستانى ، والبغدادى وابن حزم وغيرهم ، رغم فضل السبق لهم .

★★★

المصريون فى الشعائر والعبادات اليهودية

قد يكون الأمر مفهوما لو أننى جعلت لهذه الفقرة عنوانا كالمصريين فى عقائد اليهود ، او اثر المصريين فى الثقافة اليهودية ٠٠ الخ ، لكن هل للمصريين وجود فى صلاة اليهودى وطقوسه وشعائره ؟ الغريب ان الاجابة هى « نعم » . ونضرب لذلك عدة أمثلة مما شرح أبعادها مؤلف هذا الكتاب .

● من طقوس عيد الفصح الأخيرة تناول آخر قطعة خبز غير مختمر (الماتساه) ومع تناول هذه القطعة يجرى صب النبيذ فى كأس يخصص للنبى الياه ، وفتح الباب الأمامى حتى اذا وصل دخل (كنوع من التكريم له) ٠٠ ومن المفهوم أن هذا اجراء رمزى فالنبى الياه لن يحضر فعلا ، ثم يصب النبيذ فى كؤوس الحاضرين ، وفى هذه الأثناء يروى الرابى قصة الطواعين (جمع طاعون) العشرة التى أصابت المصريين ، وعند ذكر كل طاعون من هذه الطواعين يقوم الحضور بسكب جزء من النبيذ (المفروض أن هذا يتم بعصبية) ويفسر المؤلف هذا الطقس بأنه نوع من المشاركة الرمزية فى تسبيب الأذى للمصريين وزيادة معاناتهم . انه طقس أشبه ما يكون بالنفث فى العقد ، أى عقد عقدة ، مع ترتيل دعوات تصيب من نتمنى له الشر . ومثل هذا الطقس شبيه بكثير من الطقوس الوثنية فى افريقيا وغيرها . ومن المفهوم طبعا أن اليهودى عند سكب هذا النبيذ يستحضر - فى قلبه وعقله - كل مشاعر الكراهية والحقد .

اننا نفهم من هذا الكتاب أن الطقوس والشعائر اليهودية جرى تعديلها أكثر من مرة لتوائم الأحداث التاريخية الكبرى ، وأن الرابيين والحاخامات وقبلهم حكماء التلمود كانوا يزيدون أو ينقصون أو يعدلون فى هذه الشعائر ، حدث هذا بعد تدمير الهيكل الأول وبعد تدمير الهيكل الثانى ، وفى الأسر البابلى ، وبعد الطرد من الأندلس ، وبعد الهولوكوست ٠٠ لذا ، فقد أصبح من المفهوم الآن ازالة هذا الطقس

(أو هذه الشعيرة) من عبادة الفصح اليهودية ، فمن غير اللائق أن تتعمق الكراهية فى نفوس شباب اليهود وأطفالهم جيلا بعد جيل ازاء المصريين . ان سكب النبيذ مصحوبا بعبارات على شاكلة (شيل وحط عليهم) ، مسألة تبدو بعيدة عن الدين الصحيح . وأظن أن هذا موضوع ملائم – بل وقابل – للتفاوض بين المسئولين الدينيين على الجانبين . كيف ننفتح مع قوم تنطوى طقوسهم على الرغبة فى زيادة معاناتنا ؟!

● من اللائق أن يكون ضمن الطقوس اليهودية يوم صيام شكرا لله على نجاة أبنائهم البكور ، لكن هذا الصيام نفسه يتم شكرا لله أن أهلك الأبناء البكور للمصريين .

● حتى فى مجال تبرير الحلال والحرام فى الشريعة اليهودية ، لا تبعد مصر فى بعض الأحيان . لقد ناقش علماء الشريعة اليهود موضوع الاستمناء وانتهوا الى تحريمه لأنه اهدار لبذور Seed الرجل، لكن ماذا عن السحاق ؟ هنا لم يجد علماء الشريعة (الهالاخاويون) دليلا على تحريمه فى التلمود أو التوراة ، لكنهم يحسون أنه خطر ، ولابد من تفسير لتحريمه ، فلم يجدوا الا القول بأن السحاق حرام لأنه أمر كان شائعا بين المصريات . يا الهى ! من أين أتوا بهذا وأسفار موسى الخمسة لم تذكره ، وأسفار الأنبياء بعدها لم تذكره . لكنه الحقد التاريخى الذى لا أساس له وحان وقت التخفف منه ، خاصة وأن هذه تهمة تسىء للمصريات والمصريين على سواء .

● وعندما ناقش علماء الشريعة اليهود مسألة الخلوة ، أى عدم جواز بقاء المرأة مع الرجل غير المحرم وحدهما فى مكان مغلق ، عرض أحد علماء الشريعة اليهود أنه من المستحسن أن تمنع الخلوة بين رجلين منفردين أيضا فى مكان واحد خشية ارتكاب فاحشة اللواط ، وذكروا أنه رغم أن الشعب اليهودى غير لواط الا أن هذا من باب الاحتياط ، ومن الطبيعى أن يعترض معظم علماء الشريعة اليهود على هذا الرأى المتطرف ، وقالوا فى معرض اعتراضهم ان عالم الشريعة

الذى قال بهذا كان يعيش فى بعض البلاد الاسلامية التى شاع فيها اللواط ، وكان يحترس على نفسه ، لذلك أفتى بهذه الفتوى !!!

اليهود وغير اليهود

لا شك أن هذا الكتاب يضم أفكارا كثيرة حاول فيها بعض الاصلاحيين اليهود أن يقنعوا أبناء جلدتهم أن « روح » اليهودى مثل « روح » غير اليهودى ، كما يضم أفكارا أخرى حاول فيها بعض المفكرين اقناع بنى جلدتهم أن « المسيحيين » أهل كتاب وليسوا من الوثنيين ، لكن المؤلف يذكر لنا انه سواء أكان هؤلاء المفكرون صادقين فى رأيهم أم لا ، فان القارىء اليهودى غالبا ما يفهم أن هذا الكلام لم يكتب الا لتحقيق مصالح اقتصادية أو خوفا من الرقيب أو خوفا من معاداة المسيحيين . ونفهم أيضا من الكتاب أن اليهود لم يعانوا فى ظل المسلمين ما عانوه فى ظل مسيحيى أوروبا ، ويعلل ذلك بأنهم فى البلاد الاسلامية كانوا « أهل ذمة Protected people » ، ويذكر أن المسلمين قلما كانوا يجبرونهم على التحول الى الاسلام . أما أغرب ما فى الكتاب ، فهو أن المسيحيين هم الذين أجبروا اليهود على التعامل بالربا ! والحق ، ان شهرتهم (اليهود) فى هذا المجال تمتد لتشمل البلاد الاسلامية أيضا ، فكيف يجبرهم المسيحيون على التعامل بالربا ؟ والربا محرم فى الشريعة اليهودية كما نفهم من هذا الكتاب ، لكن نظرة اليهود لغيرهم باعتبارهم جنسا منفصلا هى التى جعلتهم يسمحون بالربا مع غير اليهود (الأغيار) . لقد وصل الأمر الى حد مناقشة قضية على شاكلة : هل لغير اليهودى روح أصلا ؟!

منهج الترجمة

التزمنا فى هذه الترجمة بصيغ أسماء الفرق أو المذاهب أو الأجناس كما وردت فى التوراة (أسفار موسى الخمسة) ، وكتب الأنبياء (الأسفار التى بعدها) كما وردت فى الترجمة العربية المتداولة

فى مصر للعهد القديم ، وعلى هذا قلنا ان اليهود انقسموا الى صفارد واشكناز (... صفارد بالصاد وليس بالسين ، رغم شيوع كتابتها بالسين ونوهنا الى ذلك حتى يعلم القارىء ان الصفارد هم السفارد) . وحققنا ما أمكننا تحقيقه من أسماء الأعلام فى قاموس الكتاب المقدس والموسوعة الكتابية .

ونظرا لقرب الشريعة اليهودية فى بعض المواضع من الشريعة الاسلامية ، فقد استخدمنا المصطلح الاسلامى فى حالة التطابق أو فى حالة ما اذا كان المعنى واحدا . وعلى هذا ، ففى القسم الثانى من الكتاب الذى يتناول الشريعة اليهودية يجد القارىء مصطلحات على شاكلة : « خلوة » ، بدلا من حظر أن يكون الرجل مع امرأة غريبة عنه فى مكان مغلق .. ومصطلح الغسل (بضم الغين) لوصف الاجراء المستخدم مع الميت قبل دفنه ، ومصطلح الحيض والنفاس ، وصلاة الاستسقاء .. الخ مع عبارات شارحة .

ولم نكتف بذكر المصطلح اليهودى بلغته العبرية ، وانما عمدنا فى أحيان كثيرة الى ذكر ما يفيد مفهومه ، فلم نكتف « بالحاسيديم » أو « الحاسيديين » أو الحسديين ، وانما كتبنا الى جوارها « التقويين » وفقا للمعنى الذى أورده المؤلف فى معجم المصطلحات بآخر الكتاب ، واشرنا للصيغ الأخرى المستعملة فى بعض الكتابات العربية ، مثل (كاسيديم) .. الخ .

وكان المعنى هو هدفنا ، نقصد توضيحه ونبغى توصيله للقارىء العربى ، فعلى سبيل المثال ترجمنا ritual year بعبارة « العام من خلال طقوسه أو شعائره » فضلنا هذا على عبارة « العام الطقسى » وعبارة messianic age الى « العصر الذى يعتقد اليهود أن المسيح أو المشيح سيأتى فيه ليحكم العالم » ، بدلا من العصر المسيحى أو المسيانى ، فهذه العبارة الأخيرة فى حاجة الى شرح ، وفى كل الأحوال ، أثبتنا المصطلح الانجليزى مراعاة للأمانة العلمية .

وفى حالات كثيرة ، أوردنا تعليقات وجدناها ضرورية من المصادر الاسلامية وغيرها ، لكننا لم نكثر على أساس أن القارىء العربى أصبح على درجة كبيرة من الوعى ، ويفهم أننا نعرض دراسة عن اليهودية بقلم يهودى . ان هذه الدراسة لازمة تماما للمشتغلين بتاريخ الأديان ، ومقارنة الأديان ، وهى أكثر أهمية للمشتغلين بالسياسة والاقتصاد .

واخيرا فلعل هذه المقدمة تكون مقنعة للدعوة الى محاولة تقديم التراث الدينى للآخرين بحياد وتفصيل ، من خلال نصوصه الأصلية .

وعلى الله قصد السبيل .

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ

◘ الجزء الأول

العقائد الدينية

الفصـل الأول

بعض المقولات الأساسية
وأمور بحاجة الى توضيح

باى معنى تعتبر اليهودية دينـا ؟

سواء أردنا أن نعتبر اليهودية دينا أم لا ، فاننا سنعتمد فى هذا – الى حد ما – على المفهوم السائد لهذا المصطلح الذى يستخدم بكثرة – ونعنى به الدين . فوصف اليهودية بأنها دين امر مفيد ما دمنا نعنى الملامح المميزة التى نناقشها فى ثنايا هذا الكتاب ، والتى تفصل اليهودية عما قد نكون قبلناه بشكل عام عن الدين بتعريفه اللغوى – أى تعريفه الاشـتقاقى أو الصرفى فى لغـة من اللغـات deafining puradigm

فاليهودية – منالناحية التقليدية – لا تعتبر نفسها دينا ، وانما هى تقدم نفسها ، كمجموعة تعاليم ووصايا ارتبطت بالعلاقة التعاهدية بين الله (سبحانه) واسرائيل (١) . وعلى هذا ، فلم يكن اليهود ينظرون للعبادات الوثنيـة ومسلك البشر الآخرين (غير اليهود) كمعتقـدات مناقضة للدين اليهودى (٢) ، وانما اعتبروها أساليب أو طرائق غريبة (يتخذها الأغيار – أى غير اليهود) تمثل تهديدا لبقاء عهد الله وميثاقه Covenant لبني اسرائيل . وليس هناك مفهوم للدين ينطبق على

هذا المعنى فى الكتاب المقدس اليهودى ، ولا فى النصوص القديمة الأخرى ٠

ونفهم من سياق النصوص الحديثة وجود معارضة بين اليهود التقليديين لوصف اليهودية بانها دين ، فهذا – فيما يرون – تقليل من شأنها ٠ فهؤلاء اليهود التقليديون لا يعتبرون اليهودية دينا على نسق ما نقول : الدين المسيحى ، أو الدين الاسلامى أو الدين البوذى ، وانما هو (دين) متفرد (لا نظير له) وهو فى حد ذاته أمر لا نظير له (*) ، أو هو (دين) لا يمكن ادراجه فى تصنيف مع الأديان ، الأخرى ، وذلك باعتباره التعاليم الالهية الموحى بها التى تمثل (عهد) الله (وميثاقه) God's Covenant مع اسرائيل ٠

ومع أن هذه الاتجاهات قد تعتبر عوامل تذكرنا بشكل مفيد انه يتحتم علينا ألا نفرض المقولات الدينية بشكل تعسفى على التراث الدينى ، فان هذا لا يعنى انكارنا لخصوصية التراث الدينى وتفرده ، من حيث تصنيفه ضمن السياق الأوسع والأشمل لدراسة الأديان ٠ وقد فعل ذلك اللاهوتيون اليهود الرواد فى العصور الوسطى ، عندما ناقشوا عقائد المسيحية والاسلام وقارنوها بالعقائد اليهودية – رغم أن هدفهم – كما نقر – كان مهاجمة عقائد الدينين الآخرين ٠

ولا بد أن نضع فى أذهاننا ملمحا اضافيا آخر عند حديثنا عن الدين اليهودى ٠ فحتى وقت حديث نسبيا ، لم يكن هناك انفصال أو انفصام بين الجانب الدينى ، والجانب الدنيوى فى الثقافة (الحضارة) اليهودية ٠ فوعى الثقافة اليهودية بذاتها ، والوعى التاريخى اليهودى (وعيهم بتاريخهم) والوعى اليهودى بالهوية ، والوعى بالوجود اليهودى، كل هذا ككل واحد متكامل قد ذاب أو اتحد فى هيكل دينى بشكل

(*) بلغة أخرى : الديانة اليهودية هى نمط من السلوك ارتضاه اليهود ليعيشوا عليه وهو فى الغالب من صنيعهم وتدبيرهم وموافقة الههم (يهوه) أو جهوفاه – (المراجع)٠

رئيسى ٠ وربما كان هذا الملمح هو – أكثر من أى ملمح آخر – مما يسهم فى افتقاد فكرة الدين بشكلها المتكامل فى اليهودية ٠

اليهودية والشعب اليهودى

ترتبط التوراة وما يتصل بها باساليب حياة وابنية فكرية ، ارتباطا لا فكاك منه بتجربة الشعب اليهودى ومفاهيمه عن هويته (احساسه بذاته) ٠ هذا الرباط يخلق ازدواجية (أو تناقضا) فى اللاهوت اليهودى عن طبيعة التعاليم اليهودية ٠ فمن ناحية لابد من النظر للتوراة باعتبارها حاوية لرسالة من الله (سبحانه) للانسان ٠ رسالة وان كان قد نقلها أنبياء يهود الا أنها رسالة ذات صلاحية عالمية of Universal Validity ومن ناحية أخرى ، فان التوراة جزء – وان كانت جزءا محوريا – من العهد الخاص بين الله واسرائيل وشعبه الخاص المعين appointed (المختار) – اى اليهود ٠

هذان البعدان – البعد العالمى ، والبعد الخاص ، موجودان معا جنبا الى جنب فى اليهودية ، وربما لم يكن يتم دائما ادراك هذين البعدين ، باعتبارهما بعدين منفصلين، كفكرتين (منظورين) متصارعتين الى حد ما (فى بعض الحالات) ٠

فقد صاحب البعد العالمى الاتجاه الايجابى نحو الدعوة لليهودية والجهود التبشيرية الفعالة ٠ فيهودية الامبراطورية الرومانية قبل سيادة المسيحية ، كانت تعتبر نفسها دينا ذا رسالة للأغيار فى هذا العالم (لغير العرق اليهودى gentiel أو للأمم الأخرى غير بنى اسرائيل)٠ ففى هذه الفترة كان التحول لليهودية شائعا ، وان كان من غير الواضح

الى اى مـدى كان الرابيون اليهود rabbies (*) فعالين فى مجال التبشير باليهودية ، كما أنه لم يكن من الواضح ما اذا كانوا موافقين على كل جوانب هذا المشروع (مشروع التبشير باليهودية) . ونورد فيما يلى نص كلمات العهد الجديد :

« لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ، ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا » (١) (**) .

رغـم أن هذا النص يعكس ـ بلاشـك ـ معارضـة لاساليب الفريســيين (***) فى الدعوة الفعالة . ونحن نعلم أيضـا من يوسفوس

(*) استخدم القرآن الكريم (الربيون) بتشديد الراء وكسرها ، وجعلت لها المصاحف المترجمة مقابلا انجليزيا هو goodly men ؛ لذا لم نفضل استخدام هذا اللفظ ، واليهود الذين كتبوا بالعربية (مترجم رحلة التطليلى مثلا) يستخدم كلمة (ربى) والجمع (ربيون) بفتح الراء ، وقد لا يستريح بعض القراء لذلك . والكلمة على كل حال تعنى المعلم كما أوضح المؤلف ، وقد يكون مقبولا نقل الكلمة حرفا حرفا كما هى رابى ، ورابيون rabbies ـ (المترجم) .

(**) من المفيد ايراد الآيتين الواردتين قبل هذه الآية :

« لكن ويل لكم أيهـا الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تاكلون بيوت الارامل . ولعلة تطيلون صلواتكم . لذلك تاخذون دينونة أعظم » . (المترجم) .

(***) فيما يلى التعريف بالفريسيين كما ورد فى مقدمة لجنة ترجمة الكتاب المقدس (الأنبا غريغوريوس ، زكى شنوده ، مراد كامل ، باهور لبيب ، حلمى مراد) لانجيل متى ـ ١٩٧٢ : « الفريسيون هم طائفة متطرفة ميزت نفسها عن عامة الشعب فى الرأى والسلوك ، ولاسيما أنها كانت الفئة المتعلمة من الشعب ، وقد تصدت للمحافظة على الشريعـة والتمسك بها وصيانة التقاليد التى تناقلها الخلف عن السلف . ولذلك حصر الفريسيون همهم فى درس الشريعة وتفسيرها ، ولكنهم تمادوا فى التمسك بالشكليات وبحرفية العبارات ، حتى انتفى المعنى الروحى عن الشريعـة لديهم ، وانتهى الأمر بهم الى اعتبار الشريعة كائنا هى صنم يعبدونه . وقد كان لذلك اثره الشديد فى عامة اليهود الذين كانوا يحيطون الشريعة بهالة من الاجلال والتقديـس . وكان الفريسيون

فى نظرهم هم حفظة الشريعة ، فكانوا يحترمونهم ويطيعونهم ، ومن ثم استعبد الفريسيون الشعب فلم يتـركوا اى شىء للارادة الحـرة ، بل وضـعوا كل شىء تحت قيود العبارة الحرفيـة للشريعـة ، حتى اصبح اليهودى يتساءل فى كل خطوة يخطوها عن حكم الشريعة ، وباتت الحياة عذابا لا يطاق بالنسبة للرجل المتزمت الذى يخشى فى كل لحظة ان يقع فى خطر التعـدى على الشريعـة . ومن الأمثـلة على عقلية الفريسيين واسلوب تفكيرهم ، ما كانوا يضعونه للطهارة من درجات كثيرة لا يرتقى الانسان من احداها الى الأخرى الا بعد الدرس الطويل والتمحيص الدقيق . ومن حذلقتهم فيما يتعلق بالطهارة انهم كانوا يضيفون الى احكام الشريعـة فى هذا الصدد عددا لا يحصى من الطقوس ، اذ كانوا يوجبون غسل الأيدى مرارا قبل كل اكل وعند كل عودة من السوق . فان لم يجد اليهودى ماء لهذا الغرض كانوا يوجبون عليه أن يفتش عنه ولو على بعد أربعة أميال . وكانت لديهم بهذا الخصوص جملة أوامر تحتوى على ست وعشرين صلاة ينبغى تلاوتها فى أثناء غسل الأيدى والأوانى على المائدة ، وكانوا يعدون اهمالها بمنزلة قتل النفس انتحارا ، اذ يؤدى لديهم الى الحرمان من الحياة الأبدية . وقد خصص التلمود اربعة أبواب كاملة منه لاجراءات الغسل والتطهير . ومع كل هذا التدقيق والتشدد فى تطبيق الفريسيين للشريعة والتقاليد ، يقرر التلمود أنهم لم يكونوا كلهـم ابـرار ، فـلم يـكن اغلبـهـم كـذلك الا فى الظـــاهر ، أما فى باطنهم فكانوا أول مخالفين لتعاليم الشريعة ، ومن ثم كانوا مثـالا صارخا للتظاهر والرياء . وقد قسم التلمود الفريسيين الى سبعة اقسام . وذكر ان ستة من هذه السبعة لا تستحق الاعتبار لمخالفتها الغاية المقصودة ، اما الســابعة فافرادهـا وحدهم هم الفريسيون الحقيقيون . وذلك أن الفريسيين مع انهم كانوا يعتقدون أن الفرض الأسمى من وجودهم هو اقامة « السياجات » التى تصون الشريعة ، فانهم كانوا على استعداد تام لابتلاع الحيل كى يتخلصوا من أحكام الشريعة اذا تعارضت مع مصالحهم ومآربهم . وربما كان ابرز مثال لذلك هو الوسيلة التى احتالوا بها ليحلوا انفسهم من القاعدة الشرعية القاضية بالا تتجاوز أية رحلة فى يوم السبت مسافة ألفى ياردة ، واذ كان الفريسيون حريصين على الاشتراك فى الولائم اليومية العـامة ، فى حين كانت منازلهم فى بعض الأحيان تبعد اكثر من ألفى ياردة عن أمكنة هذه الولائم ، كانوا يحتالون على ذلك بأن يضعوا فى عشية السبت بعض الأطعمة على بعد ألفى ياردة من منازلهم ، وبذلك يخلقون مسكنا مفتعلا يستطيعون ان يسيروا بعده ألفى ياردة أخرى ، ومن ثم يتاح لهم أن يضاعفوا المسافة المفروضة . كما أنهم كى يتخلصوا من عقبة تحريم حمل اى شىء يوم السبت الى خارج البيت كانوا يحتالون بخدعة أخرى ، وهى أن يضعوا قوائم وعوارض ابواب ونوافذ فى مختلف الشوارع ، فتصير المدينة كلهـا بمثابة بيت كبير يحل فى داخله حمل الأشياء . ومن الأمثلة كذلك على تلاعبهم أن الشريعة كانت تلزم الابن بأن يعول والديه فى حالتى الشيخوخة والعوز ، ولكن الفريسيين كانوا يتيحون للأبناء التهرب من هذا الالتزام بحيلة كذلك ، وهى أن يذهب الابن ـ اذا طالبه أبوه ـ الى الكهنة ويتفق معهم على أن يوقف كل أمواله وممتلكاته على الهيكل ... » ـ (المترجم) .

Josephus ان المتحولين لليهودية كانوا موجودين فى كل من بلاد الاغريق ، والمدن البربرية (٢) بل وحتى بين زوجات المناهضين لنشاطات الدعوة الى اليهودية فى دمشق (٣) .

ويعد البعد العالمى فى اليهودية أكثر ما يكون وضوحا وتحديدا فى التوجيه التالى ، الذى صاغه الرابى اليعازر بن بيدات Eleazar ben Pedat فى القرن الثالث للميلاد :

« الله الواحد ، تبارك اسمه لم يشتت بنى اسرائيل بين الأمم الا ليضيفوا مهتدين جدا الى تعدادهم – أى تعداد بنى اسرائيل » (٤) .

وعلى أية حال ، فقد كان هنـاك ملمح خاص ساد الاستشراف الدينى فى العصــور الوســطى ، واستمر الى حـد كبير بين اليهود التقليديين فى العصر الحديث . والخلفية الخارجية لهذا الملمح الخاص هى تجربة اليهودية مع المسيحية العسكرية (التى تسـتخدم القوة العسكرية لنشر المسيحية) ، وبعد ذلك تجربتها مع الاسلام العسكرى الذى حذا حذو المسيحية فى هذا المجال بالدرجة نفسها (*) . ومعنى هذا ان التحول من المسيحية لليهودية كان يعنى مخاطرة من المتحول مخافة مواجهة عقاب شديد ، وبالنسبة لليهود الذين كانوا قد تحولوا ، على الأقل منذ عهد قسطنطين Constantine . فليست هناك حاجة للافتراض بأن ظهور هذه الاتجاهات الخصوصية (الاتجاهات باحساس اليهود بأن لهم وصفا خاصا) كانت مجرد نتيجة للضغوط الخارجية ضد نشاطات الدعوة لليهودية ، لأن هنـاك أسبابا لاهوتية خاصـة داخل اليهودية لمنع اليهود من دعوة الأغيار (غير بنى اسرائيل) لليهودية .

(*) الكاتب كما هو معروف يهودى ، وهو يتهم المسيحية والاسلام على سـواء بالانتشار بحد السيف ، لذا ليس من مبرر لاطالة الحواشى بالتعليق خاصة وأن المؤلف عاد بعد ذلك فذكر ان هناك أسبابا لاهوتية داخل اليهودية نفسها تمنع اليهود من دعوة الأغيار لهذا الدين ولا ينكر التاريخ حالة واحدة دخل فيها فرد الاسلام تحت التهديد بالسيف ، واستعمال السيف كان للدفاع .

لقد كانت المسيحية والاسـلام – بشـكل واضح – بمثابة دينين نبعا من اليهودية (أو هما أبنـاء لليهود) ، لأنهما تضمنا كثيرا من الأفكار والممارسات الأساسية فى الدين الأم (*) (اليهودية) ، فالجهود التبشيرية للمسيحية يمكن النظر اليها كاستمرار مباشر لجهود الهداية اليهودية – وان كان بطريقة مبسطة (أو خفيفة) تتناسب مع الأغيار (الأمم الأخرى غير اليهود) . فقـد نقلت المسيحية والاسـلام الدين اليهودى للأغيار ، ورثت اليهودية نفسها وقد تخلصت من عبء العمل على هداية غير اليهود ، ولم يعد مطلوبا منها أن تركز على (تنقية) أو « تكرير » نفسها لتناسب الأغيار فتعوق تطورها الدينى الطبيعى (**) .

وهذا الاتجاه الذى أوردناه آنفا تضمنته ملاحظات موسى بن ميمون – أعظم اللاهوتيين اليهود التقليديين – فقد كتب فى حوالى نهاية القرن الثانى عشر فقرة حذفها الرقيب المسيحى من معظم طبقات مشناة التوراة Mishneh Torah :

« وكل هذه الأمور المتعلقة بيسوع الناصرى ، والاسماعيلى (***) الذى ظهر بعده ، لم تكن الا لتمهد الطريق للمسـيا Messiah ، ولتهيئة العالم كله لعبادة الله معا (ليكونوا جميعا عبيدا لله to serve God together » (٥)

فهنا نرى أن موسى بن ميمون وقد احتفظ لليهودية بعالمية معدلة بطريقة تحيل اليهودية نحو الخصوصية بشكل حاد . فلم يكن كل المفكرين اليهود راغبين حتى فى الذهاب الى الحد الذى ذهب اليه موسى ابن ميمون فى عالميته المعـدلة Qualified Universalism

---

(*) بل خرجت هذه الاديان جميعا من مشكاة واحدة – (المترجم) .

(**) لا يوافق المسلمون على أن الاسلام نبع من اليهودية ، فالعقائد الاسلامية والتشريع الاسلامى والأخلاق الاسـلامية ، مختلفة مع نظيراتها اليهودية وكل ما يمكن قوله هو ان اليهودية الصـحيحة والمسيحية الحقة والاسـلام جميعا من معين واحد – (المراجع) .

(***) يقصد محمدا صلى الله عليه وسلم – (المترجم) .

وكانوا فى اتجاههم هذا ، أكثر انتحاء للخصوصية الموجودة بالفعل فى التراث الفكرى للرابيين ، وهو أن التوراة لم توجه للأغيار فهم غير ملزمين سوى بمجرد الالتزام بشرائع نوح Noachidie Laws وهى : ١ – اقامة المحاكم ، ٢ – منع التجديف على الله ، ٣ – منع عبادة الأوثان ، ٤ – منع الفسوق الجنسى ، ٥ – منع القتل ، ٦ – منع السرقة ، ٧ – عدم أكل لحم تم اقتطاعه من حيوان حى (٦) . وعلى هذا فالأغيار (غير اليهود) غير مطلوب منهم لا دراسة التوراة (٧) ولاحفظ السبت (٨) ، لكن اذا رغب واحد من الأغيار – بشكل صادق – أن يضع على كاهله الارتباط بمملكة الله ، والوصايا العشر، فيمكن قبول رغبته فى اعتناق الديانة اليهودية . وعلى أية حال ، فهو فى غير حاجة الى ذلك (الى التحول لليهودية) ، مادام محافظا على شرائع نوح السبع Seven Noachide Laws فهو – فى هذه الحال – يعد من الأغيار الصالحين وله مكان فى يوم الرب الآتى (*) World to Come (٩) . وبرغم أن الاتجاه الخصوصى ساد فى العصور الوسطى ، فان الاتجاه العكسى (العالمى) كان لا يزال موجودا يعبر عنه أفراد من الرابيين Rabbies ، ومن ذلك أن الرابى موسى الكوسى Moses of Coucy يحذر اليهود ، مطالبا اياهم باصلاح أساليبهم التى تنفر الأغيار ، ما دام هدف تشتيت اليهود بين الأمم هو تحويلهم لليهودية (١٠) .

وفى أزمنة أكثر حداثة ، ومع تركيز تجدد على الأبعاد العالمية لليهودية بين اليهود التقدميين Progressive Jews ، صاحب ذلك تساهل فى شروط الهداية (شروط التحول لليهودية) ، وقد ظل غالب اليهود التقليديين معارضين لجعل عملية التحول أسهل ، ومعارضين للأيديولوجية الكامنة وراءها (**) . فالخصوصية اليهودية – فى بعض

(*) أو يوم الدينونة – (المترجم) .

(**) يلاحظ أن اليهودية ليست دين دعوة فهى دين لجنس بنى اسرائيل وهى محددة الأتباع ، وأديان الدعوة هى : الاسلام والمسيحية والبوذية وسيذكر المؤلف هذا بعد قليل – (المراجع) .

جوانبها – كانت هى الاتجاه الأكثر قبولا عند المعاصرين ، لأن اليهودى غير متورط فى انكار التراث الدينى للآخرين ، ما داموا غير وثنيين . فالخصوصية اليهودية أكثر ملاءمة فى بيئة التسامح والتعددية الدينية . والعالمية المطلقة تحمل معها مفهوم أن الطريق الواحد الى الله هو طريق اليهودية ، بينما « الخصوصية » اليهودية قد تسمح بطرق مختلفة اليه (الى الله سبحانه) ، فاليهودية ببساطة هى الطريق الذى رسمه الله لليهود .

والصيغة الكلاسية لتعددية الخصوصية نجدها فى خطاب كتبه موسى مندلسون Mendelssahn لأحد معارفه المسيحيين واسمه ج . س . لافاتر J. C. Lavater ، فى عام ١٧٦٩ يقول فيه : « وفقا لمبادىء دينى ، فانه غير مسموح لى أن أحاول تحويل أى شخص لم يولد على تراث اسرائيل . فهذه الروح التبشيرية التى يتوق كثير من الناس لأن يعزوها لليهودية وأن يجدوا لها أصولا فيها ، تعتبر غريبة تماما عن اليهودية . فالرابيون Rabbies متفقون باجماع على أن الشرائع المكتوبة والمنقولة شفاهة ، والتى تعد أسس ديننا اليهودى الموحى به ، غير مرتبطة الا بأبناء عقيدتنا – اليهود .

أما كل الأمم الأخرى ، فهى – كما نعتقد – مسوقة من الله لمراعاة قانون الطبيعة ودين الآباء Patriarchs فالبشر الذين يعيشون وفقا لدين الطبيعة Religion of nature ودين العقل Religion of reason نسميهم الأغيار الأتقياء Pious of the gentiles ولهم نصيب فى يوم الرب الآتى World to come ... فاذا وجدنا فى عالمنا المعاصر شخصا مثل كونفوشيوس Conficius أو صولون الأول Solon 1 فاننى وفقا لمبادىء دينى ، سأحب مثل هذا الرجل العظيم وأحترمه ، دون أن أضع فى اعتبارى الفكرة المضحكة السخيفة التى مؤداها تحويل كونفوشيوس أو صولون الى اليهودية » .

الشريعة اليهودية (الهالاخاه Halkhah) ثقافة وعقيدة :

لايقدم التراث اليهودى أفكارا أساسية معينة عن الله والوحى والانسان ، فحسب ، وانما يعبر أيضا عن هذه العقائد من خلال شعائر وطقوس وشرائع موجهة للسلوك تؤدى بدورها لقيام مؤسسات دينية reigious institutions وتصبغ الحياة والثقافة اليهوديـة بصبغة مميزة . وعلى هذا ، فان تكون يهوديا لا يعنى بالضرورة أن تكون يهوديا متدينا ، كما أن اليهودى المتدين ليس من الضرورى أن يصب نفســه فى صيغة دينية (أو قالب عقــائدى doctrinal formula) يعرف نفسه من خلالها بشكل أساسى (تعتبر هى الأساس فى اعتباره يهوديا) . فبالنسبة لبعض اليهود ، تعتبر يهوديتهم أو ايمانهم باليهودية اقرب الى « خصوصية » الحياة فى مجتمع عرقى ، منه الى الالتزام الصارم بشعائر أو عقائد . وبالنسبة ليهود آخرين ، نجد أن البعد الأساسى لليهودية - هو مراعاة محرمات الهالاخاه وأوامرها التى تحدد المسلك المعيارى ، مع قضايا لاهوتية تحتل مرتبة أدنى بحيث يصبح وجودها شبيها بالظل (أى ملازما وان كان أقل قيمة) .

ومن الأنصار المعاصرين لوجهة النظر الأخيرة - والتى قد يكون من الملائم ان نطلق عليها « الوضعية الهالاخاوية » أو «الالتزام بما هو واضح فى الهالاخاه » Halakhic Positivism - من كتب :

« .. ذلك الذى أعطى لليهودية استمرارها ، وحفظ ذاتيتها لم يكن سوى دين اسرائيل كما تضمنته التوراة والوصايا mitzvot (*) .

اننى لا أنكر أن هناك ملامح أخرى للوجود اليهودى ، لكن أيا من هذه الملامح لا يحوى قيمة بناءة لتأمين استمرار اليهودية ، والحفاظ على

(*) المقصود الوصايا التى أعطاها الله لموسى عليــه السلام على جبل سـيناء لكن الكلمة mitzvot تعنى قائمة بالوصايا الدينية - راجع معجم المصطلحات الذى وضعه المؤلف فى آخر الكتاب - (المترجم) .

ذاتيتها . فالملامح أو الظـواهر الأخرى للوجود اليهودى : من آراء ، وفلسفات ، وقيم ، وأخلاق وانتاج فكرى وأشعار ، وفلكلور وسياسة ، ونظم اجتماعية - كل هذا يشترك فيه البشر عامة . انها لم تكن تمثل خصوصية يهوديـة ، فقد كانت ظواهر غير متصلة فى مسار التـاريخ اليهودى العــام . فلم تتمثل كل الأفكار والآراء المختلفة فى اليهودية الا من خلال الأبنية الفوقيــة Supra-structures ، القــائمة على الهالاخاه » (*) (١١) .

وهذا الاتجاه الذى يعطى الأولوية للهالاخاه - طريق اليهودية أو جانبها التشريعى - الذى يعنى بشكل أساسى الوصايا Mitzbot ، لم يوجد الا بين مجموعة صغيرة - لكنها مؤثرة - من المفكرين اليهود السلفـيين Orthonox . وبطبيعـة الحال ، فان هذه « الوضعيــة الهالاخية » أو هذا الاتجاه القائم على الأخذ بما هو واضح فى الهالاخاه Halakhic Positivism يمثــل تفسـيرا خاصــا (معينا) للوجــود اليهودى . لقد قدمت أرضــية خصبة من خلال اليهودية لتطوير السكولاستية ذات النظرة الداخلية (**) ، التى لم تحاول أن تربط الدين اليهودى بقضايا الطبيعة الدينية العامة .

ان ذلك ساعد الذين التزموا بهذا الاتجاه فى التغلب على المشاكل التى أحدقت بالفكر اليهودى فى عالمنا المعاصر بفصلهم أنشطتهم الفكرية عن القضايا اللاهوتية العامة .

وثمة اتجاه دنيوى مواز لهذا الاتجاه الذى يفصل وسط الفعل المعيارى (أو بيئته أو محيطه) عن المباحث اللاهوتية (***) . وتنحو هذه

(*) الجانب التشريعى فى اليهودية أو الطريق اليهودى أو التعاليم اليهودية المتعلقة بالسلوك والممارسات الطقسية - راجع معجم المصطلحات العبرية للمؤلف بآخر الكتاب - (المترجم) .

(**) النص inword-Looking Scholasticisro والمقصود بالسكولاستيه فى هذا السياق ، محاولة اخضاع الفلسفة للاهوت أو الربط بينهما .

(***) مؤلف الكتاب يهودى يبين لنا العقائد اليهودية - (المترجم) .

النظرة اللاهوتية الى ان كل العناصر الدينية فى اليهودية – بما فى ذلك عنصر الهالاخاه – ليست الا مجرد ثمار أو نتائج لثقافة اليهود العرقية ، ، الأولوية فيها هى الاحساس المشترك بتاريخ عام واحد ، وسلسلة من أساليب الحياة اليهودية ، واستخدام لغات يهودية the use of judaic languages ، وعـادات اجتماعيـة ، وقيم ذوات طابع عرقى ، وقيم مستمرة من الأساليب الشعبية فى الحياة · وبينما الدنيويون (العلمانيون) ينجذبون انجذابا طبيعيا نحو هذا الشكل من اشكال اليهودية العرقية أو اليهودية الثقافية ، وجدنا – غالبـا – الأرثوذكس المغالين Ultra-orthodox هم الذين يدافعون عن اشكال أكثر تطرفا نحو « الوضعية الهالاخية » ·

والغالبية العظمى من اليهود – بمن فى ذلك الأرثوذكس والمحافظون والاصلاحيون – تقبل منظورا أوسع للدين اليهودى والحياة اليهودية ·· رغم اختلافها فى التركيز على عنصر أو آخر من عناصر اليهودية ، فالسلفيون يركزون على الهالاخاه أكثر من تركيز الاصلاحيين عليها ، الا أنهم جميعا يدركون التفاعل بين الممارسة والعقيدة فى اليهودية (كون اليهودية دينا ودنيا) ، كما يدركون التوتر القائم بين اليهودية والعالم المعاصر · فالصلات الحرة المفتوحة بين اليهود والأغيار (غير اليهود) فى العالم الغربى قد عمقت من وعى اليهود بوضعهم العقائدى واشكالية هذا الوضع ، بالاضافة الى تضاؤل « الذاتية اليهودية » أو « الخصوصية اليهودية » ، نتيجة استيعاب المجتمع الغربى لليهود أو هضمه لهم ، ونتيجة الزواج المختلط (بين اليهود وغير اليهود) · وقد أدى ظهور الدولة اليهودية فى الأرض المقدسة التاريخية ، الى أن أصبحت الوطنية اليهودية Jewish nationalism ملمحا مكملا للوعى اليهودى المعاصر ، الذى يحتاج للتوافق مع مزيد من الوطنية المحلية Localized nationalism لليهودى الذى تحرر (من الشتات) ليصبح مثله مثل المواطن الأمريكى أو البريطانى أو الفرنسى · لقد أحيت

القضايا الاجتماعية والأخلاقية فى زماننا هذا ، الاهتمام اليهودى فى الاتجاه نحو الهالاخاه بمعناها التقليدى ، نحو السلوك المعيارى ومدى مقدرتـه على التغلب على المجتمع المتسـاهل Permissive Society .

لا يمكن أن نتجنب التعرض لأى من هذه القضـايا ، سواء على المستوى الفكرى أو على المستوى العلمى المتعلق بأسلوب الحياة بعيدا عن القيم الأخلاقية لثقافة علمانية (دنيوية) حاشدة · وأكثر جوانب هذا الموضوع حساسية هو التعليم ، حيث الأطفال اليهود عرضة تماما لاستيعاب أفكار المجتمع العام واتجاهاته وقيمه · وأحد الحلول التى اتخذها الآباء اليهود من الأقليات المهمة هو ارسال أطفالهم الى مدارس يهودية ، وهذا يعنى التلطيف من أثر البيئـة التى يقطنها الأغيار ، وتوثيق الروابط الاجتماعيـة بزملائه اليهود ، والحد من احتمالات الزواج بين اليهود وغير اليهود ، والحد من تقديم قدر ضئيل من التعليم الدينى اليهودى · وعلى أية حـال ، فان المدارس اليهوديـة قد ولدت مشاكلها الخاصة منذ زادت (عمقت) معنى الغربة التى يشعر بها الطفل اليهودى وزيادة وعيه بالحواجز غير المرئية لثقافة الجيتو ghetto ، التى تفصل اليهود عن عالم غير اليهود · وثمة حل آخر لم يكن مقبولا الا من نسبة صغيرة من اليهود الغربيين – وان فكر فيه كثيرون – وهو الهجرة الى اسرائيل · وهذا يزيح القيد الثقيل ، الممثل فى تنازع ولاء اليهودى بين اسرائيل والبلد المضيف (الذى يقيم فيه) ·

ابعاد الهوية اليهودية

يعد تحليل العناصر المختلفة المكونة للشخصية (الهوية) اليهودية Jewishness – بمعناها الواسع ، مسألة مهمة لمعرفة مفهوم اليهود للذاتية اليهودية ، ومفهوم غير اليهود لها أيضا · وباختصار ، فانه يمكننا عزل اربع مقولات تقيم الهوية اليهودية : ١ – المقولة البيولوجية،

٢ ـ التتبع الديني ـ الجذور الدينية ، ٣ ـ الانتماء الى مجتمع ثقافي ـ له خصائص ثقافية ، ٤ ـ الانتماء الوطني او العرقي ، واللغة المستخدمة.

وكل مقولة من هذه المقولات منفصلة عن الأخريات ، وعلى هذا فمن الممكن ليهودي ما أن ينتمي الى فئة واحدة ، فعلى سبيل المثال ، أن تكون يهوديا من الناحية البيولوجية دون انتماء الى مجتمع يهودي أو وطنية يهودية أو دين يهودي . ومعظم اليهود يمكن أن يكونوا يهودا وفقا لغالب هذه المقولات Categories الآنف ذكرها ، الا أن المجموعات اليهودية المختلفة ليس لها الثقل نفسه داخل الفئات المختلفة للمجتمع اليهودي ، فبعضها يعتبر معيارا كافيا للهوية اليهودية ، ولا يعتبر بعضها الآخر كذلك . دعنا نتفحص هذه المقولات أو المعايير الأربعة بتفصيل أكثر .

الأصل البيولوجي

وفقا للهالاخاه ، يكفي أن يولد شخص ما من أم يهودية ليعتبر يهوديا . وكان هذا يعني ـ من الناحية التاريخية ـ أن الأطفال الذين أنجبتهم أمهات يهوديات اغتصبهن غير اليهود ـ وهو أمر لم يكن نادر الحدوث في أوروبا قبل العصر الحديث ـ كانت تقبلهم الجماعة اليهودية كيهود كاملي اليهودية . ولم تكن الهالاخاه (الشريعة) التقليدية تطبق القاعدة نفسها على الأطفال المولودين من آباء يهود ونساء من غير اليهود ، فالطفل من هذا النوع (الأب يهودي والأم غير يهودية) يعتبر من الأغيار ، برغم أن اليهودية الاصلاحية Refor Judaism غالبا ما تقبل هؤلاء الأطفال كيهود .

وهذه المقولة البيولوجية تزداد تعقيدا بحقيقة أن غير اليهود لم يكونوا ـ عادة ـ يعترفون بهذا التصنيف اليهودي الداخلي (الخاص بهم) ، وربما اعتبروا شخصا ما يهوديا اذا كان أحد والديه يهوديا ، واعتبر هذا بالتأكيد صحيحا لدى الاتجاهات المعادية للسامية ، وهناك أمثلة على ذلك في قوانين المواطنة للرايخ النازي ، الذي اعتبر أن اليهودي

هو من سرت في عروقه دماء يهودية ، وهذا يعني أن بعض الذين اضطهدهم هتلر باعتبارهم يهودا ، لم يكونوا يهودا من وجهة نظر اليهود التقليديين .

فالوثني او اللاديني أو اليهودي اذا ولد من أم يهودية ، فهو يهودي، من وجهة نظر الهالاخاه ، ويتم ضمه ـ على هذا ـ لزملائه اليهود . ولم تنشأ مشكلة متعلقة بالهوية اليهودية الا بالنسبة لليهودي المولود من أم يهودية وتحول الى دين آخر ، فهنا نواجه تصادما بين مقولتين : مقولة الأصل البيولوجي في مواجهة الانتماء الديني ، فالاتجاه اليهودي التقليدي يعتبر مثل هذا الشخص يهوديا (رغم تحوله لدين آخر) من بعض الجوانب ، وغير يهودي من جوانب أخرى . وقد عرضت قضية لها هذه الطبيعة أمام المحكمة الاسرائيلية العليا في سنة ١٩٦٢ ، عندما ادعى دانيل رفيزن Daniel Rufeisen ـ وهو يهودي تحول للمسيحية ـ هوية يهودية وأراد أن يسجل كمواطن اسرائيلي بناء على قانون العودة Law of Return ، الذي يعطي ـ فورا ـ الجنسية لليهود المقيمين في اسرائيل دون ضرورة لانتظار فترة كشرط للحصول على الجنسية الاسرائيلية ، الا أن المحكمة رفضت طلبه بأغلبية أعضائها برغم أن هذا الرفض لم يكن مبنيا على أسس هالاخانية ، فقد تمسكت المحكمة بأن اطلاق لفظ (يهودي) على شخص هو عضو ممارس في عقيدة أخرى ـ اذ كان دانيل راهبا كاثوليكيا ـ يتناقض مع الوعي الوطني اليهودي ، ويتناقض مع الاستخدام الشائع للكلمة .

الاندماج الديني

من الناحية الشكلية في مفاهيم الهالاخاه ، يمكن لشخص من الأغيار (غير اليهود) أن يصبح يهوديا بالخضوع لاجراءات التحول الى اليهودية . وقد وجد خلاف ذو شأن بين الأرثوذكس والمحافظين والاصلاحيين ، فيما يتعلق بما يجب أن تشتمل عليه عملية التحويل هذه . فالتحول

التقليدى لليهودية وفقا للهالاخاه – كعملية طقسية خالصة – تتضمن الغمس فى المكفاه mikveh ، وهى بمكانة حوض معد خصيصا لهذا الغرض ، على ان يكون امتدادا لحوض يخزن فيه ماء حى Living water كماء مطر مثلا • واذا كان التحول لليهودية ذكرا ، فان الطقوس تشتمل أيضا على عملية الختان قبل الغمس فى الماء • وكان يتحتم ان تتم عملية التحول فى حضور ثلاثة من الرابيين Rabbies يشكلون محكمة الشريعة (أو بيت دين a Bet Din) ، فاذا لم يكن هناك (بيت دين) لاقت عملية التحول بعض الاعتراض بين السلطات الرابية الكلاسية ، فيما يتعلق بصحة اجراءات الدخول فى اليهودية •

ولا زال اليهود الأرثوذكس يتبعون هذا الاجراء التقليدى لقبول المتحول لليهودية • وأى تغييرات أخرى قد يتم ادخالها ، ما هى فى الواقع الا مسائل تجميلية أو شكلية Cosmetic • فعلى سبيل المثال، المرأة التى تتحول اليوم لليهودية – قد ترتدى ثوبا فضفاضا أثناء عملية غمرها بالماء immersion ، فهذا يكفى المتطلبات التى تقضى بأن ماء المكفاه Mikveh لابد أن يصل الى كل أجزاء الجسد ، فى الوقت الذى يتم اعفاء المتحول لليهودية من الارباك المتمثل فى ضرورة حضور ثلاثة رابيين أثناء اتمام هذه العملية (الغمر بماء المكفاه) •

فالممارسات المحافظة تقترب اقترابا وثيقا من الممارسات التقليدية فى الحالة المذكورة آنفا ، كما فى كثير من الطقوس الدينية الأخرى ، لكنها قد لاتتبع تفاصيلها حرفيا• وكان هذا يعنى أن الرابيين الأرثوذكس لا يعترفون – بشكل عام – بالتحول لليهودية وفقا للطقوس التى يقرها المحافظون ، سواء أكان ذلك لأسباب سياسية أم لأنهم يتشككون فى كل من صحة طقوس التحول ذاتها ، أو فى الرابيين الذين يشرفون عليها • ومادامت اليهودية الاصلاحية Reform Judaism قد ألغت طقس الغمر بالماء ، ولم تعد تمارس الختان بالطريقة الطقسية المطلوبة ، فان المتحولين لليهودية وفقا لطريقتهم لم يعودوا مقبولين من أتباع اليهودية الأرثوذكسية ، وأتباع اليهودية المحافظة ، على حد سواء •

وبهذا ، أصبح الموقف الحالى مائعا جدا ، نظرا لاختلاف معايير التحول لليهودية كما تطبقها الجماعات اليهودية المختلفة ، كما اختلفت أيضا معايير قبول طقوس التحول •

فالذين تحولوا لليهودية فى ظل طقوس اليهودية الاصلاحية Reform ، والذين يظنون أنفسهم يهودا ، لا زال بعض رفاقهم اليهود يعتبرونهم من الاغيار (الأمميين أو غير اليهود) • وهذا – بطبيعة الحال – يؤدى الى مشاكل متعلقة بالهوية ذات أبعاد متعددة ، طالما ان السلفيين (الأرثوذكس) أو المحافظين اليهود لن يتزاوجوا مع أولئك الذين تحولوا لليهودية فى ظل طقوس الحركة الاصلاحية اليهودية Reform • وتوجد المشكلات نفسها بالنسبة للمتحولين لليهودية فى ظل طقوس محافظة فى مواجهة اليهود الأرثوذكس ، وحتى الآن ، لم تبدأ هذه الاتجاهات الثلاثة فى اليهودية الحديثة ، فى حل هذه المشكلة حلا حقيقيا ، تلك المشكلة التى قد تؤدى على المدى الطويل الى تقسيم الشعب اليهودى Jewry الى ثلاث مجموعات نتيجة التزاوج الداخلى (ويعرف احيانا بالتزاوج اللحمى ، أى عدم السماح بزواج الذكر أو الأنثى خارج المجموعة أو القبيلة أو العشيرة ••• الخ) • وفى دولة اسرائيل الحديثة، عادة ما تنتصر الممارسات الأرثوذكسية Orthodox عندما تثور قضايا حول المتحولين لليهودية بين الحين والحين ، مسببة أزمات سياسية بين أعضاء الحكومة الائتلافية المكونة من عناصر دينية وأخرى علمانية • ولأن اسرائيل والحركة الصهيونية تتلقيان كثيرا من الدعم من دوائر اليهود المحافظين واليهود الاصلاحيين فى أمريكا الشمالية ، فقد تزايد الاحتجاج على اعتراف اسرائيل بالمتحولين لليهودية كمحافظين أو اصلاحيين • حقيقة ، ان العادة جرت أن يكون الرابيون الأرثوذكس فى اسرائيل أكثر مرونة بالنسبة لموضوع التحول لليهودية من السلفيين الذين يعيشون خارج اسرائيل (أرثوذكس الشتات أو الدياسبورا Diaspora) ، فالرابيون السلفيون فى اسرائيل لديهم مؤسسات تدريبية خاصة للتعامل مع اليهود المحتملين (المتحولين لليهودية) ، كما أنهم يختصرون

فترة الانتظار قبل قبول التحول (دخول اليهودية) ، الا انه من المستبعد أن يقبلوا ـ تحت اى ظرف من الظروف ـ الدخول لليهودية وفقا للطقوس التقدمية Progressive Conversions .

وعملية التحول لليهودية تتضمن أن يقبل المتحول العقيدة اليهودية ، وتعاليمها وشرائعها سواء كان ذلك وفقا للاتجاه الارثوذكسي او المحافظ او الاصلاحي . ويشترط لقبول المتحول لليهودية أن يمر بفترة دراسة قبل التحول ، ليس فقط ليستوعب ما هو لازم منه ان اصبح يهوديا ، وانما أيضا لتتاح له فرصة اعادة التفكير فى اتخاذ هذه الخطوة (التحول لليهودية) على بصيرة . وتعد فترة الدراسة هذه اطول ما تكون عند الارثوذكس ، وقد يمدها بيت الدين لتصل الى اربع سنوات أو خمس .

الانتماء الى مجموعة ثقافية

فكرة الجماعة اليهودية أو المجتمع اليهودى أو الأمة اليهودية Community ، تعد فكرة محورية بالنسبة للحياة اليهودية سواء بمعناها العام الواسع الذى يعنى كل اليهود (الشعب اليهودى أو الأمة اليهودية) والتى يعبر عنها اليهود بالمصطلح (كلال يزرائيل Kelal Yesrael) ، أو بمعناها الضيق الذى يعنى تشكيلا أو تنظيما body من اليهود فى موقع بعينه . وفى الأزمنة القديمة ، لم يكن المجتمع اليهودى قصرا على اليهود دون سواهم ، فالأغيار الذين كانوا يعيشون فى أرض اسرائيل (*) ووافقوا على الالتزام بشرائع نوح السبع ـ كانوا يعرفون باسم جير توشاف Ger toshav ، ومعناها الأجانب المقيمون أو الأغيار المقيمون . وكانت لهم حقوق ومسئوليات محدودة داخل المجتمع اليهودى ، واستمرت صيغة معدلة من هذه

(*) مؤلف الكتاب يهودى يبين لنا العقائد اليهودية . (المترجم) .

الممارسة منتشرة بين الجماعات اليهودية قبل أن تصبح الامبراطورية الرومانية امبراطورية مسيحية ، عندما ارتبط كثيرون من الأغيار المتحدثين باليونانية بمعابد يهود الشتات (الدياسبورا) دون أن يتحولوا لليهودية تحولا فعليا .

ولم يعد وضع الأغيار المقيمين موجودا الآن ، نظريا على الأقل ، فكل الذين ينتمون علنا لمجموعة أو جماعة يهودية اما أنهم يهود أو يعتبرون انفسهم يهودا ، وعلى أية حال ، فمن الناحية العملية ، سيكون هناك أفراد داخل بعض المجتمعات اليهودية ، ممن لم يولدوا من أمهات يهوديات وممن لم يتحولوا لليهودية ، مادامت حياة هذا المجتمع اليهودى تضم أبعادا ثقافية واجتماعية ، بالاضافة للبعد الدينى .

اذ يحدث أحيانا ـ على سبيل المثال ـ أن يتزوج رجل يهودى من امرأة من الأغيار ، ويدخل أولاده منها فى الجماعة ، فستظهر مشاكل لافكاك منها ، عندما يكبر هؤلاء الصغار ويسعون للمشاركة فى الحياة الدينية ، أو يسعون للزواج من يهوديات ، وفقا للطقوس السارية فى المعابد اليهودية .

الانتساب العرقى أو الوطنى ، واستخدام اللغة

بظهور دولة اسرائيل المعاصرة ، اكتسبت الهوية اليهودية بعدا جديدا . فهناك شباب اسرائيليون ولدوا فى اسرائيل ونشأوا على الحديث باللغة العبرية ، وخدموا فى الجيش الاسرائيلى ، وبذا فان هويتهم كاسرائيليين يهود غير هوية الاسرائيليين المسيحيين أو الاسرائيليين المسلمين (المسيحيين أو المسلمين ذوى الجنسية الاسرائيلية) ، فهولاء الأخيرون ليس لهم ثقافة الهالاخاه اليهودية . انهم ـ أى هؤلاء الشباب ـ دائما نتاج زواج مختلط من رجال يهود ونساء من الأغيار .

وما دامت الهالاخاه التقليدية تؤثر فى وضع الشخص بشكل فعال فى اسرائيل نظرا لأن الحكومة الاسرائيلية تتكون من أحزاب دينية واخرى علمانية ، فان هؤلاء اليهود غير اليهود non-Jewish Jews يشكلون منطقة نزاع خاصة فى حياة الدولة اليهودية . وغالبا ما يكون الاتجاه الأرثوذكسى قادرا على تجاوز المشكلة ، باتخاذ الاجراءات الطقسية لتحويل الراغبين منهم لليهودية . وعلى أية حال ، فهناك البعض منهم يرفض الخضوع لطقوس التحول مع تمسكه بحق المواطنة اليهودية .

وفى سنة ١٩٦٨ ، طالب بنيامين شاليت Shalit ، الضابط فى البحرية الاسرائيلية ، بتسجيل ابنائه من زوجته غير اليهودية فى وزارة الداخلية باعتبارهم يهودا (يحملون الجنسية اليهودية Jewish nationality) وقد قبلت المحكمة العليا التى لجأ لها شاليت طلبه ، برغم أنها أشارت الى أنه ما دامت الشرائع الدينية هى التى تحكم الأحوال الشخصية فى اسرائيل ، فان أولاد شاليت يعتبرون من الأغيار (غير اليهود) . وبعد اعتراض شديد من الأحزاب الدينية ، غيرت الحكومة الاسرائيلية أخيرا قانون تسجيل المواطنين ليصبح أنه لاحق لأحد فى المطالبة بتسجيله كيهودى الا اذا كانت أمه يهودية ، أو اعتنق اليهودية (المقصود وفق اجراءات التحول الآنف ذكرها) .

والوضع القائم الآن يترك شبابا اسرائيليين ـ فى نفس أوضاع ابناء شاليت الآنف ذكره ـ هائمين لا هم يهود ولا هم غير يهود . ويرجع سبب اثارة القضايا المحيطة بالهوية اليهودية الى أن اسرائيل من ـ الناحية الرسمية ـ هى دولة يهودية لا تضم فحسب عددا كبيرا من الأغيار (غير اليهود) ، وانما تضم أيضا عددا كبيرا من اليهود العلمانيين (Secular Jews) ، بل ان التشريع اليهودى نفسه مختلط ففى بعض المجالات ، يتم تطبيق التشريع الدينى ، وفى مجالات أخرى يتم تطبيق التشريع المدنى (غير الدينى Secular) . ويحمل كل مواطن اسرائيل بطاقة هوية (شخصية) مسجلا بها عرقه (أو انتماءه

العرقى) . وتصدر هذه البطاقة عن وزارة الداخلية ، وهى وزارة ـ من الناحية الرسمية ـ غير ملتزمة باعتبارات الهالاخاه (الشريعة) فيما يتعلق بتحديد من يعتبر يهوديا ، ولكن من الناحية الفعلية تسيطر الأحزاب الدينية على هذه الوزارة . وقد تم تسجيل هوية غالب مواطنى اسرائيل كيهود (تم تسجيل كلمة (يهودى) امام الدين) مع ان اليهود المتدينين يعارضون ويطالبون بان يكون تحديد من هو اليهودى خاضعا لاعتبارات الهالاخاه ، وليس لاجتهادات الموظفين المدنيين .

واهمية هذه المعايير التى تستخدم فى تحديد من هو اليهودى leom ، ترجع الى حقيقة أن القوانين الاسرائيلية المتعلقة بالزواج والطلاق يتحكم فيها الرابيون الأرثوذكس ، بينما يتحكم المسئولون الدينيون المسيحيون فى زواج المسيحيين ، والأمر نفسه بالنسبة للمسلمين . فاليهودى العرقى ethnic (أو السلالى أو الأصلى أو الوطنى national) الذى لم تجر عليه الطقوس الشكلية وفقا للهالاخاه ، لا يمكن تصنيفه كمسلم أو كمسيحى ـ ليس أمامه أى سبيل للزواج فى دولة اسرائيل ، فاذا تزوج (أو تزوجت) وفقا للاجراءات المدنية خارج دولة اسرائيل ، فعلى الدولة عندئذ أن تعترف بزواجه بحكم الاتفاقات الدولية . ويمكن أن تكون مشاكل (الهوية) لهؤلاء اليهود العرقيين ethnic الذين يعيشون فى اسرائيل ـ ذات طبيعة قاسية ، وبرغم أنها تؤثر فى نسبة قليلة من السكان فانها تنطوى على وضع قابل للانفجار ، يشكل صراعا بين القوى الدينية والمدنية (*) .

(★) من المبادىء الاسلامية المسلم بها أن الاسلام دين عالمى للناس جميعا ، وما على الانسان الذى يريد دخول الاسلام الا أن ينطق بالشهادتين فيصبح مسلما مكلفا بكل القوانين الاسلامية بصرف النظر عن أصله وأرديته ـ (المراجع) .

الفصل الثانى

العقائد الدينية الأساسية

طبيعة الله فى اليهودية ·

عادة ما نفهم التوحيد على أنه الايمان بإله واحد ، لكن يكمن وراء هذا التعريف الذى يبدو - فى الظاهر - بسيطا سيل من التفاصيل المعقدة · وكانت اليهودية طوال مسيرتهـا التاريخيـة الطويلة على وعى دائما بارتباطها بالايمان بإله واحد ، وان كان معنى هذه العقيدة (عقيدة الايمان بإله واحد) ، وما أحاط بها من لاهوت (*) - يختلف بشكل ملحوظ من فترة الى فترة · الا أنه فى أى عصر أو فترة كانت الأفكار المختلفة عن الله (سبحانه) تتعايش معا ، بـل ويؤثر بعضها فى بعضها الآخر · بل ان ذلك قد يصدق بالنسبة لعقيدة فرد واحد ، فقد تشتمل فكرته عن الله على عـدد من العناصر المختلفة استقاها أو تشربها من الماضى · وفيما يلى ، سنتناول المكونات الأساسية التى تشكل الصورة المركبة للعقيدة اليهودية ، فيما يتعلق بطبيعة الله (سبحانه) ·

١ - التشبيه والمشبهة Anthropomorphism

يقصد بالتشبيه ، وصف الله باستخدام ألفـاظ أو صياغات ، نستخدمها هى نفسـها فى وصف العلاقات بين البشر بعضهم بالبعض الآخر من ناحية ، وبينهم وبين العالم المادى من حولهم من ناحية أخرى ·

(★) فى هذا السياق يعتبر اللاهوت اقرب ما يكون الى مفهوم علمى التوحيد ، والكلام عند المسلمين - (المترجم) ·

والتشبيه بهذا المعنى وبما يحويه من الفـاظ ومصطلحات ، يعد من خصـائص اليهـودية منذ تاريخهـا المبكر حتى الوقت الحاضر · ان (التشبيه) فـكرة محورية فى اللاهوت اليهودى ، برغم أنه موضوع مثير للنقـاش والجدل الى أقصى الحدود ، دفـع الفلاسـفة اليهود فى العصور الوسطى لبذل كل ما أمكنهم من طاقة عقلية ، فى محاولة منهم لتحييد ما تنطوى عليه هذه الفكرة من صعوبة (أو عدم استساغة) فى عقـول البشر ، أو بتعـبير آخر فى محـاولة منـهم للتخفيف من حـدة سـيطرتها على فـكر البشر · فـاذا تحدثنـا عن الله (سـبحانه) باعتبـاره (أبا) أو (ملكـا) ، وباعتبـاره غضـبانا او سعيدا ، وباعتباره خالقا للكون ، وباعتباره ساخطا على مخلوقاته ... الخ ، فان هذا يجعلنا نطرح قضية علاقة الانسان بالله ، بأكثر الألفاظ والمصطلحات المتاحة للبشر ، حيوية (*) · وهذا الاتجاه يشجع

(★) أثيرت هذه الفكرة نفسها ، وبالطريقة نفسها تقريبا فى كتب علم الكلام عند المسلمين ، فحدثنا ابن حزم الظاهرى فى كتابه : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، عن المجسمة أو المشبهة ما ننقله كالتالى (جـ ٢ - ص ٣ - طبعة دار الكتب العلمية) :

« قال أبو محمد : قال الله تعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) [سورة الرحمن : ٢٧] فذهبت المجسمة الى الاحتجاج بهذا فى مذهبهم ·

وقال الاخرون : وجه الله تعالى انما يراد به : الله عز وجل ·

قال ابو محمد : وهذا هو الحق الذى قام البرهان بصحته ، لما أبطلنا من القول بالتجسـيم ·

وقال ابو الهذيل : وجه الله هو الله ·

قال ابو محمد : وهذا لا ينبغى ان يطلق ، لانه تسمية ، وتسمية الله تعالى لا تجوز الا بنص ، ولكننا نقول · وجه الله ليس هو غير الله تعالى : ولا نرجع منه الى شىء سوى الله تعالى · برهان ذلك قول الله حاكيا عن من رضى قوله : (انما نطعمكم لوجه الله) [سورة الانسان : ٩] ·

فصح يقينا : أنهم لم يقصدوا غير الله تعالى به ·

وقوله عز وجل : (فأينما تولوا فثم وجه الله) [سورة البقرة : ١١٥] ·

انما معناه : فثم الله تعالى بعلمه ، وقبوله لمن توجه اليه ·

وقال تعالى : (يد الله فوق أيديهم) [سورة الفتح : ١٠] ·

وقال تعالى : (لما خلقت بيدى) [سورة ص : ٧٥) ·

وقال تعالى : (مما عملت أيدينا أنعاما) [سورة يس : ٧١] ·

وقال : (بل يداه مبسوطتان) [سورة المائدة :٦٤] ·

وقال رسول الله ﷺ : « المقسطون عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ».

فذهبت المجسمة الى ما ذكرنا مما قد سلف من بطلان قولهم فيه .

وذهبت المعتزلة : الى أن « اليد » : النعمة . وهذا أيضا لا معنى له ، لانها دعوى بلا برهان .

وقال الأشعرى : ان المراد بقول الله تعالى : « أيدينا » انما معناه « اليدان » وان ذكر « الأعين » ، انما معناه « عينان » . وهذا باطل مدخل فى قول المجسمة . بل نقول : هذا اخبار عن الله عز وجل ، لا يرجع من ذكر اليد الى شىء سواه تعـالى . ونقر ان لله تعالى ـ كما قال ـ يدا ، ويدين ، وايد ، وعينا ، واعينا كما قال عز وجل : « ولتصنع على عينى) [سورة طه : ٣٩] .

وقال تعالى : (فانك باعيننا) [سورة الطور : ٤٨] .

ولا يجوز لأحد أن يصف الله تعالى بأن له عينين لأن النص لم يأت بذلك ونقول : ان المراد بما ذكرنا الله عز وجل لا شىء غيره .

وقال تعالى حاكيا عن قول قائل : (يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله) [سورة الزمر : ٥٦] .

وهذا معناه فيما يقصد به الله عز وجل وفى جانب عبادته . وصح عن رسول الله ﷺ : « وكلتا يديه يمين » و « عن يمين الرحمن » .

فهو مثل قوله : (وما ملكت أيمانكم) [سورة النساء : ٣٩] . يريد « وما ملكتم » .

ولما كانت اليمين فى لغة العرب : يراد بها الحظ للأفضل كما قال الشماخ :

اذا ما رايـة رفعت لمجـد   تلقـاها عرابة باليمين

يريد أن يتلقاها بالسعى الأعلى ، كان قوله : « وكلتا يديه يمين » أى كل ما يكون منه تعـالى من الفضل فهو الأعلى .

وكذلك صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ان جهنم لا تمتلىء حتى يضع فيهـا قدمه » .

وصح أيضا فى الحديث : « حتى يضع فيها رجله » .

ومعنى هذا ما قد بينه رسول الله ﷺ فى حديث آخر صحيح فيه أن الله تعـالى بعد يوم القيامة يخلق خلقا يدخلهم الجنة ، وأنه تعالى يقول للجنة والنار . لكل واحدة منكما ملؤها .

فمعنى التقدم فى الحديث المذكور : انما هو كما قال تعـالى : « ان لهم قدم صدق عند ربهم) [سورة يونس : ٢] .

يريد سالف صدق ، فمعناه الأمة التى تقدم فى علمه تعـالى أنه يملأ بها جهنم ، ومعنى « رجله » مثل ذلك ، لان « الرجل » : الجماعة فى اللغـة اى يضع فيهـا الجماعة التى سبق فى علمه ان يملأ جهلم بها .

وكذلك الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الله تعـالى » .

أى بين تدبيرين ونعمتين من تدبير الله عز وجل ونعمه ، اما كفاية تسره ، واما بلاء يأجره عليه . والاصبع فى اللغة : النعمة . وقلب كل أحد بين توفيق الله وجلاله ، وكلاهما حكمة . وأخبره عليه السلام : « ان الله تعالى يبدو للمؤمنين يوم القيامة فى غير الصورة التى عرفوه عليها » .

وهذا ظاهر بين ، وهم أنهم يرون صورة الحال من الهول والمخافة غير الذى كانوا يظنون فى الدنيـا .

وبرهان صحة هذا القول : قوله عليه السلام فى الحديث المذكور : « غير الذى عرفتموه بها » . وبالضرورة نعلم أننا لا نعلم لله عز وجل فى الدنيا صورة أصلا فصح ما ذكرنا يقينا . وكذلك القول فى الحديث الثابت : « خلق الله آدم على صورته » فهذه اضافة ملك ، يريد الصورة التى تخيرها الله عز وجل ليكون آدم مصورا عليها . وكل فاضل فى طبقته ، فانه ينسب الى الله عز وجل ، ويضاف اليه ، كما نقول بيت الله عز وجل عن الكعبة والبيوت كلها بيوت الله ولكن لا يطلق على شىء منها هذا الاسم ، كما يطلق على المسجد الحرام ؛ وكما نقول فى جبريل وعيسى عليهما السلام « روح الله » والأرواح كلهـا لله تعـالى . فعلى هذا المعنى قيل : على صورة الرحمن . والصـور كلها لله ، وهى ملك له ، وخلق له . وقد رأيت لابن فورك ، وغيره من الأشعرية فى الكلام فى هذا الحديث أنهم قالوا فى معنى قوله عليه السلام : « ان الله خلق آدم على صورته » انما هو على صفة الرحمن من الحياة والعلم والاقتدار ، واجتماع صفات الكمال فيه ، وأسجد له ملائكته كما أسجدهم لنفسه ، وجعل له الأمر والنهى على ذريته ، كما كان لله ذلك .

قال أبو محمد : هذا نص كلام أبى جعفر السمنانى قاضى الموصـل الضرير عن شيوخه حرفا حرفا ، وهذا كفر مجرد لا مرية فيه ، لانه سوى بين الله عز وجل وبين آدم فى الحياة ، والعلم ، والاقتدار واجتماع صفات الكمـال فيهمـا والله يقول : (ليس كمثله شىء) [الشورى : ١١] . ثم لم يقنعوا بهذا حتى جعلوا سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله تعـالى . ولا خلاف بين أحد من أهل الاسلام ، فى أن سجودهم لله تعالى سجود عبادة ، ولآدم سجود تحية واكرام .

ومن قال : ان الملائكة عبدت آدم كما عبدت الله عز وجل فقد أشرك ، ثم زاد فى الأمر والنهى لآدم على ذريته كما هو لله عز وجل ، وهذا شرك لا خفاء به . ولو أردنا أن نعرف ما هى صفات الكمال التى ذكر هذا الانسان أنها اجتمعت فى آدم كما اجتمعت فى الله عز وجل ؟ ان هذا الالحـاد والاستخفاف بالله تعالى ، لا ندرى كيف تكلم وانطق لسانه من يعرف أن الله تعالى لم يكن له كفوا أحد .. ؟ والله ان صفات الكمال فى الملائكة لأكثر منها فى آدم ، وان صفات الاثنين التى شاركوا فيها آدم عليه السلام كصفات الجن ، ولا فرق بين الحياة والعلم والقوة والتناسل ، وغير ذلك . فالكل على هذا على صورة الله تعـالى ... » .

عن تكوين صورة متخيلة لله ، تتعارض مع تعاليم يهودية أخرى عن طبيعته (أى طبيعة الله) • وغالبا ما كان الرابيون التلموديون يمهدون لأوصافهم المعنة فى تشبيه الله بمخلوقاته بعبارة (هذا ان جاز لنا أن نتحدث عن الله بهذه المصطلحات) (*) وقد أدى استخدام ألفاظ ومصطلحات لوصف الله مماثلة للألفاظ والمصطلحات المستخدمة فى وصف البشر ، الى احداث تأثير فى نوعية التوحيد ، كما تنطوى عليها الألفاظ أو المصطلحات المستخدمة ، وبتعبير آخر فان اللغة الأنثروبوموفية تؤثر من خلال الألفاظ المستخدمة فى نوعية التوحيد • فهذه الألفاظ والمصطلحات تركز على استمرار وجود الله ، وربطه بوجود الانسان ، لكنها تبرز الله أكثر قوة من الانسان ، وأفضل منه أخلاقا ، أما من ناحية الوجود فكلاهما سواء : الله والانسان Manlike entity • ويظهر الله عند أصحاب هذا الاتجاه (المشبهة أو المجسمة) كموجود يرعى الانسان ويطلب منه أن يسترضيه (بمعنى أن الله فى حاجة الى أن يسترضيه الانسان أو يطلب رضاه) needing to be Placated by man.

واذا نحينا جانبا التوراة والتراث التلمودى ، فان كتاب الصلوات اليهودية Jewish prayer book يعد بمثابة المستودع الرئيسى ـ تقليديا ـ لأفكار المشبهة اليهود •

(★) لا يخرج هذا عن عبارة (بلا كيف) الواردة فى كتب علم الكلام عن المسلمين ، وننقل هنا قبسا مما أورده الشعرانى فى كتابه (الابانة عن أصول الديانة) :

، ••• قال الله تعالى : (كل شىء هالك الا وجهه) وقال تعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) فاخبر ان له سبحانه وجها لا يفنى ، ولا يلحقه الهلاك •

وقال تعالى : (**تجرى باعيننا**) (**واصنع الفلك باعيننا ووحينا**) فاخبر تعالى ان له وجها وعينا ، لا بكيف ولا حدود •

وقال تعالى : (**واصبر لحكم ربك فانك باعيننا**) وقال تعالى : (**ولتصنع على عينى**) وقال تعالى : (**وكان الله سميعا بصيرا**) •

وقال لموسى وهارون ـ عليهما أفضل الصلاة والسلام ـ : (انتى معكما أسمع وأرى) فاخبر (تعالى) عن سمعه وبصره ورؤيته ••• ، ـ (المترجم) •

٢ ـ المتعالية والمتعالون Transcendentalism

يركز هذا الاتجاه على أن الله غير ما سواه ، فهو موجود آخر غير ما سواه ، كما يركز على الفرق الجوهرى بين الله من ناحية ، والكون المخلوق من ناحية أخرى • وهذا الاتجاه فى الفكر اليهودى الذى ينظر لله كموجود متعال يعد هو الاتجاه المضاد لاتجاه المشبهة (الأنثروبومورفيين) • وهم يرون أن كل الألفاظ والمصطلحات التى نصف بها الله human language about God ، انما هى مجرد محاولة بشرية لادراك أو لفهم ما لا تحيط به المدارك والأفهام in comprehensible.

وهذا الاتجاه (المتعالية) فى شكله المتطرف ، يفصل بين الله من ناحية والكون من ناحية أخرى بهوة سحيقة • ويعطى هذا الاتجاه مفاهيم مختلفة للكلمات اذا استخدمت معزوة لله ، واذا استخدمت معزوة للبشر ، فعندما نتحدث عن (أفكار) الله ، و (أفكار) البشر فنحن نقصد شيئا مختلفا ، و (طرق ways) الله ليست هى « طرقنا our ways » •

واللاهوت اليهودى الذى يعتمد التفكير الفلسفى يؤثر بلا تردد هذا الاتجاه (المتعالية) ، برغم أنه ليس قصرا على الفلاسفة اليهود ـ والتوراة تراوح بين اتجاه المشبهة الخالص (اتجاه الأنثروبومورفيين المحض) واتجاهات الذين يتعالون بالله عن التشبيه (المتعالية) ، والأشكال المبكرة للتأمل الباطنى اليهودى (الصوفية اليهودية) التى تتضمنها المركاباه Merkabah (*) ، مشبعة بالتعالى بالله عن التشبيه، فعبادة الأوثان ـ التى هى أمر بغيض بالنسبة للتوحيد اليهودى ـ كان ينظر اليها كتحد مباشر لفكرة توحيد الله وتنزيهه عن خلقه ، فالله ليس كمثله شىء ممن خلق أو مما خلق (**) •

(★) المركاباه أو المركابة ، وواضح انها هى الكلمة العربية المركبة ، تعنى فى التراث اليهودى عربة ذات طابع قدسى ترد فى رؤى المسبحين أو المتأملين أو الصوفيين اليهود الأوائل ـ (المترجم) •

(★★) « المتعالية » و « المتعالون » ترجمة تقريبية أو اجتهادية للكلمتين Transcendentalism Transcendentalist وأفكارهم وجدت بحذافيرها فى كتب علماء =

٣ ـ الله غير خلقه ، لكنه موجود فى كل خلقه Pan-en-theism (*)

ويقصد بهذا الاتجاه فى التفكير أن الله سبحانه موجود فى كل شىء برغم انه ليس هو كل الوجود أو ليس هو كل الكون المخلوق ، وأنه بالتأكيد ليس مع أى جزء منه . وهذه الفكرة عن الله قد تطورت فى وقت متأخر نسبيا ، وانتشرت بين أصحاب الاتجاه التأملى الباطنى من اليهود (المتصوفة اليهود) منذ العصور الوسطى فصاعدا . وبينما كانت فكرة المشبهة عن الله فكرة مربكة لأنهم يختزلونه ، ليصبح متناسبا مع ابعاد التجربة البشرية (**) ، فان أصحاب الاتجاه الآخر الذين اطلقنا عليهم « المتعالية » غالبا ما يعزلون الله عن التجربة البشرية (***) ،

= المسلمين وفى كتب الملل والنحل ، تحت عناوين مختلفة لكننى لم اشا ان اطلق عليهم اسم فرقة اسلامية لأسباب لا تخفى ، لكن من المفيد جدا أن نورد هنا بعضا مما ورد منسوبا الى علماء المسلمين كعقيدة لهم – اى للمسلمين – فى هذا الصدد . من الابانة عن أصول الديانة للأشعرى (ص ٣٥ ـ ٣٦ / طبعة دار النفائس) ننقل على سبيل المثال :

« ونؤمن .. أن الله استوى على العرش ، على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى اراده ، استوى منزها عن الممارسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وحملة العرش محمولون بلطف من قدرته ومقهورون فى قبضته . وهو فوق العرش وفوق كل شىء ، الى تخوم فوقية ، لا تزيده قربا الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شىء شهيد ، وأن له سبحانه وجها بلا كيف ... » .

وقد عقد الشهرستانى فى كتابه الشهير الملل والنحل ، فصولا عن (الصفاتية) الذين يثبتون لله صفات قديمة أزلية ، و (المعطلة) أى الذين ينفون هذه الصفات ، والمشبهة أو المجسمة ، .. ويتعرض لمن قال بجواز رؤيته ، ومن قال باستحالتها ... الخ . ونفهم من هذا ، أن هذه القضايا المتعلقة بالله سبحانه ، كانت مشاعا بين الأديان المختلفة وليست قصرا على دين بعينه ، وان كنا نستبعد أن مثل هذه القضايا قد أثارها عقل عربى خالص ؟ كما أن كثيرا من الأفكار اللاهوتية اليهودية لم تثر الا بعد مطالعة اليهود للفلسفة اليونانية بعد نقلها للعربية فى العصور الوسطى الاسلامية ، كما يشير المؤلف نفسه فى بعض مواضع هذا الكتاب ـ (المترجم) .

(★) وهو غير مذهب وحدة الوجود Pantheism .(المترجم)

(★★) المقصود هو ابعاد فكرة الذات الالهيــة المتسمة بالجلال والسمو والعلو عن خصائص تلك التجربة والنزول بها الى مستوى الصفات البشرية .

(★★★) راجع مقدمة المترجم فى صدر الكتاب ـ (المراجع) .

مما يؤدى الى نوع من الفصـــل بين وجـــود الله ، وقدرته على التحكم فى نواميس الكون deism ، فان الاتجـــاه الذى نحن بصـــدده (البانثئيزم) الذى يعنى ان الله الموجود غير خلقه لكنه فى الوقت نفســه موجود فى كل خلقــه ـ يحاول أن يحـل هذا التوتر الجدلى (الديالكتيكى) فى اللاهـــوت اليهودى بين فكرة الفلاسفة عن الله مـــن ناحية ، وفكرة احبار اليهـــود المؤسســين Patriarches من ناحيــة أخرى ، ـ بان وضـــعوا الله وراء كل الظواهر . فهو مختلف عـــن الكون المخلوق ، لكنه متصـــل به اتصالا وثيقـا . ومثل هذه الفكـــرة يعارضها الذين لا يأخذون بالاتجاه التأملى الباطنى عند اليهود (الذين لا يؤمنون بالصوفيـــة اليهوديـــة) ، اما لأنهم لم يفهموا مضمون هذا الاتجاه ، واعتبروه مرادفا لوحدة الوجود أو حلول الله فى مخلوقاته ، أو لأنهم رأوا فيه تناقضا ، فاذا كان كل شىء هو مظهر من مظاهر الله ، أو تجل من تجلياته ، فلا مجال اذن للفصل بين ما هو مقدس ، وما هو دنس ، أو الفصل بين ما هو خير ، وما هو شر .

٤ ـ الاصطفائيـــة Individualism

ويقصد بها أن الله هو اله اسرائيل ، فالتوراة تصور الله على أنه دخل فى علاقة تعاقدية خاصة مع بنى اسرائيل . فالله عامل فاعل مؤثر باعتباره هو المخلص (بتشديد اللام وكسرها) فى تاريخ اسرائيل ، ولم يلتزم اسرائيل بالولاء والطاعة الا لله وحده . وقد واكب هذه الفكرة عن خصوصية التعاقد بين الله واسرائيل ، افتراضات متعلقة بالشعب اليهودى ووضعه الخاص ، وقدره . وقد كان هذا الاتجاه الاصطفائى (اصطفاء الله لاسرائيـــل ـ وبالتـــالى لبنيه ـ تعاقد ملزم للطرفين) ، ملمحا واضحا مميزا فى كل حقب التاريخ اليهودى ، لكن ليس من الضرورى أن تكون له السيادة فى كل الحقب جميعا ، فقد كانت هناك اتجاهات أخرى أكثر ميلا لنظرة أوسع تشمل البشر جميعا .

٥ ـ الاتجاه الكونى « الله رب الكون والخلائق كلها » Universalism

الله هو خالق السماء والأرض ، وهو رب التاريخ البشرى كله ، الذى يرعى الجنس البشرى كله ويتحكم فى أموره ... is active in . وبرغم أن هذا يعنى عدم وجود علاقة ـ بالضرورة ـ بين هذا الاتجاه ، والمتعالية transcendantalism الآنف ذكره ، كما يعنى تناقضا مع الاتجاه الاصطفائى Particularism ـ فان هذا لا يمنع وجود روابط فكرية بين هذه الاتجاهات او المذاهب جميعا . فاذا كان الله منفصلا تماما عن خلقه بمعنى أن وجوده مستقل عن وجودهم is totally other ، وأن معنى الوجود الذى نصفه به فى قولنا انه موجود يختلف فى شكله عن أى مظهر من مظاهر وجود خلقه ، فاننا يمكن أن ننظر اليه ببساطة على انه ذو صلة بكل ما خلقت يداه ككل the whole of His handiwork . أما اتجاه المشبهة (الأنثروبومورفيين) الذى ينطوى على الحلول immanence أو على الأقل ينطوى على علاقة شخصية مع الله ، فمن السهل أن نرى أنه أقرب الى الاتجاه الاصطفائى Particularistic tendency لأن هذا الاتجاه الأخير ينظر الى الله على أنه اب Father بنى اسرائيل ، أو ملك بنى اسرائيل King .

هذه العناصر كلها حاضرة فى فكرة اليهود عن الله ، برغم ان اصحاب احد هذه الاتجاهات ، قد تنطوى نظرتهم لله على شعائر أو طقوس قد لا تكون عند أصحاب الاتجاهات الأخرى ، وبرغم أن اللاهوتيين اليهود وأصحاب الاتجاه التأملى الباطنى (الصوفيين اليهود) واليهود البسطاء المتدينين قد تختلف تصوراتهم عن الله ، فيركزون على جانب من الصورة دون سواها . ومع ظهور اليهودية الحديثة وتشعبها الى تيارات تقليدية واخرى تقدمية ، بدا تقييم الوعى الذاتى بفكرة اليهود عن الله ـ يزداد . ووصل الأمر الى حد أن الأفكار التقليدية عن الله لم يعد ينظر الى أى منها على انها كافية تماما بالنسبة لليهودى الحديث ، خاصة فى حقبة

ما بعد المحرقة (*) Auschwitz era . ومع ذلك ، فان الالتزام بأفكار التوحيد ظل كما هو : فالله واحد ، وظل توحيد الله هو النقطة المحورية لمعظم الأفكار اليهودية عن الله ـ فى القرن العشرين . لكن تفسير معنى التوحيد اليهودى ، ظل محل خلاف بين مختلف المذاهب الفكرية المعاصرة .

الحلول والتعالى والوثنية Immanence, Transcendence & Idolatry

برغم اشارتنا لعناصر خمسة رئيسية تحلقت حولها أفكار اليهود عن الله ، فانه يوجد استقطاب واحد أساسى لفكرتين هامتين أساسيتين لفهم اللاهوت اليهودى ـ ونعنى بهما الفرق بين الحلول الالهى divine immanence ، والتعالى الالهى divine transcendence . فاليهودية تشهد جدلا متوترا بين أصحاب فكرة حلول الله وقربه closeness من ناحية ، وتعاليه المطلق من ناحية أخرى .

فابن ميمون (فى القرن الثانى عشر) كتب بروح فلاسفة العصور الوسطى « أن معنى أن تعتقد أن الله جسد من لحم ودم Corporeality هو أنك تهرطق أو تعتقد اعتقاد الهراطقة (غير المؤمنين) » (١) . وفى موضع آخر حاول ابن ميمون أن يجد حلا لمشكلة اللغة ، خاصة فيما يمس مسألة تشبيه الله سبحانه بمخلوقاته (الاتجاه الأنثروبومورفى) بان قال شارحا ، اننا لا نستطيع أن نفهم الله الا باستخدام صيغ النفى بمعنى أن نقول ان الله ليس ... كذا ، لا أن نقول انه كذا أو كذا ... الخ (**) ، وعلى هذا فاللغة التى يستخدمها المشبهون ـ فيما

(★) المحرقة النازية قيل ان اليهود بالغوا كثيرا فى رواية أحداثها ، وظهرت كتب بلغات مختلفة تؤكد هذه المبالغة .

(★★) ترددت الفكرة نفسها فى كتب علم الكلام عند المسلمين انظر على سبيل المثال (مقالات الاسلاميين للأشعرى ، ج ١ ، ص ٢٤٧ وغيرها) :

« ... وقال النظام : معنى قوله أن الله عالم اثبات ذاته ونفى الجهل عنه ، ومعنى قوله قادر اثبات ذاته ونفى العجز عنه ، وحى معناها اثبات ذاته ونفى الموت عنه ... الخ » . (المترجم) .

يرى ابن ميمون – ما هى الا طريقة مختزلة لانكار القصور أو المحدودية والنقص أو عدم الكمال – عندما يتحدثون عن الله (٢) .. فالله كما تصوره الفلاسفة لا مجال لمخاطبته (أنت السرمدى الباقى) هذا الاله المشخص الذى يلقاه اليهود فى صلواتهم وفى كل صفحة من صفحات التوراة . وقد رفض المناهضون لاتجاه ابن ميمون فكرة الله كموجود متعال غير مشخص ، الذى كان لاهوته – أى لاهوت ابن ميمون – دافعا لاعادة التأكيد على أن الله حال immanetist ، تلك الفكرة التى عبر عنها المشبهون (الأنثروبومورفيون) بلغة حية . وهذا فى حد ذاته أدى الى ترك كل القضايا التى وجدها ابن ميمون مرتبطة بالتشبيه أو التجسيم – دون حل . وحاول أصحاب الاتجاه التأملى الباطنى من اليهود (الصوفيون اليهود) الذين كانوا فى طليعة المنتقدين لابن ميمون أن يؤكدوا على الاحتفاظ بفكرة الحلول والتشبيه ، باضفاء معان باطنية عليها ، فقالوا ان الصفات البشرية يمكن أن نطلقها على الله لا لأن الله يشبه الانسان man-Like ، وانما – بمعنى أقرب ما يكون الى المعانى الأفلاطونية – لأن الانسان هو الذى يشبه الله God-Like ، فكل جانب من جوانب التجربة الانسانية له انعكاسه – وان كان انعكاسا شاحبا – على الذات الالهية divine structure ولا يمكن ادراك هذا الانعكاس بشكل أعمق الا من خلال التأمل mystic Contemplation .

وفى العصر الحديث – حيث كان هناك رفض لأفكار التشبيه البسيطة (الساذجة) ولأفكار الصوفية اليهودية ، كان لابد من اعادة التفكير فى انقسام اللاهوت اليهودى الى اتجاهين : الحلول والتعالى (بالمفاهيم التى أوردناها آنفا) ، فقد رجع اللاهوت الحلولى الى الشخصية الانسانية والى النفس أو الروح Psyche ، واعتبرها أساسا لفهم علاقة الله بالانسان ، بينما أصحاب الاتجاه الذى ينظر لله كموجود متعال transcendentalists – برغم ارتباطهم على نحو خاص بحركة اعادة بناء الفكر اليهودى Reconstructionist movement فى الولايات المتحدة – فقد طوروا صورة لله كموجود

مجرد (غير مشخص وغير مجسم) ، وذلك كتصور لمثل الحضارة اليهودية وقيمها . وربما يكون اللاهوتى المشهور مارتن بوبر Martin Buber ، الذى يتخذ موقف الحلول – والذى تبين كتاباته طبيعة العلاقة بين الذات البشرية والله (*) بحيث يكون الله هو الموجود الأبدى السرمدى – قد حقق تأثيرا خارج حدود الفكر اليهودى ، خاصة بين المفكرين المسيحيين .

الانسان والله

القصة التوراتية عن الخلق كما وردت فى الاصحاحين الأولين من سفر التكوين ، يفهم منها أن اليهودية تجعل لخلق الانسان أهمية قصوى أو محورية بين كل المخلوقات الأخرى . ومن الأفكار الأساسية التى تؤكد ذلك ، أن الله خلق الانسان على صورته (**) (وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا) ١/٢٦ ، ٢٧ . وأمر الله للانسان أن يملأ الأرض ويتحكم فيها وأن يبسط سيطرته على كل مخلوقات الأرض (فيتسلطون – أى البشر – على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدابات التى تدب على الأرض ٢٧ / فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه ، ذكرا وأنثى خلقهم ، وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها تسلطوا على سمك البحر ، وعلى طير السماء وعلى كل حيوان ... الخ) . وفكرة أن الانسان منفصل عن المخلوقات الأخرى (له كيانه المستقل) ولا يمكنه أن يجد رفقة أو صحبة معها – هذه الفكرة تطورت فى الفكر اليهودى لتصبح تأكيدا للاتجاه المشبه (الأنثروبومورفى) بشكل صارخ ، وفيما يلى نص هذه الفقرة فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين :

(*) النص :... the nature of the I. Thou relationship it which God
و I-Thou مصطلح يقصد بلفظ (هو Thou الله سبحانه ، و I أى الأب او الانسان . (المترجم)

(**) راجع مقدمة المترجم فى صدر الكتاب . (المراجع) .

(وجعل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها ٠ وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها ، فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية ٠ وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره ٠٠) /٢٠.

فالانسان يحتل مكانا ساميا فى الفكر اليهودى ، وهناك عدد من الفقرات فى النص التلمودى تشير الى أن الانسان – وخاصة الانسان اليهودى – أعلى مرتبة من الملائكة ، وذلك لأن آدم – على سبيل المثال – وهو النموذج الأصلى للانسان كان على درجة من الذكاء تفوق الدرجة التى كانت عليها الملائكة ، كما يتضح من الوصف الذى قدمه لنا المدراش Midrash (*) لحوار بين الملائكة والله :

« قالت الملائكة المفوضون للواحد القدوس تبارك : يا سيد الكون، ما هذا الانسان الذى أردت معرفته ؟ انه كشىء لا فائدة منه ، ولا يستطيع حتى أن يتحكم فى طبيعته ٠ فأجابهم الواحد القدوس : كما انكم تسبحوننى فى الأعالى ، فانه – أى الانسان – يوحدنى فى العوالم الدنيا Lower worlds ، وهناك ما هو أكثر ، أيمكنكم الوقوف وتذكر أسماء الخلائق كلها ؟ فوقفوا (أو حاولوا الوقوف) ، لكنهم كانوا غير قادرين على اخبار الواحد القدوس بأسماء الخلائق ، وهنا وقف آدم فسمى كل الخلائق بأسمائها (التكوين /٢/ ٢٠) (٤) ٠

وبرغم اختلاف الآراء حول وضع الانسان بالنسبة للملائكة ، فاننا نرى فى النصوص التلمودية ، وفى كتابات المفكرين اليهود فى العصور الوسطى (ككتابات أبراهام بن عزرا Ezra (١٠٨٩ – ١١٦٤) وابن ميمون) أن هذه النظرة التى تجعل الانسان هو الحقيقة الأساسية فى الكون وهو غايته القصوى ، تشير الى مدى القيمة التى

(*) حرفيا تعنى الشاهيد ، والمقصود بالمدراش هنا طريقة أو منهج فى تفسير التوراة اعتمادا على العظات الدينية ٠

أسبغتها الديانة اليهودية على الانسان ٠ فالانسان حر فى أن يفعل ما يشاء وهو مسئول عن أعماله ، وهو الذى يتلقى الشريعة (التعاليم المقدسة) عن طريق الوحى ٠ وقد لخص لنا جاؤن Saadiah Gaon – الفيلسوف والباحث الذى عاش فى القرن العاشر – هذا الاتجاه فى الفكر اليهودى كالتالى :

« برغم اننا ندرك وجود كثير من المخلوقات ، فانه لا يجب أن يعترينا خلط فيما يتعلق بأعلاها منزلة ٠ [ثم يسوق براهين عقلية ، وأخرى نقلية من الكتب المقدسة ليثبت أن الانسان هو غاية الخلق] ٠٠ أيجوز لأحد أن يفكر فى أن هذه الخصائص الراقية قد منحها الله لغير الانسان ؟ ان فكر أحد هذا التفكير فدعوه يرينا هذه الخصائص الراقية او جانبا منها ، وقد تحلى بها مخلوق آخر غير الانسان ، هذا محال ٠

وعلى هذا ، فمن المناسب تماما أن يتلقى الانسان الأوامر والنواهى ، وأن يكون عرضة للثواب والعقاب ، ولا غرو فهو محور الكون وغاية الخلق ٠٠٠ لقد خلق الله الحكيم الانسان بهذه الملكات الراقية ، لأنه سيكون هو المتلقى لأوامر الله ونواهيه » (٥) ٠

ففكرة سمو الانسان باعتباره محور الكون ، قد ارتبطت بمسئولياته وواجباته نحو الله والعالم (الكون) المخلوق ٠ فالرابيون ينظرون للانسان الشرير (أو الآثم Wicked) كما يوضح التلمود – على اعتبار أنه يحيا حياة ميتة ، ذلك لأنه لم يحقق معنى كونه انسانا ، ولم يحقق الغاية من خلقه ٠ وتطرح نصوص الزهر Zohar وهى أهم النصوص اليهودية ، على الاطلاق ، التى تتناول التأملات الباطنية اليهودية (الصوفية اليهودية) – الفكرة بشكل تصويرى أكثر وضوحا، عندما تؤكد على سيطرة الانسان على مملكة الحيوان ، وخضوع المخلوقات الأدنى له ، ويرجع ذلك لسمو ملكاته الروحية : وعندما لا تدرك الحيوانات تكوين الانسان الأرقى ، وروحه الأسمى ، فان ذلك يكون راجعا الى أنه لا يحيا حياة صالحة ، وبالتالى لاتهابه الحيوانات (٧) ٠

افكار عن الروح

برغم ان اللاهوت التوراتى لا يتعرض – الا قليلا – لموضوع طبيعة الانسان وقدره الروحى ، فان اليهودية – كما تناولها الرابيون rabbies سواء فى العصر التلمودى (أى العصر الذى كتب فيه التلمود) أو العصور الوسطى – اهتمت بتوضيح هذه القضايا بتفصيل شديد . ومع هذا ، لم تحظ أية عقيدة تلمودية أو فلسفية أو باطنية (صوفية) متعلقة بالانسان – بموافقة اجماعية فى نطاق اليهودية التقليدية ، وانما كان لكل وجهة نظر – من وجهات النظر الكبرى – مؤيدوها . وطالما لم تكن هناك نتائج عملية مرتبطة بالتفكير اللاهوتى ، فكل ما هو مطلوب للاغراض العقائدية dogmatic هو هيكل فضفاض غامض . وبشكل عام ، فان الفكرة التى مؤداها أن الموتى سيبعثون فى الحقبة التى سيحكم فيها المسيح العالم messianic era (ليس المقصود المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام) – قد جرى التعبير عنها فى المشناه (*) بشكل معيارى ، لكن محتوى هذه العقيدة أو مضمونها ظل غامضا (٨) . وعلى النحو نفسه ، فان فكرة بعث الأجساد تحمل فى طياتها معنى أن الروح ليس لها وجود مستقل استقلالا تاما عن جسد الشخص الحى .

ومن ناحية أخرى ، فان الحساب فى الآخرة يمكن أن يكون للروح دون الجسد ، لكن الرابيين rabbies الذين يميلون بشكل متزايد نحو فكرة الوجود المنفصل للأرواح يشرحون الحاجة الى بعث الأجساد بضرب أمثلة على شكل حكايات رمزية كالتالى :

« كان احد الملوك يمتلك بستانا جميلا ، به أشجار تين نضج ثمرها ، وصار لذيذا . وجعل عليها حارسين ، أحدهما كسيح والآخر اعمى . فقال الحارس الكسيح للحارس الأعمى : « انى أرى تينا ناضجا شهيا فى هذا البستان . تعال فاحملنى لنجمعه ونأكله » فركب

(★) تكتب احيانا المشنه . (المترجم)

الكسيح فوق ظهر الأعمى فجمعا التين وأكلاه . واخيرا أتى صاحب البستان وسألهما عن التين الشهى الناضج ، فقال الحارس الكسيح : « الدى قدمان أمشى بهما ؟ وقال الحارس الأعمى : « الدى عينان كى أرى بهما ؟ فماذا فعل صاحب البستان ؟ . لقد وضع الكسيح فوق كتفى الأعمى وراح يحاكمهما باعتبارهما شخصا واحدا (وحدة واحدة as one unit) . وبالطريقة نفسها ، فان الله (الواحد القدوس) تبارك هو – يحضر الروح ويقذف بها فى الجسد ويحاسبهما معا ككيان واحد as one unit) .

وتعزى هذه الحكاية الرمزية الى الرابى يهوذا الأمير Judah the prince (القرنين الثانى والثالث للميلاد G.e) ، وتمثل – أى هذه الحكاية – اجابة عن سؤال مطروح حول المسئول من افعال الانسان فى هذه الحياة ، أهى الروح أم الجسد ؟ وتبدو هذه الحكاية الرمزية محاولة تنسب الى الهجادة (*) aggadic attempt لتناول القضايا الناتجة عن الأفكار المتضاربة عن طبيعة الروح . هل الروح هى الانسان الحقيقى أى أن الانسان روح لا جسد ؟ أهى العنصر المسئول الفاعل فى كيان الانسان ، ولا يعدو كون الجسد أداة أو آلة ؟ أم أن الروح ليست هى مكونة الشخص ، وانما هى عنصر روحى لا حياة بدونه ؟ ان الحكاية الرمزية التى أوردناها آنفا تبدو وكأنها تميل للخيار الثانى ، وان عبرت عنه بمصطلحات المسئولية أكثر من تعبيرها عنه بمصطلحات القدرة . فالشخصية البشرية المسئولة لا وجود لها الا بارتباط الروح بالجسد . ومن ناحية ، نجد فكرة أن الأرواح التى تم فصلها عن شخوصها – تبقى فى السماء ، منتظرة يوم النشور ، سواء فى مخزن الأرواح Store of Souls أو تحت العرش الجليل (١٠) ، ومن ناحية أخرى نرى ظهور فكرة أخرى مختلفة نوعا ما ، فالتلمود (١١) يناقش ما اذا كان الميت يظل على وعى بما يجرى على الأرض . ووفقا لما ذكره الرابى شيا R. Chiyya القرنين الثالث

(★) الهجاده Aggadah . (المترجم)

والرابع من الحقبة المسيحية c.e) ، فان المرء اذا مات انقطع وعيه بما يحدث على الأرض ، ودعم رايه بما ورد فى سفر الجامعة Ecclesiastes ٩/٥ (لكن الموتى لا يعرفون شيئا) ، اما وجهة النظر الأخرى المعارضة فقال بها معاصره الرابى يوناثان R. Yoiatan وهى ان الميت يبقى واعيا حقا بما يجرى ، وأن اى نص فى الكتب المقدسة اليهودية يشير الى العكس ذلك يحتاج الى ان نفسره تفسيرا غير حرفى .

وهذه الفكرة لها جذورها فى الكتاب المقدس اليهودى ، حيث تعيش ارواح الأموات بعد انسلاخها من الأجساد فى شيئول She-ol ، لكنها تظل على وعى بما يجرى على الأرض (١٢) . وبعد الفترة التى كتب فيها التلمود ، ساد الاهتمام بفكرة الحياة الروحية للروح بعد الموت ، على حساب فكرة انتظارها حتى يتجدد دورها فى يوم النشور . وعلى اية حال ، فللفكرة الأخيرة أسانيد من العقيدة ، وقد سبب هذا ظهور بعض القضايا اللاهوتية الجادة . فبرغم أن ابن ميمون يذكر عقيدة البعث كواحدة من بين مبادئه العقدية الايمانية ، فانه تناولها بايجاز وبشكل غامض . وفى كتاباته التى تنحو - أكثر من غيرها - نحوا فلسفيا لم يتناول الا مسالة الخلود ، ومسالة طبيعة الروح بعد تخلصها من الجسد ، وقد اتهمه زملاؤه الذين ليس لهم عقول فلسفية على نفس درجة عقليته ، بانكاره عقيدة البعث أو تقويض أسسها ، ودفعوه أخيرا لكتابة مبحث فى موضوع البعث ، يوضح موقفه ازاءه . ومع هذا ، فقد استمر جمهور اليهود المتدين الذى يؤمن بعقيدتى : البعث وحياة الروح بعد الموت ، يرى ان آراء ابن ميمون غامضة وغير مفهومة .

ومع ظهور حركة التامل الباطنى اليهودية (الصوفية اليهودية) فى العصور الوسطى ، غدا الأمر أكثر تعقيدا . ونرى فى التعاليم

القبلانية (*) Kabbalistic teachings أن الروح لها تكوين داخلى (بنية داخلية) ، وانها مجمعة (مكونة) من عناصر منفصلة . وعند الموت تتجزأ (أو تتحطم break up) ويعاد تشكيلها بدخول عناصر أخرى فيها ليتقمصها جسد جديد ، وعقيدة تقمص الأرواح أو مكونات الروح أو انقسامها الى عناصر Soul Components ، كان رجال الدين اليهود السابقون قد رفضوها ، مثل جاؤن Saadiah Gaon فى مؤلفه : كتاب العقائد والآراء Belief & opinions (القرنين التاسع والعاشر) ، واعتبرها غريبة على اليهودية . واذا اعتبرنا التناسخ أو التقمص transmigration امتدادا لفكرة البعث ، فان تعدد مرات البعث كمضامين تنطوى عليها معنى الروح - تصبح بهذا الشكل - غير جديدة . وعلى أية حال ، فالى جانب هذه الفكرة تمسكت القبلانية بشدة بالاعتقاد الذى مؤداه أن الأرواح التى تخلصت من الأجساد لها وجودها الواعى ، وكانت هذه الفكرة معتقدا أساسيا من معتقدات اليهودية الشعبية ، منذ القرن الثالث على الأقل .

يتضح مما سبق أن أفكارا مختلفة - بل ومتنافرة الى حد ما - عن الروح ، قد وجدت فى اليهودية ، جنبا الى جنب دون أن يبذل اليهود محاولات كثيرة لحل الاضطراب العميق المتأصل بين هذه الأفكار . وكل التيارات التقليدية فى العصر الحديث تأخذ بفكرة أو أخرى من الأفكار التى أوردناها آنفا . وقد أسقطت اليهودية الاصلاحية Reform Judaism - بشكل عام - معتقد البعث لصالح معتقد خلود الروح بعد الموت . وحاول المفكرون الأرثوذكس أن يجدوا وسائل لتوحيد مفاهيم هذه الأفكار المختلفة ، برغم أن التناسخ لم يلق التأييد نفسه الذى لقيته الأفكار الأخرى - خارج دائرة المفهوم الباطنى (الصوفى) الضيق والفولكلور اليهودى المتأثر به .

(*) حركة دينية فى العصور الوسطى ذات طابع صوفى يقوم اتباعها بتفسير الكتاب المقدس تفسيرا باطنيا (بغير ظاهر النص) . (المترجم)

التـــوراة

التوراة – بمعناها الضيق – تعنى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم ، لكن الكلمة تعنى بالنسبة لليهودية معانى أكثر وأعمق تمتد امتدادا بعيدا خارج نطاق معناها الضيق · فالتوراة هى احدى المفاهيم التى تتحلق حولها اليهودية ، وهى فاعلة مؤثرة فى الشريعة واللاهوت والتصوف على سواء · والتلمود يقدم لنا الحكيم اليهودى كتجسيد حى للتوراة ، لأنه بعد أن درس التوراة وتمعن وأذاب نفسه فيها ، أصبحت كل فكرة من أفكاره ، وكل عمل من أعماله تعبيرا عن التوراة · وفى ضوء هذا ، يتعين علينا أن نفهم سلســلة الحكايات التلمودية التى تبين كيف أن التلاميذ كانوا يتبعون شيوخهم حتى الى دورات المياه ليتعلموا منهم كيف يخرجون ، ليحذوا حذوهم فى ذلك ، وفى الحكايات التلمودية كيف أن أحد التـلاميذ اختبأ خلف سرير استاذه ، ليرى بنفسه كيف يمارس الأستاذ وزوجتـه الجنس معـا · فاذا اعترض معترض على مثـل هذا التصرف غير الملائم كانت الاجـابة : « هذه هى التوراة وأنا أريد أن أتعلم »(*) · والفكرة التلمودية عن التوراة هى أنها سابقة لخلق العالم ، وأنها – أى التوراة – بمثابة مخطط عمل كامن وراء الطبيعة كلها · وتبدو هذه الفكرة مشتقة من بعض أفكار الكتاب المقدس اليهودى عن الحكمة ، فقد كانت الحكمة سابقة لخلق الـــكون ·

ففى ســـفر الأمثـــال « الرب بالحكمة أسس الأرض ، وأثبت السماوات بالفهم ، بعلمه انشقت اللجج وتقطر الســـحاب ندى » (/ ١٩) (١٦) ، ونقرأ أيضا (الرب قنانى (الحكمة) أو طريقه من قبل أعماله منذ القدم ·· لما وضـع للبحر حده فلا تتعدى الميـاه تخمه ، ولما رسم أسس الأرض كنت عنده صانعا (··· / ٨ – ٣٠) (١٧) ·

(*) سوء فهم للتوراة – (المراجع) ·

وبرغم أن اليهودية – على عكس المسيحية – لم تأخذ بعقيدة (الكلمة Logos) ولم تطورها ، فانه يمكن اعتبار التوراة نفسها بمكانـة لوجوس (كلمة) مســاوية للكلمة (اللوجوس) بمفهومها المسيحى – فى اللاهوت اليهودى · فابن سيرا Sira (القرن الثانى قبـل الميلاد) ينظر اليه كأول من جعـل التوراة مساوية للحكمة ، كما وردت فى الكتاب المقدس اليهودى ، وقد أصبح هذا التفسير تفسيرا معتمدا ومعياريا فى العصور التلمودية · وقد قلل فلاسـفة العصور الوسطى اليهود الأكثر عقلانية من شأن عقيدة وجود التوراة قبل الوجود The pre-existence ، لكن بالنسبة للباطنية القبلانية التى تقول بلاهوت أن الخلق أو التكوين نشـأ عن الفيض الالهى ، فمن الواضح أن وجود التوراة قبل الوجود ، يعنى أنها مرحلة الفيض الالهى (*) · وعلى هذا ، فان التــوراة – ببساطة – قد أصبحت هى الشكل المادى أو المظهر المادى Clothed form للألوهية · فاذا درس الانسان التوراة وعــاش حيـــاته وفقـا لتعاليمها ، أصــبح عـلى صـلة مبـاشرة بالحضرة الالهية (١٨) · وقد طور شـــيم R. Chaim وفلتســـهين Volozhin (القرنين الثـامن عشر والتاسع عشر) فكرة التمـاثـل الباطنى (الصوفى) بين الله والتوراة ، وشرحها بالتفصيل فى كتابه Nefesh Ha Chaim (١٩) ، ونجد هذا التماثل (بين الله والتوراة) فى عدد من النصوص الصوفية فى العصور الوسطى ·

وهذا يعنى بمصطلحات الوعى الدينى اليهودى الشعبى –خاصة بين أولئك الذين تأثـروا بالأفكار الباطنية بشكلها المنتشر بين العوام – أن حياة التــوراة هى المثل الأعلى لليهــودية · فالآبـاء اليهــود يقاسون الحرمان لتمكين أبنائهـم من دراســة التــوراة دون تأخير ، ولامدادهم بما يحتـاجون حتى يتفرغوا تماما للتوراة بعـد الزواج · والتهنئـة

(*) ردد بعض الصوفيين المسلمين الأفكار نفسها : نور النبى السابق لخلق السماوات والأرض ··· الخ · راجع مقدمة – المترجم ·

التقليدية لليهودى عندما يرزق بمولود جديد هى : « جعلكم الله جديرا بأن تجعله ابنا للتوراة ، وأن تزوجه وتدربه على الأعمال الصالحة » . فابن التوراة (٢٠) فى اى مجتمع هو شخص ذو ســلطة واحترام ، سواء كان « رابى Rabbi » أو يشغل منصبا دينيا أم لا .

فالتـوراة بالنسبة لليهودى التقليدى يمكن مقارنتها بنبض كل الخلائق متجمعا على نحو متناغم ، انهـا روح كل عمـل اجتماعى ، كما انها تمثل نظام الشريعة ، والأخلاق ، والشعائر ، وهى بكل هذا لها روح فعلها المستقل عن التجربة الدينية ، اذ ان لها ـ فى حد ذاتها ـ عقيدتها وموثوقيتها . فحتى الله يدرس التوراة (*)(٢١) وهو يقوم بدور المعلم الذى يعلم التوراة لبنى اسرائيل . ومن التراتيل الدينية التى يحرص اليهودى المتدين على ترديدها فى الصباح ، عدد من الصيغ طلبا للبركة ، تتضمن شكر الله لأنه وهبه التوراة ، واحدى هذه الصيغ تنتهى على هذا النحو : « مبارك انت يارب يا من تعلم التوراة لشعبك ، شعب بنى اسرائيل » .

متسفاة Mitzvah (أوامر الله ونواهيه)

ويلازم مفهوم التوراة فى اليهودية مفهوما آخر أساسيا لا يفارقه وهو المتسفاة والمقصود بها اوامر الله التى توجـه أفعال اليهود ، والتى تمتد لتشمل كل مناحى الســلوك الانســانى . وعلى هذا ، فالمتسفاة ليست فقط اية قواعد مستقاة من تفاسير الكتب المقدسة اليهودية ، وانما لها أيضا مفهوم أشمل وأوسـع ، يضم بين جنبيه كل الأفعال الطيبة بشكل عام ، والعادات والشعائر والطقوس اليهودية المتوارثة (أو التى اكتسبت قبولا واقرارا من خلال التراث اليهودى) .

وعندما يدرس اليهودى التوراة يعتبر نفسه على صلة بارادة الله وعقله (عقل الله سبحانه) ، ولذا فان هذه الدراســة ـ دراســة

(*) راجع مقدمة المترجم فى صدر الكتاب . (المترجم) .

التوراة ـ تعد واحدة من ارقى الأنشطة الدينيـة واكثرها سموا . وعند تنفيذ المتسفاة (بما فى ذلك الأمر بدراسة التوراة) ، يكون اليهودى فى حـالة طاعة للارادة الالهية ومن خـلال شعائر وطقوس يوجه نفسه نحو الله . المتسفاة هى نظام لطاعة الله ، وهى نقطة اللقاء بين الله والانسان (أو عن طريقها يكون العبد على صلة بالله) . وفى اليهـودية الرابينية (يهـودية الأحبـــار (*) (rabbinic Judaism ، يسـبق الطقوس المتعلقة بالمتسفاة مدح وتبريكات للذات الالهية « الذى جعلنا ـ أى الله ـ مقدسين من خلال أوامره His Mizvot وامرنا أن نفعل ... » . وكان أصـحاب الاتجاه الباطنى (الصوفية اليهودية) ، خاصة التقويون (الحاســيديم Chasidic mystics) فى القـــرن التاســع عشر ـ يرتلون دعوات قصـــارا فى خشوع وتأمل ، قبل كل تعرض لاحدى بركات المتسفاه . وهذا التأمل الذى تنطوى عليه صلوات أو دعوات الخشوع الآنف ذكرها ، تهدف الى استخراج المعانى الباطنية المتسفاة وجعلها على وشك التحقق بذكر الملائكة أو الأسماء المقدسة المناسبة لاستحضارها ، وما ينتج عن ذلك من مستويات سامية من الحقيقة . ودعاء التقويين (الحاسيديم) التأملى النمطى يجرى على هذا النحو :

« من أجل التوحد مع الواحد القدوس ، تبارك [الواحد المقدس الذى يمثل مبدأ الذكورة] ، وشخيناته His Shekhinah [الشخيناه هى العنصر المؤنث الخاص بالله] فاننى مستعد بكل الاخلاص له ، والخشية منه ، أن أنفذ المتسفاة هذا أو ذاك ... لأحقق أمر خلقى أو الغرض من خلقى » .

وبينما طور القبلانيون التفسير الباطنى لدور المتسفاة فى الحياة الدينية لليهـود لأفعـال ذات معان كونيـــة تصل تأثيراتها بعيدا الى ما وراء عالم الانسان فى محيط من القداسة ، فان مجموعات يهودية اخرى كانت لهـا تفسيراتها الخاصة بها . فالأخلاقيون اليهود Moralists

(*) أو اليهودية الرابية . (المترجم) .

راوا فى كل متسفاة (أمر الهى) ارتبـاطا بمبدأ خلقى (بضـم الخاء واللام) معين ، ورأى اللاهوتيون فيها طريقا لخلاص الانسان من مادية الدنيـا الى الكمـال الروحى • ان تنفيذ المتسـفاه هو تقليـد لله imitatio dei او محاكاة له (٢٢) ، وهو عمل خاص باليهود دون سواهم من الأمم الأخرى ، وبتعبير آخر دون سائر خلق الله • انه عمل يجعله – اليهودى – عضوا فى مملكة من الكهنة ، وعضوا فى شعب مقـدس a member of a kingdom Priests & holy nation

وقد تغيرت الأفكار عن مكانة الشعائر (أو الطقوس) فى اليهودية فى العصر الحديث ، فبينما احتفظت اليهودية التقدمية (٢٣) Progressive Judaism ببعض المتسـفاة كقيمة رمزية واجتماعيـة ، بل وحتى علاجيـة thèrapeutic ، فان يهودا آخرين رفضوها باعتبارها أمرا عتيقـا مضى زمانه archaic • وعلى أية حـال ، فاليهود التقليديون لا يزالون يرون المتسفاة باعتبارها أكثر استجابات اليهودى لله ، قربا ومباشرة – ان لم تكن هى الطريق الوحيدة لهذه الاستجابة • ويرى اليهود التقليديون أن العبث بالمتسفاة ، وتقويمهـا باعتبارهـا غير ذات جدوى أو باعتبارها منحى خلقيا أمينا ، يعد من قبيل التجديف على الله ، لأنه لا يجوز للانسان أن يكون حكما على أوامر الخالق •

الخطيئة والتـوبة

وفقا لوجهة نظر الرابيين اليهود ، فان فى الانسان نزعتين نزعة للخير (Yetzar tov) ونزعة للشر (Yetzar ha-ra) ، فأما النزعـة للخير فتحث الانسان على الالتزام بمبادىء المتسفاة ، وعلى أن يحفظ عهده مع الله ، وأما النزعة للشر فتقود الانسان « بعد قلبه وعينيه » الى ارتكاب الخطيئة • ويرى القبلانيون ، أن المتسفاه هى بمكانة تعبير عن الطبيعة الأعمق للروح ، فتطبيقها لا يعنى ببساطة الالتزام الظاهرى بالقاعدة (الأمر) المفروضـة ، وانمـا هو تعبير ذاتى عن عنصر الهى فى باطن الانسـان • وعلى هذا ، فالنزعة للخير هى الأقرب الى أن تـكون دافعا حقيقيا أو وازعا حقيقيا للانسان ، الذى ربما عطلها باستخدامه

الخاطىء لوازع الشر لديه • وهذا غير بعيد جدا عما عبر عنه التلمود « ليس من خطيئة لبشر اذا لم تتغلغل فيه روح الغباء » (٢٤) •

فباب التوبة مفتوح دائمـا أمام الآثم ، وله أن يعود مرة أخـرى ليكون علاقة طيبـة مع الله ، وتعـرف هذه العودة فى التـراث الدينى اليهودى باسم تسهوفاه Teshovah ، التى ينطوى معناها على العودة حبـا فى الله أكثـر مما ينطوى على الخوف من العقـاب ، فيبدل الله سيئات التائب الى حسنات (٢٥) • وحتى التوبة (تسهوفاه) التى نتجت عن دوافع أقل سموا يمكن أن تزيل الآثام السابقة ، وان كانت لا تحولها الى حسنات ، فأبواب التوبة دائما مفتوحة ، والنقد الذاتى الامين يتردد ذكره فى كتابات التقوين اليهود (الحاسيديم) ليبين أن اليهودى لابد أن يعكس مدى تقصيره فى أوامر الله • وكان من نتيجة تكرار الحديث عن التوبه (تسهوفاه) فى الآداب اليهودية ، السماح لليهودى بان يبدأ من جديد ان ضـل الطريق ضلالا بعيدا ، اذ يصنف فى هذه الحالـة على أنه تائب عـاد الى الصـواب (بـال تسـهوفاه baal teshuvah وليتم تصحيح زلاته التى تحدث بين الحين والحين ، ببساطة ، تلك الزلات التى قد تجثم بلا رحمة على ضميره •

الثـواب والعقـاب

قامت فكرة الثـواب والعقاب – سـواء فى الدنيا أم بعد الموت أم يوم الحساب بعد البعث – انبثاقا من فكرة المتسوفاه (أو أمر الله ونواهيـه) • ولا يستطيع الانسـان أن ينفـذ أوامر الله ونواهيه (المتسوفاه) وأن يتوب عما سلف من ذنوبه الا وهو حى (وروحه فى جسده) (٢٦) • هنـاك – اذن – نوع من الالحاح فى كثير من كتابات التقوين لتذكير الانسان ، أنه لاتسويف فى الأمور التى تؤثر فى وضع الانسان بالنسـبة للخلود • وقد وردت هذه الأفكار بشكل ملخص فى تعليمين من بين تعاليم المشناه (مباحث المشـناه Avot) ، التى تتناول الأمور ذوات الطبيعة الأخلاقية اللاهوتية :

يقول الرابى يعقوب R. Jacob (القرن الثانى للميلاد) : « هذه الدنيا بمكانة مدخل للعالم الآتى (يوم الرب الآتى) فجهز نفسك فى المدخل ، كى تكون مستعدا لدخول القاعة (الملكية) » (٢٧) .

وفى نغمة أكثر اصرارا نقرأ ما كتبه الرابى ترفون R. Tarfon (القرنين الثانى والثالث للميلاد) :

« اليوم قصير ، والعمل المطلوب انجازه كثير ، والعمال كسالى . والثواب كبير ، وصاحب العمل يلح طلبا للانجاز » (٢٨) .

والطبيعة الفعلية لأى ثواب فى المستقبل أو عقاب — عادة ما يحجبها الاغراق والغلو فى الأوصاف التى أوردتها الهجادة . وبشكل عام ، فمن عمل صالحا كان ثوابه جنات عدن Garden of Eden ، ومن اساء فمآله الى جهنم Gehinnom . وجهنم تشمل الجحيم والأعراف (المطهر او موضع العذاب المؤقت) ، فحتى الصالح عليه أن يقضى بعض الوقت فى جهنم بعد الموت يتطهر من خطاياه . وهذا هو السبب وراء تلاوة القائم بالحداد للدعوات الكداشية Kaddish (*) لمدة أحد عشر شهرا بعد موت والديه . أما ان استمر هذا الدعاء الكداشى لاثنى عشر شهرا كاملة ، فهذا يعنى أن الميت كان شريرا ويحتاج لقضاء فترة كاملة فى المطهر (الأعراف) . وفى الحقيقة ، فان الشرير جدا (الممعن فى شره) يبقى فى جهنم حتى بعد قضاء فترة المطهر (الأعراف) ويبقى قدره غير واضح بعد ذلك (٢٩) ، بينما الشرير المعتدل يغادر جهنم بعد فترة الأعراف (المطهر) الآنف ذكرها .

وقد فسر المفكرون اليهود بطرائق مختلفة الأوصاف الحية للعذابات فى نار جهنم ، كما اختلفوا أيضا فى تفسير مباهج جنة عدن .

(★) تسابيح باللغة الآرامية فى الثناء على الله ، تتلى فى المعابد اليهودية بين كل قسم من أقسام العبادة ، أو عند الانتقال من شكل من أشكال العبادة الى شكل آخر / قداش . (المترجم)

فالفلاسفة واللاهوتيون ركزوا على المعانى الروحية للأوصاف الرمزية ، فالمرء يصبح عند الموت كما يهيئه له تكوينه النفسى ، ورغباته . اما الباطنيون اليهود (الصوفيه اليهودية) ، فلم يحاولوا شرح هذه العقيدة فى مصطلحات رمزية ، برغم أن بعضهم يرى أن كل فكرة تنطوى على معان على مستويات مختلفة فى آن واحد . أما بالنسبة للفكر الشعبى اليهودى والفلكلور اليهودى ، فقد قبلا الصور المختلفة التى قدمتها الهجادة كوصف حرفى لما ستواجهه الروح .

والعبارات الدالة على العلاقة بين مصير الروح بعد الموت (قدرها) ويوم البعث ، عبارات غير متسلسلة منطقيا ، أو بتعبير آخر غير محكمة احكاما كاملا ، وكثير منها يعتريه الغموض . والفقرات التلمودية عن مصير الصالحين فى يوم الرب الآتى World to Come (يوم الدنيونة) اعتبر أنها تشير الى حياة ما بعد البعث ، وان كان ذلك بشكل غامض :

« يوم الرب الآتى ليس كالعالم الذى نحياه الآن . فهو يوم ليس فيه تناول طعام أو شراب ، وليس فيه انجاب أو أعمال مالية تؤدى للغيرة أو الكراهية أو المنافسة ، فليس فيه بالنسبة للصالحين الا أن يجلسوا وعلى رؤوسهم التيجان ، ليأنسوا بضياء الحضرة الالهية the radiance of the Sheikhinah (*) (٣٠) .

وبينما نجد اليهود التقليديين فى أيامنا هذه قانعين بالحركة داخل الاطار العقدى ، حتى وان شعروا بضرورة اعادة تفسير بعض الأمور ، فان اليهود التقدميين Progressive Jews قد أزاحوا جانبا جزءا كبيرا مما اعتبروه صورا دينية غامضة ، وما اعتبروه فروضا تعود للعصور الوسطى .

(★) الشخينة او الشكهيناه تعنى الحضرة الالهية The divine presence او الجانب الانثوى فى الاله . راجع : معجم المصطلحات للمؤلف باخر الكتاب . (المترجم)

وبرغم أن فكرة المشفاه الضمنية عن الثواب والعقاب تربط عقيدة الخلاص بالأعمال ، أكثر من ربطها بالايمان Works rather than Faith (*) . لكن هذا لا يعني بالضرورة نظرة واحدة (ميكانيكية) للخلاص . وكلمات ميخا : « قد أخبرك أيها الانسان ما هو صالح ، وماذا يطلبه منك الرب الا أن تصنع الحق ، وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع الهك » ميخا / الاصحاح السادس / الفقرة ٨ . وكلمات حبقوق « والبار بايمانه يحيا » سفر حبقوق / الاصحاح الثاني / الفقرة ٤ ، قد وردت في التلمود باعتبارها تمثل المحور الجوهري لليهودية (٣١) . لقد أثر في اليهودية منذ مرحلة ظهورها الأولى ذلك التعارض بين تنفيذ أوامر الله ونواهيه (المشفاه) من الناحية الكمية أو الشكلية ، وبين تنفيذها بأبعادها الداخلية (العميقة inner) بتحقيق أهدافها ومقاصدها . هذا الاضطراب أو التعارض في فهم معنى تنفيذ أوامر الله ونواهيه (المشفاه) قد أدى في فترات مختلفة الى قيام حركات احياء داخل اليهودية ، ذات طبيعة باطنية (و صوفية) أو ذات طبيعة أخلاقية Musar . وأرادت هذه الحركات أن تعيد التأكيد على مكانة الايمان والقيم الأخلاقية وعلى داخلية الانسان ، في مواجهة النوازع الظاهرية الشكلية (الميكانيكية) ، التي تبدو وكأنها نمت من قاعدة طقسية (شعائرية) يهودية وهيمنت على حياة اليهود ووعيهم .

الخلاص Redemption

بالاضافة لعقيدة التوحيد ، والمقولات المتعلقة بالعلاقة التعاهدية الخاصة بين الله وبني اسرائيل ، والتعبير عن هذا العهد في التوراة والمشفاه - هناك أيضا مكون آخر أساسي في الديانة اليهودية ونعني به الاعتقاد في الخلاص التاريخي historic Redemption ، ونعني به حقبة أو فترة يسببها ظهور المسيح المنتظر ، وقد يكون هناك أكثر من مسيح messianic era brought about by a messianic figure or figures

(*) في الاسلام يعتبر الايمان أساسا يركن معه العمل الصالح ، وغير المؤمنين عملهم هباء . قال تعالى « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » (الفرقان ٢٣) . (المراجع)

(ليس المقصود المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام . فالمسيح المقصود بالنسبة لليهود لم يظهر بعد ، وكذلك ليس المقصود محمد ﷺ - المترجم) . وقد ارتبط بفكرة الخلاص بظهور المسيح (المهدى المنتظر) ، تجمع اليهود المطرودين في أرض اسرائيل واعادة بناء الهيكل ، وبعث الموتى ومحاكمة الجنس البشري ، وقد اختلفت المذاهب الفكرية في ترتيب هذه الأحداث وفي طبيعتها وفي تفسير ما يتعلق بها . وعلى أية حال ، فان معانيها شائعة بين كل الاتجاهات في اليهودية حتى التاريخ المعاصر ، عندما بدأ الحداثيون اليهود Jewish modernists في اخضاعها لاعادة التقييم جنبا الى جنب ، مع الجوانب العقدية والشعائرية التقليدية الأخرى .

وخلال ليل الشتات الطويل في القرون التي أعقبت الخراب الثاني للهيكل ، عندما أصبح اليهودي واعيا بشكل مؤلم بالتناقض بين وضعه المثالي كفرد من الشعب الذي اختاره الله وأحبه من ناحية ، ووضعه على أرض الواقع كفرد من مجموعة يزدريها العالم بل ويضطهدها من ناحية أخرى ، وفي ظل هذه الظروف كانت فكرة الخلاص بالمسيح الآتي ذات أهمية لا نظير لها . وبرغم المعاناة ، عاش اليهودي على أمل رؤية عصر ذهبي قادم . وكان باستطاعته أن يتطلع لزمن توحي فيه طبيعة اسرائيل الحقة الى العالم ، عندما تأتي الأمم لتنحني في بيت الرب (*) في القدس . وهاتان الفكرتان - عدم الاعتراف بالوضع السامي للشعب اليهودي ، وفكرة الخلاص - تظهران بوضوح في دعوات الألينو Aleinu (**) التي تتلى في نهاية كل طقس ديني . والصيغة الأصلية للألينو قد شكلتها الحكمة التلمودية للاستخدام في احتفالات العام الجديد ، لكنه جرى تحويرها لتتلى ثلاث مرات يوميا ، وسبب الحاجة الى تكرارها باستمرار هو مواجهة اليأس والظروف الصعبة :

(*) House of God . (المترجم)

(**) دعوات تتلى في نهاية كل عبادة تتضمن شكر الله وثناء عليه ، لأنه أوحى بطبيعته الحقة لاسرائيل - (المترجم) .

« لابد ان نحمد الله اله كل شيء ، وأن نصف الخالق بالعظمة لأنه لم يجعلنا كسائر أمم الأرض ، ولم يجعلنا كأسر الأرض . لأنه – اى الله – لم يقسم نصيبنا our lot كما قسم أنصبتهم ، ولم يجعل قدرنا كقدرهم ، فهم يسجدون عبثا وللخواء ، ويدعون ربا لا ينقذ ، بينما نحن نركع ونسجد ونقدم شكرنا امام الملك ، ملك الملوك ، الواحد القدوس ، تبارك اسمه ... فهو – وليس غيره – هو الهنا ، وهو ملكنا الذى يعد كل ما سواه – حقا – لا يساوى شيئا ...

لذا ، فاننا نوجه آمالنا اليك ، يا سيدى يا الهى لأرى جلال قدرتك واستطاعتك عاجلا ، لتبعد الأوثان عن عالمنا ، وتحطم كل الآلهة الزائفة وأن تصحح العالم فى ظل مملكتك جل جلالك ، وسينادى كل أبناء اللحم « كل البشر » باسمك ، لتعيد كل شريرى العالم اليك ، دع كل من على الأرض يعترفون ويعلمون أنه لا ركوع ولا سجود الا لك ، ولا قسم الا بك ... دع الجميع يقبل العبودية لمملكتك ، وسوف تحكمهم وتبسط سلطانك عليهم حالا والى الأبد » .

مبادىء عقدية Doctrinal Principles

برغم أننا استخلصنا بعض المكونات الرئيسية للعقيدة اليهودية، فانه ليس هناك اتفاق عام ، فى نطاق اليهودية ، على المحتوى العقدى الأساسى اللازم لتمام العقيدة اليهودية الأرثوذكية التقليدية Orthodoxy وحتى فترة اللاهوتيين فى العصور الوسطى ، لم تكن هناك أية محاولات لوضع هذه الأسس أو المكونات ، وظلت القضية العقدية برمتها فى حالة مرونة بدرجة كبيرة . وقد عددت المشناه (٣٢) فئات اليهود الذين يفقدون حظهم فى يوم الرب الآتى the world to come كالتالى : اولئك الذين ينكرون أن بعث الموتى ورد فى التوراة (٣٣) ، وأولئك الذين ينكرون أن التوراة وحى من الله ، والأبيقوريين Epicurean ، اى المنهمكين فى اللذات الدنيوية . وأضاف بعض الحكماء الى ذلك أيضا ، أولئك الذين يقرأون (على سبيل العبادة) الكتب التى تضم

انكارا الحادية (هرطقة) ، وأولئك الذين يتلون الرقى والتعاويذ على الجروح ، وأولئك الذين يعلنون الاسم المقدس أو الاسم الالهى كما هو مكتوب . وعلى اية حال ، فمن الواضح أن المشناه قاصرة على فترة بعينها وليست صادرة عن مختلف أحوال العقيدة اليهودية السلفية (الأرثوذكية) . ولم يكن فى سبيل المناقشات الرابية (التى جرت بين الرابيين) أى قاسم مشترك عن مبادىء عقدية متفق عليها يعتبر رفضها بمكانة حكم على رافضها بالهرطقة (الالحاد) أو البعد عن عقيدة الجماعة . فمعانى هذه المبادىء وتفاصيلها موضع مناقشات وخلافات فى الكتابات التلمودية .

ولم تبدأ محاولة صياغة قانون ايمان يهودى حقا ، الا فى القرن الثانى عشر بتعليقات موسى بن ميمون وشروحه على المشناه ، اذ خلص بثلاثة عشر أساسا من أسس العقيدة ، سبعة منها متعلقة باعتقاد فى الله : وجوده ، وكونه واحدا ، وكونه لا يشبه أحدا من خلقه أو غير مشبه incorporeality ، وكونه خالدا ، وأنه هو وحده المقصود بالعبادة (لا معبود سواه) وكونه يعلم أفكار البشر وأفعالهم ، وكونه يثيب ويعاقب . وأربعة أسس متعلقة بالوحى : الاعتقاد فى النبوة ، وان موسى عليه السلام هو أعلى الأنبياء درجة ، وأن التوراة قد تسلمها موسى من ربه ، وان التوراة لا تتغير . وأخيرا ، هناك أساسان متعلقان بمجىء المسياه Messiah أى المسيح (*) ، والبعث .

وبعد فترة ابن ميمون ، جرت مناقشات مهمة حول ما اذا كانت كل هذه الأسس ضرورية كمعيار للعقيدة اليهودية ، وأيضا حول ما اذا كانت كافية لتحقيق هذا الغرض . وقد تراوح النقد الموجه لابن ميمون بين اتهامه باختيار الأسس على نحو اعتباطى أو تحكمى ، فليست الأسس التى ساقها على الدرجة نفسها من الأهمية ، وبين اتهامه بالاقتصار على ثلاثة عشر أساسا . وبمرور الوقت ، وبرغم التحذيرات ،

(*) الذى تنبأت به التوراة واليهود لا يقصدون هنا المسيح عليه السلام . (المترجم)

فقد أصبح الثلاثة عشر أساسا التى صاغها ابن ميمون ، بمكانة قانون ايمان يهودى غير رسمى ، لكثير من المذاهب اليهودية ، واتخذت طريقها بأشكال مختلفة الى كتب الصلوات والدعاء المعتمدة ، والتى يتلوها اليهودى فى بداية صلاة الصباح أو فى نهايتها . وعلى أية حال ، فالتقويون اليهود ظلوا حذرين من استخدامها ، لأنها تبدو لهم عاكسة لروح فلسفة العصور الوسطى التى يرفضونها باعتبارها عنصرا دخيلا على اليهودية ، وأنها لعنة بالنسبة للتفكير الذى ينحو نحوا باطنيا أكثر من غيره (بالنسبة للاتجاه الصوفى) .

وقد ساعد وجود قانون ايمان يهودى (أسس عقائد المسيحيين والمسلمين ، وعلى تحديد خلافاتهم على نحو خاص مع الحركات اليهودية الانشقاقية (الخارجة عن عقائد الجماعة اليهودية) ، وعلى هذا فالحاجة الى صياغة رسمية للعقيدة اليهودية (قانون ايمان يهودى) تمثل مرحلة معينة فى تاريخ الأفكار عند اليهود . فالقضايا التى تحيط باليهودى المعاصر ذات طبيعة مختلفة ، وتعود به الى قضايا مرتبطة بالمعنى ، ومرتبطة بالى أى مدى يجب فهم العقيدة – كليا أو جزئيا – حرفيا أو فى ظل اعادة التفسير وفقا للمقولات الحديثة . فأسلوب صياغة الأسس العقدية اليهودية كما قام عليها ابن ميمون أو غيره من لاهوتيى العصور الوسطى ، أسلوب واضح جزئيا ليهود العصر الحديث ، وان كانت اهتماماتهم – أى يهود العصر الحديث – تختلف بشكل ملحوظ عن اهتمامات يهود العصر الوسطى . وطريقة تعبير حكماء التلمود المتسمة بالمبالغة ، والغلو فى الأمور العقدية ، مع الاختلاف المربك فى الآراء بين حكيم وآخر، قد قلت بالتدريج بمرور الزمن . فالهجاده الرابية بطبيعتها الخاصة ، يتم استخدامها لتفسير هذه الأسس الايمانية ، وبالتالى تتيح ليهود التاريخ الحديث أن يجدوا أبعاد المعانى المتصلة بالله أو الوحى أو الانسان . فالخطوط التى حددها مفكرو العصور الوسطى كانت – على العكس – أكثر رقة ، ومرتبطة جدا بالصياغات الفلسفية الوسيطة – كمحاولات لتقديم عرض نهائى للعقيدة .

وفى القرنين التاسع عشر والعشرين ، تعرضت العقيدة اليهودية لإعادة فحص بدرجات متفاوتة على نحو أكثر ، وذلك خارج نطاق اليهودية الأرثوذكسية Orthodoxy . فيهود حركة اعادة البناء الحديثة (*) التى ظهرت فى العشرينيات من القرن العشرين فى أمريكا الشمالية – على سبيل المثال – قد استبدلت بأسس ابن ميمون الثلاثة عشر فى كتاب الصلوات الخاص بها ثلاثة عشر معيارا للولاء اليهودى Jewish Loyality ، ووفقا لهذه المعايير ، فان أسس الولاء لم تعد مسألة تصديق أو ايمان ، وانما تجربة الحياة يتم اثراؤها من خلال التراث اليهودى . فمعايير اليهودى من جماعة اعادة البناء ، قد جرى تعميمها ، وأصبحت الأسس الأخلاقية ، وتوجيه الأفعال وترشيدها (تقديم الهداية لها) تمثل ما يطلبه يهود حركة اعادة البناء من اليهودية (٣٤) .

(*) the modern Reconstructionist movement (المترجم) .

تعليقات المترجم

على بعض ما ورد فى الفصل الثانى

لا شك أن كثيرا مما ورد فى هذا الفصل عن عقائد اليهود ، لا يتفق – كما هو مفهوم – مع عقائد المسلمين ، أهل السنة والجماعة منهم على الأقل ، لذا سنوضح ذلك بايجاز فمن غير المتوقع أن يستقى مسلم معلومات عن عقيدته من كتاب عن اليهودية . والاسلام (اسـلام أهل السنة والجماعة على الأقل) أكثر الأديان تنزيها لله عز وجل فهو سبحانه واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وانه سبحانه قد استوى على العرش استواء لا يعلم كيفيته الا هو . لقد استوى سبحانه منزها عن الحلول والانتقال والمماسة .. الخ لا يحمله العرش بل العرش وحملة العرش محمولون بلطف قدرته .. وهو سبحانه رفيع الدرجات عن العرش وعن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل الوجود وهو على كل شىء شهيد وهو اقرب الينا من حبل الوريد ، وهو سبحانه غير خلقه فكيف يكون هو ومن خلق شيئا واحدا ؟! ونزعم أن هذه هى النظرة العلمية الوحيدة ، فانه سبحانه لم يعط سره لأحد ، وهو سبحانه لا يخضع لما يسميه الناس أساليب البحث العلمى التجريبى من مشاهدة وملاحظة وتجربة ، وانما ترك خلقه علامة على وجوده ، وأى ادعاء أكثر من هذا ليس بعيدا عن روح الاسلام فحسب ، وانما هو بعيد عن روح العلم أيضا .

أما القول بأن الله سبحانه قد خلق الانسان على صورته ، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بظواهر النصوص القرآنية بهذا الشأن ، ويشفعونها

بقولهم (بلا كيف) فلله سبحانه وجه (ويبقى وجه ربك) الرحمن/٢٧ وله يدان (بل يداه مبسوطتان) المائدة/٦٤ أما وصف يده سبحانه فلا ندريه ، أى أن له يدا بلا كيف ، وقل القول نفسه بالنسبة للعين . ونزعم أن تلك هى النظرة العلمية الوحيدة ، ومن قال غير ذلك افتات على الله وقال ما ليس له به علم .

وقد خلق الله الناس سواء ، لا فرق بينهم الا بالايمان والتقوى والعمل الصالح لكن اليهود لظروف تاريخية خاصة بهم انحرفوا عن عقيدتهم الصحيحة (عن المسيرة التاريخية لليهود راجع : د. أحمد شلبى : اليهودية (سلسلة مقارنة الأديان ، النهضة المصرية ، ١٩٨٧ الباب الأول) فقالوا بأنهم شعب مختار وأنهم شركاء مع الله .. الخ فقولهم بأنهم – وحدهم – أعلى درجة من الملائكة من كان منهم صالحا ومن كان منهم غير ذلك ، يتنافى تماما مع العقيدة اليهودية الصحيحة كما أتى بها موسى عليه السلام . وفيما يلى عرض مجمل لهذه العقيدة كما وردت فى القرآن الكريم ننقله من المرجع الآنف ذكره (صص ١٤٩ – ١٥٥) :

« ... ويجىء الآن دور الحديث عن عقيدة بنى اسرائيل ، وكما أعطى القرآن الكريم صورة طيبة لأنبياء بنى اسرائيل ، فانه كذلك تحدث عن العقيدة التى كانوا بها فصورها سليمة صادقة ، لا تختلف عن عقيدة المسلمين ، قال تعالى : « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيـم واسـماعيل واسـحاق ويعقوب والأسباط » . فالعقيدة الأصـيلة لبنى اسرائيل كانت الايمـان بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، اله الناس جميعا ، خالقهم وراعيهم ، العالم بكل شىء ، والقادر على كل شىء ، والايمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر ، وما يتصل بذلك من الحساب والثواب أو العقاب :

ونسوق فيما يلى من آى الذكر الحكيم ما يوضح هذه الصورة ، قال تعالى على لسان ابراهيم :

— « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما انا من المشركين ، وحاجه قومه ، قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ، ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشـاء ربى شيئا ، وسع ربى كل شىء علما ، افلا تتذكرون ؟ وكيف اخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فاى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ، الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ، وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ، ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين ، واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » .

وتوضـح هذه الآيات ايمان ابراهيم بالله الذى فطر السـموات والأرض ، ومقاومته لقومه عندما حاجوه فى ذلك ، وتاكيده أن الله وسع كل شىء علما ، كما توضح أن أبناءه نالوا من الهدى والرشاد ما نال أبوهم ابراهيـم « كـلا هدينـا ونوحا هدينـا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان ... » .

وهناك مجموعة أخرى أو مجموعات من آيات القرآن تشهد لابراهيم وبنيه أنهم آمنوا بالاله الواحد القهار ، نسوق منها قوله تعالى :

— « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه : أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ، أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه : ما تعبـدون من بعدى ؟ قالوا : نعبـد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون » .

ومن العقائد التى كان على بنى اسرائيل أن يتبعوها ، ايمانهم بالبعث متبعين فى ذلك سنة أبيهم ابراهيم . قال تعـالى : « واذ قال ابراهيـم

رب ، ارنى كيف تحيى الموتـى ، قال أولم تـؤمن ؟ قـال بلى ، ولكن ليطمئن قلبى . قال فخذ أربعـة من الطير فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جبـل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سـعيا ، واعلم أن الله عزيز حكيم » .

ويشرح الأستاذ محمد جـاد المولى وزملاؤه هذه العقيدة بقولهم : وقد كان ابراهيم مفعم القلب بالايمان بربه ، ممتلئا بالثقة واليقين بقدرة خالقه ، مؤمنا بما أوحى اليه من بعث الناس بعد موتهم ، وحسابهم فى حياة أخرى على أعمالهم ، ولكنه أراد أن يزداد بصيرة وايمانا ، وثقة ويقينا ، وتطلع الى ان يلمس البرهان البين على البعث ، ويرى الحجة الواضحة على النشور ، فسأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى بعد موتهم ، ويبعثهم بعد فنـاء أجسـامهم ، فقال الله له : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ، قد أوحيت الى فآمنت وصدقت ، ولكن تاقت نفسى الى المشاهدة ، ليطمئن قلبى ويزداد يقينى . فاستجاب الله دعاءه وآتاه سؤله ، وأمره أن يأخذ أربعة من الطير فيقطعها اربا ، ويفرق أشلاءها بأن يجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم يدعوهن فيأتينه سعيا باذن الله .

وفعل ابراهيم ذلك ، وعادت الأشلاء تتجمع ، وسعت اليه الطيور الأربعة ، وزاد يقين ابراهيم ، وامتلأ قلبه اطمئنانا .

وتكررت عقيدة التوحيد والايمان باليوم الآخر منسـوبة الى غير ابراهيم من أنبياء بنى اسرائيل والصالحين منهم ، قال تعالى على لسان يوسف : « انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ، ذلك من فضـل الله علينا ، وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صـاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وعن التوحيد واليوم الآخر والحساب يقول الله تعالى مخاطبا موسى : « اننى أنا الله لا اله الا أنا فاتبعنى واقم الصلاة لذكرى ، ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى » ويقول الله تعالى على لسان موسى واصفا الله جل وعلا بأنه خالق كل شيء ومانحه الهدى « ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هـدى » . وعن علم الله سبحانه وتعالى يقول القرآن الكريم على لسان موسى : « انمـا الهكم الله الذى لا اله الا هو ، وسع كل شيء علمـــا » .

وعن الحياة الدنيا ومتاعها ، والحياة الآخرة وما بها من جزاء يقول الله تعالى على لسان موسى : « يا قوم ، انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وان الآخرة هى دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » .

وهكذا كانت العقيدة التى نادى بها أنبياء بنى اسرائيل متفقة تماما مع عقيدة المسلمين ، تهتم بوحدانية الله اله الكون ، واسناد الصفات المقدسة اليه سبحانه ، كما تهتم باليوم الآخر والحساب ، وغيرهما من المعتقدات .

هذه فكرة واضحة عن أنبياء بنى اسرائيل وعقيدتهم من وجهة النظر الاسلامية . ولكن بنى اسرائيل ثاروا فى وجه أنبيائهم ، ورفضـوا الاستجابة لهم ، واطرحوا العقيدة التى جاء بها هؤلاء الأنبياء ، ثم هاجموا الأنبياء ، وقتلوهم أحيانا ، واستبد بهم الضلال والجحود ، فعبدوا غير الله وانكروا البعث ، ونسبوا لأنبيائهم ما لا يمكن أن يصدر من أنبياء ، ويجدر بنا ونحن لا نزال مع القرآن أن نستعرضه لنقتبس منه بعض الآيات التى تحدثت عن بنى اسرائيـل ، ووصفت أخلاقهـم وصفاتهم ، قال تعالى :

ـ « ... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

ـ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة .

ـ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون .

ـ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون .

ـ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعـلمون .

ـ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

ـ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع ؛ وراعنا ، ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ، ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ، ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا .

ـ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبـع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليـلا .

ـ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسـية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم ...

ـ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ، والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما اوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ٠

ـ لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لســـان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ٠

ـ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، الم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين ٠

ـ ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين ٠

ـ اقتلوا يوسف او اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم » ٠

وربط اليهودية مبدأ الثواب والعقاب (بالأعمال) أو (الممارسات) و (الطقوس) دون الايمان يجعلها متناقضة مع المسيحية والاســلام على سواء ، فجانب كبير من المسيحيين يقولون (بالتبرير بالايمان) ويربطون (الخلاص) بالايمان ، أما الاسلام فيقوم على الايمان والعمل معـا ، والآيات القرآنية التى تشيد بالعمل الصالح كثيرة واضحة ، وخصص المسلمون كتبا للتوحيد تعنى بدراسة العقيدة ، وكتبا للفقه يشغل فيها فقه المعاملات مساحة كبيرة ٠

الفصــل الثـالث

الكتاب المقدس اليهودى والوحى

التـــاريخ والتراث

برغم أن التفسير اللاهوتى للتاريخ والأحداث التاريخية مسألة تعد من خصائص الجانب الاكبر للكتاب المقدس اليهودى ، الا أنه لا النصوص الدينية فى الكتاب المقدس اليهودي ولا اليهودية كما قدمها الرابيون ، كانتا مهتمتين بالتاريخ بمفهومه الحديث الذى نعرفه اليوم ٠ فاليهودية ـ تمشيا مع مثل كتابهـا المقدس ـ غير مهتمة بتقديم مفردات تاريخيـة موضوعية ، فليس للتاريخ أهمية سوى فى محتواه الدينى والأخلاقى ، ولم تكن هناك محاولات كثيرة للفصل بين ما هو حقيقة تاريخية خالصة ، وما هو تأويلى أو تفسيرى ٠

فقد كان اللاهوتيون اليهود يعيــدون باستمرار تفســـير المــاضى (التاريخ) لالقاء الضوء على الأفكار الدينية الحالية ، ورأى المفسرون الرابيون فى الأبطال الدينيين فى الكتب المقدسة اليهودية مثلا عليـــا للطهارة الدينية يحتذيها الرابيون ٠ وهذه النظرة التى تعد اتجاها ساخرا ـ على نحو ما ـ فى التعامل مع الماضى ، هى من خصائص الفكر اليهودى حتى الحقبة المعاصرة ، ويعد التفسير المدراشى للكتاب المقدس اليهودى مثالا على ذلك ٠ وان كان بعض المفكرين اليهود قد حاولوا ـ فى بعض المناسبات ـ أن يجدوا تفسيرا للتناقضات فى الهجادة القائمة فى الأساس

على بناء من العظات الدينية – ليصلوا الى الحقائق الخالصة التى تقوم عليها ، ولكنهم فى محاولاتهم هذه كانوا استثناء من القاعدة .

تماما كما فعل يوسيفوس Josephus ، المؤرخ اليهودى الذى عاش فى القرن الأول للميلاد ، اذ لم يجد ما يشين فى أن ينسب خطبا وأحاديث طوالا للشخصيات التاريخية التى يكتب عنها – وكان معاصروه من غير اليهود يفعلون الشىء نفسه – وعلى هذا ، فقد سمح حكماء التلمود ان يسقطوا مناقشاتهم فى الأفكار الدينية على أحداث ماضية لم تكن معاصرة لهم ، او بتعبير آخر يسمحون بأن يقرأها اليهودى باعتبارها منسوبة الى الماضى to be read back into the past ، وما دام التلمود قد حقق قدرا كبيرا من التأثير على اليهودية فى العصور الوسطى وأصبح بذلك نصا شبه شرعى (نصا دينيا نصف معتمد) فى اليهودية فى العصور الوسطى ، لذا فقد أصبح خروجا عن التدين الصحيح أن يرفض اليهود تراث الرابيين القائم على التجاوز عن المفارقات التاريخية كأسلوب تعليمى . او بعبارة أخرى ، أصبح رفض هذا الأسلوب الذى لا يقيم وزنا للحقائق التاريخية فى حد ذاتها أمرا ينطوى على عدم التقوى ، لأنه ينطوى على رفض لأفكار الرابيين أو حكماء التلمود . أما المفكرون اليهود الذين استمروا فى التمسك بموقف مستقل فى مثل هذه الأمور ، فقد تعرضوا لنقد شديد ، واتهمهم اليهود المحافظون بالهرطقة ، ذلك لأن المحافظين يعتبرون كل كلمة من كلمات التلمود نصا دينيا مقدسا .

وقد تركت خلافات العصور الوسطى هذه أثرها على التاريخ الحديث ، فكان مما أثار مشاكل للاهوت اليهودى المعاصر ، حقيقة أن اليهودية كانت أكثر اهتماما بدور الله فى التاريخ الانسانى ، من اهتمامها بالتفاصيل التاريخية التى كانت أبعد عن تناولهم فى بعض الأحيان . فعدد من المفكرين الأرثوذكس Orthodox يشعرون باستسلامهم لسلطان الماضى ، خاصة الماضى التلمودى فى نظرتهم لتاريخ الكون ، وتاريخ الجنس البشرى ، وتاريخ الشعب اليهودى والديانة اليهودية ، استسلاما يجعلهم على خلاف مع الأفكار الحديثة فى هذه المجالات .

فنحن نجد أن الرابى مناحم شنيرزوهن (ولد سنة ١٩٠٢) R. Menachem Schneersohn ، الذى درس الهندسة على المستوى الجامعى ، وترأس جماعة لوبافتش التقوية (الحاسيدية) فى نيويورك ، قد أحيا أخيرا نظرية القرن التاسع عشر ، التى مؤداها أن الكون خلق كاملا بما فى ذلك البقايا المتحجرة لحيوانات ما قبل التاريخ وبحقبة الجيولوجية المختلفة . ولأن عمر الكون – وفقا للحسابات اليهودية – لا يزيد الا قليلا عن ٥٧٠٠ سنة ، فان أى اكتشافات علمية لا تؤيد ذلك تعتبر حسابات غير صحيحة – أعنى أن الحفريات والبيانات الجيوفزيائية تمثل تطورا حقيقيا مؤقتا (*) .

وتعتبر مسألة القبول الحرفى لأفكار التراث اليهودى التقليدى عن الماضى ، من المسائل التى تشكل خطا فاصلا بين الأرثوذكسية اليهودية Orthodoxy من ناحية ، واليهودية المحافظة والاصلاحية من ناحية أخرى . فالمحافظون والاصلاحيون يميلون ، بدرجات متفاوتة ، الى عدم اعتبار آراء الرابيين فى العصور الوسطى مسائل ليست مرتبطة باليهودى الحديث ، رغم احتوائها على حكمة يمكنه الاستفادة منها . لكن الأرثوذكس orthodox بحكم عقيدتهم فى هيمنة النص التلمودى والنصوص المقدسة بعده – أقل انفتاحا نحو هذا الفكر المتسم بالمرونة . وبينما نرى بعض المفكرين الأرثوذكس يرغبون فى أن يفسروا روايات سفر التكوين عن الخلق تفسيرا غير حرفى ، بل يقبلون رؤية معدلة لنظرية التطور باعتبارها غير متناقضة مع التعاليم اليهودية ، الا أن أحدا ما لم يستطع أن يوفق بين وجهات النظر الحديثة ، فيما يتعلق بالتاريخ اليهودى أو التراث اليهودى التوراتى والتلمودى من ناحية ، والتعاليم اليهودية التقليدية من ناحية أخرى .

(*) هناك فكرة شبيهة عند الصوفية المسلمين ، وقال بها النظام ، وهى أن الله خلق العالم – ماضيه وحاضره ومستقبله – مرة واحدة ، وأن ما يحدث او يستجد مجرد ظهورات لفيضه الأول – (المترجم) .

وفى بواكير العقد السادس من القرن العشرين ، فوجىء يهود لندن مفاجأة عنيفة بالآراء التى نشرها الرابى لويس يعقوب عضـــو جماعة الرابيين rabbinical establishment ، والتى يبدى فيها تعاطفا مع الاتجاه القائل بالنقد التاريخى للكتاب المقدس اليهودى ، واعترضت الهيئة الكهنوتية الرابيـــة فى لندن على تعيينه عميدا لكليـة اليهـود Jew's College – وهى منشأة تعليمية لتدريب الرابيين اليهود الأرثوذكس – وذلك على أساس عدم تمشى آرائه مع العقائد اليهودية التقليدية .

وفى سنة ١٩٦٤ ، تطور موقف مماثل فى اسرائيل ، عندما تم تعيين سيسل روث Cecil Roth فى جامعة بار الان Bar Ilan ، وهو يهودى على المذهب الأرثوذكسى الحديث . وقد عرض روث فى أحد مؤلفاته عن التاريخ اليهودى وجهتى النظر : التقليدية ، والمؤيدة للنقد التاريخى للكتاب المقدس اليهودى ، دون أن يؤيد هذه الفكرة الأخيرة وانما اكتفى بعرضهـا ، ومع هذا فقد عارض تعيينه بعض الرابيين الاسرائيـــليين البارزين ، فتعرضت بار الان لضغوط شديدة لسحب درجة الأستاذية منه ، واخيرا قدم روث استقالته ، وغادر اسرائيل ليعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية .

واحدى العقبات التى لازالت الأرثوذكسية تواجهها ، هو توضيح موقفها من مسألة الدراسات الحديثة للكتب المقدسة اليهودية ، وقد ظهر بهذا الصدد اتجاهان ، اما تطوير بعض أنواع المزاوجة بين وجهات النظر التقليدية ووجهات النظر الحديثة ، واما الدفاع عن الموقف التقليدى باستخدام المعايير العلمية والتاريخية المقبولة بشكل عام . الى هذا الحد اختارت الأرثوذكسية أن تحافظ على موقفها الضعيف ، فلم يبحث الا عدد قليل من الباحثين (الأرثوذكس) فى امكانية الدفاع عن الموقف التقليدى بهذه الطريقة ، وحتى هؤلاء كانت دفاعاتهم غير مستقيمة .

وكان لابد أن يتناقض هذا ، مع محاولات التوفيق بين نظريات عمر الكون أو تطور الحياة من ناحيـة ، والمعتقدات الدينية اليهودية من ناحية

أخرى ، تلك المحاولات التى قام عليها مفكرون أرثوذكس اتخذوا الحداثة منهجا لهم . فمسألة نقد الكتب المقدسة اليهودية ، مسألة تبدو برمتها فى الغاية من الحساسية ، ومهما كانت وجهات النظر الخاصة التى صدرت عن الرابيين ، فقد كان الاحساس العام أن موقف الأرثوذكسية اليهودية من الوحى ، ومن الكتب المقدسة اليهودية والتراث اليهودى يمكن أن يغدو ضعيفا فى حالة قبول الافتراضات الناجمة عن النقد التاريخى . وبناء عليه ، فان أى رابى rabbi يدافع عن فكرة قبول مثل هـذا النقد التاريخى انما هو – بدفاعه هذا – يعلن أنه خارج نطاق الأرثوذكسية اليهودية Outside the Sphere of Orthodoxy

فحتى مجرد تناول أفكار الدراسات الحديثة المتعلقة بالكتاب المقدس اليهودى تعد – بالنسبة لمعظم المفكرين الأرثوذكس اليهود – لعنة ، خاصة تلك الأفكار المتعلقة بانكار نسبة الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم الى موسى . وبالتالى ، فان امكانية دراسة مثل هذه الأفكار تعد من قبيل المستحيلات ، فلا مجال لتفنيد وجهة النظر التقليدية فيما يتعلق بالتواريخ المتعلقة بالكتاب المقدس اليهودى ، ومدى موثوقيته . اننا نجد واحدا من الرابيين السلفيين المهمين فى الجيل الأخير ، يشكو من قلة استجابة زملائه للتحديات التى أسفرت عنها الدراســات النقدية ، وهو يعبر عن ذلك كالتالى :

« لقد أشهر الدارسون المعاصرون سلاح النقد خاصة فى وجـه التوراة كتاب الله الكامل ، وهم يقصدون بذلك أن يحفروا تحت التراث الذى تلقيناه وأن يقوضوا أركانه ... فكتابات فلهوزن welhausen وكتل Kittel قد ترجمت الى العبرية ، ومما يدعو للأسى والحزن أن هذه الكلمات المخربة والمسمومة قد وجـدت آذانا مصغية ... وهناك أيضا كثيرون منا ممن تلقوا تعليما تقليديا ، وكثيرون من الشباب ... لكن مما يثير الحزن والأسى أن أحدا من حكماء بنى اسرائيل لم يخرج ... ليحارب حربا مقدسة ضـد أولئك الذين يريدون اقتلاع كل شىء من الجذور » (١) .

وعلى النقيض من اللاهوتيين اليهـــود التقدميين Progressive ـ الذين قبلوا الصورة النقدية التاريخية للكتاب المقدس اليهودى باعتباره مجموعة مرويات ترجع لحقب زمنية طويلة ، وبالتالى فهى تعكس منطلقات دينية مختلفة ومتباينة ـ فقد واجه الأرثوذكس مشكلة بناء شكل جديد لفكرة الوحى • (بتعبير آخر : مشكلة تصور شكل جديد لطريقة تكوين الكتاب المقدس اليهودى) •

فما دامت الفكرة الكلاسية اليهودية التى مؤداها أن الله قد أوحى الكتاب المقدس اليهودى الى موسى وأنبياء بنى اسرائيل بالمعنى الحرفى للوحى ـ أى أملاه عليهم كلمة كلمة ـ فكرة مرفوضة ، فان القضـــايا المتعلقة بصحة هذا الكتاب المقدس (أو موثوقيته) وصـلته بالوصايا العشر ، تعد بالنسبة للانسان الحديث أو المعاصر مسألة على أعلى درجة من الأهمية • ان هذه القضايا لا تزال تمسك بتلابيب المفكرين اليهود ؛ المحافظين منهم والاصلاحيين على سواء ، ولم يصل أحد منهم الى حلول لاهوتية تحظى بقبول عام ، بأية حال من الأحوال •

اما بالنسبة لليهودية الأرثوذكسية فالمسألة أشد تعقيدا ، لكنها فى الوقت نفسه أيسر فى حلها ، باستخدام مقولات عقائدية تتسم بالمرونة الشديدة (المقصــود غير المحددة) • وعلى هذا ، فبينما يقدم التلمود عددا من القضايا عن النبوة والوحى ، بل ويقدم أيضــا قوائم بالكتب المقدسة أو أجزاء منها كتبها هؤلاء الأنبياء ـ الا أنه يظهر لنا موسى وكأنه غير قادر على فهم يهودية القرن الثانى للميلاد •

« عندما صعد موسى الى أعلى ، وجد الواحد القدوس تباركت ذاته ، جالسا وهو يربط التيجان فوق الحروف • فقال موسى له : يا سيد الكون من الذى يفرض هذا منك ؟ ، فقال الله : سيظهر فى نهاية عدة أجيــال من يدعى أكيفــا بن يوسف Akiva ben Joseph فهــو الذى سيستنبط جبالا فوق جبال من الشرائع من كل حدب وصوب • فقال له موسى : يا سيد الكون أرنيه • فقال الله : استدر للخلف فذهب موسى

وجلس فى نهاية الصف الثامن ولم يكن يعلم ما كانوا يقولونه • فشعر بالوهن (أو التعب) • وعندما وصل الى نقطة معينة [أعنى الرابى أكيفا Akiva] سأله التلاميذ : رابى ، من أين علمت بذلك ؟ فقال لهم : انها شريعة موسى من سيناء • لقد استراح عقله [أعنى موسى] » (٢) •

ومن المؤكد انه يمكن تفسير هذه القصة بالقول ، ان اليهودية قد خضعت لعمليات تطوير دينى ، وان الرابيين اليهود اعترفوا انها نمت وتطورت وتغيرت فى حقبة المشناه mishnaic period لتصبح فى شكل غير مفهوم بالنسبة للأجداد الوارد ذكرهم فى الكتب المقدسة اليهودية • وهذه القصة التى رويناها آنفا لو وضعناها جنبا الى جنب ، مع التعاليم الأخرى المتعلقة بطبيعة الدين الذى أوحاه الله الى موسى ، لخلصنا منها جميعا بزعم مؤداه أن موسى لم يتلق من الله ـ فى سيناء ـ التوراة فحسب وانما تلقى أيضا المشناه ، والحوارات التلمودية والهجادة ، بل وحتى ما سيثيره طالب ناضج أمام معلمه فى المستقبل (*) •

الكتاب المقدس اليهودى

الكتاب المقدس اليهودى مماثل ـ بشكل قل أو كثر ـ للعهد القديم وفقا للتعبير المسيحى ، غير أن بعض ما يدرجه المسيحيون ليس جزءا من الأسفار المقدسة بالمفهوم اليهودى مثل : اسدراس ، والمكابيين وطوبيت Tobit ويهوديت Judith ••• الخ • فهذه الأسفار معروفة باسم الأبوكريفا (غير القانونية) ، ويرجع اقحامها فى العهد القديم الى أنها وجدت فى الترجمة السبعينية ـ أول ترجمة يونانية للكتاب المقدس ـ مما جعل وجودها يؤثر فى المناقشات المسيحية حول مدى قانونيتها (**) •

(*) الفكرة نفسها التى أشار اليها النظام ، وهو أن ما سيحدث قد تم خلقه فعلا وان المسألة لا تعدو كونها (ظهورات) • (المترجم)

(**) فكرة موجزة عن الأبوكريفا ـ كما وردت فى دائرة المعارف الكتابية (تأليف صموئيل حبيب ، فايز فارس وآخرين) :

يطلق اسم « أبو كريفا » على مجموعة من الكتابات الدينية التى اشتملت عليهـا الترجمتان السبعينية والفولجاتا (مع اختلافات لا تذكر) زيادة على ما فى الأسفار القانونية عند اليهود وعند البروتستنت • ولكن ليس هذا هو المعنى الأصلى أو الصحيح للكلمة ـ كما سنرى فيما بعد ـ وان كان هذا هو مفهومها الجارى الآن •

ويطلق النقاد فى العصر الحاضر على مجموعة هذه الكتابات اسم « أبو كريفا العهد القديم » ، لأن بعض هذه الكتب على الأقل كتب باللغة العبرية – لغة العهد القديم – كما انها جميعها اكثر انتماء الى العهد القديم منها للعهد الجديد ، ولكن توجد ايضا اسفار ابو كريفا للعهد الجديد من أناجيل ورسائل الخ ·

كما ان كلمة « ابو كريفا » كثيرا ما تطلق الآن على ما يسمى « بالكتابات المزيفة ، وسميت هكذا لأنها تنسب الى كتاب لا يمكن أن يكونوا قد كتبوها حقيقة (مثل اخنوخ ، ابراهيم ، موسى ··· الخ) ، فهذه الشخصيات المنسوبة اليها هذه الكتب من اشهر الشخصيات فى تاريخ اسرائيل ، ولا شك فى أن الهدف من نسبتها اليهم هو لاضفاء اهمية واصالة عليها ·

الاسم ابو كريفا : عندما اطلقت كلمة « أبو كريفا » على الكتابات الدينية ، كانت تحمل معنى أنها مقصورة على دائرة معينة ضيقة ، لا يمكن لمن هم خارج هذه الدائرة ان يفهموها ·فالكلمة بمعنى « خفى – غامض – مبهم – عويص » ·

كان هناك نوعان من المعرفة عند اليونانيين القدماء : النوع الأول يشمل عقائد وطقوسا عامة لكل الناس أما النوع الثانى فكان يشمل عقائد وطقوسا غامضة عويصة لايفهمها الا فئة متميزة خاصة ، ولذلك بقيت « مخفية » عن العامة · ثم أطلقت كلمة « أبو كريفا » فى العصور المسيحية على بعض الكتابات غير القانونية فى العهد القديم ، وكذلك فى العهد الجديد ، وبخاصة الكتابات التى تشتمل على « رؤى » تتعلق بالمستقبل ، والانتصار النهائى لملكوت الله ··· الخ ، اذ أنها أمور تسمو عن فكر البشر وحكمة « المطلعين » ·

والمسيحية ليس فيها شىء من هذا القبيل ، فلا يوجد فيها شىء للعامة وشىء آخر للخاصة المتميزة ، فالانجيل – منذ أيامه الأولى – يكرز به للفقراء والجهلاء والأغنياء والحكماء ، كما أن الكتب المقدسة كانت تقرأ فى الكنائس على مسامع الجميع · وكان جيروم (توفى حوالى ٤٢٠ م) وكيرلس الأورشليمى (توفى حوالى ٣٨٦ م) هما أول من اطلق لفظ « ابو كريفا » على ما جاء فى الترجمة السبعينية زيادة عما فى الأسفار العبرية القانونية ·

ويمكن ان نفهم كيف بدات مثل هذه الكتابات فى الكنيسة الشرقية ، متى علمنا ان كثيرين من اتباع الفلسفة اليونانية ، قبلوا الايمان المسيحى ، وكان من الطبيعى أن

ينظروا اليه من خلال الفلسفة القديمة · وقد رأى الكثيرون منهم بعض المعانى الصوفية فى الأسفار القانونية ، فضمنوا هذه المعانى كتبا خاصة موجهة لفئة متميزة · وعلى نفس هذا المنوال ، نشأ بين اليهود – بجانب الناموس المكتوب – ناموس شفهى يتضمن تعاليم معلمى اليهود ، التى وضعوها فى مرتبة أعلى من سائر الكتب · وقد يجد الانسان شبيها لذلك فى نظرة بعض اتباع الطوائف المختلفة الى مؤلفاتهم الخاصة واعتبارها ملزمة لهم أكثر من الكتاب المقدس نفسه ·

وقد ساعد على حركة تاليف مثل هذه الكتب ، المذاهب الغنوسية وتعاليمها السرية للخاصة · وقد تاثر هؤلاء الغنوسيون بالصوفية البابلية والفارسية وكتاباتها · ويذكر اكليمندس الاسكندرى (توفى ٢٢٠ م) أسماء بعض الكتب السرية للديانة الزرادشتية ، ولعله أول من اطلق لفظ « ابو كريفا » على هذه الكتابات الزرادشتية ، فالمسيحية الشرقية وبخاصة اليونانية نزعت الى اعطاء الفلسفة المكانة التى يعطيها العهد الجديد والمسيحية الغربية للعهد القديم ، ففى ظنهم أن الفلسفة مهدت لديانة المسيح أكثر مما مهد العهد القديم ·

ثم أصبحت كلمة « أبو كريفا » تعنى كتبا أقل قيمة ، وأضعف سلطانا من أسفار العهدين القديم والجديد · وقد حدث هذا لسببين : (١) أنه لا يمكن أن يكون قد أوحى لكاتب ممن عاشوا بعد عهد الرسل · (٢) لا يمكن أن يعتبر أى كتاب قانونيا الا اذا كانت قد قبلته كل الكنائس · وبذلك اعتبرت الكتابات التى ظهرت فى نهاية القرن الثانى وأطلق عليها « أبو كريفا » – للحط من قدرها – أنها نبعت أساسا من المذاهب الهرطوقية مثل الغنوسيين ولم تحظ قط بالقبول لدى مجموع الكنائس · فيقول أوريجانوس (توفى ٢٥٣ م) ، انه يجب أن نفرق بين الكتب المسماة « أبو كريفا » ، فالبعض منها يجب رفضه كلية ، لأنه يحوى تعاليم تناقض تعليم الكتاب ، وهكذا نجد أنه من نهاية القرن الثانى ، أصبحت كلمة « أبو كريفا » تطلق على ما هو زائف وتافه ، وبخاصة الكتابات التى تنسب لأناس لم يكتبوها ·

ويعارض ايريناوس (توفى ٢٠٢ م) أكليمندس الاسكندرى فيرفض ان يكون للكتابات السرية اى اعتبار ، وكان يعتبر (وكذلك جيروم فيما بعد) أن كلمتى « قانونية » « وأبو كريفا » على طرفى نقيض · كما أن ترتليان (توفى ٢٣٠ م) كانت له نفس النظرة ، فكلمة أبو كريفا كانت تعنى عنده الأسفار غير القانونية ·

وفى القرون الأولى كانوا يقسمون هذه الكتب الى ثلاثة أقسام : (١) كتب يمكن قراءتها فى الكنيسة ٠ (٢) كتب يمكن قراءتها على انفراد ولكن ليس فى الاجتماعات ٠ (٣) كتب يجب الا تقرأ اطلاقا ٠ وقد أطلق أثناسيوس (توفى ٣٧٣ م) كلمة أبو كريفا على هذا القسم الثالث وجعلها مرادفة لكلمة « مزيفة » ٠

والخلاصة هى :

١ ـ فى الكتابات الكلاسيكية ، والهيلينية ، كانت كلمة أبو كريفا تدل على معنى « خفى او غامض او عسر الفهم » ٠

٢ ـ فى بداية عصر الآباء ، كانت كلمة أبو كريفا مرادفة لكلمة كتابات للخاصة أى لفئة معينة متميزة ٠

٣ ـ فى العصور التالية لذلك ، كانت تستخدم فى اليونانية (مثل ايزيناوس وغيره) وفى اللاتينية (جيروم ومن بعده) بمعنى « غير قانونى » اى أنها دون الأسفار القانونية ٠

٤ ـ تطلق كلمة أبو كريفا ـ عند الكنائس البروتستنتية ـ على الكتب الموجودة فى الترجمات السبعينية والفولجاتا ، ولكنها لا توجد فى الكتاب المقدس العبرى ٠

٥ ـ لا يوجد مرادف لكلمة « ابو كريفا » فى العبرية بمعنى الكتابة للخاصة أو الكتابة غير القانونية ٠

واسفار الأبو كريفا للعهد القديم ، تشمل :

(أ) أسفار تاريخية وهى : (١) أسدراس الأول والثانى ٠ (٢) المكابيين الاول والثانى ٠ (٣) اضافات لسفر دانيال (هى : نشيد الفتية الثلاثة ـ قصة سوسنة ـ قصة بعل والتنين) ٠ (٤) تكملة سفر أستير ٠ (٥) رسالة ارميا (وتلحق عادة بسفر باروخ (٦) (صلاة منسى) ٠

(ب) أساطير : (١) سفر باروخ (وتارة يلحق بالأسفار النبوية ، وتارة أخرى بالرؤى) ، (٢) طوبيا ٠ (٣) يهوديت ٠

(ج) أسفار رؤيوية : (١) أسدراس الثانى أو رؤيا أسدراس ٠

(د) أسفار تعليمية : (١) حكمة سليمان ٠ (٢) يشوع بن سيراخ ٠

وسيأتى الكلام عن كل سفر منها فى موضعه ٠ =

ومصطلح « العهد القديم » مصطلح مسيحى على نحو خاص ، مادام يجعله بمفهوم الكتاب المقدس العبرى فى مقابل العهد الجديد للمسيحية New Testament of Christianity ٠ والمضامين المنطوية فى استخدام هذين المصطلحين (العهد القديم والعهد الجديد) هى أن العهد (أو الميثاق) بين الله واسرائيل القديم (اليهودية) كما هو فى العهد القديم ، قد بطل أو نسخ بعهد أو ميثاق بين الله واسرائيل الجديد (المسيحية) كما هو فى العهد الجديد ٠ لذا ، فقلما يستخدم اليهود مصطلح (العهد القديم) وانما يفضلون أوصافا أقرب للحياد ، مثل الكتاب المقدس العبرى Hebrew Bible أو التاناخ Tanakh ، وهذا المصطلح الأخير يضم الحروف الأولى للكتب المقدسة الثلاثة فى اليهودية ، وهى : التوراة (البنتاتوش أو الأسفار الخمسة الأولى فيما يعرف بالعهد القديم) ، والنيفييم (الأنبياء أو أعمال الرسل) (*) والكيتوفيم Ketu Vim (أو الهاجيوجرافا Hagiographa ـ سير القديسين) ، ومن المصطلحات الشائعة الأخرى بين اليهود الكتابات المقدسة أو ـ ببساطة ـ التوراة التى تستخدم بمعناها الواسع لتعنى كل الكتب المقدسة اليهودية ٠

وفكرة شرعية الكتاب المقدس ، أو بتعبير أوضح مدى قانونيته ، لم توجد على هذا النحو فى اليهودية الكلاسيكية ، ففى زمن المشناه

= اللغة الأصلية للأبوكريفا : كتب الجزء الأعظم من الأبوكريفا فى اللغة اليونانية أصلا ، ولكن اسفار طوبيا ويهوديت ويشوع بن سيراخ والمكابيين الأول يظن أنها كتبت أصلا بالعبرية أو بالحرى بالأرامية ، وترجمت لليونانية ٠

تاريخ كتابتها : وسيأتى الكلام عن تاريخ كل سفر فى موضعه ، ولكن بوجه عام فان فترة كتابة هذه الأسفار يمكن تحديدها ، فاقدمها سفر يشوع بن سيراخ ترجع كتابته بالعبرية الى ١٩٠ ـ ١٧٠ ق٠م ، أما ترجمته لليونانية فالى ١٣٠ ـ ١٢٠ ق٠م ٠ ولا تتأخر كتابة اى سفر من سائر الأسفار الأبو كريفا للعهد القديم عن ١٠٠ م ، أى أنه يمكن أن يقال بحق ان أسفار الأبو كريفا كتبت فيما بين ٢٠٠ ق٠م ـ ١٠٠ م ٠ ولذلك فلها اهميتها فى معرفة أخبار اليهود وأحوالهم الدينية والثقافية فى تلك الفترة ٠

(*) اى ما بعد الأسفار الخمسة فيما يسميه المسيحيون العهد القديم ، وليس المقصود ملاحق الأناجيل : بولس ٠٠ الخ ٠ (المترجم) ٠

mishnaic times – اعنى فى نهاية القرن الثانى بالتقويم المسيحى – كان يبدو أن هناك أنواعا مختلفة من الحدود أو الفواصل عند التعامل مع مجموعة الكتب المقدسة اليهودية . فثمة مجموعة من الكتابات عرفت بالكتابات المقدسة ، جرى الاعتراف بها باعتبارها وحيا بدرجات مختلفة ، على النقيض من كتابات أخرى عرفت بالكتب الدخيلة Extraneous وهذا النوع الأخير اما انه يضم اعمالا خالصة من الحكمة البشرية ، وبالتالى فليس لها الا قيمة علمانية (غير دينية) ويعمل الرابيون على الفصل بينها وبين الكتابات المقدسة (الموحى بها) (٤) ، واما أنه يضم كتابات تنطوى على الكفر (الهرطقة) ومع ذلك تعطى انطباعا أنها وحى الهى (٥) .

فالأعمال التى تعبر عن الحكمة البشرية – من بينها كتاب حكمة ابن سيرا Ben. Sira أو الجامعة Ecclesiasticus – كان الحكماء غالبا ما يستخدمونها ويقتبسون منها ، مما يجعل الأمور تبدو غير واضحة فيجرى الخلط بين ما هو وحى وما هو حكمة بشرية . أما الأعمال المنطوية على هرطقة ، فقد تم رفضها كلية . ومن بين هذه الأعمال التى يعدها اليهود هرطقة ويرفضونها تماما بعض الأناجيل المسيحية الأولى . وقد ظل الفصل بين ما هو مقدس وما هو دخيل موضوع خلاف فى حقبة المشناه ، كما كانت هناك قضية خلافية أخرى يمثلها السؤال التالى : أيسمح بتداول حر لكل الكتابات المقدسة ، أم لابد من سحب بعضها من التداول ؟ وقد ظهر أول خلاف فى مناقشات المشناه عن نجاسة الأيدى (نجاسة معنوية) ، مما يستدعى عدم لمسها للكتابات الدينية (*) .

« كل الكتابات المقدسة تجعل الأيدى غير طاهرة – طقسيا – ، فنشيد الانشاد ، والجامعة Ecclesiastes يلوثان الأيدى ، ويقول الرابى يهوذا R. Judah : نشيد الانشاد ينجس الأيدى لكن هناك خلاف فيما يتعلق بالجامعة اينجس الأيدى أم لا . ويقول الرابى جوز

(*) وجدت الفكرة نفسها فى الفكر الاسلامى الرسمى والشعبى .

R. Jose : كتاب الجامعة لا ينجس الايدى ، لكن هناك خلاف حول نشيد الانشاد .. ويقول الرابى سيمون بن عزاى R. Simeon ben Azzai : ان لدى تراثا .. أن كلا من نشيد الانشاد والجامعة ينجس الأيدى . وقال الرابى أكيفا R. Akiva : ان الله يمنع أن يجادل احد من بنى اسرائيل مطلقا فيما يتعلق بنشيد الانشاد زاعما انه ينجس الأيدى . ذلك أن العالم كله لا يساوى ذلك اليوم الذى منح الله فيه بنى اسرائيل نشيد الانشاد فهو اقدس ما فى الكتاب المقدس اليهودى ، لكن ان كان هناك خلاف حول ما ينجس اليد ، فليكن هذا حول كتاب الجامعة Ecclesiastes » (٦) .

فالمناقشات التى سجلتها المشناه تدور حول ما اذا كان سفر الجامعة وسفر نشيد الانشاد . وحيا الهيا وبالتالى فهما من الكتابات المقدسة ، أم انهما مجرد تعبير عن حكمة بشرية صاغها مؤلفون من البشر . فكلا العملين (الجامعة ونشيد الانشاد) مشكوك فى أمرهما . فسفر الجامعة يبدو وكأنه يدعو الى ما يعرف بالفلسفة الكلبية Cynicism المعبرة عن أن السلوك البشرى تحكمه المصالح الذاتية وحدها ، ونشيد الانشاد يبدو كلحن حب ثنائى بين عاشقين (*) . وفى أيام الرابى أكيفا R. Akiva – فى القرن الثانى للميلاد – قبلت بعض الجماعات اليهودية نشيد الانشاد باعتباره حوارا رمزيا معبرا عن الحب بين الله واسرائيل ، ومن هنا كان موقف أكيفا المفعم حماسا وعاطفة دفاعا عن نشيد الانشاد . وسفر الجامعة أيضا تم تفسيره أخيرا بطريقة تجعله مقبولا كسفر مقدس (٧) وثارت مشكلة مشابهة فيما يتعلق بسفر أستير Esther الذى كتب بطريقة علمانية (غير دينية) و دنيوية ظاهرة ، لكنه قبل أخيرا باعتباره وحيا الهيا (٨) .

(*) الرمز للحب الالهى بحب بين عاشقين موجود لدى الصوفية المسلمين أيضا . (المترجم)

والقضية الثانية هى السماح بتداول بعض النصـــوص المقدسة (النصوص الموحى بها) تداولا حرا ، كالنبوءات الواردة فى سفر حزقيال Ezekiel ، فرغم أن هذا السفر يفترض أنه من بين الكتابات المقدسة ، فان بعض تعاليمه تبدو متناقضة بشكل جلى مع التعاليم اليهودية ، ورغب حكماء بنى اسرائيل فى منعه من التداول وايداعه فى الجنيزة Genizeh اى خزانة الكتب التى تحفظ فيها النصوص الدينية المقدسة الممنوعة من التداول . ولم يعتبر سفر حزقيال سفرا شرعيا (معتمدا قانونيــا) الا بفضـــل شانانياه بن شزكياه Chananiah ben Chizkiah ، وهو زعيم فصيل شميت Shammaite faction اليهودى فى القرن الأول (الميلادى) . اذ قام بتأويل السفر تأويلا جعله يتلاءم مع الرؤى المقبولة بين اليهود (٩) ، وعلى النحو نفسه فقد هدت الطبيعة المتناقضة لبعض نصوص سفر الأمثال ـ لفترة من الزمن ـ بعزل هذا السفر ، ومنعه من التداول بوضعه فى الجنيزة (١٠) .

وعلى هذا ، فاللائحة اليهودية التى تشير الى النصوص اليهودية المقدسة ، قد تحكم فيها عاملان . أولهما ، ما اذا كان هذا النص قد جرت كتابته تحت تأثير الوحى الالهى ، أم لا ، وثانيهما ما اذا كان هذا النص الموحى به مسموحا بتداوله تداولا حرا بين الناس ، أم يجب سحبه من التداول مخافة أن يساء فهمه . لقد كانت الظروف السائدة هى التى تقرر مدى الحاجة الى قائمة محددة بالكتابات المقدسة ، وتفضيل ذلك على الاعتماد على مجموعات غير محددة من النصوص المقدسة ونصف المقدسة التى كتبها بشر Secular ، وعندما تكون هناك نصوص مقبولة باعتبارها وحيا الهيا يتداولها اليهود ، وتضم ـ أى هذه النصوص ـ أفكارا معارضة للدين (هرطقة) ، ففى هذه الحال ، لابد من وضع حد فاصل بين ما هو وحى ، وما هو خارجى أو دخيل extraneous . وعندما تخضع النصوص المقبولة باعتبارها وحيا لتفسيرات تتعارض مع التراث ، عندئذ لابد أن نضع فى الاعتبار أن الخطوة التالية هى ابعاد هذه النصوص (الأعمال)

عن التداول (عن الاشارة اليها practical reference (؟)) (*) وفى نهاية القرن الثانى للميلاد ، كانت هذه الاعتبارات مأخوذا بهـــا ، واخيرا استطاعت اليهودية تحديد نصوصها المقدسة بشكل نهائى ، وهى تلك النصوص التى لازالت معتمدة حتى اليوم .

دراسة الكتاب المقدس اليهودى وشروحه

برغم أن الكتاب المقدس العبرى Hebrew Bible هو المكون الأساسى للتراث اليهودى ، كما أنه الأكثر أهمية على الاطلاق ـ فان اليهود قلما يقرءونه بشكله المباشر ، وانما ـ بدلا من ذلك ـ نجدهم يدرسونه بمساعدة الشروح الكلاســـية ، وعلى هـــذا ، لم يعد الكتـــاب المقدس العبرى Hebrew Bible مقدسا الا من خلال الشروح اليهودية التقليدية التى قام عليها المفسرون الرابيون اليهود ، فأسفار موسى الخمسة (الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم) ـ وهى أكثر أقسام الكتب المقدسة اليهودية شهرة ـ تتم قراءتها كلها فى دورة سنوية فى المعابد اليهودية التقليدية ، سبتا بعد سبت . أما الجماعات اليهودية التقدمية ، فاما أنها تتبع الدورة نفسها وان كانوا يفضلون اختيار جزء يقرءونه أسبوعيا بدلا من قراءة النصوص كاملة ، اذ يعتبرونها اطول مما ينبغى أن تكون عليه القراءة الجماعية ، أو أنهم يتبعون نظاما تتم بمقتضاه تلاوة التوراة الأصلية (أسفار موسى الخمسة) كل ثلاث سنوات . وما دامت قراءة هذه الأسفار ـ تقليديا ـ باللغة العبرية كانت تستلزم طريقة خاصة فى التنغيم أو التلاوة ، فقد جرت العادة أن يتابع المرتلون المحتشدون هذه التلاوة ، من خلال نصوص عبرية بالاضافة الى ترجمة ، وغالبا ما تكون هناك أيضا شروح موجزة باللغة الدارجة .

وبصرف النظر عن أسفار موسى الخمسة (الأسفار الأولى من العهد القديم) ، فان بعض أقسام معينة من أسفار الأنبياء ، يعرف اليهود أنها تشكل آخر ما يتلى كل أسبوع . وعلى أية حال ، فهذه تمثل فقط نسبة

(*) المعنى غير مفهوم للمترجم (المترجم) .

بسيطة من الكتابات المقدسة عند اليهود . وثمة كتب مقدسة أخرى تتم قراءتها فى مناسبات خاصة ، مثل اللفائف الخمس (أو الأسفار الخمسة) : نشيد الانشاد ، وراعوث Ruth ، والمراثى و (الجامعة واستير) ، ويونان . وكثير من المختارات من الأسفار الأخرى من الكتاب المقدس اليهودى قد تم ادراجها فى الطقوس المقدسة ، فتلاحمت مع كلمات الدعاء ، وقد أصبحت المزامير أوضح مثال على هذا النوع .

وثمة أجزاء كثيرة من الكتاب المقدس اليهودى لا يعرفها عدد كبير من اليهود على وجه الحقيقة ، حتى أولئك الذين يواظبون على حضور الصلوات فى المعابد . لكن كثيرين سيتعلمون شيئا عن تاريخ الكتاب المقدس اليهودى ، وقد يدرسون نصوصا مختارة منه عند اعدادهم لتلقى وصايا الله (بار متسفا أو بات متسفا) ، وتجرى الطقوس المتعلقة بهذا الصدد بالنسبة للصبيان والبنات عند بداية سن البلوغ ، ويحضر آخرون حلقات دراسية للكبار يدور موضوعها حول بعض النصوص المقدسة ، وان كانت فى العادة من أسفار موسى الخمسة أكثر من كونها من سفرى الملوك وأشعياء . واليهود الذين استمروا فى تلقى تعليمهم الدينى حتى الكبر ، يعتبرون – على أية حال – استثناء من ذلك .

وحتى اليهود الأكثر تمسكا بالمفاهيم التقليدية ممن يعتبرون الأمر أو الوصية بدراسة التوراة كفرض دينى تشمل الشباب وكبار السن على سواء – لن يكرسوا الا جزءا يسيرا من أوقاتهم للنظر فى الكتب المقدسة الأخرى غير أسفار موسى الخمسة (الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم) . والمنهج الدراسى فى اليشيفاه Yeshivah (*) ، التى

(*) اليشيفاه Yeshivah : مؤسسة تعليمية للدراسات التلمودية . ورغم أن أعضاء هيئة التدريس يلقون محاضرات فى مثل هذه المؤسسات ، فان شكل الدراسة السائد يتخذ شكل مناقشات وتحليلات يقوم بهما الطلبة معا ، وموضوعها – أى المناقشات والتحليلات – هو النص التلمودى .

تعد هى المؤسسة التعليمية الرئيسية بالنسبة لليهود التقليديين يعكس هذا الوضع بشكل فعلى ، فالنسبة الغالبة فى دراسات اليشيفاه تتحلق حول التلمود البابلى وتفسيراته . لكن قد يخصص وقت معين للطالب لقراءة أسفار موسى الخمسة كل أسبوع ، وليست هناك محاضرات عامة تتناول الكتب المقدسة اليهودية ، وليست هناك حصص محددة فى الجدول الدراسى لتناول هذه الكتب . ومع أنه أمر حقيقى أن التلمود يشير الى كثير من آيات الكتاب المقدس اليهودى ، فانه أكثر اهتماما بالأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم (أسفار موسى الخمسة) ، منه بالأسفار الأخرى سواء الأسفار التاريخية أو أسفار الأنبياء . وثمة فكاهة (نكتة) يهودية مشهورة متعلقة بطالب اليشيفاه Yeshivah أنه لا يعرف عن آيات الكتاب المقدس اليهودى الا من خلال ذكر التلمود لها ، بمعنى أن معرفته بالتلمود تفوق معرفته لأسفار موسى الخمسة .

هذه الملامح المتعلقة بحياة اليهود التقليدية ، تظهر لنا أن التفاسير التقليدية تحتل مكانا مركزيا أو محوريا عند اقتراب اليهودى من الكتاب المقدس اليهودى . فللحكيم (التلمودى) أهمية . تفوق أهمية النبى (١١)؛ لأنه هو الذى يفسر رسالة الوحى وهو الذى يدمجها فى حياة البشر . وبدون التأثير الراسخ للفهم التقليدى للكتاب المقدس ، تصبح تعاليمه – أى تعاليم الكتاب المقدس – عرضة لتفسيرات قد تؤدى الى تحطيم وحدة الثقافة اليهودية ، فهى – أى الثقافة اليهودية – ذات طابع واحد رغم الاختلافات الداخلية بينها . وثمة أقسام بعينها فى الكتاب المقدس اليهودى أكثر أهمية من غيرها ، وذلك من المنظور التقليدى ، وهذه الأقسام يعرفها اليهود أكثر من غيرها ، لكن هذا لا يعنى – بطبيعة الحال – تبرير الابتعاد عن دراسة التوراة ، فالتربويون اليهود يعترضون على اهمال النص الدينى الأساسى ، وتقدم الميشناه برنامجا تعليميا متوازنا كالتالى :

« فى الخامسة لابد أن يتعلم الطفل التوراة ، وفى العاشرة الميشناه ، ... وفى الخامسة عشرة التلمود » .

وقد حاولت الجماعات اليهودية غير التقليدية فى القرن الماضى او نحو ذلك تصحيح الوضع ، فعلى سبيل المثال فان المؤسسات التعليمية الصهيونية فى اسرائيل تدرس التوراة والتاريخ التوراتى وأشعار الكتب المقدسة كجزء أساسى من مناهجها ، واليهودية الاصلاحية Reform Judaism نقلت أيضا اهتمامها فى مضمار التعليم الدينى من الدراسات التلمودية الى دراسة الكتاب المقدس نفسه . ومع هذا ، فان ذلك لم يؤثر تأثيرا جوهريا فى الوضع سواء بين اليهود التقليديين ، أم بين غالب يهود الشتات الذين يترددون على المعابد اليهودية . وما دام الكتاب المقدس اليهودى فى عيون اليهود التقليديين هو الأكثر أهمية لليهودية ، فان الكلمة الموجزة ضرورية لهذه النظرة التقليدية . ومن المحتمل أن تكون عملية شرح النص المقدس قديمة قدم النص نفسه . فهذه العملية (أى شرح الكتاب المقدس اليهودى) مفهومه ضمنا من كون الكاتب عزرا Ezra the Scribe كان يقرأ توراة موسى أمام الجموع فى القدس . لقد كان معه اللاويون Levites وعدد من البارزين كانوا يشرحون للناس ما يقرؤه ، حتى يدركوا اهميته (١٣) . وبمرور الوقت عندما أصبحت الآرامية لغة أكثر انتشارا بين اليهود من العبرية ، ظهرت شروح بالآرامية عمل القائمون عليها على ادماج تفسيرات رابية فى شروحهم للكتاب المقدس اليهودى ، وعرفت هذه الاصدارات الآرامية باسم التارجوميم Targumim (المفرد : تارجوم targum) وأصبحت قراءة التوراة أمام الجموع مصحوبة بالتارجوم اى الترجمة ، وذلك أيام المشناه (زمن المشناه (١٤) Mishnaic times) ، واخيرا كتبت تارجوميم (تراجم) معتمدة رغم ان أصولها وتواريخها غير معروفة ، على سبيل اليقين ، وظلت ظروف كتابتها غامضة .

وأشهر التارجوميم (التراجم) وأكثرها انتشارا هى ترجمة أسفار موسى الخمسة المعروفة باسم (تارجوم أنكيلوس Targum Onkelos) . وينسبها التراث اليهودى المروى الى شخص تحول الى اليهودية وأنجز ترجمته هذه تحت اشراف اثنين من الرابيين المهمين فى القرن الثانى (١٥) .

ويشك معظم الباحثين فى نسبة هذه الترجمة اليه ، بسبب التضارب بين تارجوم انكيلوس والترجمة اليونانية للكتاب المقدس اليهودى التى انجزها اكويلاس Aquilas .

وأيا ما كانت أصولها الحقيقية ، فان تارجوم أنكيلوس Onkelos أصبحت مقبولة كوحى ، فقد كتب الحكيم اليهودى البابلى سار شالم جاؤون Gaon الذى عاش فى القرن التاسع : « وتوجد ترجمات للكتاب المقدس اليهودى للآرامية لا تحظى بالقداسة نفسها التى تحظى بها هذه الترجمة (التارجوم targum) . وقد سمعت من الحكماء الأقدمين أن الله سبحانه وتعالى ، تبارك اسمه يفعل شيئا عظيما للـ Convert Onkelos الذى مرت هذه الترجمة الآرامية (الترجوم) من خلاله » (١٦) .

فالأنكيلوس Onkelos تقدم ترجمة ملتزمة جدا بالنص ، ملتصقة تماما بالأصل العبرى ، ولا تدخل كثيرا من تفسيرات الهجادة . والملمح الأساسى للأنكيلوس Onkelos هو تجنب التعبيرات التى توحى بتشبيه الله بالبشر ، فمثل هذه الاتجاهات التشبيهية (أى اضفاء صفات بشرية على الله) قد جرى التعبير عنها بصياغات آرامية محايدة .

وفى معظم طبعات أسفار موسى الخمسة ، نجد أن الترجمة الآرامية Targum Onkelos تضم النص العبرى جنبا الى جنب مع النص الآرامى ، برغم أن أهميته قد تراجعت بالنسبة لليهودى المعاصر ، اذ حل محله شرح الرابى سليمان يتزشاكى R. Solomon Yitzchaki (١٠٤٠ - ١١٠٥ م) المعروف بالراشى Rashi . وبينما يوصى التلمود بان اليهودى لابد ان يقرأ جانبا من التوراة مرتين فى الأسبوع ، والترجمة الآرامية (الترجوم) مرة ، نجد أن (١٧) الرابى يعقوب اشر R. Jacob b. Asher دارس الهالاخاه الذى عاش فى القرن الرابع عشر للميلاد ، يذكر فى قانون الايمان الذى صاغه his Code :

« اذا درس شخص ما جانبا من الكتاب المقدس بشرح راشى ، فهذا امر طيب كدراسة الترجمة الآرامية (ترجوم) ، فالهدف الوحيد من الترجوم هو ان يكون النص مفهوما » (١٨) .

ولا يتفق مسئولون دينيون آخرون مع هذا الحكم ، لأنهم شعروا أن الـ Onkelos فى رتبة من نوعها ، بل انه ليقال ان الرؤية الآرامية للـ Onkelos قد أوحاها الله فى سيناء . ومع ذلك ، فما دام اليهود لم يعودوا قادرين على فهم الآرامية ، فقد انتشرت عادة استخدام ترجمة بديلة و نصوص تفسيرية .

ومن بين الترجمات الأخرى (ترجوميم) لأقسام مختلفة من الكتاب المقدس ، نجد أهمها « ترجوم يروشالمى Targum Yerushalmi اى ترجمة القدس أو الترجمة الفلسطينية لأسفار موسى الخمسة (البنتاتوش) . وبرغم أن هذه الترجمة لم تحظ أبدا بوضع نصف قانونى أو نصف شرعى ، كما حظى الأنكيلوس Onkelos ، فانها ذات اهمية بالغة لفهم الشروح الرابية الباكرة لأسفار موسى الخمسة . فترجمة القدس هذه مكتوبة بالآرامية الجليلية Galilian Aramaic ؛ وبالتالى فهى غير الآرامية البابلية التى كتب بها الـ Onkelos – تحوى قدرا كبيرا من المواد المدراشية ؛ وبالتالى فهى ذات طابع تفسيرى أكثر من كونها مجرد ترجمة . وفى سنة ١٩٥٦ ، تم اكتشاف مخطوط كامل لترجمة القدس هذه فى الفاتيكان ، ويرجع سبب اختفائه هذه المدة ان المفهرس قد فهرسه خطأ باعتباره نسخة من الـ Onkelos . وهذا المخطوط المعروف باسم نوفيتى Neofiti ، قد أضاف كثيرا لفهمنا فى مجالى : تطور اللاهوت اليهودى ، وتفسير أسفار موسى الخمسة . وهناك اعتراف عام بأنه لا يفوق اكتشافها أهمية سوى اكتشاف مكتبة قمران Qumran ، وقد كتب باحث بارز فى التفاسير اليهودية التقليدية :

« ليس من قبيل المبالغة أن نقول ، ان اكتشاف مخطوطة ترجمة (ترجوم) القدس باعتبارها نصا كاملا لأسفار موسى الخمسة ، يعد أهم

اكتشاف – من حيث الكم والكيف – اذا قارناه بكل المخطوطات العبرية المتصلة بالموضوعات التوراتية ، التى جرى كشف النقاب عنها فى العالم فى الحقب الأخيرة » (١٩) .

شروح التوراة فى العصور الوسطى والعصور الحديثة

ظهرت بدايات التفاسير للتوراة فى العصور الوسطى – بشكل جوهرى ، وكان الدافع الى هذا هو الحاجة لشرح النص ، بالاضافة لنفى وجهات نظر شاعت فى هذه الفترة (العصور الوسطى) عن فقرات بعينها لم تكن تحظى بموافقة التعاليم الرابية الأورثوذكسية . فعلى سبيل المثال ، كانت تأويلات جاؤون Saadiah Gaon (القرنين التاسع والعاشر) تركز على الجدل العنيف ضد القرائين الانشقاقيين (المنشقين من طائفة القرائين) الذين اتخذوا موقفا دفاعيا عن التفاسير التقليدية . ويعتبر راشى Rashi ، الذى عاش فى شمال فرنسا فى القرن الحادى عشر ، هو أكثر مفكرى العصور الوسطى أهمية . وقد احتفظ تفسير راشى Rashi بروح التفاسير الرابية ، فى الوقت الذى يحاول فيه الاقتراب الشديد من المعنى المباشر فى التوراة (أسفار موسى الخمسة) ، على عكس المفسرين الذين تلقاهم فى الكتابات المدراشية ، والذين لا يلتزمون التزاما شديدا بالنص وانما يبتعدون كثيرا عن معناه الحرفى .

ونجد منثورا فى شرح راشى : توضيحات نحوية وانتقادات للمفسرين الآخرين ، وترجمة المصطلحات الصعبة الى الفرنسية القديمة ، والمجادلات العنيفة ضد المسيحية ، والتعليقات المدراشية المختارة . وقد أصبحت النصوص المدراشية التى اقتبسها راشى تراثا شائعا لدى اليهودى العادى الذى عرفها عن طريق معرفته براشى ، أكثر مما عرفها عن طريق التعامل مباشرة مع الكتابات المدراشية . فالدراسة التقليدية للكتاب المقدس اليهودى كانت مرتبطة دوما بتعليقات راشى التى كان ينظر اليها بقدسية ، وهناك مئات التعليقات على تعليقات راشى ، وقد أثر راشى Rashi فى دارسى العهد القديم من المسيحيين فى العصور الوسطى .

وثمة شرحان آخران في العصــور الوســطى حازا وضعا مهما (كلاسيا) في التراث اليهودي ، وبالتالي كانا موضوعا لكثير من الشروح (شروح على الشروح) ، برغم أنهما لا يلحقان بتفسير راشي كتفسير مقنن .

ونعني بهـذين التفســيرين : تفســير أبراهــام بن عــزرا Abraham Ibn Ezra (١٠٨٩ – ١١٦٤) ، وهو باحث اسباني مشاء (من جماعة المشائين الذين يفضلون التعلم وهم يمشون) ، وتفسير موسى بن نحمان (١١٩٤ – ١٢٧٠) ، وهو صوفي وتلمودي اسباني مشهور باسم رمبان Ramban وكان ابن عزرا رجلا متعدد المواهب ، فهو شـاعر ونحوي وفلكي ومنجم ورياضي وفيلســوف ، وتعكس شروحه للكتـاب المقدس اليهودي اهتماماته المختلفة . ولم تكن كتاباته مألوفة للعــامة ككتابات راشي ، فقد كانت قراءتهـا تتطلب قارئا مثقفا متدربا على التعامل معهـا ، فلم تكن كتـاباته اذ متـاحة لجمهور اليهود ، وكان ابن عزرا – بالاضــافة الى ذلك – صــاحب ملكة نقدية حــادة كما كان ذا تفكـير مســتقل ؛ ممــا أدى بــه الى رفض كثير من التفسيرات التقليدية حتى التي قال بها حكماء التلمود . لذا ، فقد انتقده الباحثون اللاحقون نقدا مريرا ، وكان اليهود المتدينون حذرين عند قراءة تعليقاته وشروحه ، ذلك برغم الحقيقة التي مؤداها أن الحكايات اليهودية صورته صوفيا يأتي بالعجائب ، استطاع في لحظة من لحظات تصوفه أن يخلق (جولم Golem) أو انسانا مصنوعا artificial man .

اما موسى بن نحمان (أو رمبــان) ، فشروحه أقــرب الى شروح الأورثوذكسية الرابية من شروح ابن عزرا ، وفي مناسبة أخذ ابن نحمان على ابن عزرا بعض آرائه الالحادية . وقد ذكر ابن نحمان في مقدمة تفسيره أنه عند تعرضــه لابن عزرا أخذ بمبدأ « السرية في الحب والوضوح في النقد » ، كما انه تصدى لاتجاهات التفسير المجازي الذي يأخذ به الفلاســفة اليهود ، ذلك الاتجـاه الذي ينكر الملائكة والمعجزات كما أشار الكتاب المقدس اليهودي اليها . وأشار موسى بن نحمان – عند

تعرضه لنقاط بعينها في شروحه – للتفسير الصوفي أو الباطني للنص ، مما يفتقد أن يعطي المعنى الصحيح للكتاب المقدس اليهودي ، لكنه لم يطور أفكارا قبلانية (باطنية سرية) بأي قدر من التفصيل . وعلى أية حال ، فقد تعرض بتفصيل لبعض الموضوعات اللاهوتية – على العكس من راشي الذي كانت تعليقاته موجزة دائما .

وخلال العصور الوسطى وحتى العصور الحديثة ، أنتج الباحثون اليهود عددا كبيرا من الشروح المختلفة للكتاب المقدس اليهودي ، تعكس الاهتمامات اللاهوتية والفلسفية والوعظية والتفسيرية أو التأويلية لكل حقبة من الحقب . وبعض هذه الشروح كان أصيلا ، وبعضها الآخر اتخذ أصحابه من التفسير أو الشرح غطاء يغلف به أفكاره ، وانحرفوا بشكل واضح بعيدا عن النص الذي يفسرونه . ولما كان اليهودي العادي واليهودي غير الأكاديمي أكثر ميلا لتشرب معلوماتهما في الفكر اليهودي من دراسة أسفار موسى الخمسة بالاضافة لشروح أو تعليقات – فقد كانت هذه هي آكد الوسائل لنقل الأفكار الجديدة لجماهير اليهود . ليس صدفة ، اذن ، أنه عندما بدأ اليهود يخرجون من عزلتهم الفيزيقية والثقافية في القرن الثامن عشر وبدايات التاسع عشر – كان لابد أن تجد الأيديولوجية التنويرية اليهودية تعبيرا عن نفسها في شكل جديد من أشـكال تفسير الكتاب المقدس اليهودي . فكان العمل الأول لنقل هذه الأيديولوجية (التنويرية) هو شرح الكتاب المقدس العبري كله ، ذلك العمل الذي عرف باسم Buir والذي قام عليـه موسى مندلسـون (مندلسهن) Mendelssohn (١٧٢٩ – ١٧٨٦) وزملاؤه . ويسعى هـذا العمـل الى ايراد المعنى الدقيق لنص الكتاب المقدس اليهودي من خلال روح التراث الرابي ، لكن بعد تحاشي الجدل المدراشي أو الرابي . وقـد صاحب تأليف هذا العمل Buir ترجمة الأسفار الخمسة الى الألمانية بحروف عبرية ، وقد كان مندلســون يأمل أن تعلم هذه الطريقة اليهود لغة الأغيار الذين يعيشون – أي اليهود – بينهم ، بعيدا عن اللهجة الييدية

Yeddish (*) . وكان هناك أفكار أخرى لمندلسون ، منها أن يعيد تقديم أشعار الكتاب المقدس اليهودى ، وأساليبه الجميلة والقيم الأخلاقية المبثوثة فيه ـ لجماهير اليهود الذين كان مندلسون يشعر أنهم لم يكونوا مستعدين روحيا بالنسبة للعالم الأوروبى خارج الجيتو (المنعزل اليهودى) .

وحتى التقليديون الذين عارضوا ما اعتبروه اسفافا أو مبالغة فى حركة التنوير اليهودية ـ استخدموا تفسير الكتاب المقدس اليهودى كوسيط مبدئى لحركة الاصلاح المضاد Counter-reformation . وقد كتب الرابى سامســـون رافائيـــل هيرش Hirsch (١٨٠٨ ـ ١٨٨٨) ، ابو السلفية الألمانية الجديدة ، (الســلفية الأورثوذكسية الجديدة) شرحا مسهبا بالألمانية لأسفار موسى الخمسة ، ، دافع فيه عن التفاسير التقليدية للماضى اليهودى فى مواجهة الأفكار الحديثة ، لكنه فى الوقت نفسه أعاد تفسير التراث بأسلوب وأفكار أكثر مواءمة مع روح القرن التاسع عشر .

(*) ألمانية تكثر فيها الكلمات العبرية والســلافية ، وتكتب بالحروف العبرية ويستخدمها يهود شرق أوروبا بكثرة ـ (المترجم) .

الفصـــل الرابـــع

أصـــول الفكر اليهودى وتطوره

الحركات المبكرة فى اليهودية وظهور الفرق (المذاهب) الأولى

كل أشكال اليهودية الحديثة من أورثوذكسية ومحافظة ، ومطالبة بإعـــادة البنـــاء Reconstitutionist واصـــلاحية ما هى الا تطـــور ناشىء عن الدين اليهودى كما آمن به الفريسيون Pharisaic كما وصلنا عن طريق التلمود . فقد ساد الفريسيون وتفسيرهم لدين بنى اسرائيل الحياة الدينية ، فى الفترة التى تلت تحطيم الهيكل فى العام ٧٠ من الحقبة المسيحية . فالحركات الدينية والفرق التى وجدت جنبا الى جنب مع الفريسيين فى القرن الخامس (للميلاد) ، مثل الصدوقيين (*) وهم الطائفة الكهنوتية الأرســتقراطية ، وجمـاعات الرهبنـة والزهـــد فى Essenes ، واليهود المسحيين الذين كانوا أول من آمن بالمسيح ـ كل هذه الفرق انهارت بعـــد تحطم الهيكل ، وكانوا غير قـــادرين على التكيف مع التحديات التى واجهت اليهودية والتى أصبحت محرومة من مركز للعبادة .

ولم يقبل الصدوقيون طرائق الفريســيين فى تفســـير الكتـــاب المقدس اليهودى ، الذى مكن الفريسيين من تطوير معتقدهم وطقوسهم

(*) ورد فى لجنة ترجمة الكتاب المقدس التى أشرنا اليها فى حاشية سابقة عن الصدوقيين ما ننقله فى السطور التالية .

بطريقة مرنة ٠ وقد أخـذ الصـدوقيون بالاتجاه الحرفى المحافظ فى تعاملهم مع نص الكتاب المقدس اليهودى ، وعلى هذا فقد فهموا الأمر القائل : « العين بالعين والسن بالسن » بمعناه الحرفى الدقيق ، بينما فسره غالب الفريسيين بما يفيد دفـع التعويض المالى ٠ لقـد أدت هذه الحرفية غير المرنة ، بالاضافة لأهمية الهيكل كمكان لتقديم الأضحيات ، الى ضعف موقف الصدوقيين الذين كانوا – فى الأساس – كهنة – ولم يستعيدوا مكانهم بعد نكسة سنة ٧٠ (للميلاد) ٠

« الصدوقيون ، كانوا هم الطائفة الكهنوتية الأرستقراطية التى كانت متحالفة دائما مع السلطة الحاكمة حتى حين كانت هذه السلطة معادية لليهود ٠ وقد اشتق اسمهم من اسم صادوق سليل فنحاس الذى مارس الكهنوت حين انتهى نسل أولاد هارون ٠ وقد اكتفى الصدوقيون بالطاعة الاعتيادية للشريعة المكتوبة فقط ، فى حين كان الفريسيون يعتقدون ان تقاليد الآباء وتعليقاتهم على الشريعة هى فوق الشريعة ٠ وقد كان للصدوقيين نفوذ قوى لأنهم كانـوا يشرفون على الهيكل ٠ وقد أثروا ثراء فاحشـا عن طريق العشور والهبات والتبرعات التى كانوا يجنونها من الشعب ٠ والواقع أنهم – على الرغم من وظائفهم الكهنوتية – لم يكونوا يهتمون بالدين ، وانما كان كل هدفهم أن تظل الأوضاع مستقرة ليحتفظوا بسلطاتهم وثرواتهم ٠ ومن ثم كانوا يتغاضون عن وجود المستعمر ، بل كانوا يشجعون ذلك ويسعون الى بقائه ٠ ولذلك لم يكن الشعب يحبهم ٠ وقد كان الصدوقيون قوما ماديين دنيويين لا يؤمنون بالآخرة ولا بالأرواح ولا بالملائكة ، ويعيشون فى الدنيا عيش التنعم والرفاهية ، ساعين الى جمع المال بكل حيلة ووسيلة من الشعب ، فكانوا يثرون على حسابه ٠ وقد وقعت مشاحنات كثيرة بينهم وبين الفريسيين فى هذا الشأن ٠ ومن ذلك ما حدث بشأن توريد الضحايا اللازمة للذبيحة اليومية فى الهيكل ، اذ كان الفريسيون يرون أنه يجب شراء هذه الضحايا من مال الهيكل ، على حين كان الصدوقيون يعدون مال الهيكل من حقهم ، ومن ثم كانوا يرون انه يجب شراء الضحايا باكتتابات مستقلة ٠ كذلك كان الفريسيون يوجبون حرق الذبيحة على المذبح ، أما الصدوقيون فكانوا يأخذون هذه الذبيحة لأنفسهم ٠ وقد ورد فى التلمود أن الصدوقيين اذ كانوا يبيعون الحمام فى حوانيت يملكونها تسمى « الشاتوجوت » عمدوا الى مضاعفة المناسبات التى ينبغى فيها تقديم الحمام ذبيحة ، حتى وصل سعر الحمامة الواحدة الى بضعة دنانير ٠ ومن ثم أفتى أحد شيوخ الفريسيين ، وهو سمعان بن غمالائيل ، بانقاص المناسبات التى يقدم فيها الحمام ذبيحة ، وبذلك وصل سـعر الحمامة الى ربع دينار ، فكانت تلك ضربة عنيفة لأصحاب حوانيت الحمام ، التى كان يملكها الكهنة ، ولا سيما أولاد رئيس الكهنة حنان » ٠ (المترجم) ٠

لقد كان الاسينيون Essens فرقـة انغلقت على نفسـها ، ولم تشترك فى التيارات العنيفة التى سادت الحياة اليهودية فى فلسطين قبل ظهور المسيحية ولا بعد ظهورها مباشرة ٠ وهذا قد يفسر تفسيرا جيدا لم لم يرد ذكرها فى العهد الجديد ولا فى الكتابات الرابية ٠ اننا نعلم عن وجود هذه الفرقة وبعضا من عقائدها وطرائق معيشة أفرادها من كتابات يوسيفوس ، المؤرخ اليهودى فى القرن الأول (للميلاد) ، ومن كتابات مؤلفين آخرين غـير يهـود ، مثـل : بلينى الأكبر Pliny وفيلو Philo السكندرى ، ومن الكتابات التى تم اكتشافها للمرة الأولى سنة ١٩٤٧ فى وادى قمران بالقرب من البحر الميت – وهى المصدر الأكبر أهمية ٠ وهناك تعارض فى الروايات المختلفة المتعلقة بهذه الفرقة (الطائفة) الواردة فى المصـادر المختلفة ، وعلى هذا ، فمن المنطقى أن نفرض أنه كان هنـاك أكثر من اتجاه أو مذهب داخل هذه الجماعـة (الأسينيين Essence) خلال القرنين السابقين على تحطيم الهيكل٠ وقد عاش بعض الاسينيين فى مجتمعات ديرية صارمة كتلك التى كانت فى قمران ، بينما كون آخرون جماعات فرعية فى المدن والقرى ٠ بينما كان التبتل شائعا بين أفراد هذه الفرقة ، فان منهم من تزوج ، وقد جرى الكشف عن قبور قديمة لأربع نساء وطفل ٠

ويشترك الاسينيون – الذين ربما كان اسمهم يعنى « المبرئين healers » (٢) – فى كثير من الأمور مع اليهودية الفريسية على أرضية الهالاخاه (الشريعة) (٣) ، لكنهم أكثر صرامة فى تفسـيرهم الأوامر الهالاخية (أوامر الشريعة) فيما يتعلق بالطهارة الطقسية والنجاسة ٠ وهم يختلفون مع الفريسيين فى عدد من الأمور العقائدية ، فعلى سبيل المثال ، نجد أن من كان منهم فى قمران اعتبروا أنفسهم « أبناء النور Sons of Lights » وأنه من الواجب عليهم أن يجاهدوا ضد الغالبية الذين هـم « أبناء الظلام Sons of darkness » فى معركة يقودهـا المسيح المنتظر (*) ، وهى معركة يعتقدون أنها وشيكة ٠

(*) Messianic Struggle ، وهو غير المسيح عليه السلام ٠ (المترجم) ٠

وبدت المجموعات اليهودية ــ المسيحية المختلفة فى فلسطين فى فترة القرنين الأول والثانى تشارك الفريسيين فى نظرتهم العامة . وقد اختلفوا عن الفريسيين فى زعمهم أن عيسى هو المسيح المنتظر ، وهو زعم تجادل بشأنه الفريسيون جدالا عنيفا : فعقيدة التجسد ــ أعنى اعتبار عيسى ابن الله المتجسد ــ لم تلق تأييدا من المسيحيين اليهود Jewish-Christians فى فلسطين (المترجم : يريد القول ، ان المسيحيين الأوائل ــ وكانوا بطبيعة الحال من اليهود ــ لم يؤمنوا ان المسيح هو ابن الله) ، وبالتالى فلم تكن هذه الفكرة تشكل حاجزا عقائديا بين اليهود والمسيحيين ، على النحو الذى أصبحت فيه تشكل حاجزا فيما بعد . وقد كانت طقوس المسيحيين اليهود (أى اليهود الذين تحولوا للمسيحية) تشبه بشكل أساسى الطقوس التى يتبعها الفريسيون ، وكانت هناك صلات شخصية حميمة بين المسيحيين اليهود من ناحية والفريسيين من ناحية أخرى ، فى بداية فترة كنيسة اليهود المسيحية Jewish-Christian Church . ونفهم من الكتابات الرابية ، كيف أن اليعازر بن هيركانوس Eliezer ben Hyrcanus الرابى المعلم فى القرنين الأول والثانى (للميلاد) تعلم الهالاخاه المسيحية ــ اليهودية Jewish-Christian Halakhah من تلميذ المسيح وسر به (٤) . وعلى أية حال ، فأخيرا عانى الرابيون من صلاتهم بهذه الفرقة فاعلنوا هرطقتها وأحرقوا كتاباتها . وكانت الدعوات توجه ضدهم فى التراتيل الدينية (٥) . ومع انتشار المسيحية بين الأغيار (غير اليهود) ، وكانت مسيحية مختلفة عن المسيحية اليهودية (التى اعتنقها اليهود) ، سواء من حيث الاتجاهات ومن حيث الطقوس الهالاخية ، ومن حيث الطقوس الهالاخية ، ومن حيث التعليل اللاهوتى لشخص المسيح ومهمته ، وكذلك مع تحول الانتباه عن القدس كمركز للكنيسة الوليدة بعد تحطم الهيكل ــ اختفى المسيحيون اليهود بالتدريج .

ومما ينسجم مع كراهية الرابيين للجدال مع الفرق المختلفة ، أنهم تجنبوا ــ أى : الرابيون ــ المواجهة اللاهوتية المباشرة مع المسيحيين ،

بعد أن أعلنوا ــ أى : الرابيون ــ اعتبار المسيحيين اليهود جماعة خارجة عن اليهودية (٦) . الا أنهم ، على أية حال ، شجبوا بشدة عقيدة المسيحيين الأغيار (المسيحيين من غير بنى اسرائيل) ، الذين قالوا ان المسيح هو ابن الله (٧) ، والذين قالوا ان المسيحية هى اسرائيل الجديد (٨) .

الفريسيون

كان الفريسيون بالنسبة ليهودية القرن الأول (للميلاد) من أكبر الفرق اليهودية فى فلسطين . وبرغم أن المؤرخ يوسيفوس يقدر عددهم خلال فترة حكم هيرود الكبير بحوالى ٦ر٠٠٠ (٩) ، فانه ربما لم يحص الا من كانوا مندرجين كأعضاء فى الشافوراه Chavurah (أعضاء الجماعة الفريسية الداخلية) ، ولكى ينضم العضو (الشافر Chaver) الى هذه الجماعة الداخلية ، فان عليه أن يلتزم باتباع قواعد خاصة للطهارة الطقسية وأن يكون مدققا جدا (الى درجة الوسوسة) فيما يتعلق باجراءات العشر Tithing proceedures .

وبدا الفريسيون (يسمون بيروشم Perushim بالعبرية) كحركة محددة مميزة ــ أحيانا ــ فى بداية الحقبة المكابية Hasmonean period بعد حوالى سنة ١٦٠ قبل الحقبة المسيحية (قبل الميلاد) . وقد يعنى اسم الفريسيين « الفاصلين Seperators » وربما أطلق عليهم فى فترة يوحنا هيركانوس John Hyrcanus (القرن الثانى قبل الحقبة المسيحية ــ قبل الميلاد) عندما استولى الصدوقيون على المجلس الدينى الأعلى (السلطة الكهنوتية العليا) ــ السنهدرين Sanhedrin ، فأولئك الذين انشقوا على السنهدرين (المجلس الكهنوتى الأعلى) الذى سيطر عليه الصدوقيون ، ورفضوا المشاركة فى مشاوراته ، كان يطلق عليهم اسم الفريسيين . وان كانت

هناك احتمالات لتفسير الاسم . على سبيل المثال : أولئك الذين فصلوا أنفسهم عن الأشياء غير الطاهرة طقسيا ، أو - باستخدام جذر لغوى آخر للكلمة - أولئك الذين هم مفسرون التوراة .

وقد ورد الفريسيون والصدوقيون معا فى العهد الجديد (الأناجيل) كمعادين للمسيح ، وتظهرهم الاتجاهات المسيحية العنيفة فى صورة سيئة جدا . والكتابات التلمودية نفسها تعترف بآثام الفريسيين (١٠) التى كان من بينها التفاخر أو التباهى ، والتواضع الزائف والمبالغة فى العفة . « والمراءاة » الفريسية ، كما تظهر فى العهد الجديد ، قد تكون بالفعل نمطا فريسيا حقيقيا ، لكنها لا تنطبق الا بالكاد على نموذج التقوى الفريسية بشكل عام .

وكان الفريسيون يعتبرون أنفسهم الورثة الحقيقيين لليهودية ، كما تجلت فى الكتاب المقدس اليهودى . وحفظة التراث اليهودى القديم الذى تناقلته الأجيال شفاهة ، وفى الوقت نفسه فهم الذين يطورون اليهودية من خلال طرائقهم (مناهجهم) الفريسية فى تفسير الكتاب المقدس اليهودى . فالفريسية وحدها - من بين كل الفرق فى القرن الأول (للميلاد) - هى التى كانت قادرة على اعادة بناء الحياة اليهودية بعد هدم الهيكل . فمعظم الأفكار الأساسية لليهودية وكذلك مصطلحاتها الدينية ، خلال آخر الألف عام ونصف الألف الأخير - هى بالفعل بأشكالها المختلفة من تعاليم الفريسيين ، كما حفظها وطورها النص التلمودى فى القرون الخمسة من الحقبة العامة . وهذه التعاليم ظهرت محددة - لأول مرة - فى مجامع الحكماء فى Yavneh بعد سنة ٧٠ من الحقبة العامة (للميلاد) ، وفى أوشا Usha فى القرن الثانى (للميلاد) .

وبينما من المستحيل أن نوجز الديانة الفريسية ، وفى الوقت نفسه لابد من الاشارة المستمرة للأفكار التلمودية لفهم أى تطور فى

اليهودية فى العصر الوسيط أو الحديث - فسيكون من المفيد جدا ، ان نستعرض بايجاز الملامح الرئيسية للعقائد الفريسية .

تركز اليهودية الفريسية - كما عبر التلمود - على أن الله واحد ، وعلى علاقته ببنى اسرائيل الذين اختارهم ليعطيهم التوراة المكتوبة ، والتوراة الشفهية (الموروث الدينى اليهودى) . والتفاصيل المتعلقة بهذا المبدأ (أو هذا التعليم) مؤثرة فى المعتقد والتوجهات والطقوس والأخلاق والحياة الاجتماعية ، بل - فى الحقيقة - فى كل جانب من جوانب حياة اليهود . وهذه التفاصيل المتعلقة بهذا المبدأ الآنف ذكره هى الموضوع الرئيسى المنعكس فى كتابات المفكرين التلموديين ، وهو دليل عمل الباحثين والعوام على سواء . والاعتقاد فى الخلاص - وهو أمل كما هو عقيدة - الذى يبدأ بقدوم المسيح المخلص (المترجم : ليس المتصور هنا المسيح عيسى ابن مريم) ، مصحوبا ببعث الموتى - كلاهما (القدوم والبعث) يحفان بالصورة ، ويجللانها .

والملامح الآنف ذكرها لليهودية التلمودية لم يتم شرحها بطريقة نظامية (منهجية) ، فربما أثرت فيها ثقافة اليونان الكلاسية التى تشربها الفكر الرابى . وبدلا من ظهورها - أى هذه الملامح - فى شكل من التعابير مسهبة وقطعية ومتماسكة من خلال وعى ذاتى ، فهى لم تظهر الا فى العصور الوسطى عندما تلاقحت الفلسفة اليونانية والهجادة aggadah الرابية ، فنشأت محاولات لجعل اللاهوت اليهودى ذا بناء نظامى متماسك . فالفكر الرابى فى مرحلة تكوينه الأولى كان ينتمى لنوع الفكر الظاهر فى المدراش ، وهو فكر لم ينشأ خارج نطاق اليهودية ، وانما كان شائعا فى العقيدة الفريسية ، وفى فرقة (أو مذهب sect) البحر الميت ، وفى كتابات العهد الجديد .

القوالب الفكرية المدراشية

كلمة مدراش تعنى - حرفيا - البحث فى الكتب المقدسة اليهودية . فالنص - أى نص - لا بد أن يشرح اذا كان يتم اتخاذه

كأساس لصياغة أو تكوين حياة دينية • فالكتب المقدسة اليهودية تثير قضية التوفيق بين النصوص المختلفة ، وشرح كل نص فى ضوء النصوص الأخرى • وقد أنتجت هذه العملية فى اليهودية ـ المدرسة المدراشية (أو المشروع المدراشى Midrashic enteprrise) .

وتعود الأعمال المدراشية الأولى الى القرن الثانى (للميلاد) وتحلقت فى الأساس حول الجوانب الهالاخية لأسفار موسى الخمسة ، وهى تشرح كيفية استخلاص التراث الرابى من النصوص المقدسة ، أو كيف انه قائم على هذه النصوص أو معتمد عليها ، وكيف أن القواعد التفسيرية (الأسس التى تقوم عليها التفاسير) قد تم استخدامها لتطوير التراث ليتلاءم مع الأوضاع الجديدة • فنحن لا نجد ـ الا بين الحين والحين ـ فى الأعمال المدراشية التى تعود لزمن أقدم ، ـ تعليقات لاهوتية كان من المفترض أنها تستخدم كمادة للعظات الموجهة لجمهور كبير من المستمعين اليهود • اما المجموعات المدراشية التى تعود لزمن لاحق ، فطافحة بالتعاليم الأخلاقية واللاهوتية ، بعضها مرتبط ارتباطا وثيقا بتفسير النصوص ، لكن كثيرا منها بعيد بعدا كبيرا عن موضوع النص • لقد فسر حكماء مختلفون ومفسرون ينتمون لمدارس فكرية مختلفة ـ النصوص وطوروا تداعياتها أو ما ينتج عنها (هالاخيا وهجاديا) بطرائق مختلفة •

وبعض التفسيرات المدراشية أخذ بها محررو التلمود البابلى ، وبسبب الدور المحورى الذى لعبه هذا العمل فى يهودية العصور الوسطى ، فانهم افترضوا وضعا نصف عقائدى من أجل المعتقد اليهودى اللاحق (الذى أتى بعد ذلك) • ومع هذا ، فحتى لو كان التلمود عادة يورد وجهات نظر مختلفة فى الموضوع ، واذا كان بعض النتائج العملية على كف عفريت (فى يد القدر) فانها لا تأتى لصالح أى منها •• وقد عنى هذا أن المحتوى العقائدى للهجادة بقى فى حالة مائعة جدا ، بحيث يسمح باعتناق افكار مختلفة واتخاذ مواطن متباينة ـ ومع كل هذا

الاختلاف والتباين فكلها أورثوذكسية (سلفية أو اصولية) • وقد كتب الباحث الاسبانى Samuel Ha-Nagid فى القرن العاشر (للميلاد) فى مقدمته للتلمود :

« الهجادة هى كل شرح أو تفسير ورد فى التلمود متعلق بأى موضوع غير الوصايا العشر ••• فأنت لا ينبغى أن تتعلم منها سوى ما يبدو معقولا •••• فما شرحه الحكماء فى آيات الكتاب المقدس كان كما تراءى لكل منهم ، وكما هداه اليه تفكيره • وعلى هذا ، فيمكن للانسان أن يدرس من تفاسيرهم ما يراه معقولا ، أما ما تبقى (المقصود ما يراه الانسان غير معقول) فيمكنه ألا يعول عليه » •

وقد رأى الباحثون الأكثر ميلا نحو المحافظة فى آراء صمويل Samuel التى تميل ـ على نحو ما ـ الى عدم الاكتراث بالهجادة ، اتجاها مخربا يوشك أن يفتح الأبواب لكل الاتجاهات العقائدية ، بل وللآراء التى تتسم بالهرطقة • وقد أسسوا آراءهم على طبيعة الهجادة كوحى مقدس • « لابد أن نؤمن بكل ما قاله الحكماء فى الهجادة » (١٢)• هكذا كتب د• شيم مدينى R. Chaim Medini الباحث الفلسطينى فى القرن التاسع عشر • وبطبيعة الحال ، فانه من المستحيل أن نقبل كل الهجادة كوحدة عقائدية ، لأنها تحوى وجهات نظر مختلفة بل ومتعارضة • وقد حاول أصحاب الاتجاه المحافظ أن يقللوا من التناقض الكائن بين نصوصها ، بمحاولة التوفيق بينها حيثما كان ذلك ممكنا • وثمة وجهة نظر أكثر ليبرالية غير بعيدة عن الفكرة التى عبر عنها صمويل ها ـ ناجد Ha-Nagid ، وهى فكرة أقل اضطرابا من بين الآراء الأخرى عن الهجادة • انها ترى الهجادة نصوصا تعكس نظرة العصر الذى عاش فيه الحكماء الذين كتبوها ، ولا ترى بأسا فى اعادة تفسير اللاهوت الهجادى (١٣) •

هذا الاختلاف فى الآراء حول الهجادة ظهر فى العصور الوسطى واستمر حتى يومنا هذا بين اليهود السلفيين (الأورثوذكس) • ويصر

اليهود المعاصرون الذين يميلون للتقوى على عصمة الفكر الرابى ، بل ان بعضهم يصر على الصحة الكاملة لكثير من التعاليم المدراشية . ويتخذ آخرون مواقف أكثر تحررا فيفسرون الهجادة باعتبارها ذات تعابير لها دلالات رمزية ، تشير الى معارف أو حقائق صادقة تحوى طبيعة سيكولوجية واخلاقية ولاهوتية . ويرى آخرون – مرة أخرى – فى الفكر الرابى باعتباره فكرا اخترقته الآراء « العلمية » والمتعلقة بالكونيات او الكوزمولوجيا ، التى سادت فى القرون الخمسة الأولى ، وليست مرتبطة باللاهوت اليهودى المعاصر – على الأقل بقدر ما تشير اليه التفاصيل فى المجالات التى تتمحور حولها .وهنا نجد أن اليهودية السلفية (الأورثوذكسية) قريبة فى فكرها من اليهودية التقدمية ، التى تنظر لعقائد الماضى – بشكل عام – باعتبارها مقدسة قداسة مفرطة .

المواجهة مع الفلسفة

لم تكن التعاليم التوراتية والرابية لتثير مشكلة ، طالما كانت اليهودية قانعة بالحركة من خلال الهيكل العام للهجادة . وكان يهود الاسكندرية الناطقون باليونانية ، هم أول من وجدوا أنفسهم مضطرين – بوعى ذاتى منهم – لتقويم دينهم فى ضوء الأفكار الفلسفية . فكتابات فيلو السكندرى (حوالى ٢٠ – ٥٠ م) – وكان معروفا أيضا باسم فيلو اليهودى Judaeus – تعد دليلا على الاضطرابات والصراعات الكامنة فى هذا التقويم ، كما تعد دليلا على المحاولات التى بذلت لحل المشكلات الناجمة عن ذلك . وكان على فيلو ، الذى يكتب لليهود الناطقين باليونانية كما يكتب فى الوقت نفسه للأغيار أو غير اليهود – أن يتشبث باتجاه المشبهة كما هو وارد فى التوراة (اتجاه التشبيه ، أى وصف الله – تعالى علوا كبيرا – بصفات بشرية) ، مع المعانى الروحية الظاهرة للحكايات التوراتية والطقوس اليهودية ، مع طبيعة المعتقدات اليهودية ومحتواها . وتتجلى فى شروحه للتوراة معرفته الظاهرة بالتراث المدراشى ، ويفترض بشكل عام أنه يعرف العبرية

برغم وجود فروق مهمة بين اليهودية الهيلينستية فى مصر ، واليهودية الرابية فى فلسطين فى القرن الأول للميلاد . ومن مجمل كتابات فيلو Philo ظهر البعد الفلسفى لليهودية ، فكان تركيبا (ديالكتيك) من الفلسفة الرواقية وفلسفة أفلاطون ودين بنى اسرائيل . ومنذ كتب فيلو باليونانية ، لم يكن لهذا الفكر المركب اليونانى العبرى تأثير على تطور اليهودية ، برغم أنه كان له تأثير مهم على التفكير فى عمومى فى الكنيسة المسيحية المبكرة لقد بدأ الخط الرئيسى فى الفكر الفلسفى اليهودى فى العالم الاسلامى بين يهود تعرفوا على الأعمال الفلسفية اليونانية ، من خلال ترجماتها الى العربية. وكما أن علم الكلام الاسلامى (اللاهوت الاسلامى) تشرب التأثيرات اليونانية ، فان المفكرين اليهود – الذين كانوا حتى ذلك الوقت لا يتحركون خارج نطاق الهجادة – بدءوا فى توسيع آفاقهم اللاهوتية . وكان أول فيلسوف لاهوتى كبير هو صادياه جاؤون Saadiah Geon (٨٥٢ – ٩٤٢) ، الذى كان – على عكس فيلو – على دراية عميقة بأشكال التفكير فى اليهودية التلمودية . وبصرف النظر عن كتاباته اللاهوتية ، فقد كتب صادياه جاؤون بتوسع فى موضوعات رابية rabbinic topics ، واحتل مكانا حفيا فى العالم اليهودى كعميد لأكاديمية سورا Sura فى بابل .

وقد انطلق صادياه فى مغامرته اللاهوتية تلك من افتراض مؤداه ، ان الدين اليهودى من ناحية والبحث الفلسفى من ناحية أخرى، كلاهما يؤدى الى الغرض نفسه ، أو بتعبير آخر كلاهما طريق يفضى الى الغرض نفسه . ومع أن المرء يمكنه أن يصل الى الحقيقة عن طريق التفكير الفلسفى ، فان التراث الدينى يعد مطلوبا لأصحاب العقول غير الفلسفية ، أو بتعبير آخر لغير القادرين على التفكير الفلسفى . وأهم كتبه الفلسفية هو (كتاب العقائد والآراء The Book of Beliefs and Opinions) الذى يقدم فيه تمهيدات عقلية أو منطقية للتعاليم اليهودية ، خاليا عنها غطاءها الهجادى مقدما اياها فى صياغات متسقة ومترابطة . ويظهر لنا من النغمة الجدلية لكثير من مناقشات صادياه ،

ان هدفه الأساسى ـ كلاهوتى ـ كان هو الدفاع عن اليهودية ضد كل من المسيحية والاسلام ، والدفاع ـ على نحو خاص ـ عن تراث اليهودية الرابية ضد الفرق المختلفة التى ظهرت فى اليهودية مهددة المعتقدات الرئيسية لها .

وكان أول انشقاق كبير يهدد اليهودية على أيام صـادياه ، هو ظهور فرقة اليهود القرائين التى ظهرت سنة ٧٦٧ للميلاد ، فبعد النزاع بين يهود بابل على من يقود يهود الشـتات ، انشق عنان بن داود nan ben Dav d وكان أحد المرشحين للقيادة لكنه خسر المنصب الذى كان يصبو اليه ، فانشق عن اليهودية الرابية ، وأسس فرقة عرفت فيما بعد باسم « فرقة اليهود القرائين أو اليهودية القرائية » ، ويعنى اسم الفرقة بالعبرية « رجال التوراة Men of Scripture » . وجذب عنان اليه عددا من الجماعات (الفرق) الصغيرة المنشـقة ، شـكلوا معه جبهة معارضـة للتفسير التـلمودى للتوراة . فحركة العنانيين ، والقرائين الذين تطوروا عنهم ، يفهمون النص التوراتى بطريقـة أكثر حرفيـة مما يفعل اليهود الرابيون ، وهـم أكثر صرامة فى ممارسة كثير من الطقوس الدينيـة .

ولقد واجهت صادياه أكثر من مشـكلة . من ذلك أن يظهر أن التعاليم اليهودية عن طبيعة الله والانسان ، أرقى من عقيدة المسيحيين والمسلمين بهذا الخصوص ، وكان عليه أيضا أن يبرر الطرائق الرابية فى تفسير التوراة . ولم يكن صادياه قانعا بمجرد الدفاع عن اليهودية الرابية ضد انتقادات القرائين ، بل لقد هاجم عقائدهم فى المواضع التى تختلف مع التراث التلمودى . وعلى هذا ، فقد ناقش عقيدة انتقال الأرواح transmigration of souls التى ربمـا يـكون عنـان ـ أو بعض القرائين ـ قد أيدها ، وبين أن هذه العقيدة لا يؤيدهـا عقـل ولا يؤيدها نص من التوراة . وبرغم اعتراض صادياه على هذه العقيدة ، فانها أصبحت حجر الزاوية للصوفية اليهودية فى العصور الوسطى .

وليس فى كتابات صادياه كثير مما يمكن اعتباره فلسفة خالصة . وعلى أية حال ، فان كتاب صادياه الموسوم باسم (Magnus opus) ككتاب فى اللاهوت اليهودى يمثل تقدما مهما . لقد انطلق من التفكير العقلى فى بحثه عن الحقيقة الدينية بدلا من الاعتماد على نقولات من التوراة والتراث ، وبرغم اقتناعه انه لا تعارض بينهما فانه فى الحقيقة أعاد تفسير التراث الدينى اليهودى ليجعله متفقا مع التحليل العقلى . وكان لابد أن تشغل هذه البذور التى بذرهـا صـادياه عن الصراع بين المعرفة الفلسـفية والتعاليم الدينية ـ اللاهوتيين اليهود الكبار فى القرون التالية . وأخيرا تفوق على صادياه مفكرون لاهوتيون آخرون وحلوا محله ، ومع ذلك ظل كتابه منتشرا بين اليهود الأنقياء الذين اعتبروا الفلسفة ـ بشكل عام ـ لعنة . وقد ارتبطت شهرته بأسطورة براعته فى السحر القبلانى ، اذ استطاع به أن يخلق جولم Golem كما يقال ، والجولم هو انسـان مصنوع . وقد نشأت الأسطورة ـ كما هو مفترض ـ بأن نسبت اليه شرح عمل صـوفى هو « سفر يتزيراه Sefer Yetzirah » . والشرح الأصيل الذى قدمه صادياه لهذا العمل الصوفى ذو طبيعة مختلفة جدا . وفى القرن الثالث عشر عندما وصل الجدل حول السماح لليهود بدراسة فلسفة الأغيار (غير اليهود) واستخدامها فى صياغة اللاهوت اليهودى ـ الى ذروته ، انتقد عدد من المفكرين اليهود أعمال صـادياه الرائدة بقسوة ، بل ان أحد التلموديين المعروفين عادة باتساع الأفق زعم أن اليهود الأنقياء لا يجب أن يأخذوا ببعض ما ورد فى « كتاب العقائد والآراء The books of beliefs & Openions » ، ما دام يتعارض مع اليهود (١٤) .

يهوذا هاليفى Judah Halevi

وثمة تطور جديد حدث فى بواكير القرن الثانى عشر ، بظهور مؤلف « كوزارى Kuzari » الذى وضعه يهوذا هاليفى (قبل ١٠٧٥ ـ ١١٤١) وهو شاعر معروف يكتب بالعبريـة ، وقد دخل كثير من قصائده الدينية فى الدعوات والأناشيد الدينية ، ويتذكرها اليهود

لا تبنه فى نفوسهم من شوق لعودة اليهود الى صهيون ، وهى معان عبر عنها فى بعض تراتيله التى حازت شهرة كبيرة • وتروى لنا أسطورة يهودية كيف ان هاليفى نفسه غادر بلده اسبانيا وبعد أن طاف ببلاد عدة اتخذ طريقه الى الأرض المقدسة (فلسطين) ، ولما وصل القدس سجد ليقبل الأرض التى طالما عبرت أشعاره عن الحنين اليها ، الا أن فارسا عربيا وطاه بحوافر حصانه فمات • والحقيقة — على أية حال — هى ان هاليفى لم يتمكن من الوصول للأرض الموعودة ، فقد مات فى مصر وهو فى طريقه الى معشوقه : جبل صهيون • وقد كتب هاليفى عمله اللاهوتى (The kuzari) فى الأساس باللغة العربية (كتاب الأدلة والبراهين فى الدفاع عن العقيدة المحتقرة أو المهينة The book of Argument and proof in defence of Despised Faith) وقد جعله على هيئة حوار بين ممثلين لمختلف العقائد فى حضور ملك الخزر Khazars وهم شعب تركى فى منطقة نهر الفولجا وجبال القوقاز • تحولت أسراتهم المهمة الى اليهودية فى القرن الثامن للميلاد• لقد رغب الملك أن يكتشف ما هو الدين الصحيح ، ويضم كتاب هاليفى فى غالبه وجهات نظر الحكيم اليهودى واجاباته على أسئلة الملك •

وعلى النقيض من الأعمال السابقة فى اللاهوت اليهودى ، لم يكن كتاب (الكوزارى kuzari) محاولة لخلق تركيبة (أو توليفة) بين اليهودية والفلسفة ، وانما هو أقرب ما يكون الى كونه كتابا يدافع عن الاتجاهات التقليدية فى اليهودية ويهاجم الفلسفة • وفى الحوار الذى قدمه هاليفى ، يتحقق ملك الخزر أن المسيحية والاسلام كليهما قائمان على اليهودية ، ومن ثم قرر أن يكتشف الدين الأم • ويشرح الحكيم اليهودى الذى يتحدث هاليفى باسمه ، شارحا على لسانه اللاهوت اليهودى الذى يعتنقه — للملك أن البصيرة الدينية ليست فقط مختلفة عن الحقيقة كما تتجلى فى التأمل الفلسفى ، وانما هى — أى البصيرة الدينية — أرقى منها • فلا يمكن معرفة الله الا عن طريق النبوة وهى منحة قصرها الله على بنى اسرائيل ، ولا يمكن الوصول اليها

(معرفة الله) بمسعى بشرى مجرد • فالتجربة الدينية تقود الانسان عبر ملكوت لا تطوله الفلسفة • فالفلسفة وان كانت صحيحة ، الا أن مجالها محدود • وثمة ضمان أن دين بنى اسرائيل دين صحيح بوحى النبوة ؛ ذلك لأن الله تجلى فى سيناء وراءه جماهير بنى اسرائيل المتجمعة حول الجبل • ولا يمكن أن تدعى المسيحية أو الاسلام شيئا كهذا ، وعلى هذا ، فان تعاليم اليهودية وطقوسها الدينية أكثر من مجرد رسالة اتى بها نبى ، انها على هذا الأساس أكثر توثيقا من الأديان الأخرى •

والطبيعة الجدلية لكتاب كوزارى Kuzari واضحة ، لا تسعى فقط لاثبات أن اليهودية دين أرقى من المسيحية والاسلام ، وانما تسعى أيضا الى الرد على اتجاهات القرائين وعلى اللاهوت القائم على أسس فلسفية • وكان هاليفى واعيا بالخطر الذى يحيق بالتراث الدينى اليهودى ، طالما تدخلت الفلسفة وأصبحت فى موقف الحكم على تعاليمها ، لأن معنى هذا أن العقل سيحل محل الوحى ، أو بتعبير آخر سيادة العقل على النقل ، كما أن هذا يعنى أن تفقد أوامر التوراة ونواهيها طبيعتها المتماسكة • فهو — على هذا الأساس — قد استخدم البراهين الفلسفية ليبين عدم ترابط الفكر الفلسفى نفسه ، وعدم جدواه ، وليقوض أساسه باعتباره تهديدا لليهودية التقليدية •

نوقفة هاليفى على حدود الفلسفة وتفرد دين بنى اسرائيل (وحدة Uniqueness دين بنى اسرائيل) ، يجعله ممثلا لكثير من جوانب اللاهوت اليهودى كما يؤمن به المحافظون من العصور الوسطى حتى اليوم • لقد ذكر الياه Elijah ، جاؤون فلنا Vilna — الرائد التلمودى فى القرن الثامن عشر ، والمعارض كلية للفلسفة رغم دفاعه عن الدراسات غير الدينية كوسيلة لفهم التلمود — عن هاليفى :

« الكوزارى كتاب مقدس holy ونقى ، والمبادىء الأساسية لعقيدة بنى اسرائيل والتوراة تقوم عليه » (١٥) •

موسى بن ميمون

برغم محاولة هاليفى نفى قيمة الفلسفة بالنسبة للفكر الدينى اليهودى ، فقد شهد القرن الثانى عشر ذروة فلسفة اليهودية فى العصور الوسطى ، فقد أصبحت الأرسطوطاليسية ذات تأثير سائد فى اللاهوت اليهودى ، وخارج نطاق تيارات الهجادة الرابية المتداخلة ، والمدرسة المشائية الأرسطوطاليسية ، أنتج موسى بن ميمون كتابه (دليل الحيران Guide for the perplexed) ، وهو أعظم أثر عبقرى لانشاء تركيب (ديالكيتك) عبرى يونانى ٠ فلم يكن موسى بن ميمون (١١٣٦ ـ ١٢٠٤ م) المعروف أيضا باسم رامبام Rambam مفكرا يهوديا بارزا فى العصر الوسيط ، وانما كان أيضا تلموديا حققت تقنيناته للهالاخاه ، مشناة التوراة (أو ياد ها ـ شازاكاه Yad Ha-Chazakah) اسهاما عظيما فى مجال الشريعة اليهودية ، وان كان البعض يرى أنها الاسهام الأعظم على الاطلاق ٠ وقد اعتبر موسى بن ميمون البحث الفلسفى جزءا مكملا للديانة اليهودية ، وقد خصص الفصول الأولى من كتابه بل معظم كتابه الأول ـ لأمور العقيدة والتعاليم الدينية ٠ ورغم أنه يحاول أن يعبر عن نفسه فى كتابه ياد Yad (كما يشار غالبا ـ على سبيل الاختصار لكتابه الذى قنن فيه الشريعة اليهودية) بطريقة مناسبة للقراء العوام وغير الأكاديميين ، فان الأجزاء اللاهوتية فى الياد Yad تتطلب فى قارئها مستوى ثقافيا معينا وقدرا من الفكر ٠ وكان لادراجه لاهوتا فلسفيا شرقيا فى تقنيناته للشريعة اليهودية تأثير كبير على الفكر اليهودى بعد ذلك ، ربما أكثر من تأثير كتابه (دليل الحيران) نفسه ٠ لقد استخدمت أجيال التلموديين بشكل موسع كتابات ابن ميمون ، ممن كانوا لا يفهمون الا بدرجة قليلة الفلسفة اليونانية ، وممن كانوا غير متعاطفين معها ٠ وحتى هؤلاء التلموديون الخلص الذين تحاشوا التعاليم الفلسفية الظاهرة فى الياد Yad لم يستطيعوا تجنب الجوانب الفلسفية التى أدخلها ابن ميمون فى مناقشاته عن أمور طقسية

خالصة ، ولا الفروض التى تشكل أساس الشريعة اليهودية وحضورها بمزجها بالفكر الأرسطى ٠

لقد اعتقد موسى بن ميمون أن اليهودية التى لم ينورها الفكر الفلسفى ، تكاد تحوى أفكارا ضالة (هرطقة) ٠ وهذا واضح من موقفه من الصفات البشرية التى يعزوها التلمود والتوراه لله ، الا أنه ـ أى ابن ميمون ـ قد أزال الشكوك التى اعتبرت هذه الصفات بمكانة تشبيه الله سبحانه بمخلوقاته Anthropomorphisms ٠ لقد نص ابن ميمون على أنه يعتبر زنديقا ذلك الذى يقول ، انه لا اله الا اله واحد لكنه يجسده أو يشبهه بالوجود البشرى أو يمكن رسمه أو تصويره » (١٦) ٠ وعلى هذا ، فمن الضرورى أن يكون لدينا حد أدنى من الفكر الفلسفى لتجنب الوقوع فى الزندقة (الهرطقة) ، ما دامت هذه العقائد موجودة فى تفاسير التراث الدينى اليهودى نفسه ٠ وقد علق واحد من أكثر نقاد ابن ميمون اصرارا ، وهو الصوفى والتلمودى الرابى أبراهام R. Abraham من بوسكوير Posquieres (حوالى ١١٢٥ ـ ١١٩٨) على المبدأ الذى ذكره ابن ميمون كالتالى :

« لماذا يسمى مثل هذا الشخص زنديقا ؟ فهناك من هم أعظم منه وأفضل يتبعون النهج نفسه فى التفكير ، وفقا للطريقة التى فهموا بها التوراة ، بل وأكثر من هذا من خلال فهمهم لكلمات الهجادة التى تربك العقل » (١٧) ٠فأبراهام هذا غير متفق مع دعوى ابن ميمون أن الله غير متجسد ، فهو يدافع عن التقوى التقليدية (أو ايمان الأتقياء التقليدين) حيث الفكرة عن الله بسيطة دون قيود يفرضها لاهوتى ذو عقل فلسفى ٠

لقد كتب ابن ميمون كتابه دليل الحيران ، وهو عمله الفلسفى الرائع باللغة العربية فى أواخر حياته ، حوالى سنة ١١٩٠ بينما كان يعيش فى مصر بعد أن هرب من حركة اضطهاد اليهود التى قادها مسلمون متعصبون فى اسبانيا ٠ وكما يشير عنوانه ، فان الكتاب محاولة لمساعدة اليهود ـ بمن فيهم تلاميذه ـ الذين سببت لهم الفلسفة

اليونانية نيرة ولم يعرفوا كيف يوفقون بينها وبين اليهودية . وعلى أية حال ، لا يمكن أن نتخيل ان ابن ميمون نفسه رأى ضرورة التفسير الفلسفى لليهودية لمجرد التدرب على الدفاع عنها ليكسب المفكرين الحيارى ويجعلهم يعودون الى حظيرة الايمان اليهودى . وربما كتب كتابه دلالة الحيران لاشباع هذه الحاجة ، لكنه فى ثنايا هذا الكتاب عبر عن آرائه الناضجة فى اللاهوت اليهودى ، ومن المؤكد انه كان مقتنعا انه بدون الفلسفة لا تستطيع التعاليم اليهودية أن تصبح ملكا واعيا بذاته للمؤمن .

فالايمان باليهودية دون بحث أو تمحيص ، يعد فى رأى ابن ميمون ايمانا ظاهريا شكليا – فحسب . وفى الصفحات الأخيرة من كتابه (دليل الحيران) ، استخدم ابن ميمون التشبيه لتوضيح هذه النقطة . هناك أمير يعيش فى قلعة وله رعايا من أنواع مختلفة . وكان هناك حتى أولئك الذين لا يعيشون فى نطاق سيطرة هذا الأمير . أولئك هم البشر الذين لا دين لهم ويعيشون كما تعيش الأنعام ، والمجموعة الثانية تعيش فى المملكة لكنهم يديرون ظهورهم للقلعة ، انهم أناس يؤمنون بعقائد دينية زائفة . والمجموعة الثالثة يبحثون عن القلعة لكنهم لم يروا حتى أسوارها . انهم جماهير اليهود الجاهلة الذين يراعون – رغم هذا – الوصايا العشر ، والمجموعة الرابعة وصلوا للقلعة لكنهم راحوا يتجولون حول الأسوار باحثين عن المدخل . انهم اليهود الذين تعلموا المعارف الدينية اليهودية التقليدية وقبلوا العقائد الصحيحة والطقوس الصحيحة لكنهم لم يخضعوا عقائدهم هذه للبحث الفلسفى . اما المجموعة الخامسة ، فهى وحدها التى دخلت ساحة القلعة . انهم اليهود الذين بحثوا عن الأسس الفلسفية لعقائدهم الدينية (١٨) .

هذه الصورة أو القصة الرمزية صدمت التلموديين المحافظين ، لأنها قدمتهم باعتبارهم واقفين بعيدا عن ملكوت الله غير قادرين على الوصول الى المدخل اليه . اذ بدا ابن ميمون أمامهم وكأنه يرفع تعاليم ارسطو مقاما أعلى من مقام التراث الروحى لحكماء اليهود . وقد انكر

بعضهم ان يكون ابن ميمون العظيم قد كتب هذه الفقرة موضع الخلاف ، وقال آخرون انه ان كان هو كاتبها لوجب وضعه تحت المراقبة (١٩) .

وثمة فقرات كثيرة فى كتابه دليل الحيران كانت موضوعا لنقد عنيف من اليهود المحافظين المعادين للفلسفة ، فعلى سبيل المثال فان ابن ميمون عبر بوضوح عن رغبته فى اعادة تفسير التعاليم الرابية ، بل وحتى التوراتية ، لجعلها متفقة مع العقل . وفيما يتعلق بعقيدة الخلق يذكر ابن ميمون :

« اننا لا نتحاشى نظرة قدم الكون وسرمديته – أى كونه بلا بداية – لمجرد ان التوراة ذكرت أنه مخلوق . ذلك لأن الآيات التى تشير الى خلق الكون ليست أكثر عددا من الآيات التى تتحدث عن كون الله مجسدا أو مشبها . فأبواب التفسير ليست موصدة أمامنا ، وليس هناك ما يمنعنا من استخدام هذه الطريقة (المنهج) فى حالة خلق الكون ، اذ يمكننا صرف معانى هذه الآيات كما صرفنا الآيات التى تتحدث عن طبيعة الله ونفينا عنه التشبيه » (٢٠) (*) .

وانهى ابن ميمون مناقشته للنظرية الفلسفية للخلق بقوله : « فما دامت هذه النظرية لا تناقض أساس العقيدة اليهودية ... فمن الممكن ان نعيد تفسير التوراة وفقا لهذه النظرة ... لكنها – أى هذه النظرية – لم تثبت أو لم يقم عليها البرهان » (٢١) .

يتضح مما سبق أنه فى نطاق حدود معينة – أعنى الحدود التى تقرها أصول المعتقد اليهودى – كان ابن ميمون راغبا فى أن يسمح لتفسيره للنصوص الدينية اليهودية – أن يتأثر بنتائج البحث الفلسفى. وقد اعتبر النقاد اليهود المناهضون للاتجاه الفلسفى ، ذلك أمرا مدنسا للعقيدة اليهودية .

(★) ترجمنا النص عن الانجليزية ولم نرجع للنص العربى الذى كتبه ابن ميمون . ويذكر الزركلى فى الأعلام ان جزءا من هذا الكتاب نشر بعنوان (المقدمات الخمس والعشرون). (المترجم)

والملمح الآخر لكتاب (دليل الحيران) الذى ثبت أنه غير مقبول حتى بالنسبة لبعض خصـوم ابن ميمون الأكثر تعاطفـا ـ هو محاولة اضفاء أسس عقليـة ، وتاصيلات تاريخية على المتسفوت Mitzvot وصايا التـوراة العشر ٠ فابن ميمون يرى أن للتسفوت أهدافا ثلاثة رئيسية : (أ) العمـل على الاسـتقرار الاجتماعى ، (ب) دعم التطور الأخلاقى للفرد ، (ج) غرس الأفكار الدينية الصـحيحة التى تؤدى بالانسان الى معرفة الله ٠ وبالنسبة للهدفين الأولين ، نجد أنه تتحلق حولهما كثير من الوصايا الأخلاقية الواضحة ، أما الوصايا ذات الطبيعة الطقسية السامية فهدفها هو معرفة الانسان لله (٢٢) ٠ وعلى هذا ، فقد شرح ابن ميمون الشريعة المقدسة ذات الطهارة الطقسية على اعتبار أن لها وظيفة هى تحديد صلة اليهودى بالهيكل ، ما دام غير الطاهر طقسيا ممنوعا من دخوله أو ممنوعا من المشـاركة فى طقوس تقـديم الأضاحى ٠ وهذا التحديـد أو القصر ينشر الخشـية من خدمة الرب واجلالها وتوقيرها ، ويؤدى بالانسان الى نوع من التواضع ٠ وأضاف ابن ميمون الى ذلك أن شرائـع النجاسة الطقسـية (عدم الطهارة الطقسية) كانت شائعة بين الوثنيين فى العصور القديمة ، وكانت القيود والمحظورات أكثر بكثير ٠

وعلى هذا ، فالتوراة ، كانت تستخدم ممارسة موجودة بالفعل فى عصور سابقة ، لكنها أعطتها توجيهات أخلاقية ودينية جديدة (٢٣) ٠

فطقوس الأضاحى فى حد ذاتهـا يراها ابن ميمون باعتبارها شكلا من اشكال العبادة عرفه الاسرائيليون من العبادات الوثنية التى اتصلوا باصحابها ٠ ولكى يفطم بنو اسرائيل عن الوثنية أمروا بأن يقدموا الأضاحى لكن لله وحده ، ـ وفقط ـ بطريقة تستأصل المفاهيم الوثنية من هذه الطقوس (٢٤) ٠ وبرغم أن هذه الفكرة قد وردت بالفعل فى المدارس الرابية (٢٥) ، فانها تعرضت لانتقاد مرير ، لأنها بدت تحط من شان نظام تقديم الأضحيات ، وهو نظام ذو قداسة فى اليهودية القديمة ، لتجعله على مستوى الأمور الدنيوية بوصـفه بأنه وسيلة تعليمية أو

سياسية تربوية ٠ وبسبب طبيعة هذه الفكرة ، وجدنا واحدا من ناقدى ابن ميمون المتـأخرين زمنا وهو د٠ يعقوب امدن R. Jacob Emden الباحث فى القرن الثامن عشر ذو الميول القبلانية ـ يذهب الى حد انكار ان ابن ميمون هو المؤلف الحقيقى لكتاب دليل الحيران (٢٦) ٠

لقد كانت جراة لاهوت ابن ميمون هى التى جعلته محورا لتفكير أولئك الذين آمنوا بعمليـة التطور الديالكتيـكى بين الفكر اليونانى واليهودية ، وأيضا محورا لتفكير أولئك الذين عارضوا هذا المشروع برمته ٠ ولم يكن ابن ميمون يعمل منطلقا من فراغ ، فقد كتب فى وسط فكرى كان فيه اليهود قد تشربوا ثقافة الأغيار (غير اليهود) وكانوا غير متيقنين من كيفية ربط نتائج هذه الثقافة بمعتقداتهم التقليدية ٠ وكانت محاولته لوضـع ثلاثة عشر مبدأ للعقيدة اليهودية اسـتجابة للتحدى الذى ينطوى عليـه كل من الاسـلام والمسيحية وأفكار اليهـود القرائين المنشقين ٠ ومن أجـل النقد القاسى الذى وجهـه اليه ناقدوه ، فان تفسيره الفلسفى لليهودية قد مكنها من أن تتجاوز الاضطرابات الفكرية فى هذه المرحلة ٠ وعندما وصل الى مصر لأول مرة ، وجد المعارف التقليـدية بين يهود مصر فى حالة انحطاط شديد ٠ وكان القراءون يشكلون حركة قوية هناك ، وكان امتداد تأثيرهم فى حاجة الى من يوازنه باظهار قيمة التراث الرابى وصحته ٠ وهذا ما فعله ، وفى أواخر سنى حياته كان هدفا للمداهنة والتزلف بين اليهود وصل بعيدا حتى اليمن ٠ وقد حاول أن يكسب الى جانبه حتى القرائين ويردهم الى اليهودية التلمودية ، بتبنيه اتجاها متسامحا معهـم ٠ فلم يقدمهـم باعتبارهم فى حرب على اليهودية ٠ لقد كتب عنهم ذات مرة :

« بالنسبة لهؤلاء القرائين ٠٠٠ من الملائم أن نقسم لهم قسمة شريفة ، وأن نقترب منهم بفعل مستقيم ، وأن نتصرف معهم بتواضع على على طريق الحقيقة والسلام » ٠

التطورات بعد ابن ميمون

بعد فترة ابن ميمون ، شهد العالم اليهودى خلافا بشأن ما سببته دراسة الفلسفة لليهودية من أضرار أو شرور وقعت فعلا ، وما هو متوقع أن تلحقه بها من مزيد من الأضرار أو الشرور . وبصرف النظر عن الموضوعات التى ذكرناها آنفا ، فان ابن ميمون كان عرضة للهجوم بسبب آرائه فى المعجزات ، والنبوة ، والملائكة وطبيعة الروح ومصيرها، وانكاره للتنجيم والخرافات . لقـد تأثرت آراؤه فى هذه الموضـوعات جميعا باتجاهه الفلسفى ، وفى بعض الحالات ، كان فى حالة صراع مع المفاهيم المقبولة للتعاليم اليهودية التقليدية . لقد تعرضت لكل أفكار اخترقتها الفلسفة وتنكر القيمة الدينية التى يؤمن بها اليهودى التقى الذى يخاف الله .

وأخيرا انتصر مناوئو ابن ميمون ، وفى سنة ١٣٠٤ صدر قرار يمنع دراسـة الفلسفة ، بـل وكل الحكمة اليونانيـة فيما عـدا الطب ـ لمن هم أقل من ٢٥ سنة . لقد أصبح أوج اللاهوت اليهودى الوسيط (اليهودية فى العصور الوسطى) ماضيا ، ومع أن القرون التالية ، قد شهدت كتابة أعمال فلسفية كما شـهدت مناقشـات كثيرة عن المبادىء العقائدية اليهودية قائمة على صياغات ابن ميمون الرائدة ، فانه كانت هناك عودة من الحركات الفكرية الأخرى الى ما تأخذ به اليهـودية . فقـد انتشرت وجهات النظر القبلانية من الدوائر الضيقة أو السرية المقصورة على فئات قليلة من الصوفية اليهودية ، وبدأت فى التغلغل فى كل مجالات الحياة اليهودية . ويرجع انتعاش القبلانية فى جانب كبير منه الى كونها رد فعل ضد الحركة العقلية التى ان لم يكن ابن ميمون هو جالبها ، فبعض اتبـاعه أو المعجبون به الذين بالغوا فى هذا الاتجـاه العقلى كثيرا .

فالقرون بين الفترة الخلاقة العظمى للفلسفة اليهودية فى العصور الوسطى التى راح ضـوؤها يخبو شـيئا فشيئا فى أواخـر القرن

الرابع عشر وبواكير القرن الخامس عشر ، والهبة الفلسفية الجديدة التى بدأت مع التنوير فى القرن الثـامن عشر ـ هذه الفترة لم يظهر فيهـا الا محاولتان كبيرتان برزتا على سطح البناء الفكرى النظامى . أول هاتين المحاولتين قام عليها Judah Loeb من براغ (حوالى ١٥٢٥ ـ ١٦٠٩) المعـروف باسـم ماهارال البراغى the Maharal of Prague . والثـانى هـو سـبينوزا Baruch (Benedikt) Spinoza (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧) الذى صدر قرار ضده بالحرمان من رابانية أمستردام ، لنشره انكارا تتسم بالزندقة (تتعارض مع العقيدة اليهودية) . لقد كان جوده لويب Judah Loeb مفكرا على درجة عالية من الأصالة ، طور مصطلحاته الفلسفية الخاصة فى اعادة تفسيره للأفكار القبلانية ، وأفكار الهجادة . وقلما ذكر لويب القبلانية بالاسم ، وانما كان يشير فى معظم اشاراته للأسرار العميقة الكامنة وراء لاهوته ، وهو فى ذلك على العكس من المتصوفة الآخرين ذوى العقول الفلسفية الذين حاولوا المزاوجة بين الاتجاهين . وقد أخطأ بعض الدارسين فى الوصول الى حقيقته بسبب تحفظه فى انـكار أنه كان منخرطا جـادا فى القبلانيـة ، بينما كان التخيل العـام ـ على العكس ـ يراه واحدا من المنخرطين الكبـار فى أعمال السحر القبلانى وينسب اليه خلق جولم ـ انسـان صناعى .

وقد اعتقد جوده لويب Loeb ، مثله فى ذلك مثل يهوذا هاليفى Halevi من قبله ـ فى أن لبنى اسرائيل دورا واحدا وقدرا واحدا ، وحاول أن يعبر عن هذه الفكرة بمصطلحات لاهوتية . فاليهود « نوع » من الجنس البشرى ، بينما الأغيـار أو غير اليهود مجرد « أشـياء Matters » . فاختيار بنى اسرائيل ، وقدرتهم على السمو فوق حتمية النظام الطبيعى من خـلال التوراة ـ هذا يجعلهم أساس الحقيقة البشرية ، و ـ حقا ـ كل حقيقة . أما الأغيار ـ غير اليهود ـ فتنقصهم القـدرة على أن يتجاوزوا الكون (أو يسموا فوقـه) ، فتلك مقدرة لا تعطى الا لمن يدرسون التوراة وتأثير الميتسفوت mizvot ، فهما تابعان

للنظام الطبيعى . وعلى أية حال ، فالتاريخ اليهودى لا تنطبق عليه قواعد التاريخ البشرى وقوانينه ، وانما هو فريد لا نظير له ، انه فوق الطبيعة ، لأنه تاريخ تحدد مساره العلاقة بين اسرائيل والله .

ومن بين فكرة يهوذا المهمة عن الانسان والكون فكرته عن التناسق المنظم للكون ، فالوجود تحدده العلاقة بين كل مخلوق وهدفه فى اطار هذا التناسق ، واى خروج عن هذا النسق يستلزم نقصا فى الوجود او نقصا فى الحقيقة . والتوراة هى النسق العام للوجود المتناسق ، انها برنامج عمل لسلسلة الوجود يربط كل مستويات الخلق معا . ويمكن للانسان ان يحقق ذروة وجوده بطاعة التوراة ، وعلى هذا فالفرق بين اسرائيل ، وغير اليهود هو ان « وجود » اسرائيل مختلف عن وجود « الاغيار » . فالوجود أو « الحقيقة reality » انما يبثهما الله فى كل شىء ، ذلك أن اى شىء فى حد ذاته يعد « لا شىء » بجانب وجود الله . والتحقق من طبقة القداسة أو درجتها ، وطريقة الوجود يعتمد على الارتباط بالتوراة . وبرغم أن لاهوت جوده لويب صعب الفهم وغالبا ما يكون مطنبا دون مبرر ، ويعتريه كثير من التكرار ـ فان كثيرين من اللاهوتيين الذين اتوا بعده اخذوا بآرائه وأدرجوها فى كتاباتهم . وقد اعتبر البعض ـ بالفعل ـ عمله نسقا لاهوتيا يهوديا محددا ، برغم أنه لم يعقبه احد يطور اتجاهه اللاهوتى العام . وأكدت شهرته ، باتيانه العجائب كقبلانى ، ان أفكاره الفلسفية محاطة بهالة من الاحترام ، اذا لم تكن هالة من القداسة ، حتى بين أتقياء اليهود المناهضين للفلسفة .

سبينوزا

ينتمى سبينوزا للتراث الفلسفى الأوروبى أكثر من انتمائه لتاريخ الأفكار اليهودية . وعلى أية حال ، فان أهميته لليهودية ترجع الى حقيقة أن نقده لليهودية القى بظلاله على فكر اللاهوتيين اليهود فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، الذين وجدوا أنفسهم مضطرين لتحديد مواقفهم

من انتقاداته القاسية . لقد دخل سبينوزا عالم الفلاسفة من خلال أعمال المفكرين اليهود فى العصور الوسطى ، حقيقة أنه تلقى تعليما دينيا تقليديا ، وكان الظن به أنه مرشح واعد ليكون واحدا من الرابيين . وعلى أية حال ، ففى سن الرابعة والعشرين ، طرد من رحمة الرابيين فى امستردام واصبح شيريم Cherem (أى منبوذا فى مجتمع اليهود) ، بسبب آرائه المتسمة بالزندقة ، وأفعاله « الشريرة » . ولم يتم اتخاذ هذه الخطوة الا بعد أن حاول عدد من الرابيين ، بمن فيهم معلمه مورتيرا R. Saul Morteira ، التحدث اليه ليقنعوه بخطأ آرائه ومطالبته بالتبرؤ من هذه الآراء علنا على الأقل . وقد تم اتباع هذه السياسة مع ثلاثة آخرين من مفكرى اليهود فى أمستردام ، لكن حب سبينوزا للحقيقة لم يتح له أن يقدم مصلحته على الحقيقة . لقد كانت آراء سبينوزا تكاد تكون بمكانة معول لهدم الايمان المسيحى والايمان اليهودى على سواء ، بل وهددت أن تقوض مجتمع اليهود الثرى فى امستردام الذى كان موقفه مزعزعا شيئا ما . وعلى هذا ، اضطرت السلطات الدينية اليهودية أن تتخذ خطوة أساسية لتخليص المجتمع اليهودى من أفكاره وتحييد تأثيره . وبنشر كتاب سبينوزا الموسوم باسم « رسالة فى اللاهوت والسياسة ـ Tractatus Theologico Politicus » فى سنة ١٦٧٠ ، انتقلت آراؤه الانتقادية بثبات من المستوى الخاص لتشغل الرأى العام . والموقف الذى حصل عليه سبينوزا ـ أخيرا ـ فى الحياة الفكرية الأوروبية ، ربما كان أكثر ما ادى به اليه كتابه « الأخلاق Ethics » . والحقيقة ، انه كتب باعتباره يهوديا عارفا ومتعلما ، وان لم يكن أورثوذكسيا (سلفيا) ، وهذه الحقيقة كانت تعنى أن هناك مفكرين يهود لاحقين كان عليهم أن يتخذوا موقفا من انتقاداته العميقة لليهودية التقليدية ، تلك الانتقادات التى أوردها فى كتابه الآنف ذكره « رسالة فى اللاهوت .... Tractatus ... » . وسواء أفهم ناقدوه أفكاره أم لا ، فقد حملوا على مضامين حوارات (زنديق أمستردام) ، حتى ولو تجنبوا الاشارة اليه مباشرة ، ولم ينته أثر قرار الحرمان (شيريم) اليهودى الصادر ضد

سبينوزا : فلازال كثيرون من اليهود التقليديين – حتى اليوم – لا يشاركون فى أى احتفالات مرتبطة بمولده أو وفاته أو أية مناسبة لاحياء ذكراه .

ويمكننا أن نلخص انتقادات سبينوزا الأساسية لليهودية – كما استخرجناها من كتاب رسالة فى اللاهوت الآنف ذكره ، كالتالى :

(أ) الوحى : يتلقى الأنبياء الوحى من خلال قوة الخيال لديهم ، أكثر مما يتلقونه عن طريق فكرهم أو قدرتهم على التعليل المجرد (اخضاع الأمور للمنطق) ، فنبوءات الكتاب المقدس اليهودى تختلف – بناء على ذلك – وفقا لآراء الأنبياء أنفسهم وأحكامهم المسبقة ، وقد اخطأ هؤلاء الأنبياء فى كثير من الأمور (٢٨) .

(ب) اسرائيل : كان اليهود – على الاطلاق – مختلفين عن الشعوب الأخرى وأرقى منهم . فقد تلقى موسى الشريعة لهم لتتلاءم مع تنظيمهم الاجتماعى الخاص . ان هذه الشريعة صالحة لهم وحدهم بسبب تكوين مجتمعهم ويتم تطبيقها على حياتهم المستقلة فى بلادهم (فى الأرض الخاصة بهم in their own Land) ، والأفكار الاسرائيلية عن الله أفكار عادية تماما ، وفضائلهم مساوية لفضائل الاغيار الذين ظهر فيهم أنبياء .

(ج) الشريعة : القانون الطبيعى الالهى يسرى على كل البشر ، وهو نابع من فكرة أن أوامر الله هى الحق الخالد ، وأنها لا تتطلب أفعالا طقسية وأن فكرة موسى عن الشريعة كانت محدودة وأنه لم يفهمها فى مصطلحاتها التى تشير الى ضرورتها المطلقة ، وأنه استسلم لما كان – نسبيا – أفضل سياسة لبنى اسرائيل . وهو فى هذا يختلف عن عيسى ابن مريم الذى يمكن وصفه بأن تحدث باسم الله أو نيابة عنه . والشريعة الطقسية مسألة بشرية وليست مقدسة ، وأن ماورد منها فى التوراة ، مرتبط بنشر الاستقرار والهدوء فى المملكة اليهودية فى

فلسطين . وعلى النحو نفسه ، فالاعتقاد فى صحة الحكايات التوراتية – برغم أهميتها لجماهير اليهود – لا علاقة لها بالشريعة . فالانسان الذى يرفض هذه الحكايات ، ولكنه يدرك وجود الله من خلال التفكير الطبيعى ، ولديه خطة صادقة لحياته – مثل هذا الانسان مبارك أكثر من قطيع من المؤمنين (٣٠) .

(د) المعجزات : يتصور الجمهور أن الله ليس بفاعل ، مادامت الطبيعة تسير سيرها المعتاد ، ولا يرونه فاعلا الا من خلال الأحداث غير المألوفة التى يسمونها معجزات والحقيقة ، أن المعجزة هى خروج عن القواعد طالما أن قوانين الكون هى أوامر الهية وضرورة أبدية وصحيحة. أما الأحداث التى يبدو سببها غير معروف فيشار لها كمعجزة ، وكل المعجزات التى وردت فى التوراة يمكن تفسيرها من خلال علم التاريخ الطبيعى (٣١) .

(هـ) تفسير الكتاب المقدس اليهودى : التفسير اللاهوتى للكتاب المقدس اليهودى ، باظهار التعاليم الواردة به والتى لا تعدو كونها التعاليم الكامنة فى عقول المفسرين أنفسهم . فالتفسير الحقيقى لابد أن يقوم على أساس تاريخى ، وطبيعة اللغة وموقف المؤلف (المفسر) من النص . ولابد أن يضع المرء فى اعتباره أيضا تحريف النصوص أو الدس فيها . أما الزعم بمساعدة الروح القدس عند التفسير فقول ليس هناك ما يؤيده ، مادامت نتائج مثل هذه التفاسير بشرية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

(و) فى صحة الكتب المقدسة اليهودية : التراث الذى نتناقله عن تاريخ التوراة وصحتها غير صحيح ، وحتى فكرة الفريسيين أن موسى كتب كل الأسفار الخمسة الأولى تشكك فيها الباحث السلفى (الأرثوذكسى) أبراهام بن عزرا ، مع أنه عبر عن رأيه بشكل غامض

مخالفة النقد ، ومن صفحات التوراة نفسها يمكن ان نكتشف ان موسى ليس هو كاتب الأسفار الخمسة المنسوبة اليه ، وأن الأسفار الأخرى ليس لها مؤلفون مذكورون فى التراث اليهودى . فغالب الكتب المقدسة اليهودية ربما يكاد يكون عزرا قد شكك فى قيمتها ، بالاضافة الى بعض الكتب التى ظهرت بعد عزرا . والنص كما تعرفه الآن ، به أخطاء راجعة للنساخ وبه تصويبات (٣٣) .

وعند مناقشة هذه المسائل دعم سبينوزا آراءه بكثير من النصوص النقلية من التوراة ، بالإضافة الى استخدامه للحجج العقلية . وكان تناوله للمسيحية - بشكل عام - أكثر تعاطفا من تناوله لليهودية . وكتاب سبينوزا Tractatus ليس مجرد كتاب لاهوتى ، وانما هو أيضا كتاب سياسى ناقش فيه الدولة الليبرالية التى يسود فيها التسامح ، والتى تصبح فيها حرية الفكر متاحة . وليس غريبا ان أول طبعة من كتابه هذا نشرت دون ذكر اسم المؤلف عليها ، وكانت صفحة العنوان زائفة (لا تدل على المضمون) ، وقد أثار غضب اليهود المحتفظين كما أثار غضب المسيحيين أيضا ، وأصبح تأثير هذا الكتاب على الفكر اليهودى أكثر وضوحا عندما بدأت جدران الجيتو تتهاوى فى منتصف القرن الثامن عشر ، لكن كان ينظر لأفكار سبينوزا باعتبارها نموذجا لخطر ثقافة الأغيار ، وأنها تمثل روح الزندقة الجديدة ، ولم تكن الزندقة جديدة وانما ظهرت قبل سبينوزا بفترة طويلة .

ويتجلى الخوف من تلوث الاسبينوزية للعقيدة اليهودية من الواقعة التالية . فى سنة ١٧٠٤ ، خطب ديفدنيتو David Nieto رابى اليهود الاسبان فى لندن ، فانكر فى خطبته ملاحظات ربوبية عن سمو الله وعن ان اتجاهه فى الكون ليس كاملا . وقد ساوى الرابى بين الله والطبيعة ، أى جعلهما شيئا واحدا ، أو أن بعض المستمعين اليه فهم ذلك فأدى ذلك الى عاصفة من الاعتراض ضد نيتو واتهموه بأنه

سبينوزى ، لأن سبينوزا قد جعل الله والطبيعة شيئا واحدا فى كتابه « الأخلاق Ethics » ، الذى يفهم منه أن سبينوزا قال بوحدة الوجود ، وكتبت السلطات الدينية بهذا الأمر الى د. تسيفى أشكنازى R. Tzvi فى ألتونا Altona الذى أيد فى خطابه المحفوظ فى مجموعته (٣٤) آراء نيتو ، ذاكرا أنه لا يقصد أن يبشر بوحدة الوجود ، وانما يريد أن يقول ان النظام الطبيعى يخضع لارادة الله ، وانه جزء من الذات المقدسة .

الفصل الخامس

تطور الفــكر اليهودى الحــديث

موسى مندلســوهن Moses Mendelssohn

سادت الفكر اليهودى ، منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى بواكير القرن العشرين ، مجموعة قضـايا مرتبطة بتحـرر اليهودى الأوروبى على الأصعدة : الثقافية والسياسية والاجتماعية ، وعملية التحرر هذه سارت بالتدريج حتى حصل اليهودى على حقوق المواطنة كاملة • ولم تصل عملية التحرر هذه الى ذروتها فى منتصف القرن التاسع عشر الا نتيجة أفكار المساواة التى نادت بها الثورة الفرنسية • وعلى أية حال ، فقبل الاعتراف السياسى باليهود ، بفترة طويلة ، كانوا قد بدءوا فى التأثر بلغات أوروبا وأسلوبها فى الحياة ، فانتقلوا من جيتو العصور الوسطى لينخرطوا فى الحياة الفكرية فى القرن الثامن عشر وبواكير القرن التاسع عشر • وكان الرجل الذى وقف عند بدايات هذا التأثر الثقافى بالمجتمع الأوروبى هو موسى **مندلسوهن** (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦) ، اذ صـبغ هذا التأثر حيـاته ، وأعماله ، وحدد توجهاتها •

ولد موسى **مندلسوهن** فى ديساو Dessau فى شمال ألمانيا ، حيث كان أبـوه ميناحـم مندل Menachem Mendel يعمل مسئولا عن معبد يهودى صغير ، وقد تلقى مندلسون ـ المعروف فى التراث اليهودى باسم موسى الديساوى بن ميناحم أو رامبامان Rambaman ـ تعليما

يهوديا تقليديا حتى سن الرابعة عشرة ، برغم أنه أظهر بالفعل اهتماما بالفلسفة ، اذ كان يدرس كتابات ابن ميمون فى وقت فراغه • وفى أواخر حياته ، عزا فيما يشبه المزاح ما اعترى ظهره من حدب الى الأيام التى قضاها متأملا فى « دليل » ابن ميمون ، وأضاف قائلا ان كتابات ابن ميمون تستحق ذلك ، وفى سـنة ١٧٤٣ غادر معلمه ديســاو Dessau ، وعين أخيرا رئيسا للرابيين فى برلين • وسرعان ما لحق الشاب موسى مندلسوهن بمعلمه فى برلين ، وبرغم أن برلين كانت مركزا لليهودية التقليدية ، فانه اكتشف عالما جديدا من الفكر والثقافة لم يكن متاحا له فى موطنه ديساو ، ففى برلين تعلم ـ بمساعدة المفكرين اليهود الذين ملكوا ناصية جوانب الثقافة الأوروبية ـ الألمانية واللاتينية والفرنسية والانجليزية ، فأصبح بذلك مستعدا لقراءة عالم جديد من الفكر والأدب والفلسفة واستيعابه ، وكان هذا العالم موصدا أمام الدارس اليهودى الذى لا يعرف سوى العبرية والآرامية والييدية Yiddish ، وهكذا مد مندلسوهن مجال اهتمامه الى عالمين ، عالم اليهودية التقليدية ، وعالم الأدب المحض أو الخالص الذى ساد فى القرن الثامن عشر •

وفى سنة ١٧٥٥ ، قابل مندلســوهن ـ للمرة الأولى ـ جوتهولد ليسنج Gotthold Lessing وانعقدت بينهما صداقة استمرت على مدى العمر ، وكان لها تأثيرها على كلا المفكرين • وكانت نظـرة ليسنج المتسامحة لليهودية ملمحا مهما فى علاقتهما ، اذا وضعنا فى اعتبارنا أن الناس فى برلين كانوا لايزالون يؤمنون بشكل من أشكال المسيحية يعتبر اليهود ـ فى أحسن الاحتمالات ـ رصيدا سيضـاف الى الدين الوحيـد الحق ، بتحولهم للمسيحية ، وراح الصديقان يدرسـان معـا كتابات سبينوزا Spinoza ، وكان ليسنج هو الذى شجع مندلسوهن على أن يعتبر نفسه كاتبا ألمانيا ، وكان هو الذى قدمه للشخصيات التنويرية • وكانت أعمال مندلسوهن الأولى تحوى طبيعة فلسفية وأدبيـة لم تظهر فيها يهوديته التى كان يعتبرها مسألة خاصة به • وبهذه الطريقة كان قادرا على المشاركة الكاملة في القضايا والأمور المطروحة فى نطاق الدائرة

التى يتداول افكاره معها ، دون ان يكون هنـــاك عائق يفصله عن رفاق الدرب ، واعنى بذلك العائق كونه يهوديا .

أما فى حياته الخاصـة ، فقـد ظل يهوديا ارثوذكيـا Orthodox Jew حافظ حتى على التفاصيل الدقيقة المعتادة فى مجتمع اليهود . بل انه كان يمتنع عن حلاقة شعره وقص لحيته خـلال فترات الحداد العـام التى تقتضيها الطقوس أثناء العام Jewish ritual year ، وكانت زوجته تغطى شعرها كما هى عادة اليهوديات الأصوليات بعد الزواج . ومغزى هذه السمات التى اتسمت بها حيـاته الشخصية يصبح واضـحا عند مقارنتها بالوسط الاجتماعى الذى كان يختلط به . فبرغم أن مندلسوهن لم يكن يتباهى بيهوديته ، فانه لم يكن مستعدا لتقديم تنازلات ـ سوى بقدر محدود ـ للبيئة غير اليهودية التى يعيش فيها .

لكن العـلاقة المتسقة بين مندلسوهن اليهودى ، ومندلســوهن المفكر الألمانى قد انتهت الى طريق مسدود فى سنة ١٧٦٩ . فحتى هذه السنة ، لم يكن قد اعلن عن نفسـه علنا كفيلسوف يهودى يشرح العقيدة اليهودية ويدافع عنها . وقد كان مسلكه قبـل هذه السـنة يدفع بعض معارفه المعتين فى حماسهم للمسيحية للاعتقاد بانه حقيقة مسيحى « غير موفق manqué » ، وان يهوديتـه لا تتعـدى جلده . وفى سـنة ١٧٦٩ ، وجدنا القس السويسرى ج . س . لافاتر J. C. Lavater الذى كان قد قابل مندلسـوهن فى عدة مناسبات وأفضى اليـه مندلسوهن فى هذه اللقاءات تقديرا محدودا ليسوع ، وطلب اليه أن يبقى هذا القول منه سرا بينهما ـ يصـدر تحديا لمن أسـماه « يهودى برلين » . لقـد نشر لافاتر هذا التحدى فى مقدمة ترجمته لكتاب فرنسى يبرهن على صـدق المسيحية . وفى هذه المقدمة طلب لافاتر من مندلسوهن أن يقرأ الكتاب ، وعليه بعدها أن يدحض الحجج الواردة به أو أن يعتنق المسيحية علنا . ولم يكن تجاهل هذا التحدى العلنى بالأمر المستطاع . لقد اعترى القلق مندلسوهن بشكل واضح بسبب تحدى لافاتر هذا ، وزاد من قلقه اعلان

لافاتر وجهات نظره (أى وجهات نظر مندلسوهن) الخاصة فى المسيح والتى عبر عنها له بشكل شخصى ، فاعتزم فى أول الأمر مواجهة البراهين التى قدمها لاثبات صحة المسيحية فى هذا الكتاب الآنف ذكره ، لكنه عندما اعاد النظر قرر اتخاذ موقف أقل اندفاعا بكثير ، بعد أن تحقق من الضرر الذى سينتج عن جدل دينى يبدو فيه واحد من اليهود مهاجمـا المسيحية .

وقد حظى هذا التحدى باهتمـام كبير ، وراح النـاس يترقبـون رد مندلسوهن على لافاتر ، الذى ورد فيه شرح لأسباب رفضه لشروط هذا التحدى وأسباب عدم رغبته فى الدخول فى نزاع دينى . فهو ـ باعتباره يهوديا ـ سبق له أن تفحص دينه بعناية واقتنع بصدقه . واذا كان قد وجد الصدق فى أى دين آخر لما تردد فى اعتناقه ، فالمؤكد أنه لم يظل متمسكا بيهوديته خوفا من رفاقه اليهود أو ركونا الى الكسل العقلى . ولم يكن يشعر بالحاجة لتبرير اعتناقه لليهودية علنا طالما أنه كيهودى يؤمن بالتسامح الدينى ، وطالما أن اليهودية تستطيع أن تحترم قيمـة الأديان الأخـرى ، ولا تسعى الى تحويل معتنقيها الى الايمـان بتراثها اليهودى . وخلص مندلسوهن الى أنه ـ كفرد فى شعب مضطهد ـ مدين للبلد الذى يقيم فيه دينا كبيرا ، ليس من المناسب بالنسبة له أن يوجه نقدا للعقيدة المسيحية .

ولم ينته أمر لافاتر Lavater بهذا الرد من مندلسوهن ، فقـد استمر هذا الأمر لفترة . سواء من خلال المطبوعات أو الرسائل المتبادلة بين مندلسوهن وعدد من المفكرين الألمان . وأدت هذه المواجهـة الى أن أصبح مندلسوهن واعيا بمدى هشاشة وضعه كيهودى فى بيئة تسودها المسيحية ، ومدى كمون معاداة السامية ـ تلك المعاداة القديمة المتأصلة ـ تحت قشرة التنوير الخادعة . وسرعان ما حدث تطور آخر بعد أن ظهر هذا الخرق فى نسيج عالمى مندلسوهن (عالم يهوديته ، وعالم انتمائه للفكر الألمانى) ، وكان هذا التطور ذا دلالة عرضية فى نطاق علاقتـه

بالأصولية اليهودية ، ففى سنة ١٧٧٢ صدر قرار بمنع يهود شفيرن Schwerin من دفن أى ميت قبل انقضاء ثلاثة أيام من اعلان وفاته حتى يتم التأكد من موته ، فلا يدفن أحد حيا عن طريق الخطأ . ولما كان هذا ضد ما هو مقبول لدى اليهود من ضرورة الدفن الفورى ، لذا فقد لجأ اليهود لاستطلاع رأى كل من د . يعقوب امدن R. Jacob Emden التلمودى الألمانى الشهير ، وموسى مندلسوهن دون أن يخبرا أيا منهما بلجوئهم للطرف الآخر . وقدم مندلسوهن نصا ألمانيا لتقديمه للدوق فريدريك Friedrich الذى كان قد أصدر القرار الآنف ذكره بتأخير الدفن ، يشرح فيه الصعوبة الكامنة فى الدفن بعد ثلاثة أيام ويقترح بديلا ، وفى الوقت نفسه ضمن خطابه لرياسة الجماعة اليهودية فى شفيرن Schwerin — وجهة نظره فى الموضوع ، مستشهدا بسوابق وردت فى التلمود تجيز تأخير الدفن ، واقترح أن يقبل اليهود قرار عدم الدفن الا بعد ثلاثة أيام بسبب ما أثبته الطب المعاصر من حدوث دفن للأحياء على سبيل الخطأ . وبرغم أنه كتب خطابه مستخدما عبارات تقليدية ، فانه أثار غضب كل من د . يعقوب امدن ، ورابى شفيرن باعتباره يستخف بعادة يهودية مقدسة متواترة ، لقد كان مندلسوهن يفضل وجهات نظر الأطباء الأغيار (غير اليهود) على التراث الرابى ، فيما يتعلق بتقرير حدوث الوفاة . لقد رأى نقاده التقليديون أن مثل هذا الموقف يقوض مصداقية الهالاخاه (الشريعة اليهودية) halakhic Authority ، بينما كان لمندلسوهن وجهة نظر أخرى ، من خلال احتكاكه بالفلسفة الأوروبية والعلم الأوروبى .

وفى القرن التاسع عشر ، وجدنا هذا الخلاف حول الهالاخاه الذى تمثل فى الخلاف بين مندلسوهن ونقاده الرابيين ، يصبح واحدا من القضايا الأساسية التى انشق بسببها الشعب اليهودى الأوروبى European Jewary الى معسكرين . فكل الحركات الاصلاحية ،

سواء أكانت معتدلة أم راديكالية ، اتخذ أفرادها موقف مندلسوهن الذى انتهى الى نتيجة منطقية مؤداها تأكيد التراث اليهودى فى ضوء المعرفة الحالية . اما بعض الجماعات اليهودية الأصولية ، فبرغم أنها لم تكن راغبة فى اتباع الاصلاحيين الى الحد الذى يدخلون فيه بدعا فى الطقوس والعقيدة ، فانها مع ذلك قبلت — من حيث المبدأ — موقف مندلسوهن ، واتخذت غالبية القيادات الأصولية موقفا متحفظا يقول بقداسة التراث ويرفض البدع والتغيير ، اللهم الا اذا كان ذلك بفعل التفاعل الداخلى للهالاخاه (الشريعة) نفسها (أو بتعبير آخر بفعل الديناميكية الداخلية للهالاخاه نفسها) . وكانت ترجمة مندلسوهن للكتاب المقدس اليهودى الى الألمانية ، هى المشروع الذى كان له أثر كبير فى تحرير الشعب اليهودى فى ألمانيا ، برغم أن زعماء الرابيين اعترضوا على ذلك العمل واستهجنوه . لقد بدأ فى سنة ١٧٧٠ فى ترجمة سفر المزامير ، وبعد ذلك بأعوام قلائل بدأ ترجمة لأسفار موسى الخمسة (الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم) . وكان دافعه الى هذا العمل هو حاجة الدارسين الشباب — بمن فيهم أبناؤه — لترجمة ألمانية دقيقة ، ومحكمة الصياغة للكتاب المقدس اليهودى . وكان مندلسوهن يهدف أيضا أن يكون لليهود الألمان فهمهم الخالص للكتاب المقدس اليهودى من خلال لغتهم الأم (الوطنية native) بدلا من لهجتهم الييدية التى هى بمكانة لغة يهودية مشتركة ومخلطة Lingua Franca ، وأن يضمن استيعاب هؤلاء اليهود الألمان بشكل كامل لقيم الكتاب المقدس اليهودى . وكانت هذه الترجمة — المكتوبة بحروف عبرية — مصحوبة بشروح كتبها مندلسوهن بالاشتراك مع عدد من الباحثين اليهود . وبرغم أن بعض الرابيين أيدوا مندلسوهن ، فقد عارض آخرون مشروعه كله على أساس اعتقادهم بأن هذا المشروع سيصرف الطلاب عن دراستهم الدينية ليهتموا بتحسين لغتهم الألمانية . وكانت وجهات نظر مندلسوهن فيما يتعلق بالسلطة الاكليريكية ، سواء داخل اليهودية أم داخل المجتمع بشكل عام ، متفقة مع الفكر التنويرى فيما يتعلق بالتسامح والتعددية (الايمان بوجود أكثر

من حقيقة مطلقة) . فقد عانى هو شخصيا من السلطات اليهودية ، وكان يرى أن التحرر اليهودى (الانعتاق اليهودى) لا يقوم الا على تحقيق مبدأ الحرية الدينية الكاملة . وقد جمع أفكاره الناضجة المدروسة حول هذه الموضوعات فى كتابه (القدس) ، الذى جعل له عنوانا بديلا هو (عن السلطة الدينية واليهودية) ونشره فى سنة ١٧٨٣ . وفى هذا الكتاب ، دافع عن العلاقة الودودة الاختيارية غير القسرية بين الفرد والجماعة الدينية . فليس للجماعة الدينية سلطان لاجبار الفرد على أن تكون أفكاره متطابقة تماما معها ، ومتمشية تماما مع معاييرها ، وعلى النحو نفسه فالمجتمع غير خاضع لهذه السلطة نفسها . وعلى أية حال ، فالمجتمع يمكنه أن يطلب فقط اتساقا فى الأفعال ، وليس فى مقدوره أن يطلب شيئا كهذا فى مضمار العقائد . فالصيغة المثالية للرابطة الدينية تتمثل فى الدعوة التى قوامها العقل ، والتى يمارسها الدعاة لأى دين على معتنقيه ، أكثر من تمثلها فى الاجبار القسرى . وهذا الأمر لابد أن ينطبق على اليهودية بشكل لايقل عن انطباقه على المسيحية .

وفى الجزء الثانى من كتاب مندلسوهن الموسوم باسم (القدس) والآنف ذكره ، دافع المؤلف عن فكرة كون اليهودية تشريعا مقدسا (الهيا) ، أكثر من كونها نظاما عقديا . فعقائد اليهودية هى نفسها عقائد دين العقل العالمى ، تلك العقائد المتاحة لكل الناس من خلال التفكير ، ولاتقوم على الوحى . واذا افترضنا فكرة أخرى غير هذه ، فهذا يعنى انكار ما خلص اليـه جانب كبير من الجنس البشرى من حقائق أبدية ، طالما انهم لم يعرفوا الوحى . وهذه الفكرة عن اليهودية نجدها بالفعل فى مباحث سبينوزا Spenoza ، برغم أن مندلسوهن لم يقبل دعوى سبينوزا التى مؤداها أن الجانب التشريعى فى اليهودية قد نسخ (بطل) منذ فترة طويلة . والشريعة المعزوة لليهودية تقوم على حقائق الدين العقلى (الدين القائم على العقل) وتستشهد بها ، ومن ثم فهى صحيحة دائما (لكل زمان ومكان (Continuing Validity) وأنهى مندلسوهن كتابه (القدس) بالدعوة الى تحرر اليهود وانعتاقهم بشكل كامل ، على ألا يكون

هذا على حساب تمسكهم بيهوديتهم . فاليهود سيفضلون رفض ما يعرض عليهم من حقوق مدنية ان كان هذا يعنى أن يفقدوا هويتهم كيهود . ومن ناحية أخرى ، فان العهد الدينى لليهـود يتطلب ألا توجد عوائق تعوقهم عن الانعتاق ، والاندماج الكامل فى مجتمع يحترم التعددية ، ذلك المجتمع الذى دافع عنه ، وقدم البراهين على ضرورته ، فى الجزء الأول من كتابه .

وقد وجهت حياة مندلسوهن وكتاباته الشعب اليهودى فى ألمانيا فى القرن الذى أعقب وفاته ، فقـد حملت اليهودية خـارج الجيتو فى القرن التاسع عشر بصمات مندلسوهن ، برغـم أنه ما كان بالتأكيـد ليوافق على كثير من التطورات التى حدثت بعد وفاته . لقد كانت أفكاره عن التعليم بشكل خاص والتى تبناها حواريوه وأتباعه ، هى التى أحدثت التغيير الراديكالى فى بنية الحياة اليهودية المقبولة ، لقـد عارض قصر الدراسة على التلمود واعتبـاره يشكل معظم مجالات التعليم اليهودى ، وعارض – على نحو خاص – أسـلوب التلمود فى التحايل على الشريعة ونواميس الأخلاق ، هذا التحايل المعـروف اصطلاحا باسـم (بيلبول Pilpul) واقترح أن تحل دراسـة اللغـة العبرية والكتـاب المقدس اليهودى والقيم الثقافية اليهـودية ، بالاضـافة الى الالمام بخلفيـة عن الموضوعات غير الدينية واكتساب المهارات المهنية – محـل الدراسـات التلمودية الآنف ذكرها .

فطرفا الديالكتيك بين اليهودية وثقافة التنوير اللذان تمثلا بشكل بارز فى حياة مندلسوهن ، ثبت أن الجمع بينهما مسألة غير سهلة . لقد قصد مندلسوهن الى فتح بوابات الانعتاق لليهود الذين سيكونون قادرين على الاحتفاظ بيهوديتهم سليمة . وفى الحقيقة ، فانه نجح فى فتح الطريق لاندماج اليهود بشكل كامل فى الدين المسيحى السائد ، طالما أن هذا الاندماج هو أبسط سبيل لتحقيق الانعتاق وأبسط سبيل للفوز بالقبول فى مجتمع الأغيار (غير اليهود) . لقد تحول للمسيحية عدد من مثقفى برلين اليهود البارزين ، بمن فيهم أبناء مندلسوهن وأحفاده . لقد كان

دفاعه عن التسامح الدينى واعتقاده فى عقيدة دينيـة عالميـة واصلاحاته التعليمية وقبوله الحار للأفكار والقيم الأوروبيـة ـ كل ذلك كان جزئيا على الأقل ونتيجة فهم الأمور على نحو خاطىء ، سببا فى ظهور اتجاهات جعلت تحول اليهود الى المسيحية أمرا ممكنا ٠

الحركات الفكرية فى القرن التاسع عشر

شهدت اليهودية فى أواخـر القرن الثامن عشر وخـلال القرن التاسع عشر قلقا فكريا لايمكن اغفاله ٠ فقد شهدت هذه الفترة بدايات الحركات الاصلاحية والمحافظة ، وظهور الصهيونية ، وانتشرت التعاليم التقوية (*) فى صفوف الأرثوذكس ، والحركة الأخلاقية (**) والأرثوذكسية الألمانية الجديدة ٠ لقد كانت هذه الحركات تمثل ـ بطرائق مختلفة ـ استجابة اليهود الأوروبيين لمخاطر التحرر (الانعتاق) وتوتراته ٠ وكانت بعض هذه الحركات نتيجة مباشرة لتحطيم حياة الجيتو ، بينما كانت حركات أخرى قد بدأت ، بشكل مستقل ، لكنها سرعان ما حوصرت بتحديات الاتجاهات التقليدية التى يمكن فى حميمها مواجهة الثقافة العلمانية ، ويكمن فى صميمها ربط الهوية الذاتية بالدين ٠ وكان المفكرون اليهود التنويريون من أتباع مندلسوهن ، مهتمين ـ فى الأساس ـ باعادة تأكيد نمط الحياة اليهودى والمسلك اليهودى المألوف ٠ وكان موقفهم كأناس مدوا جذورهم الى عالمين (عالم التراث اليهودى وعالم الفكر الأوروبى) ، يفرض عليهم التواؤم مع الاصـلاح التعليمى واحداث تغييرات فى نظم العبادة المتبعة فى المعابد ، واعادة تكييف الطقوس اليهودية ٠ لقد بدا ذلك وكأنه محاولة لتخفيف حدة التنافر والتعارض التى تواجه اليهودى الذى كان ـ فى ذلك الوقت ـ يحاول أن يكون مقبولا من بيئة الأغيار (غير اليهود) التى كان يرغب ـ بشوق ـ فى الانتماء اليها ٠ وجـرى

(*) Chasidic teaching والحاسيدية أو الحسيدية ، هما المسمى المألوف لها فى الكتابات العربية (المترجم) ٠

(**) musar movement ، المترجم)

البحث عن كثير من الأمور فى خلال اليهودية لتبرير ذلك ، لكن غالبية اليهود التقليديين كانوا غير متعاطفين ، بل وغالبا ما كانوا يعارضـون بشكل علنى حتى الاصلاحات المعتدلة ٠ وفى المراحل الأولى ، كان اتجاه المبتدعين (غير التقليديين) عمليا براجماتيا فى الأساس ولم يكن حتى هذه اللحظة أيديولوجيا ، وكان هذا التغيير بالنسبة للبعض ممن كانوا قد خطوا خطوات خارج الجيتو وتواءموا ماديا وثقافيا مع الأفكار والقيم الجديدة ـ أمرا ضروريا ، أما بالنسبة لأولئك الذين ظلوا داخل أسوار الجيتو ـ ثقافيا على الأقل ـ فقد بدا لهم أن هذا التواؤم يتناقض مع القيم اليهودية ٠

وكان أول لاهوتى يهودى كبير فى حقبة ما بعد مندلسوهن هو ناحمان كروشمـال Nachman Krochmal (١٧٨٥ ـ ١٨٤٠) ، الذى ولد فى بـرودى Brody فى غاليسيـا الشـمالية Galicia وتلقى فيها تعليمه المبكر ٠ وتلقى ـ مثـل مندلسـوهن ـ تعليما فى موضوعات غير دينية ـ وحصل جانبا من المعارف حول هذه الموضوعات بجهده الذاتى ، أما تعليمه الرسمى فكان تقليديا ، اذ درس الموضوعات التلمودية والمتعلقة بالكتاب المقدس اليهودى ٠ وكان خلال معظم حياته مكرسا وقته للدراسة ومعتمدا على أسـاليبه المستقلة لكتابة كتـابه « دليل للزمن المحير » (*) ، الذى نشر بعد موته ٠

وكان اهتمام كروشمال الأسـاسى يتحلق حـول فلسفة التاريخ ، وراح يبحث عن طريق للوصول لفهم لاهوتى لليهودية فى ضوء اهتمامه بفلسفة التاريخ : ولأن البحوث التاريخية كانت بالفعل غير معروفة بين الدارسين اليهود ، أصبح كروشمال رائدا فى هذا المجال فبدأ فى طرق مجالات جديدة فى البحوث التاريخيـة ٠ وبعد أن أسس تصورا تاريخيا للموضوع ، أصـبح قادرا على اظهـار البنية العامة لتطور اليهودية ،

(*) Guide for the perplexed of the time او « دليل الحيران » ، وهو العنوان الأكثر شهرة ٠ (المترجم)

والأشكال المختلفة التى أصبحت عليها فى الفترات الزمنية المختلفة .

وباعتباره مفسرا لاهوتيا لهذا التطور ، فقد رأى فى وحى دين اسرائيل الروح الحارسة الموجهة للتاريخ اليهودى ، فالتلاقى الروحى مع الله كان موجودا فى مستهل هذا التاريخ واستمر فاعلا فى كل التطورات التى حدثت خلال اليهودية بعد ذلك ، وعلى أية حال ، فان كروشمال لم يكن مؤسس نظام ولم تكن فلسفته اليهودية مدرسة ، وانما ترجع أهميته الى كون أفكاره مثمرة ، وللأبعاد التاريخية التى أدخلها والتى سادت جانبا كبيرا من الحياة الفكرية لليهود فى القرن التاسع عشر .

فهذا التركيز على المباحث التاريخية ، أصبح هو الانجاز الرئيسى لعلوم الحركة اليهودية التى استهلت بسلسلة من الباحثين الألمعيين الذين تأثروا بكروشمال ، بشكل مباشر أو غير مباشر . وكان بعض أولئك الذين تبعوه من التقليديين الذين زاوجوا ما بين الدراسات غير الدينية والمنظور التاريخى من ناحية ، والمادة التلمودية والتراث الدينى اليهودى فى العصور الوسطى من ناحية أخرى . وآخرون - مثل ليوبولد تسونتس Leopold Zunz وزكريا فرانكل Zacharias Frankel دافعوا عن الاصلاح المعتدل ، فى سياق التوافق مع بحوثهم فى مجال التاريخ وتطور الأفكار والممارسات اليهوديتين . وكان ما يسمى بالمدرسة التاريخية التى أوجدوها هى أصل الحركة المحافظة الحديثة . وآخرون - مثل ابراهيم جيجر Abraham Geiger وصامويل (صموئيل) هولدهيم Samuel Holdheim ، وقفوا يدافعون عن اصلاحات أكثر راديكالية ، معتمدين أيضا على أيديولوجية التطور التاريخى ، تلك الأيديولوجية التى ترى التراث اليهودى - بل والكتاب المقدس اليهودى نفسه - كجزء من عملية متطورة عضويا . وفى العصر الحديث كان لابد من تحديث التراث ، تماما كما كان فى حالة مراجعة مستمرة فى الماضى . وأصبحت أعمالهم والمنظمات التى أنشأوها هى الأساس الذى قامت عليه الحركة الاصلاحية (اليهودية) .

ونظر الأصوليون اليهود بذعر للتطور الحادث فى الحياة اليهودية وكتابات المثقفين اليهود بعد سقوط حواجز الجيتو ، فبرغم أنهم اعترفوا بأن بعض باحثى التنوير من اليهود كانوا هم أنفسهم من المتمسكين بشدة بالطقوس اليهودية التقليدية ، فانهم نظروا الى الاتجاه اليهودى الجديد والتعليم غير الدينى باعتبارهما مسئولين عن الجيشان العنيف الذى يشبه الطوفان ، والذى أضعف المجتمع اليهودى كله . وقد اعتبروا كلا من مندلسوهن Mendelssohn وكروشمال Krochmal مسئولين فى الأساس عن الأفكار الأكثر راديكالية ، التى عبر عنها المفكرون اليهود الذين أتوا بعد ذلك . ومنعوا كتبهما من التداول (حرموا قراءة كتبهما) ، واعتبروهما - كزعماء اليهودية الاصلاحية Reform Judaism أسوأ من الوثنيين ، كأنبياء زائفين يضلون جماهير اليهود ، ولابد من شن الحرب عليهما فى كل حين . لقد اتسع الخرق بين الرابيين الأرثوذكس الذين تشبعوا بالدراسات التلمودية من ناحية ، واليهود الذين كانوا قد تشربوا شيئا من الثقافة الأوروبية ، من ناحية أخرى ، بدرجة كبيرة تهدد بعدم امكان رتقه . فلم يترك استقطاب العالم اليهودى بين التقلديين والمعتدلين سوى مسافة قليلة لأولئك اليهود الذين تعرفوا على الثقافة غير الدينية ، ويرغبون فى الوقت نفسه فى البقاء مخلصين ليهوديتهم القديمة السابقة على حركة التنوير ، معتقدا وممارسة . انهم لم يستطيعوا التواصل مع الأسلوب الرابى القديم ، ولم يشاركوا فى الحماس الاصلاحى الرابيين المعتدلين الذين سادوا التعليم الجامعى .

وكرد فعل لهذا الاستقطاب ، حاول د . سامسون رافائيل هيرش R. Samson Raphael Hirsch (١٨٠٨ - ١٨٨٨) ، مؤسس الأرثوذكسية اليهودية الألمانية الجديدة German Neo-Orthodoxy - أن يوجد توليفة جديدة بين الدين اليهودى والثقافة العلمانية (غير الدينية) . فى البداية ، وجد هيرش Hirsch نفسه فى عالم دينى غير مأهول ، ارثوذكسى جدا بحيث

لايطبقه الاصلاحيون ، ومعاصر جدا بحيث لا يطبقه التقليديون ، فكون فى خاتمة المطاف جماعة من اليهود فى فرانكفورت ـ أون ـ مين Frankfurt-in-main شعروا أنهم حيارى بين اتجاهات هذا الاستقطاب الآنف ذكره ، فقدم لهم أيديولوجية الأرثوذكسية اليهودية الحديثة modernist Orthodoxy • لقد رفض الفهم التاريخى لليهودية الذى يعود الى كروشمال والذى حوره الاصلاحيون المعتدلون والاصلاحيون الراديكاليون ، وبدلا من هذا الفهم التاريخى لليهودية فقد وصف اليهودية كنظام رمزى Symbolic System تظل بنيته مستمرة نابعة من أصوله التوراتية رغم اختلاف أشكاله • وعلى هذا ، فالوحى القديم لم يفقد شيئا من مصداقيته فى الوسط الثقافى الألمانى فى القرن التاسع عشر ، لأن البنية الرمزية كانت تنطبق عليه ، كما كانت تنطبق فى العصور القديمة • حقيقة ، ان هيرش رأى أن مهمة اليهودى ـ على نحو دقيق ـ هى تفسير للحقائق الأبدية لليهودية بلغة الثقافة العلمانية لعصره • وعلى أية حال ، فتحقيق ذلك لايتطلب تغيير اليهودية أو اصلاحها وانما تأكيد معناها التقليدى ، فطقوس الهالاخاه التى تكبل عالم الرموز اليهودية كانت مقدسة غاية التقديس ، واعتبر هيرش تغييرها لاخضاعها للسلوك الحديث تهديدا فى الصميم لنسيج اليهودية • لذا ، فقد رفض كل تعاون مع الحركة الاصلاحية ، وأصر على ضرورة أن تشق الأرثوذكسية اليهودية طريقها بشكل منفصل •

وشهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر بداية محاولات جديدة للتعامل مع قضية التحرر (الانعتاق) اليهودى • فبينما ركز مندلسوهن الحركة الاصلاحية والأرثوذكسية الجديدة لهيرشيان Hirschian Neo-Orthodoxy على استمرار مصداقية الدين اليهودى ، سواء فى شكله التقليدى أو الحديث ، وجدنا المفكرين الصهيونيين فى الأوساط الثقافية غير اليهودية يركزون ـ فى الأساس ـ على الوجود اليهودى فى مظهره الوطنى (القومى (in its national guise . وكان النظر لليهود كأمة (أو كشعب) قد جرى تقليصه ـ ان لم يكن هذا المبدأ قد

تم رفضه بشكل ايجابى ـ من قبل أولئك المهتمين باقناع السلطات بأن اليهود يستحقون أن يحرروا ، ويمكن اعتبارهم مواطنين موالين للدول التى يقيمون فيها • لقد هددت الصهيونية بعملها على احياء الوطنية اليهودية مثل هذه المزاعم ، وذلك برفضها ـ أى الصهيونية ـ لمبدأ امكانية ان يكون اليهودى ـ ببساطة ـ ألمانيا أو فرنسيا ، فالرأى الشائع بين المفكرين الصهاينة الأول كان يميل الى عدم التفاؤل كثيرا ، ازاء الفرضية القائلة برغبة مجتمع الأغيار (غير اليهود) ـ أو قدرته ـ على استيعاب اليهود فى داخله كمواطنين لهم حق المواطنة الكاملة • فمعاداة السامية ليس من اليسير استبعادها ببساطة ، وانما يمكن أن يستمر تأثيرها فى الحضارة الأوروبية حيث كانت فكرة متوطنة ، فالحل الوحيد للمشكلة اليهودية فى مثل هذه الظروف هو انشاء وطن لليهود ، حيث يمكن لتحررهم (انعتاقهم) أن يكون له وجود بعيدا عن ظلال قرون من سوء الظن المسيحى باليهود • وكان معظم الزعماء والأيديولوجيين الصهاينة من العلمانيين لايهتمون بقضايا الدين والحداثة ، فنظرتهم للحكم الذاتى الوطنى (القومى) لليهود تنطبق حيث لا يوجد لليهودية مكان ، سواء يهودية الجيتو أو حيث الاختلاف اليهودى بعد الجيتو ، فقد كانت اليهودية قوة رابطة للحياة اليهودية فى الشتات in exile كمجتمعات متناثرة تحاول الاحتفاظ بهويتها العرقية فى مواجهة مجتمع غير يهودى • والاستثناءات من هذا الاتجاه الذى ساد بين صهاينة القرن التاسع عشر كانت تتمثل فى الصهاينة المسيحيين (*) messianic Zionists ، مثل د • جوده الكالى R. Judah Alkalai أو د • تسيفى هيرش كاليش R. Tzvn Kalisher ، الذين كانت أفكارهم ـ نسبيا ـ غير مهمة فى بداية الحركة الصهيونية ، أو أفكار الزعماء بعيدى النظر مثل تيودور هرتزل Herzel (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) « أبو الصهيونية السياسية » ، الذى رأى الحاجة الى دعم الرابيين

(*) والأفضل المشيانيين الذين ينتظرون عودة المسيح أو المشيح المخلص وهو غير المسيح عليه السلام المعروف (المترجم) •

(الحاخامات) ليكون للحركة قاعدة بين جماهير اليهود المنحازين للفكر اليهودى التقليدى . وحتى آشر جنتسبرج Asher Ginzburgh (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧) زعيم الصهاينة الثقافيين (*) الذى كان يكتب باسم مستعار هو أشادها ـ أم Achad Ha-am ، والذى كان يرغب فى أن يرى الشعب اليهودى فى حالة احياء تراثى (ثقافى) أكثر من رغبته فى أن يراه يولد من جديد على المستوى الوطنى (القومى) ـ آشر هذا لم يتصور هذا الاحياء الثقافى (التراثى) فى مجال المصطلحات الدينية . وحتى جنتسبرج عرف بعد ذلك بأنه رابى من اللا أدريين Agnostic Rabbi ، وكان الصهاينة الاشتراكيون هم أكثر المعادين للدين اليهودى : فقد كانوا يرون الوطن اليهودى باعتباره مكانا يمكن أن يحققوا فيه أفكارهم عن العدالة الاجتماعية ، وشاركوا فى الشك الاشتراكى العام الذى مؤداه أن الدين مخدر . ويرجع الى هذه المجموعة الأخيرة ـ والتى كانت مفيدة فى عملية اعادة توطين اليهود فى فلسطين ، وفى تقرير طبيعة الحياة اليهودية فيها ـ أن بعض الصراعات الراسخة بين الدين والدولة فى اسرائيل الحديثة أثبتت أنها صراعات عنيدة تصعب معالجتها ، وهذا بطبيعة الحال ، يرجع أيضا الى معارضة اليهود التقليديين للصهيونية .

القرن العشرون

لقد استمر التياران الفكريان اللذان كانا منفصلين فى القرن التاسع عشر كاستجابة لفكرة التحرر أو الانبثاق اليهودى ، وأعنى بهما التيار الدينى والتيار الوطنى (القومى) الاحيائى ، ـ استمرا يسيران جنبا الى جنب فى كتابات لـ : ابراهيم . ى . كوك R. Abraham I Kook (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) ومارتن بوبر Martin Buber (١٨٧٨ ـ ١٩٦٥) ، وهما الشخصيتان الرئيسيتان فى اليهودية فى بواكير القرن العشرين ،

(*) أو التراثيين Cultural Zionists . (المترجم)

وتلقى د. كوك R. Kook تعليمه فى المعهد الدينى التلمودى الكبير great Yeshivot فى ليتوانيا وفيه تلقى رسامة الرابية (أى أصبح رابيا) ، وانتقل الى فلسطين فى سنة ١٩٠٤ ، ليصبح رابى حيفا ، وكان انتقاله لحيفا ميلا منه للصهيونية الدينية القائمة على الوجد الصوفى . لقد أدى تفاعله مع حياة اليشوف Yeshuv ، وهى جماعة يهودية ذات جذور فى فلسطين ، وجهوده باسم المستوطنين الصهيونيين غير المتدينين ، الى دخوله فى صراع مع الرابيين الأكثر ميلا للاتجاه المحافظ . وبعد عودته الى فلسطين قادما من لندن التى اتجه اليها مضطرا خلال الحرب العالمية الأولى ، ثم تعيينه رئيسا للرابيين فى القدس ، وفى سنة ١٩٢٢ أصبح أول اشكنازى يعين رئيسا للرابيين فى فلسطين (الأرض المقدسة) . وظل حتى موته فى سنة ١٩٣٥ الشخصية الرئيسية فى الحياة الدينية والسياسية فى فلسطين ، مستخدما سلطته الهالاخاوية (علمه بالشريعة) للمساعدة فى حل كثير من المشاكل المتعلقة بتطبيق المبادىء اليهودية التقليدية على الحياة الحديثة .

والى جانب نتاج د. كوك المهم من الهالاخاه (الشريعة) ، فقد كتب أيضا الشعر والمقال والتعليقات والشروح والخطابات فى القضايا الأخلاقية والاجتماعية ، كما كتب كتبا فى مجال اللاهوت الصوفى (الروحى) . ولم تقدم كتاباته التى لا تزال تطبع حتى الآن ، بشكل منهجى منذ كتبها وفقا لاعتبارات خاصة به تحت ضغط حوافز كامنة فى أعماقه . فكلماته تنبجس من ينبوع وتتدفق لا يوقف فيضانها شىء يفرغها على الورق ، وكان قلما يصحح النص الذى كتبه . وفى أحد خطاباته نجده يقول ، انه لا يكتب لأن لديه القدرة على الكتابة ، وانما لأنه لا يستطيع أن يظل صامتا (١) . وكان د. كوك متشبعا بتراث الهالاخاه ، وهذا بالاضافة إلى قراءاته لكتابات هنرى برجسون Henri Bergson ـ جعله يميل الى رؤية مركبات تطورية كامنة فى حركة التاريخ والمسيرة البشرية . فكل جانب من جوانب هذا التطور يمكن أن ننظر اليه كمركب أو عنصر من عناصر التطور يفضى فى النهاية

الى الهدف المسيحانى (*) Messianic Goal · وعودة الشعب اليهودى الى وطنه القديم ـ بالنسبة لكوك R. Kook هى الملمح المحورى لدورهم لاستعجال مجىء المسيح Messianic Process · وحتى رفض الصهاينة العلمانيين للدين باسم المثل الاشتراكيـة ، رأى فيه خطوة نتجت عن رفض الدين اليهودى فى الماضى ، ذلك الرفض الذى دفعت اليه الرغبة فى الانغماس الذاتى فى عبادة الخصوبة fertility cults، فتطور المعارف العلمانية (غير الدينية) والعلمية قد هيأ للانسان ادراكا أوضح للنور الالهى (المقدس) فى كل الخلق ، وبالتالى جعلته أكثر كمالا · وعلى أية حال ، فانه شعب اسرائيل المنوط به تاريخيا كشف الأساس القدسى الكامن خلال هذا الغلاف النجس للوجود الدنيوى · وعلى هذا ، فهو لم ير هدف الصهيونيـــة مجرد عملية احياء وطنى للشعب اليهودى ، وانما هى أيضا تعبير عن التعاليم الالهية المتوارثة فى التوراة التى ستساعد ـ فى المقابل ـ أمم الأغيار (غير اليهود) على تحسين امكاناتهم الروحية على نحو أسرع · فبالنسبة لليهودى ، فان حبه لشعبه لابد أن يفيض حبا لكل المخلوقات اذا لم يلوث حبه هذا دوافع مغرضة غير طاهرة ، وطالب د· كوك المستوطنين الصهاينة أن يظهروا معنى المسئولية للعرب الفلسطينيين المقيمين فى الأرض المقدسة (فلسطين) ·

أما مارتن بوبر Martin Buber ـ على عكس د· كوك R. Kook فقد نظر لليهودية باعتباره مثقفا تلقى تعليمه فى الغرب ، ودرس الفلسفة فى جامعات النمسا والمانيا · لقد تلقى معلوماته الأولى عن عالم اليهودية التقليدية خلال الفترة التى قضاها مع جده سليمان بوبر Soloman Buber الذى كان باحثا فى التراث المدراشى Midrashic يعيش فى غاليسيا Galicia ، واهتم بالصهيونية كشاب ، وحضر المؤتمر الصهيونى الثالث فى سنة ١٨٩٩ ، لكن تركيزه على الصهيونية كحركة احياء ثقافى تعنى انه ينتمى الى جماعة فرعية تمثل أقلية بين الجماعات (الزمر) الصهيونية ·

(*) مجىء المسيح المخلص وهو لا يقصد المسيح عليه السلام · (المترجم)

فعلى عكس زعيم الصهاينة الثقافيين (التراثيين) المدعو أشادها ام ـ Achad Ha-am الذى كان لا أدريا Agnostic ، ركز بوبر Buber كل فكره حول اليهودية بالرجوع الى أصولها فى الكتاب المقدس اليهودى ، وحتى الحركة الحاسيدية (*) Chasidic movement فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ـ على حقيقة وجود الاله الحى والتلاقى معه · هذه المواجهة او هذا التلاقى بين الله والانسان كان فى بؤرة تحليل بوبر Buber لصيغتى الكينونة للانسان : أنا ـ أنت ، وأنا ـ هو ففى الصيغة الأولى (أنا ـ أنت) يوحى الله (أنت الخالد) · فبينما يمكن أن يكون الله ـ فقط ـ موضوعا لعلاقة التلاقى أنا ـ أنت ، فان أية محاولة للحديث عن الله أبعد من الاتصال به انما هى محاولة تجعله زائفا ، ويمكن للانسان ان يكون طرفا فى العلاقتين (أنا ـ أنت) و (أنا ـ هو) It ، والحياة الحقيقية بين انسان وانسان تنطوى على العلاقة (أنا ـ أنت) ، والأنا (أنا) فى العلاقة (أنا ـ أنت) مختلفة عن العلاقة (أنا ـ هو) I-It · ففى هذه العلاقة الأخيرة يعبر عن الهو It بشىء يتم التعامل معه ، واستخدامه لا الدخول معه فى حوار ، فلأغراض التطور التكنولوجى لابد للانسان أن يتصل ببيئته وظيفيا من خلال علاقة (أنا ـ هو it) · وعلى أية حال ، فالقيم تقوم على العلاقة (أنا ـ أنت) ـ كعلاقة مزدوجة ؛ علاقة (أنا بانت) وعلاقة (أنت بانا) ، فالدين (اليهودى) المصاغ بشكل رسمى هو مجرد محاولة لترسيخ القيم الناتجة عن العلاقة (أنا ـ أنت) بين الانسان (انا) والله (أنـت) ، لكـن هذه التجربـة العلائقيـة (أى التجربـة المتمثلة من خلال هذه العلاقة) قد تكررت فى كل عصر ، ولم تكن هناك حاجة لكل فرد ليرتبط بدين · حقيقـة ، أن بوبر Buber ذهب الى ابعد من ذلك ، بزعمه أن الدين قد يكون عائقا بالنسبة للعلاقة (أنا ـ أنت) ؛ من حيث حيويتها ونوعيتها ودلالاتها الروحية ، وعلى هذا فانه يصبح ذا تأثير مقلص أو مخفض على مقدرة الانسان على سماع صوت الله ·

(*) او التقوية ـ راجع معجم المصطلحات بآخر الكتاب (المترجم)

وكل كتابات بوبر Buber تتمحور حول هذا الموضوع ولا سواه ؛ اعنى علاقة الحوار و التلاقى بين الله والانسان . وقد عبر عن أفكاره الأساسية حول هذا الموضوع بشكل أكثر ما يكون وضـــوحا فى كتابه (أنا وانت I and Thou) ؛ لكن تفسيره لرسالة الكتاب المقدس اليهودى ولفهمه للحركة الحاسيدية (*) Chasidic movement وآرائه حول التعليم وتناقضه بين عقيدة اسرائيل والعقيدة المسيحية ، واتجاهه للصهيونية المتضمن العمل من أجل دولة عربية يهودية (مزدوجة الوطنيـــة) فى فلسطين ، وترجمته الجديدة لكتاب المقدس العبرى الى الألمانية التى حاول فيها تقديم معنى جديد للأوروبى الحديث فيما يتعلق بأشكال الفكر العبرى القديم - كل هذا صاغه متحلقا حول تبصره المتحلق حول العلاقتين المذكورتين آنفا (أنا - أنت) و (أنا - هو it) . وقد تعرض بوبر لنقد متتابع ، ووجهت له اتهـامات مختلفـة . ففهمه للحركة الحاسيدية Chasidic (التقوية) الذى ركز على ما قالت به من علاقة حية مع الله ومعنى الشراكة أو الرفقة fellowship - هذا الفهم قد اعتبره الباحثون فى مجال الصوفية اليهودية (٢) تجاهلا للجوانب العقائدية للجماعات الحاسـيدية (التقوية) المختلفة . وتعرضت وجهـات نظره المعارضـــة للشـوفينية (التعصب الشديد للوطن) اليهودية للنقد ؛ باعتبارها وجهات نظر ساذجة أو غير عملية ، ولا تخدم أهداف الصهيونية السياسية ، كما أن رفضـه المنطوى على التناقض للهالاخـــاه (الشريعة اليهودية) وللطقوس أدى الى اتهامه بالفوضوية الدينية (انكار كل سلطة دينية) . لقد كان ذا تأثير كبير بين المفكرين المسيحيين ، وبين اليهود الذين تحولوا عن التراث اليهـودى ، والذين قدمت لهم تفسيرات بوبر Buber للماضى اليهودى منظورا غير متاح فى الكتابات التى كتبهـا مفكرون أكثر انتحاء للفكر اليهودى التقليدى .

وثمة مفكر آخر ترك تأثيرا كبيرا فى اللاهوت اليهودى فى بواكير القـرن العشرين ، ولا زال معترفـا بأهميته حتى الآن . انه فرانز-

(*) التقوية . (المترجم)

(فرانتس) روز نتســفيج (١٨٨٦ - ١٩٢٩) وكان معـاصرا لبوبر Buber لكنه كان أصغر منه سنا ، وشاركه فى ترجمته للكتاب المقدس اليهودى . وقد نشأ روز ينتسفيج Rosenzweig فى أسرة مهضومة لكنها معتزة بنفسها فى برلين . وبينما كان يتابع بتفوق دراسته الجامعية فكر فى التحول للمسيحية ؛ اذ وجد اليهودية دينا ضحلا . وعلى أية حال ، فقد قرر أن يدخل المسيحية كيهودى ، وعلى هذا ، فقد رغب فى حضور طقوس العيد الدينى الأكبر High Holiday Services الذى ظن انه يعقد لآخر مرة فى عام ١٩١٣ . وقضى يوم الكفارة Day of Antonement فى معبد ارثوذكسى صـــغير فى برلين وتحركت مشاعره بسبب كثرة المصلين وتأثير الجموع ؛ مما كان متناقضا بشكل حاد مع ما كان يعرفه حتى الآن من طقوس دينية يهودية خالية من الروح ، ومن ثم فقد قرر أن يظل يهوديا ، لكنـــه ظل محتفظا بفهم متعاطف مع المسـيحية بقية حياته ، فاعتقد بوجود طريقين صـــحيحين الى الله : اليهودية بالنسبة لليهود ، والمسيحية بالنسبة للأغيار (غير اليهود) .

وخلال الحرب العالمية الأولى ، خدم كجندى فى شرق أوروبا وتأثر بتقوى اليهود فى هذه الأنحاء وحيويتهم الدينية ، كما تأثر بوبر Buber بالظاهرة نفسهـــا قبله ، فبـدأ فى كتـابة رائعته « نجم الخـلاص The Star of Redemption » فى شكل خطابات الى أمه بينما كان على جبهة القتال . وبعد تسريحه ، سجل هذه الخطابات فى كتاب نشره فى سنة ١٩٢١ . ويقوم لاهوت روز نتسفيج على مقدمة منطقية ، مؤداها أن الانسان لا يستطيع الاتصال بالله الا استجابة لايحاء الله ذاته للانسان (تعريف الله نفســـه للانســـــان ، أى أن المبـــادرة هى من الله (God's self revelation to man ، وعلاقة الانسان برفيقه - ومن ثم بالعالم كله - ليست مشروطة بايحاء الله نفسه لخلقه ، وانما هى نتيجة لهذا الايحـاء . فان تكون يهـوديا - فيما يرى روز نتسفيج - تعنى أن تكون منفتحا على الرسالة المحورية لحب الله ايحاء نفسه (ذاته) كما يظهر فى التراث اليهودى . ومن الممكن للأغيار (غير اليهود) أن

يكونوا منفتحين على هذه الرسالة ذاتها من خلال التعاليم المسيحية ، وناقش روز نتسفيج أديان الهند والصين ليظهر أنه ليس لديها الادراك الكافى لهذه الرسالة . فاليهودية والمسيحية وحدهما هما اللتان فهمتا البنية الأساسية للعلاقة الانسانية الالهية وهما - اليهودية والمسيحية - تمثلان تمهيدين يمكن أن يحل احدهما محل الآخر - بين الانسان والله .

وبرغم ان أفكار روز نتسفيج تظهر اعتماده على لاهوت بوبر Buber الوجودى existential ؛ فانه أقرب الى الموقف اليهودى التقليدى من معلمه ففى مقالاته ورسائله ، تبنى موقفا وسطا بين رفض بوبر Buber لكل الالتزام الدينى المتشدد من ناحية ، والمطالب التقليدية بأن مقولات الهالاخاه ملزمة لليهودى من ناحية أخرى . انه يقبل العنصر الشخصى الذاتى فى اقتراب الفرد اليهودى من الهالاخاه ، قبل امكانية تبنى هذه الهالاخاه فى أسـلوب الحياة اليهودى . وبينما اعتبر بوبر Buber الطقوس الدينية حاجزا غير شفاف وعائقا يعوق اتصال الانسان بالله ، فان روز نتسفيج رآها شيئا يمكن أن يصبح أداة لهذا الاتصال (التلاقى مع الله) ؛ مقدما الدليل على أنها تكمل الموقف الوجودى للفرد .

واسـتمرت أفكار روزنتسفيج تؤثر تأثيرا متزايدا على اللاهـوت اليهودى المعاصر ، خاصة مع ترجمة كتابه « نجم الخلاص » الآنف ذكره الى الانجليزية فى سنة ١٩٧٠ . ولم تكن كتابات روزنتسفيج وحدها هى ذات الأهمية ، وانما كذلك كانت تفاصيل حياته أيضا . لقد قضى أعوامه الأخيرة يكافح ضد الشلل الذى زحف الى أعضائه ، وأدى فى النهاية لموته ، وخلال هذه المرحلة من حياته ، أظهر شجاعة فائقة واستمر يكتب حتى بعد أن عجزت أطرافه عن الحركة . ولأن روزنتسفيج نفسه كان دوما يربط بين الحياة والفكر ، فمن المعقول أن يكون روزنتسفيج الرجل وروزنتسفيج المفكر موضوعا للفكر اللاهوتى المعاصر .

الفكر اليهودى الحديث

ترك حدثان حديثان فى الحياة اليهودية أثرا لا يمحى ، سواء على مستوى اللاهوت اليهودى الحديث أم على مستوى الارادة اليهـودية ، ولا شك ان أثر هذين الحدثين سيستمر فى توجيه الحياة اليهودية لفترة قادمة . هذان الحدثان هما : تدمير المجتمعات اليهودية فى أوروبا خلال الفترة النازية ، وقيام دولة يهودية مستقلة فى الأرض المقدسة فى سنة ١٩٤٨ . فنتائج كلا الحدثين بالنسبة للوعى اليهودى والهوية اليهودية ، هائلة ، وقد فاقت هذه النتائج كثيرا كل ما كان سائدا فى الفكر اليهودى حتى الحرب العالمية الثانية - أى كل ما كان سائدا قبل هذين الحدثين الآنف ذكرهما . فما أثارته محارق النازية لليهود (*) (الهولوكوست) وما جرى أثناء هذه الفترة من اضطهاد شديد ومذابح ومعسكرات موت ، فاقت فى عدم انسانيتها كل تصور - كل هذا جعل النزعة للتفاؤل التى سادت اللاهوت اليهودى قبل الهولوكوست (المحارق النازية لليهود) تبدو سطحية . لقد أحيا الهولوكوست النازى معنى حقيقة وجود الشر وعزلة الشعب اليهودى ، والارتياب فى الليبرالية العقيمة ، والارتياب فى حقيقة نوايا الأغيار بالنسبة لليهود . أما تأسيس دولة اسرائيل ، فكان يعنى أن العرق اليهودى والهوية اليهودية قد أصبحا فى طليعة الوجود اليهودى ، سواء أكان هذا بالنسبة لليهود الصهاينة أى الذين كانوا يعملون بشكل فعال لتحقيق أغراض صهيونية ، أم اليهود غير الصهاينة .

وحتى الأربعينيات من القرن العشرين ، كان المفكرون اليهود الذين كان غالبهم فى الولايات المتحدة الأمريكية وغرب أوروبا ، لايزالون متشبثين بتناول القضايا التى ظهرت مع التحرر (الانعتاق) اليهودى . وهذا يبدو واضـحا من خلال أعمال موردخاى كابلان Mordecai Kaplan , (١٨٨١ -) ، وهو واحد من أكثر اللاهوتيين اليهوديين أرثوذكسية

(*) ظهرت كتابات بلغات مختلفة تؤكد المبالغة فى رواية أحداث المحرقة . (المترجم)

فى أمريكا الشمالية فى هذه الفترة • لقد انشــق كابلان عن الحركة اليهودية المحافظة ليؤسس حركة اعــادة البنـاء أو البنيوية الجديدة Reconstructionism • التى تنطلق أيديولوجيتها من أهم كتـاباته (اليهودية كحضارة Judaism as Civilization) ، والذى نشرته للمرة الأولى فى سنة ١٩٣٤ • لقد شرح كابلان فى كتابه هذا النجربة اليهودية كسير تاريخى كل من الشعب اليهودى تطور عبر الزمن ، وبلغت مثلها العليا شخوصها فى « الله » • وتعتبر هذه الملامح الدينية والعلمانية لهذه الثقافة اجزاء متممة للحضارة اليهودية التى تظهر فى كليتها البنى [illegible] عن معنى وهدف • لقد دافع كابلان عن [illegible] الطقوس اليهودية للظروف المعاصرة ، وقلل من أهمية الجوانب [illegible] Supernatural والميتافيزيقية لليهودية ، مفضلا أن يرى [illegible] فى ديناميكا الجماعة فى ثقافة اثنية (عرقية) [illegible] التراث اليهودى الى عصر العلم بقصد أن يتجاوز [illegible] الصراع بين التراث والحداثة ، وبين [illegible] العلمى من ناحية أخرى •

[illegible] فى الولايات المتحدة كان له تأثير كبير مع [illegible] لم يؤسس حركة معينة تتحلق حول أفكاره ، [illegible] من اليهود الأمريكيين أكثر حكماء اليهود استنارة [illegible] هيشل Abraham J. Heschel (١٩٠٧ ـ ١٩٧٢) [illegible] كتابات هيشل بالانجليزية لا تعود لأبعد من وصوله [illegible] من أوروبا النازية ، فانه سرعان ما جعل [illegible] جماهيريا للتقوية اليهودية فى شرق أوروبا [illegible] وكان هيشل قد نشأ فى منــاخ يهودى [illegible] التقوية (الحاسيدية Chasidism) [illegible] فى جامعة برلين حيث ألف كتابا عن [illegible] وبذلك يكون هيشل قد جمع فى نفســه [illegible] بجذورهــا العميقة فى الصــوفية

[illegible] الأكاديمية الحديثة فى الموضوعات اليهودية • [illegible] على معنى الخوف من الله awe ومعنى المعجزة [illegible] أو الدهشة العميقة فى مواجهة الكون الغامض [illegible] بشكل عمل ، وفى كل يوم • فاليهودية قائمة [illegible] مهتم يطلب الانسان ويخاطبه • وشىء من هذا [illegible] من خشية ، أمر ضرورى للانسان العصرى ليخبر [illegible] اليهودية • وفى الواقع ، فان هيشل يقدم لنا [illegible] وأسلوب الحياة لما قبل اليهودية الحديثة ، لليهودى [illegible] الثقافة العلمانية للعالم الغربى •

[illegible] كابلان وهيشل قد كتبا فى الفترة التى أعقبت [illegible] النازية لليهود) ، وبرغم أن كليهما كتبا كتبا عن [illegible] فانهما مفكران شكلت وجهات نظرهما الناضجة [illegible] أحداث الهولوكوست ، وقيام دولة اسرائيل [illegible] الرموز المزلزلة الدالة على الدمار والميلاد الجديد ، [illegible] على العقل اليهودى الحديث • وحتى بعد [illegible] للهولوكوست ، فقد ظل اللاهوت قاصرا (فى [illegible] اليهــود الأرثوذكس بشكل عام قد اتخذوا [illegible] التركيز الشديد على رعب المرحلة النازية ، انما [illegible] بناء الحياة اليهودية وانشائها خلقا جديدا ، [illegible] هو ايجاد معنى لأحداث الهولوكوست التى تبدو [illegible] وانما اعادة انعاش الحياة اليهودية التقليدية [illegible] • وظل مفكرون آخرون صامتين ؛ لأن فداحة [illegible] يفوق أية قدرة على التعبير اللاهوتى ، كما أن [illegible] على أسس عقلية بسبب شــدة الانفعالات [illegible] والأحزان •••• وربما لهذا السبب كانت [illegible] الهولوكوست أدبية أكثر منها لاهوتية ، فقد ظهر [illegible] المقالات والأشعار والمذكرات التى تستدعى ذكريات

ما حدث ، كتبها فى غالبها أناس عاشوا فى معسكرات الاعتقال . وربما كان أكثر الكتاب من هذه الفئة تأثيرا هو الروائى ايلى فيسل Elie Wiesel الذى لم يكتب كثيرا جدا عن البشاعات والأعمال الرديئة ، وانما استجابة للضحايا . وعلى كثرة ما يجد المرء فى رسائل (أفكار) فى كتابات فيسل ، فان أهمها هى فكرة التحدى ، أى تحدى الله الذى مات فى الهولوكوست (*) Auschwit Z ذلك لأنه اذا كان الله لم يختر التدخل لمنع وحشية الانسان التى مارسها ضد أخيه الانسان ، فمعنى هذا انه غير قادر على الاهتمام بالانسان أو ما هو أسوأ — هكذا يجادل فيسل — وهو أن الله لا يرغب فى ذلك (٣) . ورغم أن آخرين حاولوا وصف هذا الموقف غير الفعال من الله ، بأنه — أى الله — يخبىء وجهه ، وهو المعنى نفسه الذى عبر عنه بوبر Buber عندما تحدث عن « كسوف » الله . لقد عبر فيسل Wiesel عن ذلك من خلال عبارات متناقضة ظاهريا : فما دام الله قد مات ، فلابد للبشر أن يأخذوا على عاتقهم موقفا يتحدون فيه الله الذى خذلهم .

والفكرة التى تمخضت عن الهولوكوست ، والتى مؤداها أن الله قد مات أضحت أكثر وضوحا — وان كانت أقل جودة من حيث الصياغة الفنية — فى كتابات اللاهوتى الأمريكى ريتشارد روبينشتين Richard Rubinstein الرابى الاصلاحى الذى كان أحد المفكرين الذين جددوا الاهتمام بحقيقة وجود الشر ، نتيجة لما حدث فى الهولوكوست . ففى كتابه اللصيق بالموضوع « بعد المذبحة After Auschwitz » ، خلص الى أن النتيجة الوحيدة التى يمكن الخلوص بها دون أن نتجاوز مفهومنا للعدل هى أن الالحاد هو لاهوت يهودية ما بعد الهولوكوست . وأقام روبينشتين أفكاره بناء على تصورات من القبالة وصف فيها الله بأنه لا شىء ، فى حالة لا متناهية أو غير محددة the infinite nothing ، واتخذت هذه اللاشيئية nothingness

(*) راجع تعليقات المترجم (المراجع) .

التى عزاها الى الله مضامين مهمة للانسان فى عالم غير مكترث ، ذلك ان هذه الفكرة تعنى أن على الانسان أن يشكل قدره بنفسه وأن يستثمر العالم وأن يتحمل مسئولية أعماله . فاليهودية ، فيما يرى روبنشتين ، هى بنى طقسية ذات معنى لها قيمة سيكولوجية واجتماعية . واليهودية الالحادية — وفقا لما يرى روبينشتين — من الشذوذ بمكان بحيث يجعلها لا تكتسب اتباعا كثيرين ، ما دامت النتيجة المنطقية لمثل هذا التفكير هى انها أقرب ما تكون الى الانسانية الوجودية existential humanism منها الى دين العهد (عهد الله لبنى اسرائيل Covenant).

وثمة لاهوتى اصلاحى آخر كتب بتوسع عن الهولوكوست ، وهو اميل فاكنهايم Emil Fackenheim الرابى المطرود من رحمة الرابية والذى كان يدرس الفلسفة بشكل مستمر . لقد رأى فاكنهايم الرسالة (الفكرة) المستخلصة من الهولوكوست وهى ما أسماه (الصوت الآمر بالمذبحة) ؛ حتى يمنع اليهودى من غزو انتصارات لهتلر تحققت بعد موته . ففى كتابه (حضور الله فى التاريخ God's presence in History) وعدد من مقالاته المثيرة الأخرى ، قدم الأدلة على أن الواجب اليهودى الأول بعد حقبة الهولوكوست هو الاحياء اليهودى . هذا الواجب — كما يعتقد — هو المحرك الأساسى للتصميم الدءوب الذى يحفز اليهود الاسرائيليين للنضال لتأكيد احياء دولتهم الوليدة . لقد كان فاكنهايم يرى رباطا متكاملا بين الدمار الذى عانى منه الشعب اليهودى ، وانبعاثه من جديد فى التاريخ كأمة تولد مرة أخرى . وواجب الاحياء هذا يستلزم اعادة رواية قصة الفظائع النازية أمام العالم الذى يفضل أن ينساها ، وبالنسبة لليهودى المتدين فان هذا ينطوى على وقفة للاعتراض ضد الله (الاحتجاج عليه) باسم قيم الله نفسها فكيف يسمح لما حدث بأن يحدث ، تماما كما تناقش الجد ابراهيم (الخليل) مع الله حول مدى العدل فى تدمير سدوم وعاموراء ، وعلى النحو نفسه فان اليهودى الذى بقى بعد الهولوكوست يجب أن يرسخ فى عقيدته وأفعاله الشواهد التقليدية للقيم التاريخية ، حتى لو كان الله نفسه يبدو نابذا اياها متخليا عنها .

ان الطبيعة المنطوية على التناقض فى اســتجابة كل من فيسل وروبنشتين وفاكنهايم للهولوكوست ظاهرة . فالأفكار القائلة بتحدى الله الذى وصف بأنه مات ، والابقاء على الالحادية الدينية والعمل على استمرارها وانقاذ الله من عجزه – كل هذا يمثل مواقف لاهوتية جديدة وثورية الى أبعد مدى فى اليهودية . وظهرت اتجاهات أخرى أكثر عمومية . وعلى هذا ، فالصهاينة الدينيون والصهاينة العلمانيون يفسرون الهولوكوست على انه نتيجة لعدم رغبـة يهود أوروبا فى ترك الشتات والاستقرار فى فلسطين عندما أتيحت لهم الفرصة فى بواكير القرن العشرين ، لقد كان الهولوكوست عقابا الهيا لهم ، لموقفهم هذا . وبعض اليهود الأرثوذكس المغـالين Ultra-Orthodox راوا أن الهولوكوست نتيجة ذوبـان اليهود وتقليدهم لأساليب الأغيار (غير اليهود) ورفضهم للتراث اليهودى . وحركة اليهود الأرثوذكس الغلاة المناهضين للصهيونية (حركة نيتوريا كارتا Neturei Karta)التى تشكل أقلية من الأصــوليين الغلاة المتعصبين Zealotes ، تنظر للفظائع النازية كعقاب الهى للمحاولات الصهيونية لجمع يهود الشتات فى فلسطين قبل أن يرسل الله المسيح (المشياح Messiah) . وقد كتب الزعيم الروحى للنيتوريا كارتا ، ر . جـول تيتلباوم R. Joel Toitelbaum the Satmar Rebba كتــابات كثيرة حول هذا الموضوع ، مقدما الأدلة من التلمود على الفواجع التى ستنشأ ان حاول اليهود العودة الى الأرض المقدسة (فلسطين) بشكل جماعى .

وثمة اتجاه أكثر عقلانية فى تناول لاهوت الهولوكوست نجده عند المفكر الأرثوذكسى اليعازر بيركوفيت Elizer Berkovit فى كتابه (العقيدة بعد الهولوكوست Faith after the HoloCoust) . لقد حاول بيركوفيت أن ينظر الى الهولوكوست من خــلال منظور أوسع ، من خلال التاريخ اليهودى وما مر به اليهود من تجارب فى الاستشهاد فى سـبيل الديـن والتعرض للاضطهاد . حقيقة أن الهولوكوست تختلف من حيث الدرجة عن الاجراءات المعادية لليهود فى الماضى ، لكنها لا تختلف عنها من حيث النوع.وبينما جعلت فظائع النازى من غير الممكن النظر اليها كنوع من

العقاب الالهى على آثام بشرية ، فقد كان من الممكن تفسير الهولوكوست على اساس القول بأن الله يخفى وجهه عن الانسان . وعندما يخبىء الله وجهه او يخفيه ، فانه بذلك يعطى الانسان فرصة أن يعمل – بشكل ناضج – كمسئول باعتباره موجودا أو كائنا يراعى الأخلاق ، ولكن الله ايضا يسمح للانسان بالتصرف بشكل لا اخلاقى ويسمح له بالتنصل من مسئولياته . وفى تحليل بيركوفيت للعوامل التى جعلت الغاء الجماعات اليهودية كلها أمرا ممكنا ، وجدناه يفصــل أو يعزل العداء المسيحى لليهود واليهودية كعنصر مهم . وهو كالمفكرين اليهود الآخرين ، يرى فى اعادة ميلاد دولة اسرائيل مظهرا من مظاهر التدخل الالهى فى التاريخ ، اى ان الله يوحى وجهه مرة أخرى . فالاحياء المطلق لليهود مسألة خارجة عن القياس ، وعودتهم الى أرض أجدادهم بعد طول غياب عنها مسألة غير مفهومة . لكن هذه الظواهر لا يمكن الحكم عليها من خلال المستويات العادية للتاريخ البشرى ؛ لأننا هنا نتعامل مع تاريخ اسرائيل ودوره الخاص فى ايجاد (خلق) مملكة الله على الأرض . ولأن تاريخ اسرائيل يمكن أن يكون شاذا وغير سوى ومنافيا للعقل لأنه – أى هذا التاريخ – يعد جزءا متمما لمجىء المسيح messianic process ؛ فالشعب اليهودى يمكن أن يولد من جديد فى صهيون Zion ، وعلى أية حال ، فللسبب نفسه يمكن أن تتعرض اسرائيل لمحرقة أخرى (Auschwitz, Triblinka, a Belson) تكون هى الأخرى عنيفة غير مفهومة .

والمناقشة حول معنى الهولوكوست ، حول ما اذا كانت اليهودية تحتاج لتغيير راديكالى استجابة لها (للهولوكوستا) ومناقشات حول معنى دولة اسرائيل وما اذا كانت هى بداية المرحلة الممهدة لمجىء المسيح أم لا ، او أنها – ببساطة – ظاهرة شاذة قطعت اضطراد الشتات الذى واكب اليهودية حتى اليوم . وبينما كان الهولوكوست قضية من قضايا الماضى ، فان الماضى القريب يلقى بظلاله ويلون كثيرا من قضايا الحاضر ، ويلقى عليها معانى عاطفية اضافية ، فطبيعة اسرائيل ومعناها ، موضوع له نتائجه بالنسبة لمستقبل الحياة اليهودية فى كل جوانبها . وفى اسرائيل نفسها

مجموعة صغيرة من الصهاينة الدينيين الذين تشربوا معنى دور اسرائيل فى التمهيد لمجىء المسيح ، وصمموا على تحويل وجهات نظرهم الدينية الى حقائق سياسية · فها هى جماعة جوش ايمونيم Gush Emunim التى يتزعمها تسيفى يهودا كوك Tzvi Yehudah Kook ابن د· أبراهام ا كوك ، الذى يعارض اعادة أى جزء من حدود الأراضى المقدسة القديمة للسيادة العربية ؛ اعتمادا على اسس هالاخاوية (شرعية) وأخرى متعلقة بمجىء المسيح ، فالاعتبارات الدنيوية للمساومة من أجل السلام تعد مساومة فى مقابل لا شىء فى جو ملىء بتوقعات فجر جديد والفية جديدة تقترب (*) · وبعض زعماء يهود الشتات يؤيدون مثل هذه المقولات · وذهب ميناشيم (ميناحم) شنيرســـون Menachem Schneerson the Lubavitcher Rebbe الى التصدى ـ بقوة ـ لفكرة التنازل عن أية بوصة من الأرض المقدسة مهما كان الثمن المقابل · ومعظم السلطات الرابية بين يهود الشتات ، سواء منهم الأرثوذكس أو المحافظون أو الاصلاحيون، اتخذوا مواقف أكثر عملية (براجماتية) وأقل مسيحانية ـ بالنسبة لهذا الأمر · ودافع الزعيم الروحى للأرثوذكسية الجديدة فى الولايات المتحدة الأمريكية د· جوزيف د· سولوفيتشيك R. Joseph D. Soloveitchik عن الاتجاه المرن فى كل جوانب هذه القضية ، برغم أنه ركز فى غالب الأحوال على محورية اسرائيل وأهميتها لليهودى المتدين فى هذه الأيام · وعلى النحو نفســه نجد الدكتور جاكوبوفتس I. Jakobovits ، كبير الرابيين البريطانيين ، قد أغضب جناح اليمين الصهيونى بوقوفه ـ علنا ـ ضد السماح للاعتبارات المتعلقة بمجىء المسيح بالتدخل فى مجال استتباب الأمور السياسية بين اسرائيل وجيرانها العرب (*) ·

(*) طبعا كتب المؤلف كتابه قبل دخول الألفية الثالثة وها نحن فيها ولم يجىء المسيح اليهودى · (المترجم)

تعليقات المترجم

على بعض ما ورد فى الفصل الخامس

يلاحظ القارىء أن اليهود يتحدثون عن الله سبحانه وتعالى وكأنهم يتحدثون عن شخص منهم ، فهم يقولون انهم يحاولون « انقاذ الله من عجزه » (تعالى الله علوا كبيرا) ، وأنهم (يعترضون) على الله (ويحتجون) عليه بل انهم يقولون (استغفر الله) انه قد مات والا لما تركهم يحرقون فى (الهولوكوست/المحرقة) ··· الخ وقد أشار القرآن الكريم الى مثل هذه الأقوال (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ··) المائدة/٧٨ ، وتحدث بنو اسرائيل أيضا عن أنبيائهم بما لا يليق ، وقولهم عن عيسى ابن مريم عليه السلام وأمه معروف ، وكل هذا نابع من غرور شديد · (عن نظرة بنى اسرائيل لأنبيائهم راجع كتاب : « اليهودية » للدكتــور احمد شلبى ، ص ١٥٩ وما بعدها) ·

الفصل السادس

التراث الصوفى اليهـودى

مقـدمة

ليست اليهودية ـ فى جوهرها ـ دينا صوفيا (باطنيا) فهى لا تعتمد على خبرة باطنية منيرة لموجد ، يفسر بمقتضاها فيوضاته (أو فتوحاته أو رؤاه) لمجموعة من المريدين . ويمكن النظر للنبوءات التوراتية (أو النبوءات فى الكتاب المقدس اليهودى كله) باعتبارها منفصلة عن التجربة الصوفية (الباطنية) ، برغم أنها تشبهها مشابهة تكفى لخلطها بالتجربة الصوفية خاصة من قبل الصوفيين (اليهود) أنفسهم . ويمكن التعبير عن الفرق بين نبـوءات الكتـاب المقدس اليهـودى ، والتجربة الصـوفية كالتـالى : فى الصـوفية يجـرب الانسان نفسـه لاختراق الحجب الى مسـتوى الحقيقة الكامنة فيمـا وراء عالم الأشكال والأشياء العـادية ، بينما فى النبوة يجـرب النبى حقيقة أكبر باختراق الحجب ليعايشها ـ أى هذه الحقيقة ـ معايشة يومية . لقد منعت مقولات اليهودية الرابية الصـوفية اليهودية من الانسحاب بعيدا فى عالمها الداخلى الخاص ، لكن هذه المقولات قد شكلتها ـ تباعا ـ اتجاهات القباله kabbalah وعقائدها كما غرقت فى الصوفية اليهودية فى العصـور الوسطى ، وكذلك التعالم السرية التى غالبـا ما كانت تمر من خلال وعي اليهودي العادي وسلوكياته .

الصوفية اليهودية وتطورها

اصل الصوفية اليهودية فى التراث الرابى ، تظهر المصادر الأولى عن الصوفية اليهودية فى مجموعة القوانين والأعراف التى جمعت فى الميشناه ، والتى جرى اختصارها فى أواخر القرن الثانى للميلاد . ونجد فى الميشناه التحذير التـالى : « المرء لا يشرح أسرار الخـلق Maaseh Berechit لطالبين فى الوقت نفسـه . ولا يشرح أسرار المركبة (الميركاباه Merkabah) اى أسرار رؤيا حزقيال Ezekiel Vision للمركبة الالهية ، لطالب واحد الا اذا كان حكيما ، ويفهم مما لديه من معلومات . هذا الذى يتفكر فى أربعة أشياء ، والذى يرى أنه كان من الأفضل له ألا يكون فى هذه الدنيا ، هذه الأشياء الأربعة هى : ما هو الأعلى ، وما هو الأدنى ، وما هو قبل ، وما هو بعد » (١) .

وبرغم أن تقرير الميشناه موجز وملغز ، فانه يستلزم وجود تعليمات راسخة فيما يتعلق بالعقيدتين السريتين : العقيدة المتعلقة بأسرار الخلق ، والعقيدة المتعلقة بالمركبة الالهية (الميركاباه) ، فالعقيدة الأولى المتعلقة بأسرار الخلق يمكن تعليمها لكن هذا التعليم لا يكون الا من خلال اتصال بين المعلم والتلميذ أى من خلال علاقة بين اثنين ، أما العقيدة الثانية وهى المتعلقة بالمركبة الالهية ، فقد لا يمكن تعليمها عامة الا اذا كان التلميذ يمثل مادة ملائمة لتلقى أمور ذات صلة فى المقام الأول بالتجربة الباطنية (الصوفية) . واستمرار الميشناه فى الاشارة « لما هو الأعلى ، وما هو الأدنى .. الخ » قد يعنى الاشـــارة الى هاتين العقيدتين الغامضتين (العقيدة فى أسرار الخلق ، والعقيدة فى المركبة الالهية ـ الميركاباه) . ومن المناقشة التلمودية لهذا النص ، يظهر أن التراث المتعلق بالمركبة الالهية (الميركاباه) يضم سلسلة من التقنيات والممارسات التى يستطيع بها الصوفى أن يكتشف الفاصل بين العالم المادى أو البشرى وعالم المركبة الالهية (الميركاباه) ؛ بهدف رؤية الله جالسا على عرشه السماوى .

وليس من الواضح ما اذا كانت هناك معارضة للاهوت الميركاباه (المركبة الالهية) ، أو ما اذا كان هناك اعتقاد مؤداه ـ ببساطة ـ أن

التعاليم السرية الغامضة لهذه الطبيعة يجب أن تبقى محفوظة بين الصوفية أنفسهم . ومن المؤكد أن عددا من التحذيرات قد صدرت ضد اثارة البلبلة بطرح مثل هذه الأمور ، الا اذا كان المتلقى مستعدا لتلقيها . وثمة قصة شهيرة جدا عن أربعة حكماء قاموا برحلة صوفية (باطنية) الى الفردوس :

« أربعة دخلوا الجنة وهم : بن عزاى Ben Azai وبن زوما Ben Zoma وآشر Acher (عليشة بن أفوياه Elisha ben Avuyah) والرابى أكيفا Akiva الذى قال لهم : عندما تصلون الى أحجار الرخام النقى كونوا حذرين ولا تقولوا « ماء ، ماء » ما دام الكتاب المقدس ينص على أن « الكذاب لا يرى وجهى » (المزامير – ١٠١) . ابن عزاى حملق ومات ... وابن زوما حملق وجن .. وآشر قطع النباتات ، وخرج الرابى اكيفا Akiva سالما » (٢) .

هذه الحكاية تشير الى الطبيعة الخطرة لهذا المشروع (رؤية الله عز وجل) . انه خطر الى أقصى درجات الخطورة ، اذ نكاد نتعرف من خلال هذه الرموز الدينية وتفسيراتها على ثلاث نتائج للقصور الذى ألم بهذه الرحلة الباطنية ، وهى : الموت والجنون والهرطقة أو الكفر وهو ما يرمز اليه قطع نباتات الجنة .

وكل التراث المتعلق بالميركاباه (العربة الالهية) فى المجال الصوفى باق ، وهو يعود – فيما يحتمل – الى أواخر الفترة التلمودية . ومن هذه البقايا الأدبية ومن الاشارات فى المصادر التلمودية ، يمكننا أن نرسم معا صورة للأساليب (التقنيات) التى يستخدمها الصوفى فى الاعداد لرحلته لرؤية المركبة الالهية (الميركاباه) فهذه الأساليب هى : الصيام ، والاستحمام الطقسى (الطهارة الطقسية) لأغراض تطهرية ، والجلوس فى وضع مخصوص والرأس بين الركبتين وترتيل الترانيم الدينية والأسماء الباطنية (الصوفية) للملائكة أو الأسماء الباطنية (السرية أو الصوفية) لله ، والصلوات والدعاء واستخدام أساليب التأمل بالتحديق والتفرس ، التى تعد طبيعتها الحقيقية من الأمور المبهمة . وعلى الرحالة الصوفى

(المقصود فى رحلته الصوفية أو الباطنية هذه) أن يمر عبر سلسلة من سبع ردهات halls (أو بالتعبير الاصطلاحى هيخالوت heikhalot) كل منها يحرسها ملك ، ولا يمكن الولوج من بابها الا لمن لديهم الكلمة الباطنية (الصوفية و السرية) الصحيحة password و الصيغة (التعويذة) المؤهلة للعبور . وأى خطأ فى هذه الكلمة أو تلك الصيغة يمكن أن يكون مهلكا تماما كالنقص فى الاستعدادات الضرورية اللازمة للقيام بالرحلة (المقصود الرحلة الصوفية أو الباطنية) . ونصوص الهيخالوت heikhalot – كنصوص الميركاباه المعروفة – حافلة بالأسماء الملائكية والصيغ (التعاويذ) التى يجب أن يستخدمها الخبير أو الماهر بهذه الأمور كما وردت فى الوصف المأخوذ من بطلى هذه الأعمال الخالدين الزائفين : الرابى اسماعيل R. Ishmael والرابى اكيفا A. Akiva واللذين تصف كتاباتهما رحلاتهما الباطنية (الصوفية) ولقاءاتهما . والشخصية البارزة فى هذه النصوص هو الملك ميتاترون Metatron ممثل جمع الملائكة المضيفين ، والذى يقوم بدور الوسيط بين الله والانسان . فميتاترون يصور باعتباره هو الشخصية الواردة فى الكتاب المقدس باسم Enoch الذى رفع الى السماء من وسط جيل الخطيئة وتحول الى ملك . ان هرطقة آشر Acher (عليشة بن أفوياه Elisho ben Avuyah) – أحد الحكماء الأربعة الذين دخلوا الجنة (فى رحلة باطنية سبق ذكرها) – يجرى تقديمها وتفسيرها باعتباره ميتاترون المخطىء الذى أخطأ فاعتقد فى معبود ثان ؛ وبذلك وقع فى اثم الثنوية (الايمان بالهين وهذا ضد التوحيد) .

لقد كان الظن أن الفواجع والكوارث التى واجهت اليهودية خلال الحقبة الرابية الباكرة – أعنى تحطيم الهيكل فى سنة ٧٠ للميلاد وسحق ثورة بار كوخابا Bar kokhba ضد روما فى سنة ١٣٥ للميلاد – قد أوجدت بيئة دينية شعر فيها اليهود أن الله قد انسحب من تدخله فى أمور العالم الدنيوى (الأرضى) الى مملكته السماوية Celestial . فتعالى الله (تساميه) وابتعاده عن الانسان هو بالتأكيد موضوع أساسى فى

تعاليم الميركاباه ، وربما أيضا ازدهر هذا الشكل من أشكال الصوفية بين بعض الرابيين المتزعمين فى هذه الفترة بين يهود فلسطين .

والتراث الصوفى (الباطنى) الآخر ، وأعنى به المتعلق بأسرار الخلق (ماسه بيريشت Maaseh Berechit) ، يمكن النظر اليه باعتباره يتركز حول الطاقة الخلاقة لمزاوجات الحروف العبرية ، ومن المحتمل ان يكون ذلك وفقا للنسق الموجود فى سفر يتزيراه Sefer Yetzirah (أو سفر التشكيل Book of formation) (*) ، فهذا العمل ينسب الى ابراهيم (المقصود ابراهيم عليه السلام) ، وربما يشير الى انه يمثل تراثا نشأ خارج الوحى النازل فى سيناء Sinaitic revelation فسفر التشكيل الآنف ذكره ينتهى حقا برواية عن كيف أن ابراهيم سيطر على الأساليب (التقنيات) الصوفية أو الباطنية التى أدت الى عقد عهد بينه وبين الله . ويبدأ سفر التشكيل هذا Sefer Yetzirah بذكر ٣٢ طريقا من طرق الحكمة ، خلق الله ـ عن طريقها ـ الكون . وقد صيغت هذه الطرق فى عشرة سيفيروت Sefirot ـ من المحتمل أرقام أو أبعاد ـ وصفت بأنها بيليماه blimah ـ بدون جوهر أو مادة ـ بالاضافة الى الاثنين والعشرين حرفا التى تمثل الألفباء العبرية . وكثير مما ورد بالكتاب منهمك فى مناقشة تقسيم الحروف فى مجموعات مختلفة واعطاء معنى لكل تشكيل (لكل مجموعة من الحروف عند اجتماعها) ، وقد أقيم التوازى بين عناصر أقسام ثلاثة : الكون (المساحة) والعام (الزمن) والروح (الانسان) . والقوة الخلاقة لتجميعات الحروف قد استخرجت من قصص تلمودية مرتبطة بما ورد من تراث عن أسرار الخلق (الماسه بيريشت Maaseh Berechit) .

• رافا Rava خلق انسانا وارسله ليمثل أمام الرابى زيرا Zeira الذى تحدث اليه ، لكن هذا الانسان الذى خلقه رافا لم يجب ، فقال

(*) غير سفر التكوين المعروف فى أسفار موسى الخمسة (التوراة) . (المترجم)

عندئذ : انك من عند الحكماء (أو بمعنى آخر من عند السحرة) عد الى ترابك .

وكان الرابى شانينا R. Chanina والرابى أوشايا R. Oshaya يجلسان كل يوم جمعة ليدرسا سفر التشكيل Sefr Yetzirah (أو قواعد تشكيل الحروف العبرية فى مجموعات) وخلقا عجلا ابن ثلاث سنوات وأكلا لحمه . (*)

وسيكون واضحا أن الصوفية (أو الباطنية) المرتبطة بأسرار الخلق (ماسه بيريشت Maaseh Bereshit) مرتبطة ارتباطا وثيقا بالسحر ، لكن هذا لا يجب أن يثير الدهشة ؛ نظرا للصلة الوثيقة بين الصوفية او الباطنية والسحر فى التراث الصوفى لدى الآخرين (غير اليهود) . وحتى الصوفية التأملية الواضحة فى نصوص الهيخالوت heikhalut (الرحلة الصوفية الباطنية عبر الردهات السبع الآنف ذكرها) تضمن للمتمرس بصيرة فى البصيرة نى جوانى الكون ، ومعرفته بالمستقبل ، والسلطان العظيم .

وفى بعض الأحيان نجد أن الصوفى المرتبط بتراث الميركاباه (المركبة الالهية) يقف أمام اله اسرائيل ، ليرى كل ما يحدث أمام عرش جلالته ، وليعرف كل ما سيحدث فى العالم : من سيخسف به الله ، ومن سيرفعه الله ، ومن سيغدو قويا ومن سيغدو ضعيفا ومن سيعود فقيرا ، ومن سيحقق الثراء .. انه يرى كل الأعمال التى يباشرها البشر حتى داخل بيوتهم ويتعرف عليها ، يراها جميعا ؛ الصالح منها والطالح ... وكل من يرفع يده ضده (معترضا عليه) أو يضربه سرعان ما تغطيه دمامل الطاعون (٥) .

وبعض الملامح الرئيسية للصوفية اليهودية المتأخرة زمنا ، خاصة القباله Kabbalah فى العصور الوسطى نجدها حاضرة موجودة فى الصيغ

(*) ارجع الى تعليقات المترجم (المراجع) .

(التعويذات) المختصرة الواردة فى سفر تشكيل الحروف فى مجموعات Sefr Yetzirah ، والتى يمكن ارجاعها الى القرن الثالث للميلاد ، برغم أن شكل الصيغ (التعويذات) الحالية تضم عددا من الاضافات المتأخرة زمنا ٠ وأحد هذه الملامح هى الفكرة التى تعتبر الانســان عالما (بفتح اللام) صغيرا موجودا فى الكون كامنا فى التوازى بين الروح والكون (العالم) والزمن المقاس بالسنة Yearly time ٠ هذه العقيدة تعد مركزية فى الكشوف (الفتوح) الصوفية للطبيعة الداخلية للانسان كوسائل لحل (تفكيك) أعمال الكون (أو نظامه) ٠ وثمة ملمح آخر هو النظرية الجنينية للانبثاق (الفيوض emanation) موجودة فى تعاليم سفر تشكيل الحروف الى مجموعات Sefer Yetzirah عن السيفيروت Sefirot ٠ وبرغم أن شيئا محددا لم يذكر عن انبثاق السيفيروت من الله أو فيضانه منه ؛ فان السيفيروت التسعة الأدنى درجة تبدو وكأنها منبثقة من السيفيروت الأول ، أى روح الله القدس Holy Spirit of God وما دام السيفيروت يـكون حقيقة خـلاقة وأنه ، مع حروف الهجاء ، هما الوسائل التى خلق الله بها الكون ، فمن الطبيعى للقبالة المتأخرة Kabbalah أن تفهمهما باعتبارهما مرحلتين من مراحـل الانبثـاق أو الفيوض من المستويات الأدنى للوجود من الجوهر الالهى ٠ وهذا يختلف عن التعاليم اليهودية التقليدية عن الخلق خارج العدم Creatio ex nihilio .

لقد انتقل مركز الصوفية اليهودية لبعض الوقت من فلسطين الى بابل خلال الحقبة التلمودية ، فقد أصبحت بابل فى هذه الفترة المركز الرئيسى للحياة اليهودية ثقافيا واقتصاديا ٠ وخلال الفترة التى امتدت من القرن السابع الى الحادى عشر ، احتفظ يهود بابل بالتراث الصوفى (الباطنى) الذى ورثوه عن الماضى ؛ لكن هذا التراث نفسه تطور ليتكيف مع أوضاعهم الجديدة على الأقل - جزئيا - نتيجة اتصالهم بالحركات الوطنية السرية ٠ وثمة حكاية موثوق بها تذكر كيف أن صوفيا بابليا أتى بالمعجزات هو أبو هارون البغدادى Abou Haron (*) نقل التعاليم

(*) راجع تعليقات المترجم (المراجع) ٠

الصوفية من الشرق الى ايطاليا فى القرن التاسع للميلاد ، وكان الصوفيون الايطاليون (*) على علم بالتراث الصوفى المتعلق بالميركاباه (المركبة الالهية) ، ومن المحتمل أن يكون أبو هارون Abou Aaron قد أضاف اليهم التطورات التى حدثت فى هذا الموضوع فى بابل ٠ ومن ايطاليا انتقلت هذه الملامح الصوفية الجديدة شمالا الى ألمانيا ؛ اذ حملها أحد تلاميذ أبى هارون فساعد ذلك على ظهور حقبة من الصـوفية اليهودية الألمانية ارتبـطت باليهود الألمان (الاشكناز) التطهريين (الحاسيديم Chasidei Ashkenaz German Pietists) ، وثمـة عمـل مهـم عن الصـوفية اليهودية الأوروبيــة هو سفر (ها - باحير Sefer Ha-Bahir) كتب فى بروفنس فى القرن الثانى عشر نقلا عن تعاليم صوفية انبثقت فى الشرق ٠ وهذا العمل هو اقدم نص صوفى يقدم فكرة تناسخ الأرواح - وهى عقيدة كانت موجودة بالفعل بين اليهود القرائين فى بابل فى القرن الثامن للميلاد ٠ ونجد أن سفر ها - باحير Sefer Ha-Bahir ينحو نحو عقيدة هؤلاء اليهود المنشقين (القرائين) فيقدم عقيدة تناسخ الأرواح ، كحل لمشكلة معاناة الصالحين الذين يعاقبون بسبب ذنوب ارتكبوها فى حياة سابقة على حياتهم الحالية ٠ وتعاليم السيفيراه Sefirah كما وردت فى سفر التشكيل(**) Sefer Yetzirah وجدت بشكل أكثر تطورا فى سفر ها - باحير Bahir ؛ حيث وصفت بلغة رمزية رائعة جدا باعتبارها قوى معزوة لله أو صفات له attributes أو صورت على شكل شـجرة تربط السـماء بالأرض ٠ والسيفيراه الدنيــا هى الشيخيناه Shekhinah - القدس الكامن فى الله فى العالم (الكون) ، والذى يشير اليه سفر ها - باحير Bahir غالبا بابنة الملك daughter of the king ٠ وأحد أبرز ملامح نظرية السيفيروت التى نجدها هنا هى تماثل أو تطابق أو اندماج الشر مع سيفيراه الدن Sefirah of Din (الدن هو القضاء) وهذا يعنى أنه - الشر - جزء من تكوين الله نفسه وليس شيئا خارجا عنه أو غير مرتبط به ، وانما مندمج فيه ٠

(*) المقصود غالبا الصوفيون اليهود فى ايطاليا ٠

(**) وليس التكوين ٠

الصوفية اليهودية فى العصور الوسطى فى المانيا

لقد أدى التراث الصوفى المتعلق بالميركاباه (المركبة الالهية) الذى حدثت به تحورات وتطورات فى بابل ونقله بشكله الجديد الى أوروبا كل من « أبو هارون Aaron » ومصادر باحير Bahir فى وقت لاحق ـ أدى الى تيارين رئيسيين فى الفكر الصوفى فى العصور الوسطى . التيار الأول فى ألمانيا وتمثل فى حركة الاشكناز التطهريين (التطهريين (*) الألمان Chasidei Ashkeaz) ، والتيار الثانى حدث فى مكان أكثر انتحاء الى الغرب ، فى شبه جزيرة أيبيريا وجنوب فرنسا وشهد بدية حركة القبالة Kabbalistic movement . فالتقويون (الحاسيديم) اليهود الألمان فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر تميزوا بالزهد والتقشف asceticism وتركيزهم الشديد على المسلك الأخلاقى والطقسى ، وممارساتهم ومعتقداتهم السحرية ، وانعزالهم عن المسيحيين برغم وجودهم بينهم ، والذين تأثروا بهم ـ برغم انعزالهم هذا ـ فى المجالين الفكرى واللاهوت الصوفى . وكان فى بؤرة هذه الصوفية فكرة الكافود kavod البهاء الالهى و المجد السماوى Divine Glory المنبثق عن الذات الالهية Goodhead ، والذى يمكن للصوفى أن يتأمل فيه فى آخر رحلته عبر الهيخالوت heikhalot . وهذا الكافود Kavod (البهاء الالهى) الذى يشار اليه أيضا باعتباره الشيخيناه Shekhinah (الجانب الأنثوى فى الذات الالهية) ، يظهر فى الرؤى الصوفية المرتبطة بالعرش الالهى . والتأملات فى الأبعاد الهائلة لجسد الله body of God ـ والمعروف باسم شيور كوماه Shiur komah ، والذى كان يمثل عائقا ، أو ارباكا للاهوتيين اليهود ذوى العقول الفلسفية ـ أصبح يفهمه الأشكيناز التطهريون (الألمان الحاسيديم) بالرجوع الى الكافود Kavod . فالذات الالهية غير المدركة (بفتح الراء) والتى هى ليست مجالا للرؤى الصوفية ، لا يعتقد أنها انسحبت من تسيير أمور العالم . بل على العكس فقد جرى الاعتقاد

(*) الحاسيديم الألمان . (المترجم)

انها ملازمة لكل جانب من جوانب عملية الخلق ، ملازمة ناتجة عن وحدة الوجود (*) Pantheism .

وفى ترنيمة دينية مشهورة كتبت فى دوائر اليهود التقويين (الحاسيديم) ، ولا زالت تتردد حتى اليوم فى بعض المعابد اليهودية ، نقرأ المقطع الشعرى التالى :

ـ كنت موجودا قبل كل المخلوقات
ـ وحدك ، لا تحتاج الى شىء (غنى عن كل شىء)
ـ فبيديك تكون البداية والنهاية (لم تكن البداية الا بأمرك ،
ولا تكون النهاية الا بأمرك)
ـ فأنت كامن فيهما (فى البداية والنهاية) ، وكلاهما مرتبط بك
(لا ينفكان عنك)

والترنيمة الدينية المعروفة باسم اغنية التوحيد Shir Ha-Yichud (شير ها ـ ييشود) مليئة بالاشارات الروحية النبيلة ، التى تعكس اللاهوت الصوفى للتطهريين الأشكناز (الحاسيديم) Chasidei Ashkenaz . ومع هذا ، فان النزعة الى وحدة الوجود كان يعتبرها بعض الرابيين اليهود نزعة تتسم بالهرطقة الشديدة حاولوا منع تضمينها فى الطقوس الدينية . وتركز نقدهم حول عبارات على شاكلة : « كل شىء فيك (الله) وأنت فى كل شىء » « تحيط بكل الأشياء » « قبل كل شىء ، كنت أنت الكل ، وعندما وجد الكل ، ملأت الكل » . وعلى أية حال ، فيما يعتبر غير مقبول فى اللاهوت العقلى ، يمكن أن يراه الصوفى أمرا حميدا .

وظلت صوفية التطهريين (الحاسيديم) الاشكليناز Chasidei Ashkenaz من الأمور التى تحتفظ بها دوائر النخبة ، برغم أن هذه الحركة كان لها أيضا تأثير كبير بين قطاعات واسعة من اليهود الألمان الذين تشربوا كثيرا من ملامحها الثانوية . فالحركة المناهضة للمذهب

(*) الاعتقاد بأن الله والطبيعة شىء واحد ، وأن الانسان والكون ليسا الا مظهرين للذات الالهية . (المترجم)

العقل (*) ، والتركيز على الشخصية الأخـــلاقية (أو القيم الخلقية) والتركيز على الصلوات واعتبارها محورا من محاور الحياة ، والمعتقدات والممارســات السـحرية ، والاغراق فى الزهد (التنسك) والأعمال التكفيرية والتوبة ، والاعتقاد بأن الخطيئة لابد أن يكفر عنها مقترفها بتعريض نفسه للمعاناة - كل هذا ترك أثرا يتعذر محوه على يهود أوروبا الوسطى والشرقية بعد تفسخ هذه الحركة نفسها بفترة طويلة . فهذه الأفكار قد تغلغلت فى واحـد من الأعمال الأدبية الكبرى خارج نطاق الهالاخاه كتبه أحد اليهود التطهريين (الحاسيديم) الأشكناز ، انه سفر التطهر Sefr Chasidim (سيفير حاسيديم) الذى حرر من تعاليم الرابى جوده التقوى أو الحاسيدى (١١٥٠ - ١٢١٧) وعدد من أتباعه . وكان الرابى يهوذا Judah أحد أفراد أسرة كالو نيموسيه Kalonymus family ، التى كانت قد هاجرت من ايطاليا الى ألمانيا فى القرن التاسع ؛ جالبة معها تراثها الصوفى .

لقد اســتسلم التقويون (الحاسيديم) الألمان لمقولات الهالاخاه (الشريعة) وبرغم أنهم بدءوا فى ممارسة عدد من العادات الجديدة ، فان نظراتهم الصوفية كانت - بشكل عام - لا تسمح بتخطى تراث الهالاخاه (الشريعة) وأكثر الحركات قربا التى ظهرت لتحدث صراعا بين الصوفية اليهودية واتجاهات الهالاخاه (الشريعة اليهودية) ، هى تلك الحركة التى دعت لاستخدام الصوفية لحل المشكلات التى ظهرت فى الهالاخاه (الشريعة اليهودية) ، وذلك بتلقى وحى الهى من خلال الرؤى المنامية . ومثل هذه المحاولة ظهرت بشـــكل واضح فى كتاب (أسئلة واجابات من الله) She'lotu Teshuvot Min Ha-Shamayim (شيؤلوت أو - تيشوفوت من ها - شاماييم) ، الذى كتبه يعقوب ها - ليفى المارجيفى Jacob Ha-Levi of Margeve . لقد صاغ يعقوب الأسئلة بعد أن ذهب الى مكان منعزل ، وراح يصـلى ويردد أسـماء الله العظمى ،

(*) Anti-intellectualism : أى الحركة المناهضة للقول بأن المعرفة مستمدة كلها من العقل المحض . (المترجم)

واعطاه الله الاجابة فى رؤاه المنامية وكانت غالبا مشفوعة بآيات من الكتاب المقدس اليهودى يمكن ربط تفسيرها بالاجابات المتعلقة بالمشكلة المثارة ، ومثل هذا الاجراء يناقض التراث الراسخ القاضى بأن الهالاخاه (الشريعة اليهودية) لم تفرز عن طريق النبوءة ، بل برأى أغلبية حكماء اليهود بعد مناقشة القضايا المطروحة وتحليلها . ومع هذا ؛ فان ما انتهى اليـه يعقوب أصـبح مقبولا ، وذكر بعد ذلك فى تـراث الهالاخاه (الشريعة اليهودية) halakhic Literature

القبالة فى بروفنس واسبانيا

كانت التطورات التى حدثت بين الصوفيين اليهود فى جنوب غرب أوروبا فى القرنين الثـانى عشر والثالث عشر ، مختلفة اختلافا كبيرا عن تلك التى مازت حركة اليهود الألمان التقويين (الحاسيديم) ، فقد كانت بروفنس هى المنطقة التى تعود اليها أصول القبالة فى العصور الوسطى . وكانت هى مركز النشاط الفكرى اليهودى كما كانت هى التى جرت فيها ترجمة كثير من النصوص الفلسفية العربية الى العبرية . وكان اللاهوت الصوفى الذى ظهر فى مثل هذه البيئة أكثر عمقا واغراقا فى التأمل من نظيره الألمانى . لقد كان أكثر اهتماما باكتشاف طبيعة الله وديناميته ؛ ومن ثم فقد كان يعتبر تراثا فلسفيا . وكان شيخ صوفية بروفنس فى القرن الثـانى عشر هو الرابى ابراهيم بن داود David المعروف باسم راباد Rabad ، الذى تتناول كتاباته - وهى ليست صوفية - الهالاخاه (الشريعة اليهودية) وتتعامل معها بشكل نقى ، وانتقلت تعاليمه السرية شفاهة ، وواصـل القول بهـا ابنه اسحق الأعمى Isaac the Blind (حوالى ١١٦٠ - ١٢٣٥) ، الذى أطلق عليه (أبو القبالة) (٧) . وقد أقام اسحق تعاليمه على الباحير Bahir ؛ لكنه طور فى عقيدة السيفيروت Sefirot ناظرا اليها باعتبارها مراحل للفيوضات الالهية يعبرها الصوفى عن طريق الصلوات . ونحن مدينون لاسحق بوصف الذات الالهية غير المعروفة ، والتى لا يمكن معرفتها باعتبارها (اين سوف Ein Sof) ، أى غير محدودة (لا يحدها حد) أو اللامتناهية ، أى لا أول لها ولا آخر) . هذا

الفصل بين الذات الالهية غير المعروفة من ناحية ، وجانب الله المعروف فى السيفيروت ومن خلاله من ناحية أخرى – يعد أمرا محوريا فى مدرسة اسحق الصوفية ، بل وأصبح هذا الفصل أكثر وضوحا فى كتابات حوارييه الأسبان . وقد عزز انتشار أفكار القبالة فى المناطق القريبة من اسبانيا وقبولها فى دوائر يهودية واسعة – الحقيقة التى مؤداها أن السلطات الرابية المتزعمة يهود اسبانيا فى هذه الفترة ممثلة فى الرابى موسى بن ناحمان Moses ben Nachman الذى تشير اليه المراجع باسم (Nachmanids ١١٩٤ – ١٢٧٠) وكان هو نفسه قباليا . وبرغم انه لم يشرح أفكاره القبالية بتفصيل شديد فى كتاباته الشعبية ، فانه أشار اليها كثيرا فى تفسيره الصوفى (الباطنى) للكتاب المقدس اليهودى عند حديثه عن أسفار موسى الخمسة (التوراة) ؛ اذ أضفى على القبالة الوليدة هالة من الاحترام ، وتحدث كثيرون من القباليين اللاحقين عنه باحترام شديد ، وأصبح لاهوته القائم على الصوفية أكثر قبولا لدى اليهود المحافظين الذين كانوا ينظرون للفلاسفة اليهود فى العصور الوسطى ولاهوتهم الفلسفى بشك عميق . هذه الأفكار القبالية عن الله والكون قد تكون جديدة ، وقد تكون فى وقت من الأوقات أفكارا راديكالية بالنسبة للفكر التوحيدى ، لكن على عكس الفلاسفة وجدنا القباليين قد استمروا فى الاحتفاظ بارتباطهم بتفاصيل الهالاخاه (الشريعة) .

والى حد بعيد نجد أن أكثر الكتابات أهمية فى القبالة الاسبانية هى كتاب السناء الالهى (سيفير ها – زهر Sefer Ha-Zohar) ، ويشار اليه ببساطة (بالزهر the Zohar) وظهر فى ظروف غامضة فى حوالى (١٢٨٠ – ١٢٨٦) ، وقد تداوله الناس عن طريق موسى الليونى Moses de Leon باعتباره نسخة مخطوطة للصوفية القديمة تضم تعاليم الرابى سيمون بار يوشى bar Yachai وحوارييه فى فلسطين فى القرن الثانى للميلاد . ومن الشائق ان فحصا ظاهريا لهذا الكتاب الذى كان متداولا فى اسبانيا فى هذا الوقت ، يبين أنه قد وصل لاسبانيا عن طريق موسى بن ناحمان Nachmanides الذى كان قد هاجر الى فلسطين.

ومحاولة توثيق هذا الكتاب بعزوه الى موسى بن ناحمان ، تظهر مدى التقدير الذى حازه بين القباليين . وقد ترك لنا الرابى اسحق Isaac of Acre المعاصر لموسى الليونى Moses de Leon نصا طويلا عن جهوده للتحقق من قدم نص الزهر Zohar . واحدى وجهات النظر التى وصل اليها الرابى اسحق ، هى أن موسى الليونى لم ينسب هذا الكتاب للحكيم اليهودى الكبير سيمون بار يوشى Yochai الا ليحصل على مبالغ أكثر لنسخه من هذا المخطوط . وعلى أية حال ، ففى الحقيقة أنه كتبه – أى المخطوط – بنفسه بسبب امتلاكه « الاسم السحرى للكتابة magical writing name » ، أعنى اسلوبا (تقنية) للكتابة الأوتوماتية ؛ بمعنى أن المؤلف كتبه تحت تأثير قوى ملائكية أو الهية . وقد أقسم موسى الليونى للرابى اسحق Isaac ان لديه المخطوط القديم الأصلى فى بيته ، ودعاه لزيارته لرؤيته . ولسوء الحظ ، فقد مات موسى قبل تحقيق هذا العرض .

والدارسون الحديثون للقبالة عموما يقبلون وجهة النظر التى قررها اسحق Isaac of Acre باسم أرملة موسى الليونى ، وهى ان الزهر Zohar انما ألفه موسى الليونى نفسه ، وأن مؤلفين مختلفين آخرين أضافوا تباعا اسهاماتهم ، اذ شكلت هذه الكتابات والاضافات جميعا ما يعرف اليوم بالزهر Zoharic Corpus . ويرفض القباليون والدارسون الأكثر ميلا للتقليدية أن الزهر عمل (كتاب) زائف ، ماداموا لايستطيعون الموافقة على أن موسى الليونى كان مزيفا ، كما أن ثراء تعاليم الزهر Zohar وعمقها لا يمكن أن تكون الا من حكيم مثل الرابى سيمون بار يوشى Simeon bar Yachai . وحتى القبالى ذو العقلية الناقدة الرابى يعقوب امدن Jacob Emden الذى أشار الى أن بعض فقرات الزهر تعكس بشكل واضح ظروف اسبانيا فى القرن الثالث عشر ، وبالتالى فلا يمكن أن تكون قد كتبت فى فلسطين فى القرن الثانى ، ظل يؤمن – برغم هذا – أن الجزء الأساسى فى الزهر ذو أصل قديم ، وكانت دوافعه لاظهار الاضافات التى أضيفت

فى وقت متأخر للزهر ـ كما أعتقد ـ مرتبطة بطريقة استخدام فرقة الشبتائيين (*) Shabbatean لتعاليم الزهر ، ومع هذا فقد أغضب هذا القباليين المحافظين .

تعاليم الزهر

ليس الزهر معالجة نظامية للصوفية اليهودية ، وانما كتب على هيئة مدراش midrash أو تعليقات على أسفار موسى الخمسة وغيرها من أسفار الكتاب المقدس اليهودى تأخذ شكل الظن ، وفى أقسامه المختلفة ـ وأحيانا داخل القسم الواحد ـ قد تتم معالجة الموضوع الواحد بطرائق مختلفة ، باستخدام سلسلة من الأوصاف الرمزية . وقد أخذ الزهر كثيرا من المسارات الفكرية فى القبالة وطورها وفصلها تفصيلا شديدا . وفى الوقت نفسه ، فقد قلل الزهر من شأن عقيدة قبالية على الأقل ان لم يكن قد أهملها تماما ، ونعنى بها العقيدة المتعلقة بالتعاليم حول الشيميتوت Shemittot أو دوائر الكون World Cycles والتى استمرت فاعلة ، ففى فترات مختلفة يسيطر (أو يهيمن) واحد من السيفيروت Sefirot الأدنى على الكون ، وأن جانبا بعينه من التوراة ـ بالاضافة الى مبادىء معينة ـ تظل فاعلة مؤثرة (فى الكون) .

وفكرة تغير المبادىء norms ، وكذلك فكرة التوراة الجديدة اللتان تطبقان على كل عصر جديد ، تنطويان على دلالات وتضمينات متناقضة بشكل واضح ، وقد يفسر هذا تحفظ الزهر ازاءها .

وتركز العقيدة الصوفية للزهر بشكل أساسى على الطبقات الالهية الفرعية divine Substratum من حيث طبيعتها وعملها . تلك الطبقات الالهية الكامنة وراء الحقيقة كما نعرفها . وفى مركز هذا التكوين الالهى وحدة السيفيروت العشرة فى شكلها المتشابك المعقد ، والفيوضات من الذات الالهية والتى تتكون بها الحقيقة وتنضبط من خلالها . والرموز المستخدمة للسيفيروت لها معان اضافية ميثولوجية . انها فروع

(*) نسبة الى الس[illegible] . (المترجم)

شجرة جذورها فى السماء تربط السماء بالأرض . انها أعضاء جسد آدم كادمون Adam Kadmon ـ الانسان الأول ، والنموذج الأصلى لكل فرد من البشر . انها وجوه الملك الالهى ، وعباءات الله أو كساؤه ، والأسماء الالهية ، والملامح الأساسية لكل اللغات .. الخ . وهى بمعنى من المعانى جسد الذات الالهية التى هى ـ أى الذات ـ روح السيفيروت . وهى منقسمة الى ذكر وأنثى ، المبدءان الأساسيان اللذان يكونان كل الحقيقة ، والسيفيروت كأفراد معروفون باسم الأب والأم والابن والابنة والزوج والزوجة ، والقسم الفرعى من السيفيروت يكون عالم الشر ، وهو الموضوع الذى خصصت له الزهر مساحة كبيرة . وعالم الشر هذا معروف باسم الجانب الآخر Other Side (سيترا آشر أو أحرى Sitra Achra) ، وسيفيروت الشر الذى انبثق من الذات الالهية معروف باسم **قوى النجاسة** Forces of Impurity وقوى النجاسة هذه التى يقودها صامائيل ؟ Samael وأنثاه ليلث Lilith منظمة لتعمل ضد السيفيروت الأخرى التى تمثل قوى القداسة . والعنصر الميثولوجى فى أوصاف الزهر للشر ومعركته ضد القداسة واضحة معلنة ، فالشر ليس موجودا فى البشر وانما أيضا فى الله برغم أنه ـ أى الشر ـ ليس له حياة خاصة به وانما لابد من ارتباطه بشكل طفيلى بالقداسة ليكتسب حيويته منها . وهذا الجانب الآخر الشرير (السيترا أشرا) له طبيعة الأمر الخراب (المادة الخراب) ، انه القوقعة (الكليباه kelipah) حول النواة الحية للأشياء أو حول النور الالهى خلال كل الحقيقة . انه فعل الانسان الذى لعب دورا حاسما فى عملية السيترا أشرا Sitra Achra (الشر أو الجانب الآخر) ، لأنه من خلال الخطيئة يطعم قوى النجاسة Forces of Impurity بالعناصر التى تمدها بالحياة التى لا يمكنها أن تعم بذاتها . وبمراعاة شرائع التوراة وارشاداتها ، يمكن لليهودى أن يساعد فى قمع الشر Sitra Achra ويجعل الكون فى حالة اتساق . والتوازن أو الاتساق يحتم أيضا القيام بأعمال لصالح قوى النجاسة ، كنوع من

انواع الرشوة لها (لتكف فعلها) . وبشكل عام ، فان خطايا اسرائيل لاتقدم الحيوية الشر (للسيترا أشيرا) فحسب ، وانما لصمائيل Samael – وهو الجانب الذكرى للشيطان – للسيطرة على الشخيناه Shekhinah ، الجانب الأنثوى لسيفيروت القداسة Sefirot of holiness ، وعندما يحدث هذا ، تنفصل الشخيناه عن زوجها الحقيقى ، تيفيريت Tiferet الجانب الذكورى للسيفيروت ولايمكنها أن تصل كرحم Womb تنساب من خلاله القوى الالهية (المقدسة) للأرض . المعاناة والكوارث تتوالى تباعا على الانسان والكون . ومراعاة اليهودى للميتسفوت mitzvot (الوصايا الدينية) وتجنبه للخطايا ، له نتائج طيبة للعالم البشرى والعالم القدسى (الالهى) فيما ترى تعاليم الزهر .

هذه البانوراما ككل بمعانيها ومضامينها القوية ميثولوجيا والباطنية الغنوسطية (كون الخلاص يأتى من طريق المعرفة الروحية) ، بل وحتى بثنويتها ترسم صورة لاهوتية ذات قوة رمزية هائلة . انها فى الوقت نفسه مختلفة عن كثير من جوانب التعاليم اليهودية غير القبالية . وبرغم غرابة اللغة الآرامية التى كتبت بها الزهر فى غالبها – وأحيانا استخدامها لكلمات غير معتادة – مما جعلها غير مفهومة لغير الباحثين ، فان أفكارها سرعان ما تفشت من خلال كل مستويات الدين اليهودى المعروف . فتعاليم الزهر عن طبيعة السيفيروت ، والقوى الشيطانية ، وطبيعة الروح ودور الميتسفوت (الوصايا الدينية) خلال الدراما الكونية للصراع بين الخير والشر ونظرية تناسخ الأرواح التى تناولتها بتفصيل كبير ، وكثير من التضمينات والمعانى الاضافية للممارسات (العبادات) اليهودية ، كل ذلك أصبح من المسائل المتداولة والشائعة بين يهود العصور الوسطى . لقد كان الصدام بين يهودية الزهر ويهودية التراث الرابى البسيط ، أمرا حتميا ، فيهودية الزهر قامت على أسس سلطان الوحى الصوفى (أو الالهام الصوفى أو الفيوضات الالهية على الصوفى) ،

واليهودية التقليدية الرابية قامت على أسس مناقشات نصوص التلمود ومبررات الهالاخاه (الشريعة) . واذا كان ما ظهر من صدام بين الاتجاهين كان معتدلا ، فهذا يرجع الى أن القباليين قد أعطوا الأولوية فى الظاهر للهالاخاه التلمودية (*) ، برغم أنهم كانوا يتبعون تعاليم الزهر فى حالة وجود تناقض أو تعارض بينها وبين الهالاخاه التلمودية . وعلى هذا ، فالرابى جوزيف كارو Joseph Caro مؤلف الشولحان عاروخ the Shulchan Aruck وهو الكود النمطى المعتمد فى القرن السادس عشر – والذى كان هو نفسه صوفيا ، يقرر بوضوح أن تعاليم الهالاخاه لابد أن تتبع التراث التلمودى أكثر من اتباعها الزهر Zohar ان حدث تعارض بينهما (٨) ، وكثير من الممارسات القبالية التى دافع عنها الزهر والتى لم تكن تتعارض مع التلمود تبناها أنصار الهالاخاه (علماء الشريعة halakhists) ، وادمجوها أخيرا كجزء من مدونات الشريعة اليهودية العادية . وعلى هذا ، فالحياة اليهودية كان يحدث بها اعادة تشكيل طوال تشربها لأفكار القبالة واتجاهاتها .

اليهود الصوفيون فى صفد Safed والقبالة اللوريانية

لم يظهر أى عمل يتحدى تحديا جادا المكانة الأساسية للزهر Zohar الذى يعد الكتاب المقدس اليهودى Bible للقبالة – منذ القرن الرابع عشر حتى منتصف القرن السادس عشر . لقد كان طرد اليهود من اسبانيا فى سنة ١٤٩٢ – ذلك العمل المربك الذى سبب لليهود جروحا بالغة – بسبب تحريض محاكم التفتيش لمنع اليهود من التأثير على رفاقهم اليهود الذين أجبروا على التحول للمسيحية – هو الحافز الذى أدى الى تطوير أشكال جديدة من القبالة . اذ تشكلت رابطة من الصوفيين ذوى الأصول الاسبانية فى صفد Safed – وهى مدينة

(*) الشريعة كما تم استقاؤها من التلمود . (المترجم)

في الجليل الأعلى في شمال فلسطين — بعد أن ألهمتها فكرة قرب مجيء المسيح التي جرى احياؤها من جديد renewed messianism ، العودة الى الديار المقدسة (فلسطين) في انتظار الخلاص (أو تحقيق الوعد Redemption) ، وكان الرأي بين هؤلاء القباليين أن قبالة الزهر قد بلغت الذروة في الكتابات الموسوعية لموسى القرطبي Moses Cordovero (١٥٢٢ — ١٥٧٠) . وكتاب القرطبي في الأساس محاولة لمنهجة القبالة ، فقد وصف اتجاهاتها المختلفة من خلال المسارات الصوفية المختلفة ووفق بينها . وفي كتابه الكبير « باردز ريمونيم Pardes Rimonim » ، لايكاد يكون قد ترك موضوعا مهما تناوله من سبقوه الا وحلله . والموضوع الوحيد الذي لم يتناوله هو عقيدة الشيموتوت Shemittot أو دوائر الكون World Cycles التي أهملتها الزهر نفسها . وعند نهاية الفصل الأول من كتابه هذا Pardes Rimonim ، ناقش القرطبي Cordovero اتجاهات القباليين نحو اليهود الذين لم يتفاعلوا مع التراث الصوفي . لقد ميز بين اليهود الجاهلين بعقيدة السيفيروت ، والذين يرفضونها وهم واعين برفضهم هذا . أما النوع الأول ، فلا يمكن اتهامهم بالهرطقة « ومع هذا .. فان هذا اليهودي لايستحق أن يرى النور في حياته ولا يستحق أن يتذوق حلاوة التوراة .. انه يموت بلا حكمة ولا يرى صلاحا حقيقيا » ، أما النوع الثاني فيرفض العقيدة الصوفية « لأنهم أصبحوا معتادين على الحكمة الظاهرية [أي الفلسفية] .. ولابد من وصف هؤلاء بأنهم هراطقة ما داموا ينكرون التراث الشفهي لتفسير التوراة » .

وخلال العام الأخير من حياة القرطبي Cordovero عمل معلما لاسحق لوريا أشكينازي Isaac Luria Ashkenazi الذي وصل — مؤخرا — الى صفد قادما من مصر ، وكان عمر لوريا لايتعدى ٣٥ سنة ، وكان قد قضى بعض الوقت متنسكا في احدى جزر النيل . وبعد موت

القرطبي Cordovero ، بل وربما أثناء حياته ، جذب لوريا اليه عددا من الأتباع وراح يعلمهم ما عرف بعد ذلك بالقبالة اللوريانية Lurianic kabbalah . وكانت تعاليمه تتناقل شفاهة ، ثم جرى تسجيلها في مذكرات من كتابات كتبها تلاميذه ، لأن هذه التعاليم كانت تفيض من لوريا فيضا بضغط من الالهام الذي يتملكه بحيث كان من المحال أن يدونها بنفسه . وقد ضم كتاب اتس شايم Etz Chaim الذي كتبه شايم فيتال كالابريس Chaim Vital Calabres (١٥٤٢ — ١٦٢٠) أكثر العناصر أهمية في قبالة لوريا ، وكان مؤلف هذا الكتاب أقرب تلاميذه اليه ، منذ وصوله الى صفد وحتى موته في سنة ١٥٧٢ . وشرح فيتال Vital في مقدمة كتابه Etz Chaim كيف انجذب الى دراسة القبالة للمرة الأولى ، ففي الثلاثين من عمره اعتراه اضطراب بالحقيقة التي مؤداها أن عصر مجيء المسيح messianic age لايبدو انه يقترب ، وأن الشعب اليهودي قد نفي لفترة طويلة امتدت بالفعل لأكثر من الف وخمسمائة عام (*) ، ومن ثم فقد وجد طريقة للكتابات في الزهر التي قررت أن العامل الأساسي في تأخر ظهور المسيح (**) the Messiah هو اهمال دراسة القبالة ، ومن وقتها أصبح قباليا . ولم يكن الاهتمام بموضوع ظهور المسيح وبدايته عهدا جديدا قصرا على فيتال Vital ، فكل دوائر الصوفية اليهودية في صفد كانت مشبعة بالحنين الى العودة الى أرض الميعاد والخلاص Redemption . وكان اسحق لوريا Isaac Luria نفسه يبدو وكأنه يعتقد أن له دورا محوريا في العمل على اقتراب مجيء المسيح messianis process .

فالقبالة اللوريانية — برغم أنها تعتبر نفسها امتدادا لتعاليم الزهر — تقدم سلسلة من الرموز الجديدة لشرح علاقة الله بالكون التي تعطى

(*) وذلك عقب التدمير الأول لاورشليم سنة ٥٨٦ ق.م على يد نبوخذ نصر ولم تقم دولتهم بعد ذلك الا بعد اغتصاب البلاد من سكانها الفلسطينيين سنة ١٩٤٨ م أي بعد ٢٥٣٤ سنة (المراجع) .

(**) من المفهوم أنه ليس المسيح عليه السلام الذي ظهر وانتهى أمره .

اتجاها غير مالوف للاهوت الصوفى اليهودى . فمبادرة الله بالأفعال فى العمليات الكونية – وفقا لرؤية لوريا – تنطوى على تناقض أو انسحاب الى الذات Tzimtzum (انسحاب داخلى self-Withdrawal) . وهذا الانسحاب أمر ضرورى لكى يتكون الفراغ اللازم لوجود العالم ، وبدون هذا الفراغ تكون الذات الالهية (Ein Sof) فى كل مكان ، وبالتالى لا يكون للكون وجود أى لا فراغ لوجوده ، أى « لا مكان لوجوده » .

« فلتعلم أنه قبل فيض الفيوضات أو انبثاقها ، وقبل خلق الوجود الموجود ، كان النور العلوى المتسق يملأ كل الوجود ولم يكن هناك فراغ أو لم تكن هناك مساحة شاغرة . وعندما كانت ارادة الله التى لا راد لها بخلق العوالم .. تمركزت الذات الالهية Ein Sof فى نقطة مركزية ، فى الوسط منها نوره His very Light وكثف الله نوره وانسحب الى الجوانب حول النقطة المركزية ، فترك بذلك مساحة خالية وفضاء وفراغا » (١٠) .

هذه العقيدة المتعلقة بانسحاب يهوه داخل نفسه tzimtzum (*) ، اصبحت رمزا دافعا قويا ومقترحا للقباليين الذين أتوا بعد ذلك . ووفقا للنسق الصوفى اللوريانى ، فانه – أى انسحاب الله داخل ذاته – فعل يتكرر فى كل مرحلة من مراحل عملية الخلق ، لكن أتباع لوريا حذروا من أخذ فكرة انسحاب الله داخل ذاته بمعناها الحرفى . فهذا الانسحاب الذاتى لله Tzimtzum يشير الى حقيقة رمزية ، ومع هذا فهو يفسر – بشكل ضمنى – الفاصل الحقيقى بين الله اللامتناهى واللامحدود والكون (العالم) المتناهى والمحدود . وفى قبالة الزهر Zohar ظلال من عقيدة وحدة الوجود مادامت تقول بان الكون قد انبثق من الجوهر الالهى نفسه أو الذات الالهية نفسها ، بينما التفسير الحرفى للانسحاب الالهى داخـــل ذاتـه tzimtzum هو اعادة التأكيد على فكرة التوحيد أو فكرة

(*) راجع تعليقات المترجم (المراجع) .

وجود اله واحد ، وبالتـــالى انكار فكرة أن الله الكامل Perfect يمكن ان يكون جزءا من العالم (الكون) غير الكامل . وأكد الرابى يعقوب امدن Jacob Emden فى كتاباته بعد لوريا Luria بقرنين أن عقيدة انسحاب الله داخل ذاته Tzimtzum ضرورة عقلية ، فبدونها لا يستطيع أى مفكر أن يفكر فى الخلق اذا لم يفترض أن الله محدود (أو غير متناه) (١١) .

وكان هناك قباليون آخرون لم يروا فى فكرة انسحاب الله داخل ذاته Tzimtzum معنى حرفيا ، مادام هذا الانسحاب فعلا لازما لخلق الفضاء ، وبالتالى فلابـد أن تكون فكرة التقوقع أو الانســحاب هنا فكرة مجازية ، تعبر عن حقيقة رمزية . وقد رغـب اسرائيـل باك شـم توف Israel Baal Shem Tov (١٧٠٠ – ١٧٦٠) مؤسس الصوفية التطهرية فى التأكيد على حلول الله فى كل الخلق ، وان هذا الحلول قد تم اهماله عند التفسير الحرفى لفكرة انسحاب الله لتهيئة الفراغ اللازم لخلق الكون Tzimtzum . لقد فسر هو واتباعه من الصوفيين التطهريين انسحاب الله داخل ذاته ، بمعنى أن الله قد خبأ نفسه خلال العالم المخلوق hidden himself within the Created World . ووفقا لمدرسة شاباد Chabad التطهرية ، فانه يمكن فهم هذا أحيانا باعتباره يعنى ببساطة أن الله قد سمح للانسان أن يدرك الكون ويفهمه ، ذلك الكون الذى لم يوجد بالفعل على الاطلاق من وجهة نظر الله ، بينما نجد الصوفية التطهرية فى براسلاف Braslav ترى أن عقيدة انسحاب الله الى ذاته Tzimtzum ، تدل على أنه يوجد فى صلب الحقيقة تناقض لا يمكن اجتيازه بالعقل وانما – فقط – بالايمان . هذا التناقض ينطوى على وجود فضاء فارغ أو فراغ فى فضاء نشأ عن عملية انسحاب الله داخل ذاته tzimtzum . فمن ناحية ، لابد أن يكون الله غائبا فى المساحة التى تشكل فراغا أو فضاء تم تكوين الكون فيه ، ومن ناحية أخرى ، فانه

اذا كان الله غائبا حقا فى هذا الفراغ ، فمن المحال وجود الكون ، مادام انه لا يمكن وجود شىء دون عون مستمر من الله ، فلابد من التاكيد على حلول الله ووجوده المتعالى ، برغم انسحابه الى ذاته .

وبعد أن سحب الله ذاته (قلص ذاته) ، بدأت عملية الخلق بقذف النور الالهى فى الفضاء الخالى empty Space وكان فى هذا النـور تكوين الانسـان الأول آدم كادمـون Adam kadmon . ووفقا لما ذكره لوريا Luria ، فقد احتاج هذا النور المتسق الى سفن (كيليم Kelim) لفصله وتشكيله فى أشكال مختلفة وتحديد خصـائص (المخلوقـات) وكانت سـفن (kelim) vessels نور السيفيروت الدنيا غير قادرة على احتواء النـور الالهى الذى فاض فيها ، فكسرت هذه السيفيروت الدنيا هذا النور وشكلت ومضات النور فى قطع فاصلة كل قطعة عن الأخرى . ونور التصحيح أو اعادة التقييم هذا ، كان يتحتم أن يظهر مبينا خصائصه لاستمرار عملية الخلق متضمنا – اى نور التصحيح هذا – هيئة أو شـكل Configuration (*) السيفيروت . هذا التصـحيح rectification (واسمه الاصطلاحى تيـكون tikkun) لم يكن كاملا ، وكان مطلوبا من الانسـان أن يكمل تيـكون tikkon بتحقيق الهدف الصوفى الصحيح . فاذا أنجز كل فرد ، ما أوكل اليـه من التيكون فسيصبح الكون محتفظا بإتسـاقه وتوازنه ، وسيشرق عصر يحـكم فيه المسـيح الآتى messianic age . وعلى النحو نفسـه ، فاذا فشـل الانسان فى أداء دوره فى عملية التصحيح هذه فسيعاد تجسيده بعد موته he will be reincarnated after death ليواصل عمل التيكون .

وقد أعطت موضوعات القبالة اللوريانية تعبيرا عن المشاعر التى صاحبت الأزمات والمآسى التى أعقبت طرد اليهود من اسبانيا والبرتغال ،

(*) معنى الكلمة أيضا الوضع أو المظهر النسبى للأجرام السماوية . (المترجم)

كما أنها أيضا قدمت لاهوتا يزيد من قدرات اليهودى اليائس الذى بدا – من مختلف الجوانب – غير متحكم فى مصيره (قدره) .

المسيحانية (*) بعد الصوفية الميريانية

انتشرت القبـالة اللوريانية – التى كانت فى جوهرها تعـاليم للنخبة اليهودية ومقتصرة عليها – انتشـارا كبيرا فى العالم اليهودى وساعدت على توقع الوصول الى العصر المسيحانى بشكل محمـوم . ومما ساعد المسيحانية messianism ، ما كان يمر به يهود أوروبـا من ظروف سيئة فى أعقاب ثورة الكوزاك Cossack revolt ضد الحكم البولندى التى أدت الى مذابح شيلنيكى Chielnicki فى سنة ١٦٤٨ ، وعندما وصلت الأخبار الى المجتمعات اليهودية التى كانت مستثارة للغاية بان شخصية مسيحانية قد ظهرت بين يهود الشرق levant ، ونعنى به شباتاى تسيفى Shabbatou Tzvi (١٦٢٦ – ١٦٧٦) ، جرى احتفاء مثير بهذه المناسبة . وكان المنادون بالوضع المسيحانى لشباتاى متشبعين بالأفكار اللوريانية عن الأفكار الأخروية الصوفية . وحتى بعد أن أجبر شباتاى على التحول الى الاسلام فى سـنة ١٦٦٦ ، استمر المخلصون من أتباعه فى الاعتقاد بانه المسيح (**) (المسيا Messiah) وفسروا ردته الى الاسلام ورجـوعه عن اليهودية كمرحلة من مراحـل التيكون Tikkun . وكان يتحتم أن ينزل المسيح (المسيا) الى أعماق قوى الشر كى يحرر أو يطلق آخر ما بقى من طاقات النور . وقد أثبتت القبالة اللوريانية أنها عن طريق المفسرين الشـباتيين (أتباع شباتاى) قد أصبحت مصدرا هائلا للاهوت الهرطقة (المقصود اللاهوت المعارض لليهودية التقليدية) ، ومع تضاؤل الحركة الشباتية بعد تحول

(*) او المشيحانية (افكار متحلقة حول مجىء المسيح ، وهو غير المسيح عليه السلام المعروف فيما يرى اليهود) . (المترجم) .

(**) مفهوم انه ليس المسيح عليه السلام المعروف . يكتب ايضـا المشيح (المترجم)

شباتاى الى الاسلام حدث رد فعل بين القطاعات اليهودية فى العالم الأكثر ميلا الى اليهودية الأصولية (الأرثوذكسية) ، فقد رأت هذه القطاعات حركة شباتاى المسيحانية ، كتحد لكل قيم وطقوس الهالاخاه . لقد أصبحت التوترات الكامنة بين اليهودية الصوفيـــة (أو القائمة على معتقدات باطنية سرية) واليهودية الأصولية (أو الظاهرية القائمة على الشرائع اليهودية الظاهرة) ، واضحة جادة وبذلت ضغوط شديدة لقصر القبالة على دوائر صغيرة للتأمل الصوفى لمنعها من تشكيل خطر على صميم نسيج اليهودية التقليدية .

هذه الهواجس العميقة فيما يتعلق بالمضمون الهرطقى الكامن فى الأفكار اللوريانية ، تدعمت وتأكدت بسبب حركة بدأها يعقوب فرانك Jacob Frank (١٧٢٦ – ١٧٩١) فى أعقـاب انهيـار الحركة الشباتية . لقد تبنت الحركة الفرانكية فى بولندا وشرق أوروبا كثيرا من الممارسات (العبادات) الأكثر تطرفا من عقائد الطائفة الشباتية . لقد استخدموا السلوك الطقسى المتناقض (المنطوى على تناقض فى المبادىء) – خاصة المتعلق بخرق القيود الجنسية التى وردت فى الهالاخاه – كجزء من عباداتهم ، وقالوا بعقيدة مؤداها أن المسيح (المسياه) كرجل مقدس كان لعنة على العقيدة اليهودية كما زعم فرانك نفسه . وبعد أن تعرض فرانك واتباعه لاضطهاد قيادات اليهود الأرثوذكس الذين كانوا لايزالون فى حالة اضطراب بسبب الهرطقة الشباتيـــة ، بحث أتباع فرانك عن الحماية فى ظل الكنيسة الكاثوليكية فتحولوا الى المسيحية . واظهروا بوضوح أنه برغم كونهم ضد تعاليم التلمود ، وأنهم راغبون فى تأييد المسيحية ، فانهم راغبون أيضا فى الاحتفاظ بالزهر Zohar كنص دينى حتى بعد تحولهم للمسيحية ، وبناء عليه استمروا فى ممارسة طقوس اليهودية الصوفية .

الحركة التطهرية (الحاسيدية)

مما يناقض هذه الخلفية التى ذكرناها آنفا ، أن نجد من الضرورى أن ننظر لنشاطات وتعاليم اسرائيل بن اليعازر Israel ben Eliezer

المعروف باسم بال شيم توف Baal Shem Tov (١٧٠٠ – ١٧٦٠) او بشت Besht . وكان بشت داعيـة جـوالا بـين المجتمعات اليهودية الفقيرة فى أوكرانيا وجنوب بولندا ، وقد فوجىء من اتصلوا به ببصيرته الدينية العميقة المتغلغلة وجمع حوله أخيرا جمعا غفيرا من الأتباع الأميين والمتعلمين على سواء . وكان بشت Besht قد تلقى قدرا قليلا من التعليم الرسمى وبدا فى الأساس قد علم نفسه بنفسه ، وعلى اية حال ، فقد كان منجذبا انجذابا صوفيا ، واستخدمت تجربته الصوفية الخاصة كسلطة بديلة قبلتها الزعامات الأوربية الشرقية الرابية التى ركزت على الدراسات التلمودية .

ويظهر خطاب كتبه بشت لزوج أختـــه الرابى جيرشون الكوتوفى R. Gershon of kutov طبيعة شخصيته الصوفية ، وكان جيرشون يقيم وقتها فى الأراضى المقدسة (فلسطين) . وكان تلميذ بشت ، وهو الرابى يعقوب يوســـف البولونويى Jacob Joseph of Polonnoye هو المكلف بنقل الخطاب ، لكنه لم يستطع اكمال الرحلة الى فلسطين ، ونشر الخطاب أخيرا فى آخـر كتبه (بن بورات يوســف (Ben Porat Yosef) فاعتبر – أى الخطاب – وثيقة مهمة للتطهيرية (الحاسـيدية) فى مرحلتها الباكرة . ونصا موثقـا معتمدا لأفكار بشت الخاصـــة اخذت منه مباشرة دون تدخل أتباعه بشرحها .

« وفى مهرجان الاحتفال بالعـام الجديد ، عـام ٥٥٠٧ (الموافق ١٧٤٦ للميلاد) أنجزت طقوس الصعود بروحى وترتيل التعاويذ المساعدة على ذلك – بالطريقة التى تعرفها – ورأيت رؤى مدهشة لم أر مثلها منذ نضج فكرى .. وعلى أية حـال ، فعندما عدت الى جنة عدن الدنيا . the Lower Garden of Eden رأيت هناك عددا من أرواح الأحياء والأموات المعروفين لى ، وما لا يحصى من أرواح لا أعرفهـا ، كانت تتحـرك – أى الأرواح – جيئة وذهابا بفرح غامر لصعودها من عالم الى عالم عن طريق الأساس (العمود) الذى يعرفه الصوفية .

وبسبب السـعادة الغامرة التى أحسست بها بينهم وافقت على الصعود معهم ، ورأيت فى رؤاى أن صمائيل (١٢) Samael قد صعد لتوجيه الاتهام ضد هذه البهجة الغامرة التى لم يسبق لها مثيل . وانجز صمائيل مهمته ، وأمر بتحطيم عدد من الأرواح آمرا أن تموت ميتة غير طبيعيـة . وحاصرنى الاضـطراب ، وخاطرت بحياتى وسـألت معلمى وسيدى (١٣) أن يذهب معى ففى ذهابى وصـعودى للعوالم العليـا خطر كبير .

ورحت أصعد مستوى بعد مستوى حتى دخلت الصالة التى بها المسيا (*) Messiah (المسيح) فوجدته يدرس التـوراة مع كل التانيم tannaim والتزاديكيـم (**) tzaddikim ، وأيضـا مع الرعاة السبعة .

وسالت المسيا (المسيح) مباشرة : متى يأتى السيد ؟ ، فأجابنى : ستعرف ذلك بما سأقول . عندما تصبح تعاليمكم منتشرة بشكل جيد وموحى بها فى العالم . وسوف تنتشر أكثر فأكثر ينابيع ما علمتك اياه ، واجتزتها أنت من ناحيتك ، وعندما يصبحون هم أيضا قادرين على تحقيق التوحد والصعود كما استطعت ، عندها ستنتهى كل الأصداف (القواقع) وسيكون الوقت المناسب قد حان للخلاص والرضى الالهى .

واعترتنى الدهشة لذلك وأصابنى كرب عظيم ، فان هذا لايمكن أن يحدث الا بعد فترة طويلة جدا » .

وكان عدد من أتباع بشت دارسين متعمقين لليهودية الصوفيـة (الباطنية) ، واليهودية الظاهرية (أتباع المذهب الظاهرى فى اليهودية)

(*) غير المسيح عليه السلام المعروف ، وانما آخر يتوقع اليهود حتى الآن مجيئه . (المترجم)

(**) التزاديك (الصديق) Tzoddik : رجل صالح عالى الروح تؤدى تطهيرنه الى ان يصبح قطبا فى الجماعات التطهرية . (انظر : ملحق المصطلحات) . (المترجم)

أكثر منه . وكان بعضـهم – مثـل الرابى فينياس شابيرو الكوريتزى Phineas Shapiro of koreta (١٧٢٦ – ١٧٩١) – لـم يصـبحوا من النـاحية الفعـلية أبدا تلاميـذ أو حـواريين له برغم تأثرهـم الواضح بتعاليمه . وهناك آخرون – مثل الرابى يعقوب يوسف البولونويى Jacob Joseph of Polonnoye (المتـوفى سـنة ١٧٨٢) والرابى دوف بيـر Dov Baer ، ومجيـد الميزيريتشى the Maggid of Mezeritch (توفى ١٧٧٢) – قد وصـلوا بالفعل الى مراكز علمية ورابية قبل أن يصبحوا أتباعا وتلاميذ لبشت Besht . ولم يكن ما جذبهم الى تعاليمه قدرته على نقل ما ورد فى الكتب الدينية ، وانما فهمه للدين، ووفقا لكلمات وردت فى التراث التطهيرى (الحاسيدى) اللاحق ، فان معلومات بشت عن اليهودية كانت معلومات ذات « روح » ، بينما معلوماتهم كانت تنقصها « الروح » . وعلى هذا ، فبمجرد روايته لبعض الحكايات والأمثال مكنهم من الوصـول الى فهم جديد خاصـة للقبالة ، لاظهـار ارتباطها بموقفهم أو وضـعهم الذى كانـوا عليه .

لقد غيرت مناواة البشتية حياة أتباعه الدارسين واتجاهاتهم ، لقد ابعدوا الاتجاهات البدعية فى اليهودية من البشتية، وراحوا يطورونها كل واحـد بطريقتـه . فالـرابى يعقوب يوسـف R. Jacob Joseph وهو مؤلف أول كتاب بشتى والمرسوم باسم (تولدوت ياكوف يوسف Toldot Yaakov Yosef) ، هو مصدرنا الرئيسى عن التعاليم الأصلية للبشت مادام البشت ، لم يكتب شيئا بنفسه . وبرغم أن الرابى يعقوب يوسف Jacob Joseph لابد من اعتباره أكثر مفسرى أفكار سـيده مدعاة للثقة ، فان الرابى دوف بير Dov Baer هو الذى كان معروفـا بقيادته للحركة بعد موت البشت .

فقد جمع الرابى دوف بير حوله مجموعة من الشباب وتلاميذ حواريين متحمسين وموهوبين بدرجة كبيرة ، شكلوا نخبة يوثق بها للدعوة للعقيدة الجديدة . وكان دوف بير Dov Baer هو الأعمق جذورا فى تراث

القبالة التقليدية من البشت ، وقد أعطى شكلا وتكوينا لأيديولوجية لحركة الأغرار (جمع غر أى صغير السن) fledgling movement ، وكان عليه أيضا أن يتحمل وطأة الهجوم القاسى الذى شـنه على التطهريين المناهضين لها (المتناجديم Mitnagdim ، ومعناها حرفيا المعارضون)، والذين رأوا فى التطهرية ـ ببساطة ـ مجرد احيـاء أو بعث للأفكار الشباتية (نسبة الى المسيحانى شبتاى الذى تحول للاسـلام والآنف ذكره) ، وكونت الحـركة التطهرية (الحاسـيدية Chasidism) سلسلة من التحديات ازاء محاولات الرابيين المتناجديم (المعارضين) للابقاء على الحماس الدينى فى حده الأدنى بعـد المسيحانية الصوفيـة mystical messianism

وخلال حياة دوف بير تطورت القبالة البشتية فى اتجاهين منفصلين . فدوف بير Dov Baer الذى كان ـ على عكس أستاذه ـ ناسكا الى حد ما درس نظرته الخاصة للتطهرية لمريدى حلقة خاصة من المريدين فى ميزيرتش Mezeritch ، ولم تكن له الا صـلات قليلة باليهود العاديين غير المتعلمين فى الخارج . وفى الوقت نفسه ، فان أفرادا من الصوفيين الدارسين اعلنوا رؤيتهم فى التعاليم البشتية التى لم تكن متفقة دائما مع اتجاهه فى الحركة ، برغم أن كثيرا من هذه التعاليم كانت متفقة مع تعاليم دوف بير .

وكانت التطهرية (الحاسيدية) فى القرن التاسـع عشر ـ فى جوهرها ـ استمرارا للتيار الذى كان فى ميزيرتش Mezeritch ، أكثر من كونهـا اسـتمرارا لتيار منافسى دوف بير . وبعـد موت المجيد Maggid أسس تلاميذه مدارس وسـلالات (أسرا تدين بمذهب بعينه) خاصة بهم ، واصبحت الحركة سلسلة من الحركات الفرعيـة ساعد على تعددها ، وجود اليهود فى دول مختلفـة ، والاختـلاف فى الممارسات العبادات والزعامات واللاهوت . ويعـد التيـار التطهرى (الحاسيدى) الوحيد الذى نما خارج تراث المجيد فى ميزيرتش ومازال

موجودا حتى الآن ، وهو ذلك التيار الذى أسسـه الرابى ناخمـان البراسـلافى R. Nachman of Braslav (١٧٧٢ ـ ١٨١١) ابن حفيد بشت .

وبدت التعاليم الأصلية للبشت ، وكأنها تحولت لتتحلق حول عدد من المحاور . لقـد ركز على الجانب الذاتى للدين فى مقابل التعاليم الموضوعيـة للرابيين فى شرق أوروبا ، اذ يمكن للمرء أن يتعبد لله (يخدمه) لا بمجرد تطبيق الوصايا الدينية (الميتسفوت Mitzvot) فحسب ، بل بكل أفعاله لأن الله موجود فى كل مكان . فالأمر المهم هو الحالة الداخلية للانسان ، ومقاصده ، وتعبـده لله بسعادة (خدمته لله بسعادة his Joyful Service of God) . والمصطلح الأساسى الذى اسـتخدمه البشت هو ديفيكوت devekut ويعنى الاخـلاص (او التكريس بحب شديد) ، وجرى التركيز عليه أكثر من التركيز على تحصيل معلومات التوراة أو تنفيذ الطقوس بتدقيق شديد (بوسوسـة meticulous) . هذه الفـكرة البديلة عن التقـدير الفـائق للالتزام التعبدى الشديد وفقا لتعاليم الهالاخاه ، والذى كان منتشرا فى الدوائر الرابية الأرثوذكسية ، كانت أيضا متضمنة فى تعاليم الشباتيين (أتباع شباتاى الآنف ذكره) والفرانكيين (أتبـاع فرانك الآنف ذكره) ، تلك التعاليم الصوفية التى تعارض الالتزام الحرفى بتعاليم الهالاخاه (الشريعة اليهودية) والتعبد الحرفى بمقتضاها . والتعاليم البشتية لاترفض طقوس الهالاخاه لكنها ـ على أية حال ـ تضع ـ ببساطة ـ قيما مختلفة للتركيز على محاور دينية بعينها . وعلى كل انسان أن يجد بنفسـه المستوى الدينى الخاص به ، وينطلق للعمل من هذا المستوى .

وكانت النتائج الاجتماعية لتعاليمه ذوات أهمية هائلة . فاليهودى البسيط الذى يكاد يكون أميا ، أصبح وفقا للنظرة البشتية للأمور كائنا مساويا للآخرين من الناحية الدينية ، وربما كان يفوقهم ، بعد أن كانت النخبة المتعلمة تنظر اليه على أنه أدنى درجـة . فتقديره لليهـودى غير

مرتبط بمعلوماته التى حصلها عن الشرائع التلمودية المعقدة ، وانما مرتبط بجوانى هذا اليهودى أو سريرته الداخلية · وما دام جانب من النور الالهى مازال كامنا مكبلا فى العالم المادى ، فلا يمكن تحرير هذا النور الا عن طريق الانسان ، اذ على كاهل اليهودى يقع عبء تحرير هذا النور بربط كل شىء وكل فكر وكل فعل،وتوحيده مع جذوره فى عالم اللاهوت.

وعلى أية حال ، فان البعد المنطوى على المساواة فى تعاليم البشت لايمثل سوى جانب واحد من جوانب القصة · فثمة عقيدة واضحة لها اهميتها متعلقة بدور الانسان عالى الروح « الصديق tzaddik » فى التطهرية (الحاسيدية Chasidism) ، وقد وجدت هذه الفكرة بالفعل فى قبالة العصور الوسطى لكنها تطورت الى مدى أبعد فى نطاق التعاليم اللوريانية ، كما كانت هذه الفكرة كامنة خلف بعض الدعاوى التى تحلقت حول أقطاب الشباتيين والفرانكيين والتى روجهـا حولهم الأتباع · وقد اتخذت رؤية التطهريين (الحاسـيديم) للعقيدة فى « الصديق tzaddik » ، أى الانسان عالى الروح ، أشكالا عدة ، وثمة فارق طفيف أو خط فاصل رفيع فى النظرة التطهرية المتطرفة بين تملق الصديق وقواه من ناحية ، والاعتقاد فى أنه موجود أو كائن يكاد يكون الها (نصف مقدس) من ناحية أخرى · وكان البشت نفسه ينظر (للصديق) أو (القطب) tzaddik كنقطة تصـل ما بين السماء والأرض ، أو بتعبير آخر تصل العالم القدسى بالعالم الأرضى ، انه القناة التى يمكن من خلالها انسياب الطاقة المقدسة من السماء الى الأرض ، وهذا القطب هو الوسيلة لرفع دعوات الناس للسماء ، حيث يمكن أن تؤدى دورها فى عملية التيكون tikkun (أو التصحيح) ·

وفى الفترة التى اعقبت موت المجيد the Maggid ـ عندما بدأت التطهرية تتجمد حول قطبية القطب ، أو بتعبير آخر قيـادة أو زعامة « الصديق » الفرد ، حدث تغير فى هذه العقيدة (عقيدة الصـديق أو القطب) · ففى كتابات الرابى R. Elimelech of Lyzansk (١٧١٧ ـ

١٧٨٧) وهو احد أتباع دوف بير Dov Baer ـ نجد أن الفكرة ترمز فى المقام الأول الى أن القطب أو الصديق tzaddik يملك القدرة على السيطرة على كل الأشياء الروحى منها والمادى :

« فالصديق (أو القطب) من خلال أفعاله المقدسة يمكنه أن يبطل كل الأفعال الشريرة ضد اسرائيل ·· **فالله ينفذ كلماته ·· لأن الله قد جعله شريكا** فى عملية الخلق » (١٦) ·

وبرغم أن كان يوجد بعض المعارضـين حتى من بين الأقطـاب (الصـديقين tzaddikim) الأوائل أنفسـهم ، لفكرة أن القطب أو الصديق يمكنه (ويجب عليه) أن يحكم نجاحات أتباعه ، ويسيطر عليها وبالتالى يضمن معيشتهم ويعالج عقم نسائهم ويشفيهم من أمراضهم ، فان هذه الفـكرة سرعان ما أصـبحت مقبولة كجزء من دور القطب أو الصديق · وعاش بعض الأقطاب (الصديقين) كسـادة اقطاعيين Lords تاتيهم الهبات من اتباعهم التقويين (الحاسيديم Chasidim)، ويفيضون من سلطانهم الروحى والدنيوى على أتباعهم العديدين ، والذين يكونون تجمعات يهودية ممتدة امتدادا كبيرا ·

وكان المعارضون لهم (المتناجديم Mitnagdim) غير سـعداء بكثير من جوانب هذه الحركة التقوية (الحاسـيدية Chasidic) ، لقد عارضوا التركيز على الغناء والرقص واستخدام الكحول والتوباكو ، وأهمل التقويون (الحاسيديم Chasidic) دراسة التوراة ومراعاة الصلوات فى أوقاتها ، وما أحدثه (الأقطاب) التقويون من تغييرات طقسية صغيرة ، ومما أزعجهم أكثر وضع (القطب) أو (الصديق) باعتباره واسطة بين الانسان والله ، وبرغم أن الرابى شـيم الفولوزينى Chaim of Volozhin (١٧٤٩ ـ ١٨٢١) ـ الذى كان متسـامحا فى العـادة ازاء التقوية ـ كان هو التـابع الرئيسى للزعيم الروحى للمعارضـين (الميتناجديم Mitnagdim)

اليجاه الفيلنى Elijah of Vilna يكتب :

« حتى أن يجعل المرء نفسه تابعا مذعنا وأن يرتبط ارتباطا شديدا بنسق معين من العبادة لهذا الجانب المتمثل فى الروح القدس فى انسان ، سواء كان نبيا أو موحى له من الروح القدس ، ان هذا يعنى أيضا الوثنية بعينها ، أو بتعبير آخر الوثنية الحقة true idolatry (١٧) » .

فالتقوية (الحاسيدية) كحركة صوفية أحيت روح الضعف والتضاؤل لدى جماهير اليهود فى أوروبا الشرقية . لقد عملت التقوية أيضا كرحم أو منبت للجوانب الخلاقة اليهودية ، بتطوير استخدام القصة القصيرة والأمثال كوسيلة لتعليم الأفكار الدينية . ومن بين أكثر نتائج الحركة أهمية اعادة تفسير القبالة اللوريانية بشكل نظامى صاغه شنور زالمان الليادى Schneur Zalman of Liadi ، والانجذاب الصوفى المعارض للعقل كما فى حالة ابراهيم الكاليسكى Abraham of kalisk ، والصوفيون الذائبون فى الله أو الثملون به مثل ناشمان البراسلافى Nachman of Braslav الذى أنشأ نوعا خاصا من القصص الخيالى الصوفى (حكايات مرتبطة بالجن fairy tale) ، أو مثل مناحم مندل الكوتسكى Menachem Mendel of Kotsk الذى أدى به بحثه عن الحقيقة داخل نفسه وداخل الآخرين الى قضائه التسع عشرة سنة الأخيرة من حياته فى عزلة كاملة ، ان اختلاف لاهوت اليهودية ، وانتشار هذا الاختلاف اللاهوتى فى مدى قصير بسبب هذه الحركة مسألة جديرة بالملاحظة على النحو نفسه . وربما كان أكثر أنواع هذا اللاهوت تطرفا هو لاهوت مورديكاى يوسف لينر الأزبيكى Mordecai Joseph Leiner of Izbica ، الذى كان فى وقت من الأوقات تلميذا لكوتسك Kotsk لكنه سرعان ما أصبح منافسا ومناوئا له ، وقد أنكر الأزبيكى فكرة أن الانسان حر الارادة (صانع قدره) ، وأنكر وجود شىء اسمه الخطيئة على الحقيقة ، والله – بالنسبة للينر – هو مصدر كل أفعال

الانسان ، وليس هناك شىء اسمه خير وآخر اسمه شر الا من وجهة نظر الانسان النسبية .

وبمرور الوقت ، أصبحت الحركة التقوية ذات مؤسسات نظامية ولم تعد حركة معارضة متمردة . لقد أصبحت التقوية اليوم مقبولة من قبل معظم اليهود كجزء مكمل للمؤسسة الأرثوذكسية ، وبصرف النظر عن البدع التى أدخلتها فى بداياتها (مستهلها) ، فقد أصبحت هذه البدع أمرا غامضا يصعب تمييزه فى قيمها ومبادئها عن الجماعات الفرعية الأرثوذكسية المغالية – خلال اليهودية ، فدراسة القبالة لم تعد مقتصرة على التقويين المعاصرين فحسب ، وانما شاركهم فى ذلك اليهود غير التقويين ، والجماعات التقوية الوحيدة التى لازالت تركز على اليهودية الصوفية (الباطنية) هى جماعة تقوية شاباد (حاسيديم شاباد Chabad Chasidim) الذى اتبع أيديولوجية مؤسسيها : الرابى شنير زالمان الليادى R. Schneur Zalman of Liadi وتقوية (حاسيدية) براسلاف Braslav Chasidim التى عرف أتباعها باسم « التقوى الميت Dead Chasidim » ، لأنهم لم يعينوا « خليفة Successor » لشيخهم الأول الرابى ناحمان البراسلافى R. Nachman of Braslav ، واستمروا فى دراسة كتاباته كدليل يشكل حياتهم .

حركة الموسار Musar

أدى نجاح الحركة التقوية (الحاسيدية) اليهودية ، الى ظهور شىء من الاصلاح المضاد بين المعارضين للتقوية المعروفين باسم الميتناجديم Mitnagdim . واتخذ هذا الاصلاح المضاد اسم حركة الموسار Musar Movement ، التى ركزت على الجوانب الجوانية (الداخلية) للحياة الدينية والجوانب الأخلاقية للأعمال (لكن عن غير الطرائق الصوفية أو الباطنية) . هذه الحركة الجديدة بدأها يوسف

زندل السالانتى Joseph Zundel of Salant (١٧٨٦ – ١٨٦٦)، الذى كان تلميذا للرابى شيم الفولوزينى R. Chaim of Volozhin ، اهم لاهوتى يهودى أرثوذكسى مناهض للحركة التقوية (الحاسيدية) . لقد تجنب يوسف زندل الشهرة ورفض دائما قبول منصب رابى مفضلا أن يكون مجهولا معتزلا ، وقد أثر بتقواه على تلميذه اسرائيل ليبكن سالانتر Israel Lipkin Salanter (١٨١٠ – ١٨٨٢) الذى تعلم أساليب الاستبطان (فحص المرء مشاعره وأحاسيسه الداخلية) من معلمه ، كما تعلم منه طرائق جديدة لمحاولة الوصول بالذات الى الكمال كاسلوب من أساليب عبادة الله . وكانت أفكار الرابى شيم Chaim كامنة وراء أفكار كل من يوسف زندل واسرائيل ليبكن ، والتى مؤداها أن على اليهودى ان يشارك بذروة وجودة فى المعاناة التى يعانيها رفاقه وأن يساعدهم .

لقد كان سالانتر Salanter هو المؤسس الفعلى لحركة الموسار Musar ، وقد قضى كثيرا من سنوات نضجه يطوف بين المجتمعات اليهودية لينشر بينهم مثل الموسار . لقد بشر باحياء الجوانب الأخلاقية لليهودية ، واحترام واجبات المرء والتزاماته نحو رفيقه ، تلك الواجبات التى كادت تطغى عليها العبادات أو الاجراءات الطقسية الخالصة ، وضرورة سعى المرء نحو الكمال (أن يجعل ذاته كاملة) . ولقد وصل فى جولاته ورحلاته التبشيرية هذه الى أماكن بعيدة فذهب الى المانيا وفرنسا ، لكن الأماكن التى كان لتعاليمه فيها تأثير أكثر من غيرها تمثلت فى ليتوانيا ، خاصة فى مؤسساتها التعليمية (اليهودية) . وكان سالانتر Salanter مهتما اهتماما كبيرا بالازدهار الروحى لرفاقه اليهود ، ونقل هذا الاهتمام لعدد من اتباعه الموهوبين الذين أوجدوا بدورهم الوسائل التعليمية لتدريب جيل جديد على قيم الموسار .

لقد واجهت وجهات نظر سالانتر Salanter معارضة شديدة من المحافظين من بين زملائه الرابيين . فبينما نجدهم اعترفوا بأن سالانتر

Salanter كان يساعد فى ايقاف تأثير حركة التنوير فى شرق أوروبا والتى كانت تعمل على اضفاء العلمانية على الهاسكالاه (علمنة الهاسكالاه Haskalah) بالسماح للطلبة والبالغين بدراسة التلمود ومناقشته مثنى مثنى Yeshivah ، فانهم اعتقدوا أن الدراسات التلمودية التقليدية كانت كافية لغرس كل مبادىء الموسار الضرورية لليهودى . لقد بدا سالانتر مؤسسا لمعيار للطهارة الخلقية ليكون محورا لليهودية يحل محل معايير الهالاخاه (الشريعة) الأقدم تماما ، كما أن التقويين أقاموا الدين القائم على الاخلاص (التكريس) .

وبينما كانت حركة الموسار تشجع دراسة التلمود والتفسيرات الكلاسية له ، فقد كانت تعتقد أنه من خلال الدراسة المكثفة للتراث (الأدب) التقوى وحدها يمكن للمرء أن يعبد الله عبادة حقيقية . وهذا الأدب (التراث) التقوى لابد من قراءته من قبل معتنق أفكار الموسار بنغمة حزينة وعاطفة جياشة ، حتى لا ينعكس ما بالقارىء من قصور على هذا النص التعبدى .

وبعد موت سالانتر طور تلاميذه الحركة ، فظهرت عدة اتجاهات مختلفة . وكتب اسحق بلازر Isaac Blaser (١٨٣٧ – ١٩٠٧) أول كتاب عن الحركة الجديدة أو Yesrael ، شمل هذا الكتاب عددا من الخطابات القصار التى كتبها سالانتر . وأقام أيضا كليات للنخبة لتدريس طريق الموسار ، الذى كان يشمل كوليل Cocolel للطلبة المتزوجين فى كوفنو Kovno ويشبفاه Yeshivah بالقرب من سلوبودكا Slobodka . وشجع بلازر Blaser تلاميذه ليتوسطوا بشأن خطيئة الانسان ، وبين الطبقات الدنيا حتى يصلوا الى درجة التواضع الحقيقية ، وليكونوا على وعى كامل بوجود الله . فهذه الدنيا دار اختبار يكون فيها الانسان حرا فى اختياره ، ومن خلال ممارسته للاختيار الصحيح يكون قد احتفظ بالثواب المخصص له فى العالم الآخر (الباقى) . ومارس بلازر نفسه نوعا من التقشف

التكفيرى (ليكفر عن خطاياه Penitential) وكان ينذر الصوم عن الكلام طوال شهر أيلول Elul العبرى الذى يسبق مهرجان العام اليهودى الجديد ، ويوم الكفارة Day of Atonement .

وقد أوجد يوسف ييزل هورفتس Joseph Yaizel Hurwitz (حوالى ١٨٥٠ – ١٩١٩) فرعا أكثر تطرفا ضمن تعاليم الموسار : لقد رفض أية محاولات للتوفيق بين الموسار والحياة المعتادة فى العالم . وقبل أن يقوم هورفيتس بدور فعال فى نشر أفكاره الخاصة بالموسار ، قضى هو نفسه بضع سنين فى عزلة كاملة ليقهر روحه . فاذا كان الموسارى حقا يعتقد فى الله ، فلابد له أن يعيش معتمدا تماما على هذا الاعتقاد متكلا تماما على الله وحده . ورحل هورفتس وتلاميذه – الذين كانوا قادرين على العيش وفقا لتعاليمه الصلبة المتشددة – خلال روسيا وأقاموا شبكة من اليشيفوت Yeshivot عرفت فيما بعد بموسار نافاردوك Navardok Musar ، وازدهرت جماعة نافاردوك وسط الصعوبات والمعوقات التى واجهتها من كل جانب . وبهذه الطريقة ، استطاعوا أن يضعوا ثقتهم فى الله فى موضع التجربة وأكملوا قوتهم النفسية الداخلية . ودافع هورفتس عن البحث الدءوب الذى لايلين عن الحقيقة من خلال عبادة الله the Service of God ونسب اليه قول مؤداه : « اذا عرفت بوجود شخص فى بلاد بعيدة يمكنه أن يوضح الحقيقة لى سأترك كل ما أملك لأتعلم منه » (١٨) .

وثمة شكل آخر من الموسار أكثر اعتدالا دافع عنه سيمشا زسل برويدا الكلمى Simcha Zissel Broida of Kelme (١٨٢٤ – ١٨٩٨) ، الذى آمن بالتشكيل المعبدى (المرتبط بالمعبد اليهودى) بالنسبة للتعليم المتدرج (السلم التعليمى) ليتم من خلاله تلقين مبادىء الموسار ، وربط التأمل الداخلى ، والتفكر المستمر لترتبط بكل أعماله his Tions (الضمير هنا فيما يبدو عائد للكلمى) وكانت هذه عملية تستغرق الحياة

كلها ، وتحتاج لضبط النفس والتحكم فيها ، وقبل كل شىء السمو العقلى الذى يؤدى الى كبح أى عمل متسرع وغير منضبط .

وانتشرت حركة الموسار برغم المعارضة الرابية – انتشارا سريعا بين المعارضين (الميتناجديم Mitnagdim) .

وقد انتهت حركة الموسار الى فراغ أيديولوجى ، فتحدى الحركة التقوية (الكازيديم) للاصولية الرابية ، من ناحية ومحاولات علمنة الهاسكالاه Haskalah من ناحية أخرى ، حتم ضرورة دينامية جديدة . وكان الرابى شيم الفولوزينى R. Chaim of Volozhin قد حاول ملء هذا الفراغ بتقديم منهج عقلى قبالى (صوفى) Kabbalistic rationale ليكون ذا قيمة محورية للمعارضين (الميتاجديم Mitnagdim) ، ونعنى بهذا المنهج حياة دراسة التوراة . لكن كتابه (نفش ها – شيم Nefsh Ha-Cham) كان يفترض المعرفة العميقة المسبقة بالقبالة اللوريانية ، وكان يتجاوز آفاق المتعلمين التلموديين . وعلى العكس من ذلك ، كان الموسار يتحدثون بلغة يمكن لاى يهودى أن يفهمها ، سواء اتفق مع منطلقاتها الأساسية أم لا . وكلما تطورت الحركة ، نقت نفسها من كثير من اليشيفوت Yeshivot المرتبط بيهود شرق أوروبا ، والذى كان يفرض دراسة مدتها نصف ساعة يوميا لنصوص الموسار كجزء من المنهج اليومى مع تعيين مرشد أخلاقى (ماشجياش mashgiash) ، مهمته العناية بالازدهار الروحى للطلاب .

وكانت النتيجة الثانوية للموسار هى تجديد الاهتمام باللاهوت اليهودى ، برغم انه لم يكن اللاهوت الفلسفى للعصور الوسطى ، وانما كان لاهوتا يبحث فى كشف الأبعاد النفسية لعلاقات الانسان بالله ونضاله – أى الانسان – ليعيش حياة مقدسة ، وعلى نحو من الأنحاء ، فان هذا الاتجاه كان موازيا لاعادة تفسير تقوية الثيوصوفية اللوريانية

بمصطلحات نفسية (سيكولوجيــــة) . وأدت الاهتمامات اللاهوتيــة للموساريين بهم أخيرا الى استعارة أفكار من القبالة الكلاسية، ومن التقوية Chaisidism ، واستخدامها لشرح رؤى الموسار الأساسية .

وعنــــدما أصبحت الحركة مؤسسية (ذات مؤسسات) ، فقـدت جاذبيتها الأصلية وسحرها الأول ، ولم يعد ثمة أتباع كثيرون لها فى أشكالها المتطرفة . وأدى تدمير اليهود الأوروبيين خلال الحقبة النازية الى محو المراكز الموسارية الكبرى ، والآن بقيت (الموسار) فى شكل هزيل ممثل فى اليشيفوت Yeshivot كظل بقى من بقاياها الأولى .

تعليقــات المترجـم

على بعض ما ورد فى الفصل السادس

لم يفض المسلمون فى الحديث عن ذات الله ، واكتفوا بالقول بأنه سبحانه « كما وصف نفسه » وقلنا فى تعليقات سابقة ان هذا الموقف يمثل الاتجاه العلمى الصحيح والوحيد ، لأن الخوض فى غير ذلك انما هو اجتراء على الحقيقــة ، وعلى ذلك فلم تخل كتب علم الكلام (مقـــالات الاسلاميين للأشعرى مثلا) من ذكر آراء مختلفة لانجد فائدة فى تكرارها هنا . ونحيل القارىء الكريم لما ورد فى الترجمة العربية لهذا الكتاب فيما يتعلق بادعاء اليهود أن رابييهم واحبارهم يستطيعون خلق بشر وكائنات لها أرواح . أما الحديث عن تناسخ الأرواح باعتباره الحل الوحيد لتفسير ما يعانيه بعض البشر دون سبب مفهوم لنا كان يولد الشخص اعمى أو مريضا بداء عضال ، فان المسلمين يرجعون ذلك لحكمة الله التى لا اعتراض عليها ، ولكونه سبحانه « يعلم » ما « لا نعلمه » فالله سبحانه هو الخير الخالص لكننا لا ندرى الحكمة الكامنة ، ونفضل هنا نقل بعض الفقرات من كتاب « شـــفاء العليل فى مســائل القضاء والقدر . . » لابن قيم الجوزية (طبعة دار احياء الكتب العربية ص ٣٢٧ وما بعدها) :

« فى تنزيه القضاء الالهى عن الشر »

قال الله تعالى : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير) .

فصدر الآية سبحانه بتفرده بالملك كله . وانه هو سبحانه هو الذي يؤتيه من يشاء لا غيره . فالأول تفرده بالملك ، والثاني تفرده بالتصرف فيه . وانه سبحانه هو الذي يعز من يشاء بما يشاء من أنواع العز ، ويذل من يشاء بسلب ذلك العز عنه . وان الخير بيديه ليس لأحد معه منه شيء . ثم ختمها بقوله : **(انك على كل شيء قدير)** .

فتناولت الآية ملكه وحده وتصرفه وعموم قدرته . وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده ، وانها كلها خير ، فسلبه الملك عمن يشاء واذلاله من يشاء خير ، وان كان شرا بالنسبة الى المسلوب الذليل ، فان هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة لا يخرج عن ذلك ، وهذا كله خير يحمد عليه الرب ويثنى عليه به كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر ، وأنه ليس اليه كما ثبت في صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ كان يثني على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله : « لبيك وسعديك ، والخير في يديك والشر ليس اليك . أنا بك واليك . تباركت وتعاليت » . فتبارك وتعالى عن نسبة الشر اليه ، بل كل ما نسب اليه فهو خير ، والشر انما صار شرا لانقطاع نسبته واضافته اليه . فلو أضيف اليه لم يكن شرا كما سيأتي بيانه . وهو سبحانه خالق الخير والشر . فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله . وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله . ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه كما تقدم . فلا يضع الأشياء الا في مواضعها اللائقة بها .. وذلك خير كله . والشر وضع الشيء في غير محله . فاذا وضع في محله لم يكن شرا . فعلم أن الشر ليس اليه . وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك ، فان منها القدوس السلام العزيز الجبار المتكبر ، فالقدوس المنزه من كل شر ونقص وعيب ، كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به . وهذا قول أهل اللغة . وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة . ومنه بيت المقدس لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب ، ومن أمه لا يريد الا الصلاة فيه رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه . ومنه سميت الجنة حظيرة القدس لطهارتها من آفات الدنيا ، ومنه سمى

جبريل روح القدس لأنه طاهر من كل عيب . ومنه قول الملائكة : **(ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)** .

فقيل : المعنى ونقدس أنفسنا لك ، فعدى باللام . وهذا ليس بشيء . والصواب أن المعنى نقدسك وننزهك عما لا يليق بك . هذا قول جمهور أهل التفسير . وقال ابن جرير : ونقدس لك ننسبك الى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس ، ومما أضاف اليك أهل الكفر بك . قال : وقال بعضهم : نعظمك ونمجدك . قاله أبو صالح . وقال مجاهد : نعظمك ونكبرك . انتهى . وقال بعضهم : ننزهك عن السوء فلا ننسبه اليك . واللام فيه على حدها في قوله ردف لكم ، لأن المعنى تنزيه الله لا تنزيه نفوسهم لأجله . قلت : ولهذا قرن هذا اللفظ بقولهم : « نسبح بحمدك » ، فان التسبيح تنزيه عن كل سوء . قال ميمون بن مهران : سبحان الله كلمة يعظم بها الرب ويحاشى بها من السوء . وقال ابن عباس : هي تنزيه لله من كل سوء ، وأصل اللفظة من المباعدة . من قولهم : سبحت في الأرض ، اذا تباعدت فيها . ومنه : **(وكل في فلك يسبحون)** .

فمن أثنى على الله ونزهه عن السوء فقد سبحه . ويقال : سبح الله وسبح له ، وقدسه وقدس له . وكذلك اسمه السلام ، فانه الذي سلم من العيوب والنقائص . ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم . ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لهم . فسلم سبحانه من ارادة الظلم والشر ، ومن التسمية به ، ومن فعله ، ومن نسبته اليه . فهو السلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص ، المسلم لخلقه من الظلم . ولهذا وصف سبحانه ليلة القدر بأنها سلام ، والجنة بأنها دار السلام ، وتحية أهلها السلام . وأثنى على أوليائه بالقول السلام ، كل ذلك السالم من العيوب . وكذلك الكبير من أسمائه ، والمتكبر . قال قتادة وغيره : هو الذي تكبر عن السوء . وقال أيضا : الذي تكبر عن السيئات . وقال مقاتل : المتعظم عن كل سوء . وقال

أبو اسحاق : الذى يكبر عن ظلم عباده . وكذلك اسمه العزيز الذى له العزة التامة ، ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب » .

أما قول المؤلف (الان انترمان) ان الشعب اليهودى نفى لفترة تزيد على ١٥٠٠ سنة ، فيقصد به منذ سنة ٧٢١ ق.م حيث استطاع سرجون الثانى الملك الأسوزى محق مملكة اسرائيل أو سنة ٥٨٦ ق.م حيث سقطت مملكة يهوذا فى أيدى البابليين (انظر : اليهودية للدكتور أحمد شلبى ، ط٥ ، ص ٨٩) .

الجزء الثانى

الشريعة اليهودية

"الطقوس والممارسات اليهودية"

الفصل السابع

الهالاخاه (الشريعة)

الطريق اليهودى

دين الكتاب المقدس العبرى (العبرانى) مرتبط ارتباطا وثيقا بحياة شعب زراعى ، بما فيها من طقوس ورموز ٠ فخلال النفى البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد ، اضطربت البنى الدينية التى كانت فى أرض اسرائيل ، وحلت محلها أشكال جديدة من العبادات بما فى ذلك ظهور المعبد اليهودى كمؤسسة دينية بمثابة مقر محلى للدراسة والصلاة ، وعلى أية حال ، فان الديانة اليهودية ـ كما هى موجودة الآن ـ لم تعرف الا بعد تحطيم الهيكل الثانى سنة ٧٠ ق٠م ٠ ومن يومها ، بدأت اليهودية فى تطوير أفكار ومؤسسات تعينها على الاستمرار دون طقس تقديم الأضحيات ودون أرض (وطن) ٠

لقد تمخض عن مشاورات الأحبار والرابيين وتأملاتهم فى يافنه Yovneh عقب تدمير القدس وحتى انفجار ثورة الباركوخبا (*) Bar Kokhba ضد روما فى سنة ١٣٢ ق٠م ـ هيكل عام

(★) ترسمها بعض الكتب باركو حابا ، ومن المعلومات المقيدة عنه أنه قائد الثورة اليهودية التى اشتعلت عام ١٣٢ ميلادية كنوع من التمرد على الحضارة لرومانية التى كانت تحظى بكثير من القبول لدى أثرياء اليهود آنئذ نظرا لتفرقها وقد كان الحاخام عقيبا ابن يوسف من كبار الداعين للانفصال عن الأغيار ، وللثورة المسلحة ولذلك فحيثما أعلن =

لحياة دينية يهودية جديدة . فبينما كان اليهود يرون أنفسهم كمؤمنين حقا قبل تدمير الهيكل ، فان الأحبـار والرابيين فى يافنه Yavneh أوحوا لليهود ووجوهم ببناء بنى دينية جديدة ، وتكوين مؤسسـات دينية أكثر قدرة على التكيف . فلم يعد هناك تركيز على طقوس الهيكل ، وبدلا من ذلك أصبح التركيز على الطقوس التى محورها الجماعة والبيت .

لقد أصـبحت التوراة والميتسفاه (الوصـايا الدينية mitzvah) همـا الفـكرتان المحوريتـان فى يهـودية ما بعـد يافنـه Post-Yavneh Judaism . ولـم تـكن التـوراة مجرد كلمة الله عبر عنها فى كتـاب مقدس ، وانما هى المحور الكلى الحى والعضوى للتعاليم اليهودية ، فدراسة التوراة والتأمل فيها والبحث عن رؤى جديدة بها من بين أعلى القيم اليهودية .

« فمن يشغل نفسه بالتوراة ، وبأعمال تنطوى على حب الرحمة ، مغفورة له كل خطاياه » (١) .

— شاب يهودى يدعى سيمون للثورة نادى عقيبا بانه المسيح وسماه باركوخابا (عبارة آرامية تعنى : ابن الكواكب) حيث انه جاء فى العهد القديم أن (نجما سيبزغ من صلب يعقوب) اشارة للمسيح المخلص وقد التف بعض جماعات اليهود حول باركوخابا ودخلوا فى حرب مع الرومان والحقوا بهم الهزائم فى بادىء الأمر ، ولكن حينما أرسلت روما الامدادات العسكرية لقواتها انهزمت قوات المتمردين وسقطت بيتار آخر معقل لهم ولقى باركوخابا وزمـلاؤه حتفهم فى المعركة فانفض اليهود من حوله واطلقوا على ابن الكواكب اسم « بركوزيبا » أى « ابن الكذاب » وعلى أثر فشل الثورة ، أصبحت أورشليم مدينة محرمة على اليهود .

وباركوخابا يجسد كثيرا من المثل العليا للصهيونية ، فهو يهودى يرفض الاندماج كما انه يدعى النبوة ، ويريد فرض رؤية على الواقع التاريخى وهو فوق هذا كله يعيش بالسيف وليس بالكتاب بل انه كان كثير السخرية من القيم الدينية التقليدية فقد صلى مرة قائلا : « يا الهى انا لا أريد مساعدتك ولكن لا تفسد علينا الأمر » أى أن ايمانه باليهودية ينصب على الجانب القومى بالدرجة الأولى دون الجانب الدينى ـ الأخلاقى ولكن رغم هذا فمن الغريب أن باركوخابا هذا البطل الذى يمجده الصهاينة لم يكن يعرف العبرية على الاطلاق اذ انه كان يتحدث بالآرامية لغة اليهود فى فلسطين آنئذ » . المترجم .

هذا التركيز على دراسة التوراة ضمن وجود عملية نمو أو تطور داخل اليهودية ، وبرغـم أن الدراسـة الرسـمية تؤدى حتما الى « التمذهب » وما يؤدى اليه من تمسك شديد بأصول مذهب السكولاستية ومنهجه ، فان الحاجة لايجاد تأملات أو نظرات متعمقة فى التوراة كانت تعنى انه لا مهرب من الديالكتيك الداخلى أثناء التغيير . لقد مد الدارسون اليهود ببراعتهم الهائلة وطاقاتهم العقلية مجال الأفكار التوراتية، ووسعوها فلم تعد تنطبق على الماضى وحده ، وانما استقوا منها رؤى جديدة فى بحثهم عن قيم وتبصرات جديدة new insights .

وعلى النحو نفسه ، فان أفكار الميتسفاه (الوصايا الدينية) قد امتدت وتوسعت فلم تعد مجـرد « وصايا » بالمعنى الأصـلى للكلمة Commandment . فقـد كانت الميتسـفاه تنطبـق على أى مبـدأ أو وصية فى نطاق اليهودية ـ سـواء اليهودية القديمـة أو اليهودية الحديثة ـ تشير الى فعل من أفعال الاحسان والخير كما تشير الى سلوك منضبط . دفعا للطقوس اليهودية . فالميتسفاه (الوصايا الدينية) كان يندرج تحتها نسق حياة اليهودى كله ، لأنه فى اليهودية لا يوجد طقس دينى منفصل عن الحياة (*) ، فكل سـلوك اليهودى ما هو الا تعبير عن الحياة وفقا لأوامر الله ؛ فالحياة اليومية نفسها أصبحت سرا مقدسا ، باعتبارها مشاركة لليهودى (مع الله) فى عملية الخلق المستمرة (**) .

تنظيم الهالاخاه (الشريعة) وتصنيفها وتبويبها

أدى التركيز على محتوى الميتسفاه (الوصايا) الى ظهور كم ضخم من الكتابات التشريعية عن موضوع الهالاخاه (الشريعة) ، التى تعنى (الطريق Way » أو « المجاز Path » . وتعـد الميشـنـاه Mishnah ـ التى أخذت شكلها النهائى على يد الرابى يهوذا الأمير

(*) اليهودية دين ودنيا (المترجم) .

(**) لا خالق الا الله ، ولا يخلقون ذبابا ولو اجتمعوا له وقد رد القرآن الكريم على مثل هذه الأكاذيب . (المترجم)

R. Judah the Prince وتلاميـــذه فى حوالى نهـاية القرن الثـانى للميلاد – هى أقدم مثال من هذا التراث خارج نطاق الاشارات التوراتية للقضايا التشريعية • والميشناه ليست مدونة قانونية ، وانما هى سجل لآراء معينة تدور حول مجموعة مختارة من قضايا الهالاخاه • وهى – أى الميشناه – اما قد دونت أو نظمت أو بوبت وكتبت عليها التعليقات كمصدر تشريعى (هالاخاوى) مقنن ، لابد أن تتخذ كل المناقشـات التشريعية اللاحقة منه نقطة انطلاق (٢) • وقد ساعد على اعتبار الميشناه المصدر الموثوق به للهالاخــاه الرابية rabbinic halakhah ، ما حظى به الرابى يهوذا الأمير من تقدير كبير ، والظروف المضطربة فى فلسطين تحت الحكم الرومانى المعادى لليهود • ويوجـد عملان آخران انبثقا من عصـور الميشناه تم تحريرهما فى زمن متأخر جدا ، وهما التوسيفتا Tosefta التى تسير على نسق الميشناه لكنها تضم مواد غير موجودة فيها (أى غير موجودة فى الميشناه) ، والميدراشـيم midrashim الهالاخـاوية (التشريعيـة) (*) التى هى تعليقـات شرعية على أسفار موسى الخمسة (باستثناء سفر التكوين الذى لا يحوى تشريعات ، هالاخاه ، مباشرة) • ولم يكن الشكل الميدراشى مستخدما على نطاق واسع فى الكتابات التشريعية فى الحقب المتاخرة ، لانه برغم ما لهذا الشكل الميدراشى من ميزة ربط الهالاخاه بآيات الكتاب المقدس اليهودى التى تستمد منها احكامها ، فانها أيضا غير مرتبطة بتحقيق أهداف التشريعات العملية •

ومن القرن الثالث الى السادس للميلاد ، جرت دراسة المواد التى تضمها الميدراش ، وجرى تحليلها ، وتمت مقارنتها بالمجموعات التى تضم كتابات الهالاخاه الأخرى ، والتى كانت تروى شفاهة • وقد تم تنقيح هذا الكم الكبير من هذه المادة الجديدة أخيرا فى فلسـطين ، فى الجزء الأخير من القرن الرابع عندما بدأت الحياة اليهودية تفسد بسبب الاضطهاد المسيحى ، واصبحت هذه المادة معروفة بتلمود القدس برغم

(*) Or tannaitic midrashim

انها – من الناحية الفعلية – لم تكن قد حررت فى القدس • وبعد قرن او أكثر ، جرى تنقيح منفصل آخر لهذه المادة فى بابل ، ومن المفترض ان هذا التلمود البابلى كان أيضا رد فعل للتشريعات المعادية لليهود والاضطهاد الذى تعرضوا له ، مما فرض ضرورة وجود نص مرتب موثق معتمد • واختلف هذان التنقيحان فى أسلوب توجيه الأسئلة فى المسائل الشرعية ، وفى اللاهوت وحتى فى الفتاوى (القرارات) حول الأحكام الهالاخاوية النهائية فى القضايا المطروحة • واتبع اليهود الفلسطينيون لفترة تلمود القدس ، بينما اتبع يهـود بابل تعاليم التلمود البـابلى وما انتهى اليه من قرارات (فتاوى) • وتم توقى انقسام هائل فى اليهودية بسبب أن الحياة اليهودية فى فلسطين انهارت انهيارا سريعا ، بينما كانت الحياة اليهودية فى بابل تزدهر فى القرون التى أعقبت تنقيح التلمودين (تلمود القدس وتلمود بابل) • اذ جرى العمل مرة أخرى فى تلمود بابل واعيد تحريره وأضـاف اليـه حكماء ما بعـد الفترة التلمودية ، والمعروفون باسم سافوريم Savoraim • وعلى العكس من ذلك ، فان تلمود القدس لم تحلق به اية تنقيحات تحريرية وانتهى به الأمر الى ان أصبح أقل موثوقية من تلمود بابل • لقد شكل التلمود البابلى أكثر من اى نص يهودى آخر – ربما باستثناء الكتاب المقـدس اليهودى – أسلوب التفكير اليهودى والنظرة اليهودية للأمـور ولاهوت اليهـودية وتشريعاتها طوال الأكثر من الألف والخمسمائة عام الأخيرة • فبالنسبة لليهود الأرثوذكس ، يعـد التلمود البابلى هو النص الموثـق والمعتمد لليهودية ، ويتعرض منكره والمشكك فى مصداقيته لتهمة الهرطقة •

ومنذ اتمام التلمود البابلى حتى القرن الحادى عشر ، كان مركز التطور الهالاخاوى (الشرعى) يتحلق حول حكماء يهود بابل ، والمعروفين باسم جونيم geonim (المفرد جون goan) • هذا اللقب الآنف ذكره والذى يعنى « الشخص رفيع المقام » اطلق على رؤساء الاكاديميين اليهود الأساسيين فى بابل ، الذين اعتبروا انفسهم حراسا على تراث التلمود البابلى • ووجه اليهود من مختلف أنحـاء العـالم

الاستفسارات لهم ، وكان الكثير من هذه الأسئلة والاستفسارات تطلب توضيحا لبعض الفقرات التلمودية الغامضة . وبين هؤلاء الجونيم (حكماء يهود بابل geonim) ، ظهرت المحاولات الأولى لوضع الهالاخاه التلمودية فى شكل بنود أو عناصر مبوبة (المقصود استخلاص التشريعات من نصوص التلمود البابلى) . وكان هدف تكويد التلمود (وضعه فى شكل بنود تشريعية) هو تقنين الممارسات والعبادات اليهودية ، ولتيسير الشريعة اليهودية (الهالاخاه) لليهود غير القادرين على متابعة المناقشات التلمودية المعقدة . وقد أدى هذا من ناحية أخرى الى مزيد من محاولات التكوين والتقنين (صياغة الشريعة فى مواد) بين اليهود خارج بابل ، وكانت أكثر هذه المحاولات أهمية تلك التى جرت على يد اسحق الفاسى Isaac Alfasi فى شمال أفريقيا ، الذى استخلص المواد التشريعية (الهالاخاوية) من التلمود البابلى فى القرن الحادى عشر (كما استخلص بعض المواد المتعلقة بالهجادة ـ أى مواد تتناول العقيدة والأخلاق) .

ومع تدهور بابل كمركز رئيسى للحياة اليهودية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، ظهرت أشكال جديدة للابداع التشريعى اليهودى (الهالاخاوى) بين يهود أوروبا وشمال أفريقيا ، الذين لم يستطيعوا البحث عن مرشد لهم من بين رفاقهم فى الدين فى الشرق . وأشهر عمل متعلق بالشريعة اليهودية (الهالاخاه) فى هذه الفترة هو مدونة موسى بن ميمون التشريعية ، وهو حكيم يهودى وفيلسوف اسبانى عاش سنوات نضجه فى مصر كطبيب لأسرة سلطانها . فكتاب ابن ميمون المعروف باسم ميشناة التوراة Mishneh Torah أو ياد ـ ها ـ شازاكاه Yad Ha-Chazakah يقدم محاولة لتصنيف كل الشريعة (الهالاخاه) الموجودة فى الكتابات الرابية ، سواء أكان يمكن تطبيقها فى القرن الثانى عشر (زمن ابن ميمون) أم لا ، وتبويبها وفقا لموضوعات . ولم يقدم لنا ابن ميمون مصادر ما انتهى اليه والذى صاغه بشكل واضح ، وبلغة عبرية سهلة وشرح المبادىء

أو الأسس الكامنة وراء التشريع « الهالاخاه » ، وضم اليها مواد ذوات طبيعة لاهوتية وعقيدية . وفى مقدمة مدونته التشريعية هذه نقرأ : « وجدت من الملائم أن أجمع المواد .. المتعلقة بالحرام والحلال ، وما هو طاهر وما هو نجس Clean & unclean ، معا بالاضافة الى شرائع التوراة الأخرى . وضعت كل ذلك فى لغة واضحة وبطريقة مختصرة ، حتى تتاح التعاليم المروية (المنقولة شفاهة) لكل الناس دون حاجة لتوجيه أسئلة ودون صعوبة .. حتى تكون كل الشرائع متاحة بشكل واضح للشباب والشيوخ .. وحتى لا يحتاج أى أحد لأى كتاب آخر فى العالم متعلق بشرائع اسرائيل ، فهذا الكتاب يضم تجميعا لكل التعاليم المروية شفاهة .. لهذا ، فقد أطلقت على هذه المدونة اسم ميشناة التوراة Mishneh Torah (أى العمل الثانى فى الأهمية بعد التوراة) ، لأنه على اليهودى أن يقرأ التوراة أولا ثم يقرأ بعد ذلك عملى هذا .. فان فعل فهو ليس بحاجة لقراءة أى كتاب آخر بينهما » .

ومدونة موسى بن ميمون التشريعية هذه ـ مثل كتابه اللاهوتى دليل الحيران magnum Opus ـ كانت موضع خلاف كبير . لقد تعرض للنقد لعدم ذكره مصادره ولعدم اشارته للآراء المخالفة فى الكتابات الأقدم ، ولاشتمال كتابه على مواد فلسفية ، ولاهماله الدراسة التلمودية التى كانت تستلزمها مدونته . وتمخض الخلاف عن سلسلة متكاملة من التعليقات والشروح على هذه المدونة ، بعضها يدافع عن المؤلف وبعضها يهاجمه . فما كان يقصد اليه ابن ميمون من ايجاد مجموعة بسيطة من أحكام الشريعة اليهودية (الهالاخاه) التى لا يعتريها اضطراب ولا خلاف عليها ، أصبح بمرور الوقت محورا لكتابات عن التحايل الشرعى على هذه الشريعة ذاتها .

ولمواجهة القصور الذى وجده ناقدوه فى مدونته ، قام دارسون كثيرون فى فترة ما بعد ابن ميمون بالرجوع الى الملخصات الشرعية

(الهالاخاوية) الأقدم ، والتى كانت تتبع نسق البحوث التلمودية وترتيبها • وفى بواكير القرن الرابع عشر ، اكتملت مثل هذه المدونة (التى تسير على النسق التلمودى وترتيبه ومحتواه) على يد الرابى اشر ابن يشيل R. Acher ben Yechiel المعروف باسم روش Rosh ، وهو باحث يهودى ألمانى هاجر الى أسبانيا • وقد ضم الرابى أشر Asher مواد من الأكاديميات اليهودية الفرنسية الألمانية ، والتى لم يكن لها وجود فى المدونات التى أتت من الشرق أو شمال افريقيا أو اسبانيا • وقصد بعمله أن يكون ملحقا للتلمود ، ليستخدمه أولئك الذين يقرءون المناقشات التلمودية ويبحثون عن شروح وتوضيحات للأحكام الشرعية (الهالاخاوية) • وقد عارض حقا فى احدى اجاباته استخدام مدونات شرعية ـ كمدونة ابن ميمون ـ من قبل أولئك الذين لم يعتادوا التعامل مع النص التلمودى •

وبرغم أن مدونة الرابى أشر قد لاقت احتراما واسعا ، فقد وقع على كاهل ابنه ـ الرابى يعقوب بن أشر R. Jacob ben Asher ـ أن يجعل صياغة التشريعات اليهودية فى شكل مدونة ، مثالا يحتذيه كل من تناولوا الشريعة اليهودية بعد ذلك (الهالاخاويون) • لقد قسم الرابى يعقوب موضوعات الشريعة اليهودية (الهالاخاه) الى فئات أو موضوعات أطلق عليها توريم Turim (صفوف rows) ، وأطلق على مدونته اسم « أربعة توريم Arba'ah Turim » الفئة الأولى (المجال الأول) أطلق عليه تور أوراش شيم Tur Orach Chaim ويتناول الحياة اليومية لليهودى والطقوس المرتبطة بأيام السبوت (جمع سبت) والأعياد • والثانية تور يوره ديه Tur Yoreh Deah ، وتتناول الشرائع المتعلقة بالطعام dietary Laws والوثنية وتحريم الربا والحيض والقسم والتعليم والختان والمهتدين الى اليهودية (المتحولين الى اليهودية) •• الخ • والثالثة تور ايفين هاـ ايزر Tur Even Ha-Ezer ، تتناول العلاقة بين الذكر والأنثى والزواج والطلاق • والرابعة تور شوشن ميشبات Tur Choshen Mishpat ، وتتناول المحاكم الشرعية

اليهودية وتفاصيل عن القانون المدنى والجنائى • وتبع الرابى يعقوب ابن ميمون فى فصل تقنين الشريعة مناقشات التلمود ، كما حذا حذوه فى ادراج مواد لاهوتية فى مدونته ، رغم أن التور Tur تعكس وجهات نظر المدرسة التقوية الألمانية German Pietist School أكثر مما تعكس فلسفة • وهو يختلف عن ابن ميمون فى أنه يقتبس آراء مختلفة فى الموضوع الذى يتناوله قبل أن يصدر حكمه الذى غالبا ما يتبع فيه حكم والده الرابى أشر Asher •

وفى القرن السادس عشر ، كتب الرابى يوسف كارو Joseph Caro شروحا موسعة على التور Tur ، أخضع فيها استنتاجات الرابى يعقوب الشرعية لتحليلات نقدية واسعة ، وبنى كارو ما توصل اليه من أحكام شرعية على أحكام أسلافه الثلاثة المشهورين : الفاسى ، وابن ميمون والرابى أشر Asher ، وعندما كان يجد خلافا بينهم يجنح الى الرأى الغالب عند هؤلاء الثلاثة • ومن هذه الشروح التى أطلق عليها بت يوسف Bet Yosef ، استخلص كارو أحكامه التى انتهى اليها وكتبها فى كتاب منفصل،أسماه شولحان عاروخ Schulchan Aruch ومعناه « المائدة الجاهزة المعدة » وقلد التور باستخدام التقسيمات نفسها ، والفروع الواردة تحت التقسيمات (العناوين والعناوين الفرعية) • وكارو هذا من أصول أسبانية ، وبرغم معرفته الواسعة التى تعنى أنه اعتاد قراءة الكتابات الأساسية للباحثين الأشكيناز فى وسط أوروبا وشرقها فانه ركز على اتجاه الصفاردى (*) Sefardi فى الشريعة اليهودية (الهالاخاه) • وعمد الرابى البولندى موسى اسرلز Moses Isserles المعروف بريما Rema الى تصحيح هذا الميل فى كتاب كارو (مدونته) ، باضافة حواشيه الخاصة التى أسماها المابه Mappah (مفرش المائدة) لمدونة كارو الشولحان عاروخ ، معتمدا على شروحه للتور Tur • والحقيقة التى مؤداها أن الشولحان عاروخ ـ

(*) أى اتجاه يهود شبه جزيرة ايبيريا ، وتكتب أيضا سفاردى ، وفضلناها بالصاد كما فى رسم الترجمة العربية للعهد القديم • (المترجم)

بشكلها الموسع اشتملت على ما انتهى اليه الباحثان اليهوديان الكبيران الصفاردى والأشكنازى ، جعلت هذه المدونة أكثر قبولا لدى اليهود من المدونات السابقة . وبذا ، أصبحت ــ كعمل واحد ــ أكثر نصوص الشريعة اليهودية اعتمادا ، وباستثناء يهود اليمن الذين استمروا فى اتباع أحكام ابن ميمون الشرعية ، فان هذه المدونة (الشولحان عاروخ) شكلت بطابعها الحياة اليهودية والعبادات والممارسات فى كل المجتمعات اليهودية . وساعد ظهور الطباعة فى القرن الخامس عشر كعامل مهم على انتشار (الشولحان عاروخ) بسرعة وعلى نطاق واسع ، فلعبت الطباعة دورا غير قليل فى قبولها كمرجع معتمد للشريعة اليهودية . وبرغم أن العادات المحلية « المنهاج minhag » ظلت تسود فى المجتمعات اليهودية المختلفة مما أدى الى وجود اختلافات فى تفاصيل الشريعة (الهالاخاه) ، فانه فى معظم القضايا كانت أحكام الشولحان عاروخ سببا فى توحيد أشكال العبادات والممارسات .

وكما حدث بالنسبة للمدونات الشرعية السابقة، وجدنا الشولحان عاروخ تتعرض لهجوم قاس ، اذ عارضها عدد من الرابيين الكبار الذين لم يحبوا أن يروا الشريعة (الهالاخاه) مجمدة فى ملخصات تشريعية (قانونية) . وكان الرابى يهوذا لويب (من براغ R. Judaé Loeb من بين أشد المعارضين ، فقد كتب :

« انه لمن الأفضل والأكثر ملاءمة أن يصل اليهودى للحكم الشرعى (حكم الهالاخاه) من خلال دراسته للتلمود . ومع ذلك ، فثمة سبب للافتراض انه قد لا يشق طريقه بشكل صحيح ، ولن يصل للحكم الشرعى الصحيح ... ومع هذا ، فان فهمه وحكمته قد تضلانه الطريق ، وهذا لا يمنع أن يكون محبوبا من الله عندما يحكم وفقا لما أملاه عليه عقله ... هذا أفضل من شخص يستخرج الحكم من كتاب دون أن يعرف الحكمة الشرعية الكامنة وراءه . ان هذا الأخير يشبه رجلا أعمى فى الطريق » (٣) .

وفى القرون التى تلت نشر الشولحان عاروخ ، ظهرت شروح كثيرة لها تؤيد أحكامها أو تكيفها فى ضوء الظروف الجديدة . واستمرت

هذه العملية فى العصور الحديثة لكن تضخم المادة التى تجمعت حول هذه المدونة الشرعية جعلها صعبة التناول بالنسبة لليهود العاديين ، وأدى هذا بدوره الى بذل محاولات مختلفة لتبسيطها . وأشهر محاولات التبسيط وأكثرها انتشارا تمثلت فى عمل يحمل عنوان « مختصر الشولحان عاروخ) Kitzur Schulchan Aruch » الذى كتبه الرابى سليمان جانز فريد R. Solomon Granzfried (١٨٠٨ ـ ١٨٨٦) . وحذفت هذه المحاولة المادة الشرعية (الهالاخاوية) غير المرتبطة باليهودى العادى ، بل حذفت أيضا المواد التى اعتبرها المؤلف مألوفة فى الحياة اليهودية بدرجة تجعلها فى غير حاجة لتوضيح ، مثل كثير من الأمور الشرعية المتعلقة بيوم السبت .

ومع تجدد الحياة اليهودية فى فلسطين وقيام دولة اسرائيل ، ظهر فيض هائل من الابداع فى مجال الشريعة (الابداع الهالاخاوى) استجابة لقضايا أثارتها التكنولوجيا الحديثة ، برغم أن هذه المدونات الشرعية المحدثة لم تحظ واحدة منها بقبول عام من اليهود الأورثوذكس . وعلى أية حال ، ففى الولايات المتحدة الأمريكية أسس اليهود المحافظون لجنة للشريعة اليهودية وتقنيناتها (معاييرها) ، قدمت كثيرا من الأمور المستحدثة (البدع) لاخضاع الشريعة اليهودية (الهالاخاه) للاتجاهات السائدة بين اليهود المحافظين فى مجال الزواج والطلاق والتحول لليهودية ومراعاة السبت .. الخ . لكن الرابيين الأورثوذكس هاجموا بعنف هذه الاجراءات المحافظة ، فقد كان هؤلاء الرابيون الأورثوذكس قلقين جدا من تحديث الشريعة اليهودية ككل .

الفتاوى الشرعية (الهالاخاوية)

بينما أدى تكوين الشريعة اليهودية (الهالاخاه) ــ بمعنى تقنينها ، أى تحويلها الى مواد كمواد القانون ــ الى معايرتها أى توحيدها معياريا ، فان المصدر الأساسى لتطور هذه الشريعة (الهالاخاه) فى فترة ما بعد التلمود كان هو الفتاوى ، أى اجابات رجال الدين اليهود

عن الأسئلة الموجهة اليهم . وهذه الفتاوى والاجابات معروفة فى التراث العبرى باسم « الأسئلة والأجوبة _ She'elot u-teshuvot » ، وقد تكونت هذه الطائفة من الكتابات من اجابات الرابيين المعتمدين على الأسئلة الموجهة لهم ، والتى كانت ترد اليهم أحيانا من مناطق على بعد آلاف الأميال . وفى بعض الأحيان تكون صياغة المادة الشرعية على شكل سؤال وجواب (فتاوى) مجرد حيلة أدبية ، اذ يلفق المجيب سؤالا (لم يوجهه اليه أحد) يكون لديه (أى لدى المجيب) اجابة شائقة له ، لكن غالب الأسئلة والفتاوى تتناول فى الأساس قضايا حياتية حقيقية لتوجيه السائل الى ارشاد من خلال الشريعة اليهودية . وتتراوح الفتوى بين جملة أو جملتين عن سؤال بسيط الى مقالات طويلة عامرة بالبراهين والأدلة ، تتناول كل جوانب الموضوع وتقدم مقتبسات من المصادر التى تناولت الموضوع . وفى بعض الأحيان يكون من الصعب فى هذا النوع الأخير من الفتاوى ، أن نجد اجابة المجيب كافية لشرح الأساس الشرعى .

والصفات الضرورية للمجيب (المفتى) المتميز تختلف عن الصفات الضرورية المطلوبة فى الفروع التعليمية الأخرى فى الديانة اليهودية . فالمفتى لابد أن يلم بالقضايا المختلفة فى المسألة المطروحة ، وأن يكون قادرا على تقديم الحجج والحجج المضادة ، وأن يكون قادرا على تقديم الحلول الخلاقة للمشاكل الصعبة . فجامع الشريعة (الشرائع) الممتاز أو مفسر التلمود قد يكون مفتيا بائسا (ضحلا) ، وبرغم أن تراث الفتوى (الاجابة عن أسئلة جمهور اليهود) غالبا ما يرتبط بقضايا فنية فى الشريعة (الهالاخاه) ، فانه أيضا يتطرق فى بعض الأحيان لموضوعات لاهوتية (متعلقة بالعقيدة) ولمسائل مذهبية لحركات فكرية دينية داخل اليهودية ، ولمسائل متعلقة بتاريخ علم التاريخ عند اليهود (الهستوريوجرافيا) ولأمور طبية وأخرى علمية ولجدوى realia الحياة اليهودية . أما والأمر كذلك ، فكتب الفتاوى (الأسئلة والأجوبة) تعد مصدرا ثريا بالمعلومات للباحثين فى

المجالات التاريخية والاجتماعية ، مادامت الأسئلة _ والاجابات أيضا فى الغالب _ تعكس الأحوال الاجتماعية السائدة . ففترات الفوضى والاضطراب فى التاريخ اليهودى تتسم بكثرة الفتاوى responsa المخصصة لأوضاع الزوجات اللائى اختفى أزواجهن اثر مذابح جرت لليهود ، او اثناء طرد اليهود من مناطق كاملة . هؤلاء النسوة اللائى انتقدن ازواجهن فى الظروف المشار اليها آنفا abandoned Woman واللائى يطلق عليهن اسم أجونوت Agunot ، لا يستطعن الزواج مرة اخرى اذا لم يكن هنـاك أسـاس شرعى (هالاخاوى) لافتراض موت أزواجهن . وقد بذل المفتون كل ما لديهم من براعـة ، لمحاولة ايجاد أساس شرعى (هالاخاوى) يتيح لهن الزواج .

وشكلت الفتاوى سوابق فى الشريعة اليهودية كان من الممكن أن يثير الدارسون اليهود النقاش حولها ، ناقدين لها أو مؤيدين لها ، ومصدرين بشأنها فتاوى أخرى ، وربما فى خاتمة المطاف تم تضمينها فى مدونات شرعية (هالاخاوية) كممارسـات شرعية معتادة . وفى بعض الأحيان كان النزاع يطول حول بعض الفتاوى ، سواء فيما يتعلق بابتداع المفتى أو فى تفسير بعض المصادر التى استقى منها . وكان هذا ما حدث لفتوى الرابى تسيفى أشكينازى R. Tzvi Ashkenazi (١٦٦٠ _ ١٧١٨) رقم ٧٤ فى مجموعة فتاويه المعنونة : (حاخام تسفى Chakham Tzvi) ، والتى أجاب فيها عن الحكم فى دجاجة لم يوجد بها قلب . ففى ظل الظروف العادية ، يعد عدم وجود عضو كبير كهذا (القلب) مما يجعل الحيوان أو الطائر محرما أكله (لا يصلح أن يكون طعاما حلالا Kosher food) . وعلى أية حال ، فان أشكينازى افتى بجواز أكل هذه الدجاجة على أساس أن الفتاة التى فتحت الدجاجة لتنظيفها والقاء ما بداخلها لمكان القطط لابد أنها ألقت قلب الدجاجة ضمن الأحشاء الأخرى دون أن تنتبه . فالدجاجة لا يمكنها أن تعيش ، بأية حال ، دون قلب وما دامت كانت حية وبحال طيبة قبل ذبحها ، فلا مجال للقول انها كانت بلا قلب ، وانكار الفتاة القاءها القلب انما هو

انكار لا يعتد به وفقا لفتوى أشكينازى على أساس أن الفتاة فى الغالب الأعم لم تلتفت لذلك وقت حدوثه · وتعرض أشكينازى لهجوم شرس بسبب هذه الفتوى من عدد من الرابيين المهمين ، حتى انه أجبر على ترك منصبه الدينى الرابى فى المانيا ، وانتقل الى أمستردام حيث الهدوء النسبى · لقد سبب هذا النزاع بلاشك موقف أشكينازى الصريح والعنيد فى القضايا العامة ، مما جعله شخصا صعبا فى نظر زملائه الرابيين ·

وعند كتابة الفتوى التى تضمنت هذا الحكم موضوع الخلاف فقد المفتى مكانته بسبب موقف الرابيين الآخرين منه ، ذلك الموقف المنطوى على حكم ناقد قاس · ومن ثم ، اتخذ كثيرون من المفتين مواقف مسالمة وراحوا يتحاشون اصدار الفتاوى المتساهلة التى قد تجلب عليهم لوم المعاصرين المتشددين (الأكثر قداسة) · ان من سمات المفتى العظيم أن يبدى أصالة فى التعامل مع قضايا الشريعة (الهالاخاه) ، وأن يكون لديه الشجاعة لنشر أية حلول راديكالية يراها مناسبة · وهناك رابى حديث لا جدال حول أورثوذكسيته وتمكنه العلمى ، وجد نفسه عرضة لهجوم اليهود المتشددين ، الذين لم يوافقوا على فتواه باباحة تلقيح الحيوانات صناعيا فى ظل ظروف معينة واعترضوا علنا على هذه المسألة · وهذا الرابى نفسه الذى أفتى فتاوى متسامحة بشأن عدة مسائل حول الطعام الذى تحله الشريعة اليهودية Jewish Dietary law ، أصبح موضع سخرية من ناقديه الذين قللوا من شأنه وقالوا ساخرين : « اذا الرابى فلان أو علان قال عن طعام ما انه غير محلل (غير كوشير mamzer) ، عندها يستطيع حتى غير اليهودى أن يمتنع عن أكله » ·

لقد أثار التقدم التكنولوجى قضايا فى وجه الممارسات اليهودية لم تكن تحلم بوجودها المدونات الشرعية ونصوص الشريعة (الهالاخاه) الكلاسية ، ووجد الرابيون فى اصدار الفتاوى بشأنها أسرع طريقة وأنجحها للتعامل معها ، فعلى سبيل المثال فان المدونات الشرعية الكلاسية كلها تسرد المحرمات المختلفة المرتبطة باشعال النيران أيام

السبوت والأعياد · ومع دخول الكهرباء ، كان لابد من اعادة طرح الموضوع كله للمناقشة ، واضطر الرابيون الى خوض معارك للمقارنة بين اضاءة المصابيح الكهربائية واشعال الشموع أو مصابيح الزيت ، وهل هى عمليات متشابهة فيحرم بذلك اضاءة المصابيح الكهربائية أم عمليات مختلفة فتحل اذن اضاءة مصابيح الكهرباء · ومن الطبيعى بدرجة كافية أن يكون فهمهم للجوانب الفنية (المرتبطة بالكهرباء) فى بعض الأحيان فهما غير مكتمل ، ويتم تجاوز سوء الفهم هذا ليتحول عالم الشريعة اليهودية (الهالاخاوى) لاغراقنا فى تفاصيل شرعية متكلفة ومعقدة تيقنها أكثر من غيرها ·

وفى كثير من القضايا الحساسة ، يضطر الرابيون الى تداول الفتاوى بينهم دون أن يسمحوا بنشر وجهات نظرهم · ويحدث هذا على نحو خاص عندما يرغبون فى التساهل فى مسألة بعينها ، رغبة منهم فى توقى مواجهة سخط زملائهم الرابيين الأشد محافظة واليهود العاديين ، او خشية منهم أن يؤدى تساهلهم فى مسألة ما الى اجبارهم على التساهل بشكل عام حتى فى المسائل غير المماثلة للمسألة التى تساهلوا فيها · ومن أمثلة هذه القضايا الحساسة قضية المامزر Mamzer ، وهو الطفل المولود نتيجة علاقة زنا (علاقة جنسية خارج مؤسسة الزواج) أو نتيجة غشيان المحارم incestous ، فبرغم أن هذا المامزر mamzer له كل الحقوق وعليه كل المسئوليات التى لرفاقه اليهود ، فليس مسموحا له (أو لها) أن يتزوج الا من مامزر mamzer مثله أو من متحولة (أو متحول) لليهودية · وهذا الحكم الشرعى يمثل عبئا شديدا للمامزر الذى قلما يقر الآخرون بمسئوليته عما اقترف أبواه ، ومن ثم جعلاه فى هذا الوضع الخاص · وحاول الرابيون بكل جهدهم لايجاد وسائل لالغاء وضع المامزر (ابن الزنا أو الناتج عن العلاقات الجنسية بين المحارم) · فعلى سبيل المثال ، فى حالة الطفل المولود من علاقة زنا ، ان أمكن ايجاد عيب (شرعى) فى زواج الأم بحيلة شرعية ، فان علاقتها الجنسية بوالد الطفل تصبح علاقة شرعية (ليست علاقة زنا) (*) ·

(*) هذا المثال يفترض أن الزانية متزوجة ·

وقلما تنشر هذه التحايلات الشرعية ، حتى لا يساء تفسيرها فيكون مضناها هو التشجيع على الزنا ، اذ يمكن ان يفهم الزناة منها انه يمكن محو عارهم ببساطة باللجوء الى رابى يتحايل بشأنهم على الشريعة .

وفى سنة ١٩٧٢ ، عندما نشر الرابى شلومو جورن Shlomoh Goren – وكان هو ورابى آخر من رؤساء الرابيين فى اسرائيل – فتوى طويلة مؤداها السماح للأخ والأخت – ان كانا أولاد زنا أو أولاد نكاح محارم – بان يتزوجا بحرية وازال عنهما وصمة العار، فانه لاقى معارضة شديدة من كثير من السلطات الرابية . وعرفت هذه الفتوى باسم « أمور لا نجر Langer affair » واصبحت قضية شهيرة فى اسرائيل ، لقيام الحكومة بممارسة ضغوط على المؤسسة الدينية لازالة وصمة العار عن الأخ والأخت (أولاد الزنا أو أولاد نكاح المحارم) وابعاد صفة الممزر عنهما . واعتبر الرابى جورن شخصا خضع لضغط الحكومة ، ونظر الرابيون الآخرون لحججه الشرعية (الهالاخاوية) كحجج باطلة غير صحيحة . والحق ، ان اليهود الأرثوذكس المتشددين Ultra Orthodox فى القدس عقدوا اجتماعا عاما استأجروا فيه عباءاتهم وأعلنوا الصيام العام، احتجاجا على ما اعتبروه انتهاكا للمقدسات وتدنيسا شجع عليه رابى زعيم . هذه الحادثة كلها تظهر لنا القضايا التى يواجهها المفتى ، الذى يرغب فى تقديم وجهات نظر شرعية (هالاخاوية) ذات طبيعة خلافية . وكما رأينا لتونا بشأن فتوى الدجاجة ، فان مثل هذه القضايا ليست جديدة تمام الجدة . فاعتماد السوابق الشرعية (الهالاخاوية) باستخدام الفتاوى برغم أنه كان موجودا على نطاق واسع بين الرابيين الارثوذكس ، فان الرابيين المحافظين والاصلاحيين قد استخدموه أيضا ، وان كان ارتباط السلطة فى الحالة الأخيرة بفتوى معنية ذا طبيعة أقل ترابطا (اتساقا)، فالفتوى الاصلاحية لا تصل الى مستوى القرار (المقصود الحكم الشرعى) الصادر من خبير بالشريعة (الهالاخاه) ، انها لا تبين الكيفية التى يتحتم على اليهودى التصرف بها فى ظروف بعينها ، وانما هى أقرب ما تكون فى طبيعتها الى نصيحة موجهة حول هذا السلوك .

الفصل الثامن

شعائر مراحل العمر :

الطفولة والشباب

مقدمة

أثر تعقيد الشعائر (الطقوس) اليهودية تعقيدا شديدا – ذلك التعقيد الذى نما وازداد مع تطور الشريعة أو مع اختلافات الشريعة (المنهاج) المحلية – فى كثير من مناحى حياة اليهودى ، وعلى مختلف المستويات . فهذه البنى الطقسية (الشعائر) حددت مسلك اليهودى التقليدى واتجاهاته وتكوين أسرته ، بل وحتى مؤسساته الاجتماعية . وادت هذه الشعائر (الطقوس) الى خلق عالم رمزى (عالم من الرموز) حول هذا اليهودى التقليدى يربطه بأبناء عقيدته ، ويميزه عن غير اليهود (المقصود يضع علامات فارقة تفرق بينه وبين غيره من اليهود)، وغالبا ما يكون من المفيد تحليل الشعائر اليهودية (الطقوس) من خلال ابعاد ثلاثة . ففى البداية هناك البعد الخطى الزمنى (المقصود تتبع الشعائر فى خط زمنى وفقا لعمر الانسان اليهودى ، أى الطفولة فالشباب فالكهولة) ، الذى يتتبع الشعائر المرتبطة باليهودى ارتباطا شديدا فى مختلف مراحل عمره من الميلاد ، مرورا بمختلف التحولات المختلفة التى تؤثر فى دوره وتغير وصفه حتى موته ، وما يحيط به من شعائر (طقوس) . وخلال هذا المسار الخطى الزمنى الآنف ذكره ، يكمن

البعد التحليلى الثانى الذى يشكل حلقات تقسم يومه وأسبوعه وعامه من خلال فواصل زمنية طقسية (شعائرية) . أما البعد الثالث فلا هو خطى ولا هو مقسم الى حلقات ، وانما يتناول المتطلبات غير الدنيوية التى وضعت على كاهل اليهودى خلال حياته ..

وهذا التقسيم الثلاثى بالاضافة لكونه ملائما ، فهو الطريق الوحيد بالتأكيد لتقسيم كل شعائر الدين اليهودى ككل . لقد طور علماء الشريعة (الهالاخاه) خططهم لتتمشى مع الأغراض الشرعية ، بينما قسم الفلاسفة الميتسفوت (الوصايا الدينية) فى فئات (أقسام) لاهوتية ، فعلى سبيل المثال قسموها الى وصايا أملاها العقل ، وأخرى أملاها الوحى . فالتلمود نفسه قسم الوصايا الدينية التى بلغ عددها ٦١٣ وصية الى : ٢٤٨ وصية ايجابية و ٣٦٥ وصية سلبية ، كما وضع فاصلا عاما بين الطلبات التى فرضها الله (التى يجرى تنفيذها وفقا لأوامر الله) والطلبات التى يطلبها الانسان (اليهودى) من أخيه (اليهودى) ، فأى شكل من أشكال التقسيم أو التصنيف يفرض قدرا من الصنعة ، وميزة التقسيم الثلاثى الآنف ذكره والذى نستخدمه فى هذا الفصل أنه يظهر دور « الزمن » باعتباره يلعب دورا محوريا فى اليهودية ، على العكس من « المكان » فمع تدمير الهيكل سنة ٧٠ للميلاد أصبحت اليهودية غير مرتبطة بأماكن مقدسة ، برغم ارتباطها العميق بهذه الأماكن المقسة تراثيا . لذا ، علقت شعائرها على نظائر مؤقتة temporal Coordinate تجعل اليهود قادرين – بشكل أكثر ملاءمة – على ممارسة شعائر دينهم فى المنفى .

المحددات الزمنية الخطيه : ولادة الطفل

يحظى ميلاد الطفل فى اليهودية التقليدية بممارسات شعائرية (طقسية) وأخرى شعبية . وأدت الأخطار الملمة بالأم أثناء الولادة والحرص الشديد على بقاء الطفل حيا لارتفاع نسبة الوفيات بين المواليد – الى احاطة عملية الولادة بطقوس سحرية بقصد حماية الأم

والجنين من الشياطين . وبرغم أن هذه الممارسات الخرافية تعود فى اصلها الى فجر اليهودية ، فان اتجاه المؤسسة الرابية نحوها اختلف من فترة الى فترة . فالتوسيفتا Tosefta ، وهى عمل يعود الى ما قبل القرن الثالث للميلاد تقول :

« يحظر أن يسد الشخص النافذة بالأشواك أو يربط حديدا بقوائم سرير امرأة أتاها المخاض ، كما يحظر وضع المنضدة أمامها . فكل هذه طرائق أمورية ممنوعة » (٢) .

وبينما يكتب ابن ميمون (القرن الثانى عشر) – الذى أدت معارضته القائمة على أسس عقلية للمماسات السحرية الى انتقاد السلطات الدينية اليهودية له فى وقت لاحق ، باعتباره قد ألحقت به التعاليم الفلسفية – اللعنة ما نصه :

« من عضته عقرب أو أفعى جاز له أن يرتل الرقى على مكان العضة حتى لو كان هذا فى يوم سبت ، كى يريح نفسه ويقوى قلبه . وبرغم أن مثل هذا العمل لا أثر له ما دام المريض (من أصابته العضة) فى خطر ، فان على الرابى أن يسمح به حتى لا يصاب المريض بالهياج والاضطراب » (٣) . وبشكل عام ، فهناك سوابق كثيرة فى التلمود لاستخدام وسائل دفاعية وممارسات سحرية ضد الشياطين ، اعتمادا على مبدأ « كل ما يفعله الانسان من أجل الشفاء لا يعد « طرائق أمورية (*) محرمة » ، وقد قبل علماء الشريعة اليهود (الهالاخاويون) هذا المبدأ كمعيار للسلوك المسموح به » (٤) .

ومن ثم ، فالمرأة فى حال المخاض تحاط بالتمائم والطلاسم (التى تحوى أعدادا وحروفا ذوات دلالة سحرية) وبالطقوس السحرية الملائمة

(★) عن معهد الحضارات السامية تاليف هنرى س . عبودى : الأموريون شعب سامى هاجر من شبه الجزيرة العربية فى القرن الثالث ق . م . واقام فى شمال سوريا جاعلا من مدينة مارى عاصمة له . والكنعانيون هم القسم الغربى من هذا الشعب الأمورى ، اما من اتجه منهم شرقا فعرفوا بسلالة بابل الأمورية ومنهم حمورابى المشهور ... الخ / مادة أموريون . (المترجم) .

(التى تتمشى مع الغرض المطلوب) كفتح كل شيء فى المنزل لمساعدة رحمها على الانفتاح بدوره ، وكثير من هذه الطقوس استعاره اليهود من جيرانهم غير اليهود. واليوم ، فان معظم اليهود المعاصرين ينأون بأنفسهم عن كثير من هذه الممارسات الخرافية من هذا النوع ، برغم أنها لا زالت موجودة فى بعض القطاعات اليهودية التقليدية ، خاصة عند اليهود الشرقيين Oriental . لقد أضافت أفكار القبالة اليهودية (التصوف اليهودى) فى وعى اليهودى العادى فى العصور الوسطى ، كثيرا من الادراك لدور القوى الشيطانية فى العالم . فقد جرى وصف المخاض بأنه من عمل قوى خارجية معادية لتكاثر البشر (و بعبارة أخرى جرى وصف آلام المرأة عند الولادة بأن قوى شريرة معادية للانسان هى المسببة لها) . وهذا يناقض أفكار الكتاب المقدس اليهودى ، الذى يعزو صعوبات المخاض الى لعنة حواء (المرأة) وافكار الميشناه التى تذكر أن المرأة تموت عند المخاض لأنها أهملت الوصايا الدينية الثلاث (الميتسنفوت) ، التى تحض المرأة بشكل خاص على اجتناب الاتصال الجنسى فى فترة الحيض ، وتحضها على تقديم هدية من كعك أو عجين للكاهن ، وعلى عدم اضرام النار للاضاءة يوم السبت .

وبعد الولادة تعتبر المرأة حائضا (نفساء) طوال الأيام السبعة التالية ان كان المولود ذكرا ، فان كانت أنثى اعتبرت المرأة حائضا (نفساء) طوال أربعة عشر يوما ، وبالتالى فهى تكون طوال هذه الفترة غير طاهرة من الناحية الطقسية (الشعائرية) . وفى الأزمنة القديمة كان يتحتم عليها أن تتجنب طوال ثلاثة وثلاثين يوما (بالاضافة للفترة السابقة) قبل أن يسمح لها بحرق القرابين فى الهيكل ، وأن تمتنع طوال ستة وستين يوما (بالاضافة لفترة السبعة أيام أو الأربعة عشر يوما السابقة) قبل أن يسمح لها بتقديم قربان الخطية فى الهيكل ، وعند السماح لها بتقديم هذين القربانين يكون معنى هذا أنها أصبحت طاهرة مرة أخرى . وفى المناقشات التلمودية ورد بصدد تعليل فرض قربان الخطية ، أن المرأة أثناء معاناتها آلام المخاض تقسم أنها لن تسمح

لزوجها باتيانها مرة اخرى (٦) (*) . ويمكن للأم مواصلة اتصالاتها الجنسية بزوجها بعد انقضاء سبعة ايام من توقف دم النفاس قبل قيامها بشعيرة الاستحمام (التطهر الطقسى او الشعائرى) ، ذلك انها تكون قد تجاوزت مرحلة المنع عن ممارسة الطقوس (الشعائر) المقدسة ، وما اعقبها من غياب الطهارة الشعائرية . وعلى أية حال ، هناك جماعات يهودية يظل فيها الزوجان متجنبين للاتصال الجنسى طوال اربعين يوما اذا كان المولود ذكرا وثمانين يوما ان كانت المولودة انثى ، ومع هذا فابن ميمون يقول بهذا الصدد :

« ان هذا ليس عادة (او شعيرة خاصة) وانما هو خطا ... وهرطقة ... لانهم قد تعلموا هذا من الصدوقيين (مثل القرائين) . انه لمن الميتسفاه (الوصايا الدينية) ان نجبرهم على ابعاد هذه الممارسات عن قلوبهم » (٧) .

الطفل

يجد المرء فى الكتاب المقدس اليهودى وفى التراث الرابى رغبة شديدة فى الأبناء ، وان كانت الفرحة المصاحبة لانجاب الولد تختلف عن تلك المصاحبة لانجاب البنت . فالذكر سيأتى للدنيا للقيام بدور اجتماعى واقتصادى ودينى فى المجتمع اليهودى على نحو غير متاح للأنثى . فنحن نجد المعنى التالى كثيراً ما يتكرر فى التلمود :

« من المحال أن يكون هناك عالم دون ذكور واناث . ومع هذا ، فيالسعادة الرجل الذى ينجب الذكور ويالتعاسة الرجل الذى ينجب الاناث ! » (٨) (**) .

وبرغم وجود وجهات نظر اخرى — على الاقل من جانب واحد — فلا أحد ينكر الأفضلية النسبية لذكر على الأنثى ، ويظهر هذا التفضيل

(*) من المفهوم أنها لا تبر بهذا القسم ، ومن هنا كان لابد من تقديم قربان لأنها حنثت فى قسمها .

(**) كلام متضارب فى الذكور والاناث فهما معا اساس لاستمرار الكون (المراجع) .

ق الطقوس والشعائر المحيطة بميلاد الذكر فهى مختلفة عن تلك المحيطة بميلاد الأنثى : اذ يعدون بمناسبة ميلاد الذكر وليمة فى مساء اول جمعة بعد مولده ، ووليمة فى اليوم الثامن (بعد شعيرة الختان) ، وتقام وليمة بعد شهر من الميلاد ان كان المولود بكر والديه (اى اول مولود لوالديه) ، وليست هناك ولائم على هذا النحو فى حال ميلاد الأنثى . فكل ما يقوم به الوالد بالنسبة للمولودة الأنثى هو اعلان اسمها امام الجموع فى المعبد فى اول يوم سبت بعد ميلادها ، ودعوة الموجودين لتناول كداش Kiddash (نبيذ تتلى عليه تبريكات) ولتناول وجبة خفيفة بعد صلاة السبت .

وقد أدى عدم المساواة فى الشعائر والطقوس المصاحبة لميلاد كل من الذكر والأنثى ، الى قيام الشبان اليهود فى امريكا الشمالية بالبحث عن طقوس (أو شعائر) مطورة يربطونها بميلاد الأنثى . وكان هذا استجابة لأيديولوجيات تحرر المرأة بين اليهود التقليديين فى الولايات المتحدة الأمريكية . وجرت بعض المحاولات لتجديد بعض الشعائر الميتة (المندرسة) كعادة زراعة شجرة صنوبر عند ميلاد انثى ، ليستخدم خشبها بعد ذلك فى تشييد ظلة لها فى عرسها (٩) . وجرى ابتداع اكثر راديكالية بمحاولة ايجاد نوع من شعيرة الختان للأنثى دون القيام بعملية جراحية فعلية ، حتى يطبقوا عليها فكرة الدخول فى عهد ابراهيم Covenant of Abraham، وفكرة الدخول فى هذا العهد هى الباعث المحورى لختان الذكور . والآن . لا تؤيد المؤسسة الرابية كثيراً مثل هذه الشعائر (المبتدعة الخاصة بالاناث) .

الختـــان

ازالة القلفة (أو الغرلة) فى الطفل الذكر فى اليوم الثامن لميلاده مسألة شرعية (هالاخاوية) مسئول عن تنفيذها والد الطفل . والأصل ان يقوم الوالد باجراء عملية الختان هذه لطفله ، لكن معظم اليهود الآن يوكلونها الى خاتن محترف يطلقون عليه اسم موهل mohel يفترض انه لا يتقاضى اجراً على عمله هذا ، مادام الختان من بين الميتسفاه (الوصايا

الدينية) . وليس من الضرورى أن يكون الموهيل طبيبا ، برغم أن بعض الأطباء اليهود يقومون بعملية الختان وفقا لمتطلبات الشريعة (الهالاخاه) . ويجد المرء هذا الدور فى حالات كثيرة موكولا للذباحين الشرعيين (الذين يمارسون الذبح وفق أحكام الشريعة) ، لبراعتهم فى استخدام السكين . ومن الناحية النظرية ، يمكن للمرأة أن تقوم بعملية الختان ، بل اننا وجدنا زوجة موسى (عليه السلام) تقوم بهذه العملية وفقا لما ورد فى الكتاب المقدس اليهودى . لكن لأن بعض علماء الشريعة (الهالاخاويين) عارض قيام المرأة بهذه العملية ، فقد أصبح قيامها بها لا يلقى تشجيعا (١٠) . ويصرح لأى يهودى ذكر لا تعرف عنه الهرطقة أن يكون موهيل (خاتنا) ويوكل اليه ـ بحكم العادة ـ أن يؤم المصلين (أو مرددى الدعاء) فى يوم الختان . وثمة مشارك آخر مهم فى اجراءات الختان وهو الأب الرمزى الذى يضع الطفل على ركبتيه أثناء الختان ، ويقال له ساندك Sandek . وهنا نجد أن المرأة يمكنها القيام بهذا الدور ، بل ان هذا هو ما يحدث فى مجتمعات اليهود الشرقيين ، لكن رجال الشريعة الأشكيناز لا يشجعون ذلك ، طالما أنهم يعتبرون قيامها بهذا الدور قلة احتشام (١١) . ويقوم الساندك بدور الأب الرمزى للطفل ، ويعد شرفا كبيرا أن يطلب من رجل القيام بهذا الدور . وبرغم ان فكرة الساندك Sandek هذه أتت بعد التلمود فانها أصبحت ذات أهمية كبيرة فى هذه الشعيرة ، وقارنها أحد الرابيين بالمذبح الذى تحرق فوقه البخور ، بل ان الساندك Sandek (حامل الطفل على ركبته أثناء اجراء عملية الختان) يتقدم على الموهيل (الخاتن) فى بعض الأغراض الشعائرية (الطقسية) (١٢).

وبصرف النظر عن الوالدين والطفل والخاتن (الموهيل) وحامل الطفل أثناء العملية (الساندك) ، وجدنا أن شخصيات المسرحية (المقصود الشخصيات ذات الدور فى حفل الختان) تزداد بمرور الوقت . فايلياه Elijah ـ النبى المتحمس فى القرن التاسع قبل الميلاد الذى أنب اسرائيل لعدم مراعاته عهده مع الله ـ يقال وفقا

لرواية الميشناه انه كان يحضر كل عملية ختان ، وان مقعدا خاصا كان يوضع له جانبا ليجلس عليه .

وفى العصور الوسطى ، ابتدعت أدوار أخرى كجزء من شعيرة الختان ، فقد كان هناك الكفاتر الأشكينازى والكفاتيرين الأشكينازية Kvater & Kvaterin والأول اب رمزى ثان والثانيـة أم رمزية ، ومهمتهما احضار الطفل الى مكان الختان . وغالبا ما كان يتم اختيارهما ممن ليس لديهما أطفال ، باعتبار أن مشاركتهما تعد بمكانة سيجولاه Segulah أو فعل سحرى ذى تأثير يساعد على الانجاب (أى انجاب الكفاتر والكفاتيرين اللذين لم ينجبا) .

ويتم الختان فى اليوم الثامن للولادة ان كان الطفل بصحة جيدة حتى ولو كان هذا اليوم الثـامن هو يوم سبت أو يوم عيـد دينى . فسيقوم الخاتن (الموهيـل) بفحص الطفـل مقدما ، ليتأكد من أن الطفل لا يعانى من اليرقان (الصفار Jaundice) أو اية أمراض اخرى قد تؤدى الى تأخير العملية . وفى ليلة الجمعة قبل الختان ، يتجمع الأقرباء والأصـدقاء فى منزل الوالدين ليتنـاولوا بعض المنعشـات الخفيفة، بما فى ذلك بعض الأطباق التقليدية فى هذه المناسبة كالحمص. وأسباب هذا التجمع التى تعرف عند بعض الجماعات اليهودية بشالوم زاخار Shalom Zakhar ، أى سـلام الذكر Peace of the Male ، غامضة ، بل ان هناك من يرى فيها مناسبة حداد لأن التوراة التى تعلمها الطفل قبل أن يولد نسيها عند قدومه للدنيا ، والحقيقة أن طبق الحمص من الأطباق التى تؤكل فى ولائم الحداد فى اليهودية . وفى صباح يوم الختان بعـد تلاوة الدعوات ، تحضر الأم الرمزيـة (الكفاتيرين) الطفل الى الغرفة التى سيختن فيها أو الى المعبد أو – كما يحدث فى اسرائيل – الى صالة خاصة بالختان فى المستشفى . ويرحب المجتمعون بالطفل الذى يأخذه الأب الرمزى (الكفاتر) ، بينما ينشد الأب والموهيل (الخاتن) والضيوف آيات مختلفة من الكتاب المقدس اليهودى . ويوضع

الطفل للحظة على مقعد اليـاه Elijah ، ومن ثم على فخـذى الأب الرمزى (سـاندك) ، ويعدل الخاتن وضع الطفل ويقبض الأب الرمزى باحكام على ساقيه ، ثم يقوم الخاتن بامساك القلفة (الغرلة) باصابعه او يستخدم فى امساكها ترسا على شكل قيثارة ليجذبها بعيدا ، ويتلو التبريكات ، وبعد قص القلفة (الغرلة) يتلو الأب تبريكات تنتهى بعبارة « الذى أمرنـا بضمه الى عهد أبينـا ابراهيم » ، ثم يقوم الخاتن (الموهيل) بانتزاع بقايا الغرلة (القلفة) من فوق قضيب (ذكر) الطفل بأظافره لتظهر حشفة القضيب (رأسه) واضحة تماما . وهذا الاجراء الأخير جزء مكمل لشعيرة الختان اليهودية وبدونها تعتبر شعيرة الختان ناقصة (١٤) . والجزء الأخير من الشعيرة هو أن يقوم الخاتن (الموهيل) بامتصـاص دم الجرح بفمه (ميتزيتزا met Zitzah) ، وهذا كاجراء علاجى لضمان انسياب الدم (١٥) ، لكنه أصبح بشكل متزايد اجراء محل خلاف بعد التحقيق من امكانية انتقال المرض بهذه الطريقة . وبينما معظم الجماعات الأرثوذكسـية المتشـددة تصر على الطريقة التقليدية فى امتصاص قضيب الطفل (الميتزيتزاه) ، نجد أن كثيرين من الرابيين المحدثين يسمحون بشفط الدم بواسطة أنبوب زجاجى (وليس بواسطة الفم) ، وأصبح هذا اجراء شائعا . وعملية الامتصاص هذه (ميتزيتزاه) ليست بأية حال جزءا من شعيرة الختان ، فبدونها تعتبر الشعيرة كاملة وعلى أية حال ، فان الخاتن (الموهيل) الذى لا يقوم بعملية الامتصاص يحرم تماما من اجراء عمليات الختان . وبعد اجراء الختان ، يعلن الخاتن (الموهيل) للملأ اسم الطفل للمرة الأولى « سيكون اسمه فى اسرائيل فلانا الفلانى ابن علان .. » وهذا الاعلان يسبقه عادة تبريك النبيذ (تلاوة عبارات دينية عليه) ، وتبريك ثان للعهد مع الله الذى وضعه الله فى جسد الانسان . وأخيرا يشرب الحضور النبيذ الذى يقدم منه للطفل أيضا ، وبعد ذلك يتهيأ الجميع لحضور الوليمة .

معنى الختان

نجد فى التراث اليهودى كثيرا من التعليقات حول معنى الختان والهدف منه ، خاصة فيما يتعلق بصلته بعهد اليهودى مع الله . انه شعيرة تعلم الانسان انه يجب عليه أن يكون كاملا وان يعبد الله بكل عضو من أعضائه ، وألا يرضى بحالته الطبيعية التى خلق عليها ، وألا يسمح لنفسه أن يصبح مغمورا فى فساد البيئة المحيطة به ، وانما عليه أن يكون مقدسا . انه ـ أى الختان ـ يعتبر كفارة عن خطيئة آدم ، وعلامة على سمو اسرائيل فى الطبيعة ، وعلامة تميز اليهودى (عن غيره) ، بل لقد فسرت حكمة الختان من حيث انه يقلل من الرغبة الجنسية لدى الذكور . وفى العصر الحديث ، راح اليهود يبحثون عن أساس طبى لشرح الختان والدفاع عنه ، وقد عبر عن هذه الفكرة للمرة الأولى فيلو جيديوس Philo Judaeus فى القرن الأول للميلاد . ومهما كانت مزايا الختان الطبية أو عيوبه ، ومهما كانت قيمة هذا الشرح لتوضيح معناه كشعيرة يهودية ، فقد استمر كثيرون من اليهود المحدثين فى ممارسته لأسباب صحية واخرى دينية .

والدور الفعلى الذى تلعبه شعيرة الختان وفقا للشريعة اليهودية (الهالاخاه) دور معقد تماما . فبرغم انه يتحتم على كل يهودى ذكر أن يختتن ، فان اليهودى غير المختون مع هذا يظل يهوديا مقبولا من المجتمع اليهودى .

وبرغم أن الكتاب المقدس اليهودى يهدد بان روح غير المختون تنفصل عن شعبه ، فان اليهودية فسرت ذلك بما يعنى أنه سيعاقب بموته مبكرا (فى غير الأوان) وبحرمانه من الانجاب (١٦) . لم يفهم الختان على أنه شعيرة لبدء دخول المختتن (بفتح التاء الأولى وكسر الثانية) فى جماعة اسرائيل . فالطفل اليهودى الذى مات أخواه الأكبر منه سنا بعد الختان ، ربما بسبب الهيموفيليا haemophilia لا يسمح بختنه حتى تصبح صحته بحالة تسمح باجراء الختان تماما ،

ومع هذا يظل يهوديا لاشك فى يهوديته (١٧) . وبرغم أهمية الشعيرة التى جرى التركيز عليها فى التراث الرابى ، فانه يمكن مقارنتها بالجوانب الأخرى المحورية فى الحياة اليهودية التى ليس لها ـ على نحو خاص ـ طبيعة شعائرية ، كما يظهر فى التهانى فى حفل الختان « تماما كأنه قد دخل العهد مع الله ، ومن ثم فانه يمكن أن يدخل التوراة ، وظلة العرش ويقوم بأفعال الخير والمحبة » (١٨) .

ويزداد أمر وضع الختان تعقيدا ، اذا علمنا أن غير اليهودى اذا تحول لليهودية تحتم عليه اجراء عملية الختان ، وان كان مختونا بالفعل تحتم ان يجرى عملية ختان رمزية بنزف قطرة دم من قضيبه كشرط لتحوله لليهودية ، وبدون هذا الطقس لا تعتبر الشريعة اليهودية (الهالاخاه) هذا المتحول يهوديا على الاطلاق (١٩) ، برغم وجود وجهات نظر فى التلمود قالت بها أقلية ، لا تشترط هذا الاجراء لقبول المتحول لليهودية كيهودى ، ما دام التحول لليهودية ينطوى على فكرة أن المتحول باعتناقه اليهودية قد ولد من جديد (٢٠) . فالختان فى هذه الحالة يعنى من بين ما يعنى تدشينا ليهودى جديد ، أو شعيرة لدخوله فى مجتمع اسرائيل . ويظهر تعقيد أكثر متمثلا فى عدم اعلان اسم الطفل الا بعد اجراء الختان له . هذا الاسم ـ الاسم العبرى للطفل والذى قد يختلف عند يهود الشتات اختلافا تاما عن الاسم الذى يظهر فى شهادة الميلاد ـ هو الاسم الذى يستخدم فى كل الطقوس الدينية والوثائق . ولا يغير الاسم أو يضاف له الا اذا عانى اليهودى من مرض خطير ، اعتقادا أن الاسم الجديد وبالتالى الشخص حامل الاسم سيتخلص من الشر الذى سبب الأسى للاسم القديم وصاحبه . وعند البعث سيذكر الشخص باسمه العبرى وبه يبعث . ولهذا السبب ، فهناك آية توراتية تبدأ بالحرف الأول من اسمه وتنتهى بالحرف الأخير منه ، يرددها اليهودى كل يوم فى صلواته حتى لا ينسى اسمه عند البعث . وعلى النحو نفسه ، فان الطفل الذى يموت قبل الختان يتم ختنه عند المقبرة ، ويطلق عليه اسم عبرى ، حتى يمكن بعثه

يوم البعث (٢١) ٠ ولا يصبح الطفل أهلا لأن يصبح فردا يحمل اسما كشخص يهودى حقا الا بعد الختان ، ويبدو هذا مناقضا لما ذكرناه بشكل عام عن وجهة نظر الهالاخاه فى هذا الموضوع ، أعنى ما ذهبت اليه من أن الختان لا يحدث تغييرا فى وضع الطفل اليهودى ٠ ان النظرة للختان باعتباره تدشينا ليهودى جديد تظهر بشكل قوى فى تراث القبالة (التصوف اليهودى) ، ومن هنا فان ابراهيم ازولاى Abraham Azulai – معتمدا على نص فى الزهر (٢٢) Zohar – كتب : « اعلم أن الانسان لا يسمى باسم انسان الا من خلال عملية الختان ، فبدون الختان يسمى روحا شريرا وليس انسانا ... فما دامت قوى الشر تمسك بالقلفه (الغرلة) وبنجاسة الانسان ، فمن المحال على روح عالية أن تكمن فيه (أى فى هذا الانسان غير المختون) ، ومن هنا فلا يمكن أن يسمى اسرائيليا ٠ ولهذا السبب فقد جرت عادتنا الا نعلن عن اسمه الا بعد الختان فساعتها تكون القلفة (الغرلة) والنجاسة قد زالتا ٠٠ وعندئذ يصبح اسرائيليا ... » وهذا يشرح لنا أنه قد دعى اسرائيليا من خلال ميتسفاه mitzvah الختان (الوصية الدينية المتعلقة بالختان) ٠

وفى هذه الحال – كما فى أى جانب آخر من جوانب اليهودية – يرى المرء أن القبالة والعادات الشائعة ظلت موجودة او بثت الحياة فيها من جديد « فظلت الممارسة اليهودية الأكثر قدما التى يظهر فيها الختان كشرط ضرورى من شروط قبول الشخص فى المجتمع اليهودى ، بينما قامت الشريعة الرسمية (الهالاخاه) بتفسير عملية الختان تفسيرا روحيا أو عقليا ولم تلق عليها ظلال القداسة ٠

وبظهور اليهودية فى الثقافة الأوروبية الحديثة ، وبزوغ اليهودية الاصلاحية Reform Judaism فى القرن التاسع عشر ، كان هناك اتجاه لاعتبار الختان – الى حد ما – ممارسة بربرية لا تليق باليهودى المتنور ٠ فالجناح الراديكالى فى الحركة الاصلاحية اليهودية بزعامة صموئيل هولدهيم Samuel Holdheim (١٨٠٨ – ١٨٦٠) دافع عن

ان اليهودى غير المختون انما هو يهودى من مختلف الوجوه (يهودى حق) وانه لابد من ابطال عملية الختان ، وأعادوا تفسير عهد ابراهيم من خلال عبارات روحية خالصة (أى لا علاقة لها بالختان) ٠ وبرغم أن غالبية اليهود الاصلاحيين اليوم يختنون أولادهم فانهم يفعلون ذلك لأسباب صحية أكثر مما يفعلون كشعيرة دينية ٠ وفى الولايات المتحدة الأمريكية حيث يوجد أتباع كثيرون لليهودية الاصلاحية ، نجد أن الختان عملية روتينية فى الغالب ، يجريها الأطباء فى جناح أمراض النساء فى المستشفيات لليهود وغير اليهود على سواء ٠ ولم يعد الحاجز بين اليهودى المختون والمسيحى غير المختون الذى سعى الاصلاحيون اليهود فى القرن التاسع عشر لازالته بالغاء الختان ، موجودا ٠ والمعارضة الأيديولوجية الوحيدة للختان لم يعد لها وجود الا بين اليهود القادمين من الكتلة الاشتراكية ، الذين يكرسون أنفسهم لدعم الثقافة اليهودية – خاصة اليدية Yiddish – ولكنهم يعترضون على أية ممارسات ذات طابع طقسى خالص أو ذات طبيعة دينية ٠

تخليص المولود الذكر البكر من الخطيئة

وجدنا أن اليهود على مستوى العالم لا يزالون فى غالبهم يمارسون شعيرة الختان ، وعلى العكس من ذلك فان شعيرة تخليص المولود البكر الذكر من الخطيئة لم تعد موجودة الا بين اليهود التقليديين ٠ والفكرة الكامنة وراء هذه الشعيرة هى أن قداسة خالصة ترتبط بالمولود الذكر البكر ، الذى يفترض – نظريا – أن يقوم بدور كهنوتى ، وفيما عدا هذا ، فان هذا الدور قد انتقل للكاهن Kohen الذى يبارك الطفل (يخلصه من الخطية) لهذا السبب بقبوله مبلغا بسيطا من والده (٢٤)٠ ويتم هذا الطقس حالما يمر ثلاثون يوما على ميلاد الطفل ، اذ يصبح الطفل وقتها طفلا قابلا للبقاء (قل احتمال موته Viable baby) ٠ ولا يتم هذا الطقس الا بالنسبة للطفل الذى لا يكون احد والديه لاويا أو لا يكون أبوه كاهنا ٠ ويتم هذا الطقس أثناء وليمة يعدها والد الطفل ويدعو اليها الكاهن ٠ وبعد أن يكسر الضيوف الخبز معا ، يسأل

الكاهن الأب ان كان يفضل ابنه البكر وقطع العملة الفضية الخمس اللازمة لتخليصه من الخطية (تبريكه أو مباركته) ، فيجيب الأب بأنه انما يريد ابنه ويسلمه الكاهن قطع العملة الفضية الخمس ، فيقوم الكاهن بدوره بتلاوة التبريكات المناسبة ، وتتلى أيضا آيات ودعوات اضافية مختلفة .

وبالاضـافة الى ضرورة تبريك البـكر الذكر ، فان الشريعة (الهالاخاه) تفرق بينه وبين الأبناء الآخرين من ناحيتين . فلابد ان يصوم فى اليوم السابق على عيد الفصح ، اذ كان المواليد البكر الذكور المصريون يذبحون بينما نجا الاسرائيليون . كما أن المولود اليهودى البكر الذكر يرث نصيبا مضاعفا فى عقار والده . ولا يكون للابنة وضع الابن البكر ولا ترث بالفعل شيئا من عقارات أبيها ، ان كان لها اخوة ذكور أو ورثة (ذكور) من صلب أبيها .

تربية الطفـل

هناك دائمـا فرق فى اليهودية بين طريقة تنشئة الطفـل الذكر وطريقة تنشئة الطفلة الأنثى ، وينعكس هذا الفرق فى الطقوس والشعائر المرتبـطة بكل منهما فى مرحلتى الطفولة ومطلع الشباب . وحتى سن الثالثة ، يسمح للأطفال ان يكونوا معا وأن ينموا دون فارق بين ذكر وأنثى . وفى بعض المجتمعات اليهودية ، لا يقص شعر رأس الطفل الذكر طوال السنوات الثلاث الأولى من عمره فلا يكون هناك علامات فارقة بينه وبين أخواته . وحالما يقص شعره ، يبدأ تدريبه على القيام بدوره الدينى كذكر ، وتم اختيار سن الثالثة لأن الطفل يبدأ فى الكلام تقريبا فى هذه السن ، ويوصى التلمود بتعليمه فى هذه السن آيات من التوراة . وبقص شعر الطفل — مع ترك خصلات جانبية تتدلى على أذنيه — يصبح الطفل ممتثلا للميتفاه (الوصايا الدينية) بعدم قص شعر الزوايا وفقا للوارد فى الكتاب المقدس اليهودى (*) (٢٧) . ومن المعتاد أيضا فى هذه السن

(*) « ولا تقصروا رؤوسكم مستديرا ولا تفسد عارضيك .. » سفر اللاويين ٢٧/١٩ . (المترجم) .

ان يبدأ الطفل فى ارتداء عباءة تحتية ذات شراريب (الطاليت كاتان Tallit Katan وفقا لوصية توراتية أخرى ، وبالنسبة للولد يلبس طاقية تغطى جمجمته (الطاقية اليهودية التقليدية) .

وبرغم أن الطفلة ذات الثلاثة أعوام لا تجرى لها أية طقوس لاعدادها لدورها المستقبلى كانثى يهودية ، فانها تعتبر ابتداء من بلوغها الثالثة انثى مكتملة جنسيا . ومن ثم ؛ فان الشرائع التى تمنع اجتماع الذكور والاناث معا فى خلوة (يشود Yichud) تنطبق على البنت ذات السنوات الثلاث ، لكنها لا تطبق على الذكر الا اذا بلغ التاسعة . والتعليل العقلى لذلك أنه ابتداء من هذا العمر (الثالثة بالنسبة للبنت والتاسعة بالنسبة للولد) يكون الذكر والأنثى قد بلغا النضج الجنسى الكافى الذى يجعلهما هدفا للرغبات الجنسية ، أو بلغة الشريعة (الهالاخاه) يصبحان صالحين للتعامل معهما جنسيا (٢٩) (أو يصبحان صالحين للمواقعة الجنسية) . وقيود الخلوة Yichud هذه تسبب صعوبات كبيرة لليهود الأرثوذكس فى المجتمع الحضرى الحديث . أما اليهـود التقدميـون Progressive فقد نحوا تماما فكرة الخلوة (Yichud) ؛ باعتبارها غير قابلة للتطبيق من وجهات النظر الحديثة عن العلاقة بين الجنسين .

وفى الميشناه Mishnah نجد خلافا حول تعليم الفتاة اليهودية ، وقد قبل علماء الشريعة المتأخرون زمنا تعليمها ، ومع هذا لم يوصـوا بتعليمها الا الممارسات والشعائر اليهودية التى تتعلق بالاناث (٣١) . وبرغم هذا الحكم الواضح وبرغم تقرير الزهر Zohar أن التوراة قصد بها أن تكون موجهة للرجال فقط (٣٢) ، فان تلقى المرأة اليهودية تعليما فى كثير من فروع العلم أصبح ملمحا راسخا من ملامح الحياة اليهودية الحديثة . وفى سنة ١٩١٧ ، افتتحت « حركة بيت يعقوب Beth Jacob movement » أول مدرسة للبنات تابعة لها فى شرق أوروبا تحت اشراف منظمة أجودات اسرائيل الأرثوذكسـية المتشـددة Agudat Israel Organization وهى الآن تدير سلسلة كاملة من مدارس البنات وحلقات

علمية عن (قضايا) المرأة . بل ان كلية ستيرن Stern College (الكلية الصارمة) للنساء فى نيويورك بها برامج للدراسات التلمودية للنساء ، وتعد هذه الكلية مؤسسة متمشية مع الاتجاه الأرثوذكسى الحديث فى اليهودية . وثمة جماعات يهودية أرثوذكسية أخرى تقدم مناهج كثيرة للنساء فى الدراسات اليهودية ـ فيما عدا التلمود ـ باعتبار أن الرجال موكلون به ولا غيرهم ، وتعليمه للنساء مسألة فاضحة تماما فيها نقض صريح للشريعة اليهودية (الهالاخاه) . والآن فان ، اليهودية الاصلاحية ، ويهودية اعادة البناء Reconstructionism هما وحدهما اللتان وصل بهما الأمر اتاحة برامجهم الدراسية التى تؤدى الى الرسامة الرابية للنساء(بمعنى ان تصبح المتخرجة رابية « حاخامة » Rabbinic Ordonation) ، برغم ظهور حركات محافظة فى الفترة الأخيرة تعارض هذا الاتجاه . ويبدو هذا تغييرا مفاجئا فى اتجاهات الأرثوذكس نحو تعليم المرأة . وهو تغيير يمكن تفسيره بأساليب شتى . فهو فى جانب منه نتيجة انعتاق اليهود (تحررهم) ، كما أنه انعكاس لدور المرأة فى الحياة اليهودية والذى ظهر بشكل أكثر وضوحا . وتم تبرير ذلك بالادعاء بان الفتاة اليهودية لا يمكنها ـ فى ظل ظروف ضاغطة معادية لليهودية ـ أن تحتفظ بقيمها التقليدية الا اذا تم اعدادها من خلال التعليم لمواجهة هذه التحديات (٣٣) .

واحدى نتائج تطور التعليم الدينى للمرأة اليهودية ، الأمر الذى ادى الى تقويض البناء التقليدى للأسرة وتغيير نظام القوامة فيها ، هى ان بعض النساء أصبحن الآن أكثر فقها لليهودية من أزواجهن . فمناهج التعليم الدينى للاناث قد صممت لتقدم للطالبة معلومات شاملة عن الفكر اليهودى والتاريخ والشعائر . اما المناهج المعدة للذكور فى كثير من المؤسسات التعليمية ، فظلت تتحلق حول التركيز على الدراسات التلمودية على حساب المجالات والموضوعات الدراسية الأخرى . وقد عبر عدد من الرابيين البارزين ، سواء فى العصور الوسطى أو الحديثة عن عدم جدوى

التركيز على الدراسات التلمودية ، خاصة طريقة تدريسه فى اليشيفوت (*) او الاكاديميات الدينية . وقد اعترضوا على نحو خاص على طريقة التحايل الشرعى (بيلبول Pilpul) ، التى تعنى تحليل النص التمودى وشروحه بهدف التوفيق بين ما به من تناقض ، وكذلك البحث عن الفروق الدقيقة فى المعانى (بهدف اضفاء شرعية على أمر ما) (**) . ويروى عن الرابى يعقوب بولاك R. Jacob Pollack وهو أحد كبار المؤيدين للتحايل الشرعى (البيلبول) ، انه ذات مرة ألقى محاضرة من نص تلمودى حذف منها تلاميذه عدة صفحات ، ولم يلاحظ الرابى يعقوب انقطاع السياق فاستمر فى القاء محاضرته ببساطة ، وربط المناقشة فى الصفحة التى كان قد درسها للتو بالصفحات الأخرى اللاحقة (٣٤) . وقد قال اللاهوتى اليهودى الرابى يهوذا لوب البراغى Judah Loeb of Prague الذى عاش بعد بولاك بجيل ، ان أولئك الذين يدرسون البيلبول (التحايل الشرعى) يهدرون اوقاتهم فى أكاذيب ، ومن الأفضل لهم أن يتعلموا النجارة (٣٥) .

بدايات البلوغ

عندما يبلغ الفتى اليهودى (أو الفتاة) سن البلوغ يكون قد وصل (أو وصلت) الى حقبة جديدة ، ونعنى بالبلوغ وصوله (أو وصولها) الى اكتمال الخصائص الجنسية الثانوية ، خاصة نمو الشعر العام Public hair (لعله يقصد شعر العانة) فالبنت بعد الثانية عشرة والولد بعد الثالثة عشرة ممن له (أو لها) شعر عام يعد بالغا ، وبالتالى يصبح (أو تصبح) مسئولا عن أفعاله فى المحيط الدينى (٣٦) . وفى أعوام ما قبل البلوغ ، يعد الطفل للدور الدينى والجنسى الذى سيلعبه عندما يبلغ (سواء أكان ذكرا أم أنثى) ومنذ الوقت الذى يستطيع فيه الطفل فهم تعاليم الله والفروض الدينية يشجعه المجتمع اليهودى على التزام

(★) انظر عن اليشيفوت وطريقة التدريس والتعلم فى معجم المصطلحات بآخر الكتاب . (المترجم) .

(★★) ما بين القوسين توضيح من المترجم .

الشريعة . وبرغم أن الشعر العام ضرورى من الناحية النظرية كعلامة على البلوغ فان بلوغ السن المحددة آنفا يكفى للدلالة عليه ، فقد قبل الرابيون امكانية أن ينمو الشعر ثم يسقط ، ومن ثم فالصبى الذى يبلغ ١٣ سنة من عمره ، والبنت التى تبلغ ١٢ سنة من عمرها لابد أن يأخذا على عاتقيهما « رباط الوصايا الدينية » . ويظل ظهور الخصائص الجنسية الثانوية مسألة مهمة لتقرير حقيقة الجنس (أولد أم بنت) ، وفى هذه السن تسمح الشريعة بزواج الذكور من الاناث وفقا لمظاهر البلوغ الثانوية .

والفرق بين الولد والبنت ، والذى ظهر بالفعل فى الطقوس والشعائر المحيطة بميلادهما وفى مرحلة طفولتهما المبكرة ، يزداد وضوحا فى فترة انتقالهما من الطفولة الى البلوغ ، فحالما يتم الصبى الثالثة عشرة من عمره يتم الاحتفال « ببلوغه » باقامة حفل طقسى يعرف باسم « ابن الوصايا » bar mitzvah . وبرغم أن هذا الحفل الطقسى غير موجود فى التراث التلمودى فانه اصبح جزءا مكملا فى الحياة اليهودية منذ القرن الرابع عشر للميلاد على الأقل (٣٧) . والمعتاد فى هذا الحفل هو دعوة الصبى الى قراءة من الكتاب المقدس اليهودى تتلى اسبوعيا فى المعبد من لفائف التوراة فى أيام السبوت ، وقد لا يسمح للصبى بالمشاركة فى هذا الطقس (لصغر سنه) فيكتفى باعلان المجتمعين فى المعبد ، بأن هذه التلاوة انما هى بمناسبة وصول الطفل (فلان) الآن الى مرحلة النضج « البلوغ » ، ويحضر أفراد الأسرة والضيوف المدعوون الى المعبد للمشاركة فى هذا الطقس وبعد أن يتلو الطفل (الصبى) التبريكات الختامية ، يشكر أبوه الله لأنه ازال عن كاهله (كاهل الأب) المسئولية فيما يتعلق بخطايا ابنه (٣٨) . ويقدم والدا الطفل وجبة خفيفة (كدوش Kiddush) عقب هذا الطقس ، وعادة ما تلقى فى هذه المناسبة خطب التهنئة . وأثناء ممارسة هذا الطقس Service ، يلقى الرابى عظة تحتوى على نصائح موجهة للصبى تحضه على الالتزام بتعاليم الدين ، ودعوات لوالدى الطفل وجديه أن يكون هذا الصبى المحتفى ببلوغه bar mitzvah boy

مصدر فرح للأسرة ، وتعرف هذه الدعوات باسم ناخات Nacht (وباللغة اليدية ناخاز Nachas)

ويدعو والدا الصبى فى احد أيام الأسبوع التالية لهذا الطقس أفراد الأسرة والأصدقاء ، وغالبا معارف العمل الحميمين لمادبة تعد مقياسا لوضع الأسرة فى المجتمع ، فالضغط الاجتماعى الواقع على الوالدين لتقديم هذه المادبة يجعلها تساوى ـ ان لم تزد ـ فى سخائها المآدب الذى اعدها الجيران لأطفالهم ، ومعنى هذا ان المعنى الدينى لهذا الحفل بين يهود الطبقة الوسطى فى الغرب ـ يكاد يختفى تماما . وقد أدى هذا الوضع الى معارضة واضحة خاصة من الرابيين الأرثوذكس فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد أفتى واحد منهم وهو الرابى موسى فينستن R. Moses Feinsten بما هو آت :

« لو كان لدى السلطة لأبطلت كل طقوس الاحتفال ببلوغ الولد (البار ميتسفاه bar mitzvah) فى هذه البلاد . فمن المعروف ان هذا الطقس لا يقرب أحدا الى التوراة والوصايا ، ولا حتى الصبى المحتفى به ... بل العكس هو الصحيح ، ففى أماكن كثيرة يؤدى هذا الى انتهاك السبت وغير ذلك من المحرمات » (٣٩) .

وعلى العكس من الاحتفالات الطقسية المحيطة ببداية « بلوغ » الصبى ، فان الفتاة تمر بمرحلة البلوغ ولا تكاد تعرف الجماعة فى وسط اليهود التقليديين شيئا عن ذلك . « فالبلوغ » بالنسبة للصبى يعنى وصوله الى مرحلة المسئولية العامة ، لقد أصبح الآن (بعد البلوغ) مؤهلا لأن يكمل النصاب المطلوب لصلاة الجماعة minyan وهو عشرة ذكور ، ومؤهلا لحضور تلاوة التوراة ، وأصبح يلبس التيفيلان tefilin أو « التميمة » خلال صلاة الصبح . أما حياة البنت ، فتبقى بعد البلوغ ـ نسبيا ـ دون تغيير ، فهى ـ ببساطة ـ أصبح يتحتم عليها الالتزام بالشرائع الدينية المختلفة التى سبق لها التدرب عليها فى الأعوام السابقة على « بلوغها » ، وبالتالى ليست هناك حاجة لتعريف الجماعة اليهودية

بوصفها الجديد . وفى بواكير القرن التاسع عشر كان طقس « ابن الوصايا bar mitzvah قد حل محله طقس « التثبيت Confirmation للصبيان والبنات على سواء فى بعض المحافل اليهودية الاصلاحية فى المانيا German Reform وكان هذا الطقس الاحتفالى يتم لجماعة من البالغين (وليس لبالغ واحد) بعد اتمام برنامج دراسى فى الدين والأخلاق اليهوديين ، وغالبا ما كان يعقد عندما يقترب البالغ من العشرين . وأخيراً ، اعتبر عيد الحصاد (الشافوت Shavuot) اكثر المناسبات ملاءمة لاجراء طقس « التثبيت » الآنف ذكره . وقد انتشر هذا الاحتفال الطقسى المبتدع — برغم المعارضة الشديدة التى ابداها الزعماء الدينيون الارثوذكس — بين المجتمعات اليهودية الاصلاحية فى غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، ولا زال يوجد حتى اليوم ، برغم اعادة تقديم طقس «ابن الوصايا bar mitzvah » الأكثر تقليدية . واحد الملامح المميزة لطقس « التثبيت » الاحتفالى اذ يعقد للولد والبنت على سواء وثمة تطور اكثر حداثة وهو ابتداع حفل طقسى للبنات يوازى الحفل الطقسى للاولاد . وعرف هذا الطقس الاحتفالى الخاص بالبنات باسم بات ميتسفاه Pat mitzvah ، اى « بنت الوصايا » ، وقد اخذ بهذا الاحتفال الطقسى حتى بعض الدوائر الارثوذكسية . وبرغم عدم وجود اجراءات محددة لطقس « بنت الوصايا / بات ميتسوفاه » ، واختلافها من محفل يهودى الى آخر ، فان الشكل المعتاد هو اقامة حفل طقسى لمجموعة من البنات فى المعبد بعد تجاوزهن سن الثانية عشرة ، وبرغم تردد الرابيين ازاء هذا الحفل الطقسى للاناث ، فانه من الممكن ان يؤدى ضغط الاناث ذوات الدور المتعاظم فى الحياة اليهودية التقليدية ، الى ان يكون طقس « بنت الوصايا او بات ميتسوفاه » ملمحا دائماً من ملامح الحياة اليهودية .

الفصل التاسع

شعائر مراحل العمر :
الزواج والشيخوخة

الأخلاق الجنسية اليهودية

يمكن ايجاز اتجاه الشريعة اليهودية (الهالاخاة) نحو السلوك الجنسى لليهودى بأنها تشجع العلاقة الجنسية من خلال الزواج ، وتحرم الاتصال الجنسى قبله وخارج نطاقه كما تحرم الشذوذ الجنسى ، وقد صاغ ابن ميمون اتجاه الشريعة اليهودية كالتالى :

« قبل نزول التوراة كان يمكن للرجل ان يلتقى بالمرأة فى السوق ، فان اتفقا على الزواج أمكنه ان يأخذها الى بيته ويتصل بها جنسيا فتصبح زوجته بدون شهود ، فلما نزلت التوراة أمرت الرجل بأن يشهد على زواجه منها شاهدين .. واذا رغبت فى الطلاق لزم حصولها على مستند طلاق » (١) .

ولمنع الاتصالات الجنسية المحرمة ، سواء الاتصالات الأكثر خطورة كالزنا وسفاح المحارم ، أو الأقل خطورة كالاتصالات الجنسية (وهى أيضا محرمة) قبل « الدخلة » برغم عقد القران ، وضعت الشريعة اليهودية (الهالاخاه) قيودا متزايدة على العلاقات الاجتماعية بين الجنسين ، فشجعت الرجال على الابتعاد عن النساء ، وألا يتصرفوا بطيش باصطحابهن ، وأن يغضوا الطرف فلا يتفرسوا فى جمالهن ،

والا يتشمموا عطورهن ولا يسيروا وراءهن ، بل وحظرت على الرجال الاقتراب من المواخير (بيوت الدعارة) وسماع غناء النساء ، وحرمت على الرجل استخدام المرأة خادمة له ان جمعته بها خلوة ، كما حرمت عليه أن يعانق أو يقبل قريباته المباشرات باستثناء تقبيل الوالدين لأولادهما قبل البلوغ prepubescent (٢)

وذكرنا آنفا تحريم الشريعة اليهودية للخلوة Yichud ، أى البقاء داخل غرفة مغلقة أو منزل مغلق مع فرد من الجنس الآخر فى غير وجود آخرين . ويطبق هذا بصرف النظر عما اذا كان أحد الطرفين (المرأة او الرجل) متزوجا أم لا ، يهوديا أم من غير اليهود (الأغيار) ، باستثناء الوالدين مع أطفالهما والأزواج مع زوجاتهم ، والبالغ مع بنت دون الثالثة او صبى دون التاسعة . وعلى النحو نفسه يحرم أن يكون الرجل فى موضوع مسئولية عن النساء ، ان أتاح له وضعه هذا الاختلاط بهن . ويشمل هذا التحريم منع الرجل غير المتزوج والمرأة غير المتزوجة من التدريس للصغار ، لأن مهمة التدريس تنطوى على اتصال متتال بأشخاص من الجنس الآخر هم آباء الأطفال وأمهاتهم الذين يأتون لتسلم أولادهم (٣) .

وقبل اليهود الأرثوذكس كل هذه القيود الضابطة للسلوك الجنسى ، كوضع أمثل لتنفيذها حرفيا بقدر الامكان فى مثل هذه الأمور . ومن الطبيعى بدرجة كافية أن يكون هناك حل وسط أو تسوية بالنسبة لليهود الذين يعيشون فى مجتمع حضرى حديث ، ما دام الصراع بين الاثارة الجنسية التى تسببها الاعلانات والسينما والتليفزيون و (موضة) الأزياء الحديثة للنساء ، ومثل الشريعة اليهودية (الهالاخاه) قد خلقت توترا شديدا (فى نفوس اليهود) . وبرر اليهود التقليديون الذين اتخذوا موقفا وسطا موقفهم بان الزمن قد تغير ، وما كان يعد « جنسيا شهوانيا » فى فترة لم يعد كذلك فى فترة أخرى ، وأن الأمر يختلف من مجتمع الى مجتمع ، وأن الشريعة اليهودية كما وردت فى مدونة شولحان عاروخ

Shulshan Arukh كانت صدى لظروف اجتماعية مختلفة تماما . وقد تخلصت اليهودية التقدمية ـ عموما ـ من كثير من تفاصيل الشريعة المتعلقة بالأمور الجنسية ، على اعتبار انها ـ أى هذه الأمور ـ تمثل خليطا من اتجاهات العصور الوسطى والاتجاهات الفيكتورية . ولازالت الفكرة المحورية فى العلاقات الجنسية لدى المفكرين اليهود التقدميين Progressive ، تتمثل فى زوجين (زوج وزوجة) يخلص كل منهما للآخر .

التودد تمهيدا للزواج (*) ، والزواج

انه لواجب ايجابى يقع على كاهل كل يهودى أن يتزوج وينجب أطفالا ، وشاهد ذلك هو الأمر الذى وجهه الله الى آدم وحواء فى سفر التكوين (٢٢/١) والى نوح فى سفر التكوين أيضا (٩/١ ، ٧) . فاليهودى الذى لا يحاول تكوين أسرة يعتبر كمن أراق دما ، وكمن قلل من صورة الله ، التى خلق الله الانسان على مثالها ، ويتسبب فى مفارقة الحضور الالهى God's presence لاسرائيل (٩) . والسن المعتادة للزواج هى ١٨ سنة ، برغم أن الذكر اليهودى البالغ ١٣ سنة يمكنه أن يتزوج ، وكان الزواج المبكر فى الأزمنة الأقدم مفضلا . وفى الجيل الأخير ، يجب على المرء أن يؤخر الزواج الى ما بعد العشرين ، واعتادت السلطات الدينية اليهودية أن تمارس ضغطا على الأعزب الذى تجاوز هذه السن ليقترن بزوجة . والسبب الوحيد المقبول لاطالة فترة العزوبة هو رغبة المرء فى تكريس حياته لدراسة التوراة ، اذا اقترن هذا بالتأكد من القدرة على التحكم فى رغباته الجنسية . وعلى أية حال ، فحتى فى هذه الحالة لا يشجع رجال الدين العزوبة مادام من واجب اليهودى أن

(*) المعنى الحرفى التودد أو الغزل ؛ لكن السياق يفيد ما أوردناه فى المتن (المترجم) .

ينجب أطفالا ، ليكون « مثمرا مكاثرا » ، ويعتبر اليهودى قد أدى هذا الواجب اذا انجب ولدا وبنتا ، لكن الأطفال يعدون نعمة من الله ، ومن هنا فان الأسرة كثيرة العدد تعد نموذجا دينيا يقتدى به ، كما تعد حقيقة اجتماعية قائمة بين اليهود الأرثوذكس (١٠) · ومن المفيد صحيا للرجل الذى ماتت عنه زوجته أن يتزوج مرة أخرى ، برغم أنه قد يكون أنجب من زوجته المتوفاة ، وينطبق الوضع نفسه على المطلقة .

والوصية الدينية **mitzvah** بالتناسل (الانجاب) غير موجهة مباشرة الى المرأة اليهودية ، برغم أن بعض السلطات الدينية بعد الفترة التلمودية ذهبت الى أن المرأة عليها – بشكل غير مباشر – أن تسعى للزواج ، وعليها أن تنجب اعتمادا على الآية رقم ١٨ فى الاصحاح رقم ٤٥ من سفر أشعياء والتى مفادها أن الله لم يخلق العالم ليكون مهجورا ، وانما ليكون معمورا (*) بالاضافة الى سبب آخر وهو أنه على المرأة أن تشارك فى الوصية الدينية **mitzvah** الموجهة لزوجها ، بتمكينه من أن يكون له أطفال (١١) · ولا يستطيع اليهود الشبان فى ظل الفصل الصارم بين الجنسين فى المجتمعات اليهودية التقليدية ، أن يلتقى الواحد منهم بشريكة حياته المرتقبة فى ظروف الحياة الاجتماعية المعتادة · فعادة ما يتم تقديم كل منهما الطرف الآخر عن طريق طرف ثالث يعرف الأسرتين ، مما يمكنه من اقتراح اقترانهما · ويمكن أيضا الاستعانة بخاطب محترف (**) (شادخان **Shadkhan**) للقيام بهذه المهمة · وكان

(★) النص فى الترجمة العربية للكتاب المقدس : « لأنه هكذا قال الرب خالق السماوات هو الله · مصور الأرض وصانعها · هو قررها ، لم يخلقها باطلا · للسكن صورها ··· » .

(★★) الترجمة الحرفية سمسار زواج أو وسيط زواج **marriage broker** .

وسيط هذا (الخاطب) جزءا فاعلا فى الحياة اليهودية فى العصور الوسطى ، بل انه قد ورد فى التلمود أن أحد حكماء اليهود (الحاخامات) كان يعاقب أى رجل « يخطب » فتاة دون زواج مرتب (١٢) · وللاشارة الى صعوبة جمع الرؤوس فى الحلال بشكل ناجح (عقد الزيجات الموفقة) ، قال الرابيون ان الله بعد أن خلق الكون قضى وقته فى ترتيب الزيجات ، فوجدها مهمة شاقة فى نفس صعوبة شق البحر الأحمر (١٣) ·

فترتيب الزواج لا يعنى – ببساطة – عقد لقاء بين فتى وفتاة ، وانما هو « زواج » بين أسرتين لكل منهما رأى فى مدى مواءمة هـذا الزواج وامكانية نجاحه · وعادة ما يسعى الوالدان فى أى مشروع زواج الى البحث عن السلالة الطيبة ، وأن يكون للأسرة أجداد مشهورون يدعون للفخر ، وأن يكون الوضع المالى لزوجة ابنهم المرتقبة جيدا ، وأن يتوقعوا أن يقوم والداها بمساعدتها وزوجها ، وتسعى أسرة الفتاة أن يكون زوج ابنتهم متعلما ويهوديا يخاف الله ، وهذا أمر مهم جدا · ويمكن للفتى والفتاة أن يلتقيا للمرة الأولى فى منزل طرف ثالث يعرف كليهما ، واذا كان هذا اللقاء ناجحا أمكنهما اللقاء لمرتين ، حتى تاتلف روحاهما · وفترة التودد هذه تكون قصيرة نسبيا ، مادام هذا الارتباط لم يقترح فى الأساس الا بعد التحقق من الانسجام والتوافق بين خلفية الطرفين واتجاهاتهما ، مما يضمن قبول كل طرف للآخر · فان رضى الطرفان ولم يكن ثمة اعتراض من أى من الأسرتين ، تكون الخطوة التالية هى ترتيب « التينيم **tenaim** » أو (حفل الارتباط) ، حيث يضع كل طرف من الطرفين شروطه للزواج ، كالمهر ، وعقوبة فسخ الارتباط · وبرغم أن هذا التينيم (حفل الارتباط) ليس له معنى دينى ، فانه يكون مصحوبا باحتفال ووليمة وفيه تقرأ وثيقة الارتباط (التينيم) بصوت عال ،

وفيه يجرى كسر طبق من فخار . ويفسر كسر طبق الفخار بأنه حتى فى لحظات الفرح الغامر لابد أن يتذكر اليهودى تدمير القدس بما يتفق مع ما ورد فى المزمور رقم ١٣٧ ، وقد يعنى تهشيم طبق الفخار أيضا ابعاد الشياطين التى يعتقد انها أكثر ما تكون نشاطا فى أوقات الفرح والاحتفال (١٤) . وثمة اعتقاد شعبى يهودى مؤداه ، أن أية فتاة غير متزوجة تأخذ لبيتها كسرة من هذا الطبق الفخارى المكسـور لابد أن تتزوج فى غضون عام (*) .

وبرغم أن التينيم (الارتباط) يمكن فسخه فى أى وقت قبل حفلة الزواج الفعلى شريطة دفع التعويض المتفق عليه ، فان بعض الجماعات اليهودية تعتبره تعهدا ملزما . ومن هنا ، فان أتباع الحركة الكاسيدية (حاسيديم) ، وأتباع ايلياه الفلنى Elijah of Vilna المعارض للكاسيديم (الحاسيديم) ، كلاهما يرى من الأفضل الاستمرار فى اجراءات الزواج وطقوسه ، ثم الطلاق ، فهذا ــ فيما يرون ــ أفضـل من فسخ التينيم (الارتباط) (١٥) . وقد فتح التينيم الطريق لليهود المعاصرين للارتباط المدنى ، ولم يعد له وجود الا فى الدوائر اليهودية التقليدية .

الــزواج

ويتكون الحفـل الطقسى للـزواج من عنصرين كانا فى وقت من الأوقات منفصلين لكنهما اندمجا بعد ذلك فى طقس واحـد . الأول هو الاروزين Erusin او الكدوشين kiddushin ، ويعنى ارتبـاط ما قبل الزواج وفيه يرتبط الطرفان برباط الزوجية ، ويتطلب انفصالهما طلاقا ، لكن لا تتم علاقة جنسية فعلية بين الطرفين (الزوج والزوجة) (**)، ثم تكون الشوباه Chupah ، والكلمة تعنى الظله Conopy التى ترمز الى دخول العروس فى بيت العريس ، وقتها تنتهى اجراءات الزواج (وتتم

(*) خرافة يهودية (المراجع) .

(**) اى انهما زوج وزوجة شرعا (قانونا) لا فعلا (ممارسة) . المترجم .

المباشرة الجنسية) . أما الممارسة المقبولة اليوم ، فهى أن يتم الارتباط (الايروزين او الكداش) تحت ظلة العرس قبل الشـوباه Chupah فتكون الاجراءات فى وقت واحد ومكان واحد) (*) ، ويكون تسلسل الوقائع السابقة على حفل الزواج (الذى يشمل الارتباط والدخلة) كالتالى : فى يوم السبت السابق للعرس يدعى العريس للمعبد ليقرأ الهافتاراه Haftarah ، وهو جزء من سفر الأنبياء أو جزء من القراءات التى تقرأ أسبوعيا من أسفار موسى الخمسة . ويعرف هذا الطقس بين اليهود الأشكيناز باسم أوفروف Aufruf . وبعد أن ينتهى العريس من القـراءة يحييه المجتمعون بقولهم بصـوت عال : « مازال توف Mazal Tov » أى : حظ سـعيد ، وفى بعض المجتمعات اليهودية تتلى الترانيم لطلب البركة للزوجين . وثمة عادة فى بعض المجتمعات اليهودية لا تسمح للعريس بان يتابع طريقه منفردا بعد هذا الطقس الأخير . وثمـة عادة أخرى وردت فى الشـولحان عاروخ Shulchan Aruch تمنع العريس من أن يكون منفردا طوال الأسبوع الأول بعد العرس . وذلك خوفا من مهاجمة الشيطان له، فالشيطان لا يهاجمه ان كان معه أحد آخر . ويعدد التلمود ثلاث فئات فى حاجة الى حراسة ، مخافة مهاجمة الشياطين : المريض والعريس والعروس .

يوم العـرس

جرت العادة أن يصوم العريس والعروس فى يوم حفل العرس . من الفجر حتى تنتهى طقوس الاحتفال . وهما يعترفان فى صلواتهما بخطاياهما ، ويرددان فقرات دينية خاصة طلبا للتوبة (١٧) . والفكرة

(*) بتعبير العـادات الاسـلامية : عقد القران والزفاف معا . (المترجم) .

الكامنة وراء الصوم ذات شقين · فمن ناحية ، يرى التراث اليهودى فى الزواج مرحلة جديدة تماما فى حياة اليهودى ، تغفر مع بدايتها كل خطاياه ليبدأ بدءا جديدا تماما · وعلى هذا ، وجب أن يتوب الزوجان ويندما على ما مضى ، ويطلبا غفران ما قد يكونان قد اقترفاه من ذنوب · والسبب الثانى لهذا الصوم ذو طبيعة دنيوية ، وهو ألا يبدأ المرء اجراءات زواجه وهو سكران (١٨) ·

وقبل حفل الزواج الطقسى يتم اعداد وثيقة الكتوبة kettubah ويوقع عليها شاهدان · والكتوبة ليست عقد زواج كما هو مألوف ، وانما هى مجرد اشتراطات لما سيدفعه الزوج عند حدوث الطلاق ، كما انها تحدد مسئوليات الزوج أثناء الزواج · ولا يسمح للزوجين بالمعاشرة الجنسية قبل أن يكون لديهما كتوبة ketubbah ، واذا فقدت كتوبة أحد الطرفين وجب كتابة كتوبة جديدة · وبعدها يذهب الزوج الى غرفة العروس التى تكون فى انتظاره ؛ وقد أسدلت على وجهها حجابا قبل أن يقتادها أبوها وحموها (أبو زوجها) الى الظلة ، واذا كان والد أحد العروسين ميتا ، حل محله أحد الأقرباء أو الأصدقاء فى هذه المهمة التى تعد طقسا دينيا ذا أهمية كبيرة وفقا (الوصايا الدينية) للميتسفاه Mitzvah ، ففى التراث الرابى أن الله والملائكة المفوضين ministring قاموا بهذا الدور فى يوم غرس آدم وحواء (١٩) · يقف العريس تحت الظلة مواجها القدس ، ويقف فى مواجهته الرابى وقائد المرتلين (أو المنشدين) ، ويستخدم اليهود الأشكيناز الظلة التى تتكون من قماش مطرز يعرش فوق أربعة أعمدة ، وتقام هذه الظلة فى صحن المعبد (الساحة المكشوفة ـ غير المسقوفة ـ للمعبد) ، وعادة ما يقوم اليهود الصفاردى Sefardi بتكليف أربعة رجال برفع الطاليت tallit (شال الصلاة) عاليا كظلة (نعرش على العروسين) حتى بيت الزوجية · وكثير من تجمعات اليهود الأشكيناز ـ خاصة فى المناطق الباردة ـ نقلوا عن الصفاردى ممارستهم تلك ، لكن هذا لم يحظ بموافقة اجماعية من قبل الرابيين الأشكيناز (٢٠) ·

ويحضر العروس الى الظلة Canopy أمها وأم زوجها (حماتها) ، اللتان تحملان شموعا مضاءة · ويكون دخولها مصحوبا بعزف موسيقى وغناء ، ويتجه الضيوف لمقابلتها والسير معهـــا الى الشوباه Chupah (الظلة التى تمثل الجزء الأخير من حفل الزواج اليهودى وفقا للطقوس) · هذا ما يحدث فى حفلات الزواج التقليدية · وفى بعض المجتمعات تطوف العروس حول العريس سبع مرات ، وفى مجتمعات أخرى يقتصر طوافها حوله على ثلاثة أشواط ، قبل أن تتخذ مكانها الى جواره · وينشد المنشد الذى يقود جموع المنشدين خلال الدعوات أو الصلوات العامة ، والذى غالبا ما يتم اختياره لجمال صوته ـ الأناشيد التى تتضمن تحية للعروس والعريس طالبا لهما من الله البركة · حان الآن وقت ملء كأس من النبيذ ليرتل عليهـا الرابى المعين الدعـوات بالبركة بعد أن يكون قد بارك الايروسين (القديشيم) (وهو الجزء الافتتاحى من الحفل حيث يقـدم العريس لعروسه خاتما) (*) · وبعد أن يتذوق العروسان النبيذ ، يتناول العريس دبلة الزواج (أو دبلة العرس) وهى من الذهب الخالص أمام الشاهدين الآنف ذكرهما ويضعها ـ أى الدبلة ـ فى الاصبع السبابة فى اليد اليمنى لعروسه قائلا : « بهذه الدبلة (أو الخاتم) أنت حل لى وفقا لشرائع موسى واسرائيل » · وقبول العروس لهذه الدبلة (الخاتم) يعنى رغبتها فى الزواج من العريس · ولا تسمح الممارسات الأرثوذكسية اليهودية بتبادل الدبل (الخواتم) ؛ لأن هذا قد يعنى رفض العروس خاتم (دبلة) العريس والا فما معنى الباسه خاتما (دبلة) · واستخدام الدبل (الخواتم) كطقس فى بداية الزواج لم يرد فى التلمود ، وانما ورد للمرة الأولى فى التراث اليهودى geonic literature البابلى فى القرن العاشر للميلاد · والعادة المتبعة بأن يكون ذهب الخاتم (الدبلة) من الذهب الخالص ، جرت الاشارة اليها للمرة الأولى من قبل علماء الشريعة اليهود (الهالاخاويين) فى أوروبا فى العصور الوسطى ، الذين شرحوا

(*) راجع معجم المصطلحات العبرية بآخر الكتاب · (المترجم) ·

ان وجود أحجار نفيسة فى الخاتم (الدبلة) قد يؤدى الى بلبلة فكر العروس بشأن قيمته الحقيقية (٢١) ٠ ولتأكيد صحة الزواج ومشروعيته ، يسأل العريس : أحقا هذا الخاتم (الدبلة) هو خاتمه ؟ ويتعين ان يقر الشاهدان ان الخاتم ذو قيمة تمثل الحد الأدنى ، وأنه لا جدال حول قيمته ٠

وبعد الايروسين Erusin ، تقرأ الكتوبة Ketubbah بصوت عال باللغة الآرامية ، وفى بعض المجتمعات اليهودية الغربية تتم قراءة موجز لمحتواها أيضا باللغة الانجليزية ، ثم تسلم وثيقة الكتوبة للعروس ؛ ومن ثم يبدأ الجزء الثانى من الاحتفال الطقسى ، فيتناول الرابى كاسا أخرى من النبيذ ويباركها ثم يترنم بالتبريكات السبعة المرتبطة بالزواج ، والتى تنتهى بالكلمات الآتية :

« عجل يا ربنا بأن يسمع فى مدن يهوذا وفى خلوات القدس أصوات الفرح والبهجة ، صوت العريس ، وصوت العروس ٠ وأصوات كل العرسان المملوءة بهجة نتيجة زواجهم ، وأصوات كل الشباب المملوءة بهجة ، فليغنوا ويبتهجوا ٠ مبارك أنت يا ربنا فأنت تجعل العريس والعروس يعيشان فى هناء » ٠

ويشرب العروسان مرة أخرى من كأس النبيذ ، ثم يكسر العريس الكأس بقدمه مع صيحات الضيوف : « حظا سعيدا / مازال توف mazal tov » ٠ وكسر الكأس الزجاجية مثله مثل كسر الطبق الفخارى فى طقس التنيم (*) tenaim يشير لمعنى الحداد لتدمير الهيكل فى القدس ، حتى فى أوقات السعادة البالغة ، كما انه – أى كسر الكأس

(*) الحفل الطقسى للارتباط (المترجم) ٠

الزجاجية – عمل وقائى ضد الشيطان ٠ ويظهر معنى الحداد أيضا فى عادة تلطيخ العريس جبهته بالرماد قبل الحفل الطقسى للزواج ٠

وبعد اتمام الطقس الأخير (الشوباه Chupah) ، يتم اصطحاب العروسين الى حجرة ليكونا فى خلوة (لا أحد معهما Yichud) ، ويؤكد الشاهدان ان الخاتم ذو قيمة تمثل الحد الأدنى ، وأنه لا جدال حول لأن الخلوة بغير زواج محرمة ٠ وينتهز العروسان هذه الخلوة ليتناولا شيئا من الطعام (لكسر صيامهما to break their fast) والخلوة شرط لصحة الزواج وفقا لرأى بعض علماء الشريعة اليهودية ، وبدونها لا يكون الزواج قد تم (تكون الشوباه ناقصة) (٢٥) ٠ والآن ، حان ميعاد وليمة العرس ، وعند اليهود الأرثوذكس يقوم المدعوون الذكور بالرقص حول العروس والعريس ، والرقص مع العروس نفسها ويكون بين العروس والراقصين معها وشاح ٠ ويغنى الحاضرون أغانى عاطفية خفيفة تكريما للعروسين ٠ والقاء الخطب جزء متمم فى معظم حفلات الزفاف اليهودية ، وتضم هذه الخطب توجيهات تعليمية وثناء على العروسين ، وأسرتيهما ، وتنتهى الوليمة بدعوات هى صلاة المائدة التى تعقب تناول الوجبات ، وبعد ذلك تتكرر تبريكات الزواج السبعة على كأس من النبيذ ٠ وطوال أسبوع ، ما بعد الزفاف يظل الأقرباء والأصدقاء يدعون الزوجين الى وليمة كل مساء ٠ وتستلزم تلاوة تبريكات الزواج وجود عشرة رجال وأن يكون بينهم « وجه جديد » ، ويقصد به شخص لم يكن قد حضر الزفاف ٠ وتعرف هذه الولائم الاحتفالية باسم التبريكات السبعة (شيفا بيراخوت Sheva berakhot) ، ولا يلتزم غير اليهود التقليديين بالتفرغ لشهر العسل بعد الزفاف مباشرة ٠

المباشرة الزوجية

برغم ما يبدو من اتجاهات متزمتة نحو العلاقات الجنسية ، فان اليهودية لا تعتبر مباشرة الزوج لزوجته جنسيا شرا لابد منه ٠

فالشريعة اليهودية تنظر للعلاقة الجنسية بين الزوجين باعتبارها العلاقة **الجنسية الوحيدة المقدسة . فالمبادىء الشرعية المحيطة** بالعلاقة الجنسية **الزوجية تظهر أزدواجية (تضـــاربا) بين التركيز** على الفعل الجنسي **باعتباره ملمحا يعزز الحياة فى العالم الذى خلقه الله** ، وحقيقة – وفقا **لتعاليم القبـــالة – كـرمز للتكوين الداخـــلى** لـــذات الالهيـة (*) **the inner structure of the divine .**

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجد الاتجاه التقشفى المنطوى على قمع واحد من أقوى الدوافع فى الانسان . ونجد فى التلمود وجهات نظر متضاربة بشأن الطريقة التى يتم بها اللقاء الجنسى بين الزوج وزوجته . وعلى هذا ، فزوجة الرابى اليعازر بن هيركانوس R. Eliezer ben Hyrcanus ، أول حكيم يهودى فى القرن الثانى للميلاد ، ذكرت أنه خلال مباشرة زوجها لها جنسيا كان يظن أن الشيطان هو الذى يدفعه أو يحثه على الاتيان بهذا الفعل ، وهو الأمر الذى شرحه أحد مفسرى العصور الوسطى بقوله ، ان هذا الرابى كان يسرع مندفعا لممارســة الجنس مع زوجته كما لو كان الشـيطان يدفعه الى ذلك دفعا . وثمة ملاحظات أخرى أبدتها هذه الزوجة جرى تفسيرها لتعنى أن الرابى اليعازر كان يعمل على التقليل من لذته أثناء اللقاء الجنسى ، مبديا زهده وتقشفه فى المتعة الجنسية (٢٣) . وهذا الاتجاه هو الاتجاه المثالى الذى فضلته الشريعة اليهودية (الهالاخاه) فى العلاقة الجنسية بين الزوج وزوجته .

وعلى أية حال ، فهذا يتعارض مع تعليمات تلمودية أخرى عن حكماء يهود آخرين لم يتفقوا مع وجهة نظر اليعازر ، واعتبروا اللذة الجنسية أمرا شرعيا كجزء من الزواج فكما ورد فى التلمود : « فليفعل الرجل كل ما يرغب فيه مع زوجته » (٢٤) .

(★) اشارة لعقيدة الشخيناه الوارد ذكرها عند الحديث عن القبالة اليهودية – راجع أيضا مادة شخيناه فى معجم المصطلحات . (المترجم) .

ويختلف التوجه – نسبيا – فى تراث الشريعة المتاخر زمنا بين هذين الاتجاهين : الزهد المعتدل من ناحية والبهجة الشرعية بالمتعة الجنسية ، بين علماء الشريعة اليهود . وعلى أية حال ، فان الاتجاه الذى ينحو أكثر نحو الزهد هو السائد . ونحن نجد أربعة دوافع شرعية للسلوك الجنسى فى مدونات الهالاخاه مرتبة ترتيبا تنازليا وفقا لقيمتها الدينية : (١) من أجل انجاب الأطفال . (٢) لمصلحة الجنين الذى تحمله المرأة الحبلى ؛ اذ يعتبر الرابيون ان الاتصال الجنسى بالأم فى مراحل معينة من الحمل مفيد له . (٣) ارضاء رغبات الزوجة الجنسية ، وثمة وصـية دينية (ميتسفاه) فى الكتاب المقدس اليهودى بان يباشر الزوج زوجته فى أوقات محددة ، وتعرف هـذه الوصـــية بوصـــية أوقـات الجمـاع mitzuvah of Onah . (٤) لارضاء رغبته الجنسية ليمنع نفسه عن الخطية ، برغم انه من الأفضل ان استطاع أن يتغلب على شهوته الجنسية فى مثل هذه الحال (٢٥) . وتضيف المصـادر الشرعية (الهالاخاوية) نفسها ، وفقا للوارد فى التلمود ، أن على الرجال فى مختلف الوظائف والمهن مباشرة زوجاتهن بين الحين والحين وفقا لظروف عملهم : اما كل ليلة ، أو كل ليلتين أو كل أسبوع أو كل شهر وكذلك فى نهاية فترة الحيض . وعلى أية حال ، فلا يجب أن يباشر الرجال الجنس مع زوجاتهم بقصد تحقيق المتعة لهم (للرجال) ، ولا يجب أن يعمد الرجال الى اثارة غرائزهم الجنسية فى أوقات أخرى لمجرد تحقيق المتعة من خلال اللقاء الجنسى . وبرغم أن المدونات الشرعية تورد وجهات النظر المذكورة فى التلمود، وفى المصادر الشرعية بعد فترة التلمود التى تعتبر المتعة الجنسية مسالة ليست تطهرية تماما ، فالنتيجة الأساسية لهذه المناقشات هى أن على الرجل أن يطهر نفسه من الخطية حتى فى هذه الأمور (الجنسية) (٢٦) .

والمؤلفون اليهود المعاصرون الذين كتبوا عن الاتجاهات التقليدية فى العلاقات الجنسية ، يميلون الى التركيز الشديد على الحد الأدنى من المثالية التقشفية (التقليل من الاتجاه نحو الزهد فى العلاقات الجنسية) ،

بينما يتجاهلون المغزى الرئيسى للشريعة المقننة Codified halakhaéh ربما نتيجة رغبتهم فى اظهار اليهودية بمظهر المتفق مع الأفكار الحديثة حول الموضوع . فعلى سبيل المثال، نجد هيرمان ووك Herman Wouk فى معرض حديثه العام عن اليهودية الأرثوذكسية يقول : « تعتبر اليهودية الجنس رباطا يربط بين محبين ، من أجل الحياة : لتحقيق قوة مشتركة ، ومتعة وراحة ولانجاب الأطفال ... وزواج اليهود ، الأنبياء منهم والقديسين والعاديين منذ ابراهيم وموسى الى الآن ، ليس فيه ما يشير الى انه يفضى الى بعض الآثام ، أو شرور الجسد ، كما هو مفترض » (٢٧) .

ولابد من مقارنة هذا بالنص التالى الوارد فى المدونة اليهودية الشرعية المعروفة باسم شولحان عاروخ Shulshan Arukh :

« لا يجب أن ينهمك المرء فى الاتصالات الجنسية كثيرا ... فهذا مسلك به منقصة كبيرة ، ولا معنى له والشخص الذى يقلل من الاتصال الجنسى هو الأكثر استحقاقا للثناء ... وحتى عندما يمارس المرء الاتصال الجنسى فى الأوقات المحددة فيجب ألا يكون هدفه هو تحقيق المتعة لنفسه ، وانما عليه أن يكون كشخص يؤدى واجبا (يؤدى ما عليه من دين) ، ما دام من واجبه ان يعاشر الزوجة فى هذه الأوقات المحددة ، وايضا ليكون مثمرا مكاثرا [أى منجبا للأطفال] تنفيذا لأوامر الخالق » (٢٨) .

« كتب البعض ان الحائض niddah بمجرد ان ترى دم حيضها تحتم ألا تدخل المعبد او تصلى أو تذكر اسم الله المقدس أو تمس الكتاب المقدس . بينما يرى البعض أن كل ذلك مسموح به لها ـ وهو الرأى الصحيح . ومع هذا ، فقد جرت العادة فى هذه البلاد على الرأى المذكور أولا » (٣٣) .

وبرغم ان مفسرى هذه الفقرة يذكرون قيودا (محاذير) وضعتها سوابق دينية أخرى على الحائض ، منها أنها يجب ألا تنظر فى لفائف التوراة المفتوحة ، فانهم مختلفون فى عدد المحرمات التى ذكرها ايسرلز Isserles .

وفى هذه الأيام ، يحرم الاتصال الجنسى بالمرأة طوال فترة الحيض ولعدة أيام بعدها ، ويتحتم على المرأة ان تتطهر تطهيرا طقسيا (شعائريا) بعد فترة الحيض بان تستحم بمياه من مصدر طبيعى (الميكفاه mikveh) . والتراث الشرعى (الهالاخاوى) المتعلق بالمرأة الحائض ـ بما فى ذلك كل مباحث التلمود البابلى ـ والسبعة عشر فصلا من المدونة الشرعية المعروفة باسم شولحان عاروخ Shulshan Arukh تحوى كثيرا من الاضافات التى أضافها الرابيون لمحرمات الكتاب المقدس اليهودى بالاضافة الى المسائل الفنية ، كالفرق بين دم الحيض والافرازات الأخرى ، والطريقة التى يجب على المرأة أن تفحص بها نفسها لاكتشاف بداية الحيض وحساب دورته . والدقائق التى أوردتها الشريعة اليهودية فى هذا الموضوع مهمة فى حالة نزف المرأة دما نتيجة الاتصال الجنسى بها أو فى حالة ما اذا كانت دورة الحيض غير منتظمة (الفترة الزمنية بين كل حيضة واخرى غير كافية) ، ففى هذه الحالات التعسة لابد من الرجوع لدقائق الشريعة لمعرفة ما اذا كانت تسمح بالجماع أم لا . وبشكل عام ، فكلما تقدم الزمن وجدنا المراجع الشرعية فى الفترات المتأخرة زمنا تطبق المحاذير الدينية الخاصة بالحائض بصرامة أشد ، بدعوى أن المصادر الشرعية الأولى لم تقدم فروقا دقيقة بين حالات نزول الدم المختلفة .

وتعتبر المرأة حائضا (نداه niddah) خلال فترة نزول دم الحيض وبعد توقفه بسبعة أيام . وعليها ان تفحص نفسها للتأكد من توقف نزول الدم قبل أن تبدأ فى عد الأيام السبعة بعد توقفه ، وان نزل الدم خلال هذه الفترة بدأت العد من جديد . والممارسة المقبولة هى أن تبدأ

عد الأيام السبعة التى بغير دم « clear days » بعد مرور خمسة أيام من بداية نزول الدم لتضمن أن نزوله لم يستمر لفترة أطول ، وفى المساء بعد انتهاء الاثنى عشر يوما تستحم (استحماما طقسيا – الميكفاه mikveh) ولها أن تستانف الاتصال الجنسى بزوجها . ولابد أن تكون المياه التى تستحم بها (الميكفاه) تضم حدا أدنى من ماء « حى » ، سواء كان ماء مطر أو ماء من بعض المصادر الطبيعية الأخرى . وبعد أن يكون التطهر الطقسى (شعيرة الاستحمام بعد فترة الحيض) قد تم على وجهه الأكمل ، يمكن اضافة ماء الصنبور (الحنفية) . ويستخدم هذا الماء الحى (الميكفاه) أيضا لاستحمام المحولين لليهودية ، كما يستخدمه ذكور اليهود قبل يوم الكفارة ، كما يستخدمه اليهود الحاسيديم Chasidic كل يوم قبل الصلوات . كما يستخدم لغسل الأوانى المشتراة من الأغيار (غير اليهود) ؛ حتى يمكن لليهود استعمالها فى اعداد الطعام وتقديمه .

ولمنع الزوج والزوجة من انتهاك المحرمات المفروضة على المباشرة الجنسية فى فترة الحيض ، وضعت بعض الاجراءات الاحترازية لتحد من علاقة الزوجين فى هذه الفترة . فلا يجب أن يتوددا جنسيا ولا يثيرا عواطفهما ، ولا يتلامسا ولا يناما معا حتى لو كانا بثيابهما ، ولا يجب أن ينظر الرجل لزوجته وهى عارية أو نصف عارية ، ويجب أن يقلل الطرفان من الاحتكاكات التى اعتادا عليها معا (٣٤) . وبرغم أن اليهود الارثوذكس يعتبرون المحرمات المرتبطة بالحيض جزءا أساسيا من الحياة اليهودية ، فان قلة قليلة من اليهود هى التى تلتزم بها اليوم التزاما فعليا حرفيا . وكثير من المجتمعات اليهودية ليس لديها أو بالقرب منها مصدر للماء « الحى » (الميكفاه mikveh) ، وقد تخلى اليهود الاصلاحيون عن كل الأفكار المرتبطة بالمرأة الحائض niddah ؛ باعتبارها مرتبطة بمعتقدات بائدة عن الطهارة والنجاسة لم يعد لها معنى فى حياة اليهودى المعاصر . فمادام الأطفال المولودون من زوجين لا يراعيان الطهارة الطقسية لا تصمهم

الشريعة بأية وصمة بل هم يهود كاملو اليهودية ، فان الزواج هو الزواج سواء روعيت فيه المحظورات المفروضة على الحائض أم لا . وفى الوقت الحاضر ، ظهر على نحو ما احياء استخدام الماء « الحى » (الميكفاه) بين اليهوديات حتى بين دوائر اليهود الاصلاحيين ، وربما يرجع هذا فى جانب منه الى جهود تحديث مفهوم الميكفاه نفسه . وفى اسرائيل لابد ان تحضر كل عروس الميكفاه قبل عرسها وأن تجهز شهادة بذلك قبل أن يقوم الرابيون الرسميون باتمام اجراءات الزفاف . وأحد أسباب نص التلمود على فترة انفصال الزوجين أثناء الحيض وبعده ، هو منع الزوج من اعتبار اتصاله الجنسى بزوجته مسالة مضمونة مفروغا منها . فاعادة مواصلة الاتصال الجنسى بعد انقضاء الفترة المحددة (نداه niddah) ، تجعلهما وكأنهما قد أصبحا عروسين من جديد (٣٥) .

تحديد النسل Birth Control

بصرف النظر عن الوصية الدينية (الميتسفاه) التى مؤداها أن انجاب ولد وبنت يعد أمرا كافيا ليكون اليهودى مثمرا مكاثرا فان كثرة الانجاب – فيما ترى اليهودية – خير وبركة . وعلى أية حال ، ففى العصر الحديث واجهت الشريعة اليهودية قضايا تحديد النسل بعد أن أصبحت وسائل التحكم فى النسل متاحة للزوجين ، ومع ظهور اتجاهات مختلفة حول ضبط عدد الأسرة . وبوجه عام ، فثمة بعض المعارضة لاستخدام وسائل منع الحمل حتى بعد انجاب ولد وبنت ، وهما الحد الأدنى ليكون اليهودى مثمرا . ويكاد الاجماع ينعقد أن القذف خارج الفرج بمثابة اهدار « لبذور الرجل » أى حيواناته المنوية Wasting seed ؛ وبالتالى فهو محرم مثل الاستمناء (ممارسة العادة السرية) ، برغم وجود رأى اخذ به أقلية فى التلمود تسمح بمثل هذه الممارسة اذا كان الحمل سيسبب مشكلة للأم المرضعة (٣٦) nursing mother . وانعقد اجماع

مماثل ضد استخدام الرجل للكبود (كيس يضعه الرجل لمنع وصول المنى الى المراة) بين رجال الشريعة اليهودية المعاصرين ، باستثناء القيادات الدينية اليهودية الأمريكية التى اعتبرته ملجأ أخيرا (٣٧) . وحاز استخدام المراة لأساليب منع الحمل تأييدا واسعا ، فى حالة ما اذا كان فى الحمل خطر عليها . بل ان أحد علماء الشريعة اليهودية فى فترة ما قبل العصر الحديث ذهب الى حد السماح للمراة باستخدام عازل دون أن يشير أدنى اشارة لمخاطر الحمل ، طالما ان زوجها قد نفذ الوصية الدينية بشان الانجاب (بمعنى انه انجب منها ولدا وبنتا على الأقل) (٣٨) .

والمناقشات الواسعة فى تراث الفتاوى اليهودية حول اباحة منع الحمل للمراة قبل الجماع وبعده ، اعتمدت على فقرة غامضة فى التلمود عن فئات النساء الثلاث التى تستخدم وسائل لمنع الحمل (٣٩) . لقد كانت هناك تفسيرات واسعة لهذه الفقرة ، أعنى أن بعض النسوة يجب أن يمنعوا الحمل فى ظروف بعينها ، بينما نسوة آخرون يمكنهن ان اردن ، وفئة ثالثة يحظر عليها ذلك لأنها لم تمر بالظروف نفسها . ووافق بعض الرابيين على تناول حبوب منع الحمل باعتبارها أحد أساليب تنظيم الأسرة التى تواجه حدا أدنى من المعارضة ، طالما أن اليهودى قد أصبح مثمرا « سبق له الانجاب » ، وطالما أنه ليس لهذه الحبوب آثار جانبية مؤذية او نزف بعد فترة الحيض (٤٠) . أما استخدام أساليب لمنع الحمل بين الحالبين او داخل الرحم IND فلم تتعرض الشريعة اليهودية له لأنه غير واضح لعلماء الشريعة ، وربما كان – فى الحقيقة – مجهضا .

الاجهـــاض

يثير موضوع الاجهاض مسائل شرعية (هالاخاوية) مختلفة عن تلك التى أثارها موضوع منع الحمل . وهناك اتفاق عام على أن قتل الجنين

لا يشكل ازهاق روح عمدا ، برغم أن واحدة من القيادات الرابية على الأقل ناقشت الأمرين (٤١) . فبينما يرى كل علماء الشريعة اليهودية أن الاجهاض محرم فى الظروف العادية ، الا انه ليس هناك اتفاق على طبيعة هذا التحريم ، وما اذا كان بناء على نصـوص الكتاب المقدس اليهودى ، أم بناء على توجيهات رابيـة . فاذا كان هناك أساس طبى للاجهاض ، فان اختلاف وجهات النظر حول اباحته وطبيعة الظروف التى تسمح بذلك تعتمد الى حد كبير على التفسيرات المختلفة لطبيعة التحريم ، فثمة قاعدة مقبولة مؤداها انه اذا كانت حياة الأم فى خطر بسبب تكرار الحمل فيمكن التضحية بالجنين لانقاذ حياة الأم باجهاضها . وبعض المراجع الشرعية تعول على حالة الأم النفسية ، فمثلا اذا كانت الولادة ستؤدى الى انتحارها يأسا ، فلابد من اجهاضها وفقـا للقاعدة الآنف ذكرها . وبعض علماء الشريعة يتوسعون فى هذه القاعدة ، فيدخلون فيها تهديد مصدر غذاء الطفل من لبن أمه ، فالحمل يؤثر فى نقصانه ، ومن هنا يتعرض الطفل (الموجود فعلا) للخطر بسبب الجنين الكامن فى بطن امه ، وتذهب أقلية من علماء الشريعة اليهودية لما هو أبعد وتسمح بالاجهاض حتى لو لم يكن هناك تهديد فعلى لحياة الأم ، وانما لمجرد تسبيبه (الحمل) الآلام الشديدة والاضطراب لها . ولا يوافق بعض علماء الشريعة على هذه الأحكام المتساهلة ، برغم أنهم لا يعارضـون الاجهاض اذا ما تم خلال الأربعين يوما الأولى من الحمل أو خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحمل وفقا للظروف ، أو اذا كان الطفل سيولد مشوها (٤٢) . والأساس المشترك بين هذه الآراء المختلفة هو الحرص على حياة الأم والتركيز على انهاء الحمل فى مراحله الأولى ان أمكن .

الطـلاق

يحذو الطلاق فى اليهودية حذو الشكل الوارد من التوراة : « اذا أخذ رجل امراة وتزوج بها فان لم تجد نعمة فى عينيه (لم ترق له)

لأنه وجد فيها عيب شيء ، كتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته » (٤٣) ·

فالطلاق حق مقصور على الزوج الذى يسلم لزوجته جت get (أى وثيقة طلاق) ، ولابد من تسليمها هذه الوثيقة فى يدها ليكون الطلاق قد تم · وتكتب وثيقة الطلاق التقليدية (الجت get باللغة الآرامية) ويكتبها كاتب محترف خصيصا لكل من الزوج والزوجة ، والجملة الأساسية فى هذه الوثيقة هى « لك أن تتزوجى من تشائين »(٤٤)، ووثيقة الطلاق هذه بنصها الكامل ، تحوى اسم الزوج والزوجة ومكان اقامتهما والتاريخ وصيغة الطلاق المفصلة والواضحة · ويوقع هذه الوثيقة شاهدان · والتدقيق الشديد فى صيغة هذه الوثيقة (الجت) مسألة ضرورية للتأكد من عدم وقوع أى خطأ فنى يجعل المرأة غير مطلقة بشكل شرعى صحيح ، وهذا يمنعها من الزواج مرة أخرى · وتشغل تهجئة أسماء الأشخاص بشكل صحيح ، وكذلك أسماء الأماكن والأنهار والمدن ·· الخ مساحة كبيرة بشكل غير معتاد فى الفتاوى الصادرة بشأن هذا الموضوع ، طالما كان من المطلوب كتابة هذه الأسماء الاسبانية والبولندية والألمانية والتركية والانجليزية ·· الخ بحروف عبرية (٤٥) · ولأن الخبرة الفنية بتفاصيل اجراءات الطلاق مسألة ضرورية ، وجدنا التلمود يحذر « كل من لا يتقن طبيعة اجراءات الطلاق ··· يجب ألا يقوم بها » (٤٦) · لقد نشأت كثير من الانقسامات الخطيرة فى المجتمع اليهودى ؛ لأن صحة احدى وثائق الطلاق (الجت get) التى أعدها أحد الرابيين كانت موضع تحقيق من الرابيين الآخرين ·

ولابد أن يكون تسليم الزوج لوثيقة الطلاق بارادته الكاملة ، لكن – من الناحية التقليدية على الأقل – ليس من المحتم أن تقبل المرأة ، كما أنها لا تستطيع تطليق زوجها · وفى القرنين الحادى عشر والثانى

عشر ، منع القادة الدينيون فى الجماعات الألمانية اليهودية الزوج من تطليق زوجته ضد رغبتها (اذا لم تكن هى راغبة فى ذلك) ، وكان هذا المنع اجراء مقبولا بين اليهود الأشكيناز منذ ذلك الوقت · وقد عزى هذا المنع للرابى جيرشوم ابن يهوذا R. Gershomben Judah أشهر حكماء اليهود فى ذلك الوقت ، وعرف (أى هذا المنع) بأنه أحد عناصر الحرم (بكسر الحاء وتسكين الراء) أى الطرد من رحمة اليهودية بالنسبة للرابينو جيروشيم Rabbenu Gershom ؛ اذ كان يهدد الذين يتجاهلون هذا المنع بالشيريم Cherem (أى الطرد من رحمة اليهودية اى تكفيرهم) · ولم يقبل اليهود الصفاردى Sefardi أبدا هذا المنع برغم انه أصبح جزءا من قوانين الطلاق التى أصدرتها الحكومة الاسرائيلية والتى تطبق على كل اليهود على سواء ، وتطبق أيضا على غير اليهود فى اسرائيل · فاذا لم يوافق كل من الزوج والزوجة على الطلاق ، فلا طلاق الا اذا لجأ أحد الطرفين الى المحكمة الشرعية اليهودية (بت دين Bet Din) لاجبار الطرف الآخر على الاشتراك فى الدعوى القضائية · والأسباب التى قد تطلب الزوجة الطلاق من أجلها ، هى : أن زوجها غير مخلص أو عقيم أو عنين (ضعيف جنسيا) أو يحرمها من دخلها أو يعاملها بقسوة أو انه غير متدين ·· الخ فان حكمت المحكمة الشرعية لصالح الزوجة ، عندها تمارس ضغوطا على الزوج للموافقة على الطلاق · وفى الأزمنة القديمة كان الزوج يضرب حتى يوافق ، ويبدو هذا الاجراء مناقضا لمبدأ تقديم الزوج وثيقة الطلاق بمحض اختياره ، لكن ابن ميمون برر هذا الاجراء كالتالى : « الشخص الذى يقضى القانون بضرورة تطليق زوجته ، ومع هذا يرفض ، فان المحكمة الشرعية (بيت دين Bet Din) تضربه حتى يقول (اننى أريد أن ··) ··· والآن ، لماذا يقال ان وثيقة الطلاق (الجت) التى تم الحصول عليها بهذه الطريقة خالية من الاجبار ؟ ·· الاجابة هى أن هذا الزوج الذى لا يريد أن يطلق مادام يريد أن يكون عضوا فى شعب اسرائيل ، ويريد أن ينفذ كل الوصايا الدينية mitzvot وأن يكون مبرأ من الآثام ، فانما هو لا يرفض الطلاق ،

وانما نزعة الشر فيه هى التى تحثه على ذلك وتحرضه ، فاذا ما ضرب ضعفت نزعة الشر فيه ، فبمجرد أن يقول : (اننى أريد ..) فانه يكون فعلا قد طلق زوجته بحريته وارادته » (٤٨) .

وباستثناء ما يحدث فى اسرائيل الحديثة حيث قد يتم ايداع الزوج الغاضب السجن حتى يوافق على الطلاق ، فان القيادات اليهودية اليوم ليس لديها الصلاحيات لاجبار الزوج على القبول بحكم المحكمة الشرعية (بت دين Bet Din) وفى أحسن الحالات ، فانهـــا تستطيع أن تحثه أو تشجعه على الطلاق أو تمارس عليه ضغوطا اجتماعية أو تستخدم ضده روادع اقتصادية . وفى بعض الأحيان تضطر الزوجة الفقيرة لدفع مبلغ مالى كبير لزوجها ، حتى يحررها بتسليمها الجت (وثيقة الطلاق) . ويحدث أيضا أن ترفض الزوجة قبول الطلاق من زوجها ، فان كان من اليهود الأشكيناز فانه لا يستطيع الزواج مرة أخرى ، ما دام تعدد الزوجات محرما أيضا ويحرم من رحمة اليهودية وفقـا لآراء الرابى جيرشـــوم Gershom وزملائه . لكن هذا اليهودى الأشكينازى يستطيع الزواج مرة أخرى دون تطليق زوجته فى حالة واحدة ، وهى حصوله على موافقة مائة رابى Rabbi . وهذا الاجراء الأخير يتم اذا كانت الزوجة الأولى مختلة عقليا ، وبالتالى لا يكون لها ارادة مستقلة فى قبول الجت (وثيقة الطلاق) . أما اليهود الصفاردى ، فيمكنهم وفقا لأحكام الشريعة أن يعددوا الزوجات ، وهم بالتالى ليســوا فى حاجة الى موافقة مائة من الرابيين للاقتران بزوجة ثانية ، لأنه يجوز للرجل منهم أن يطلق زوجته بمبادرة منه أو ان يتزوج أخرى ببساطة ، اذا لم يكن منصوصا فى عقد الزواج على عدم جواز اتخاذه زوجة أخرى . والموقف الذى يسبب مشكلة كبيرة هو اختفاء الزوج دون وجود دليل على موته . وفى هذه الحال تعرف زوجته شرعا باسم أجوناه Agunah او المرأة « المقيدة Chained » اذ تعتبر شرعا امرأة متزوجة حتى يثبت موت زوجها . ومع أن علماء الشريعة اليهود بذلوا جهودا كبيرة فى محاولة التحايل الشرعى لاتاحة

الزواج للأجوناه (المرأة التى غاب زوجها دون دليل على موته) بايجاد قرينة على موت زوجها ، فلم تكن هناك وسيلة أخرى لحل مشكلتها . أما الزوج الذى تختفى زوجته ، فيمكنه اللجوء الى طلب « اذن heter » من مائة من الرابيين ، طالما أن منعه من الزواج مرة أخرى ان هو الا من التعاليم الرابية ، ولا يطبق هذا الا على اليهود الأشكيناز وحدهم . ويعتبر منع الزوجة من الزواج مرة أخرى فى مثل هذه الظروف ، تعليما من تعاليم الكتاب المقدس اليهودى .

والتفاوت بين موقف كل من الرجل والمرأة فى الطلاق التقليدى ، أحد أوجه النزاع الكبرى بين اليهودية الأرثوذكسية واليهودية التقدمية Progressive Judaisc . وحتى بين اليهود الأرثوذكس نجد كثيرين ينتقدون هذا النظام خاصة من قبل المنظمات النسائية ، برغم أنهن أخيرا كان عليهم أن يقبلوا القيود فى نطاق تأويلات شرعية مرنة . وقد حاولت الزعامات اليهودية المحافظة فى الولايات المتحدة الأمريكية الخروج من هذا المأزق ، بجعل الزوجين يقران فى مستهل الزواج بالموافقة على قرارات المحكمة الشرعية التابعة لجماعات اليهود المحافظين Conservative Bet Din فاذا رفض الزوج بعد ذلك الرضوخ لقرار هذه المحكمة عرض نفسه لدفع غرامة مالية . وهذا ـ بطبيعة الحال ـ ذو تأثير فى حالة وجود الزوج وعدم اختفائه ، وبالتالى فان هذا الاجراء لم يحل مشكلة المرأة الأجوناه (التى اختفى زوجها) . وثمة محاولة مبكرة لحل مشكلة المرأة التى غاب عنها زوجها بجعل الزوج يفوض المحكمة الشرعية باصدار وثيقة الطلاق (الجت) عند غيابه ، لكن هذا الاجراء لم يعمل به لأنه تعرض لنقد قاس من علماء الشريعة الأرثوذكس . كما أن الاقتراح الأكثر اعتدالا بفرض غرامة مالية على الزوج كان أيضــا غـير مقبول من الرابيين الأرثوذكس ، كما انه يتعارض مع القانون المدنى الأمريكى . وبعد ذلك تبنى الرابيون المحافظون اقتراحا جديدا باحيـاء ســلطة الهالاخاويين (مسئولى الشريعـة) التى لم يكونوا يستخدمونهـــا ، بابطال الزواج

annul a marriage · فالزوجان لابد أن يوافقا عند الزواج على أنهما اذا حصل احدهما على طلاق مدنى ورفض الزوج مع هذا ان يقدم لزوجته وثيقة طلاق (جت) Get ، أصبح من حق المسئولين الدينيين اليهود المحافظين ابطال هذا الزواج marriage will be annulled

الشيخوخة

كما فى معظم الثقافات الشرقية ، ترى اليهودية فى المسن عنصرا مهما للحفاظ على تراث الماضى ونقله للجيل الذى بعده · ويطلق الكتاب المقدس اليهودى على الحكيم كلمة زاكن Zaken ، أى كبير السن باعتباره الزعيم الطبيعى للمجتمع ، ويوليه احتراما كبيرا · واستمر هذا فى التعاليم التلمودية ، بل اننا نجد فيها ضرورة العناية بكبير السن عناية فائقة ، برغم أن الخرف قد اعتراه (نسى ما تعلمه) (٤٩) · والميشناه عند تعدادها لمراحل العمر التى يمر بها الشخص حتى يصل الى مرحلة الشيخوخة ، تذكر ان الشخص يصبح شابا يافعا فى تمام قوته وهو فى الثلاثين ويصبح حكيما فى الأربعين ويصبح أهلا لأن يستشار فى الخمسين ويصبح شيخا فى الستين وأشيب فى السبعين (٥٠) · والشريعة (الهالاخاه) تفهم الوصية التالية « الوقوف أمام الأشيب وتوقير وجهه » ، بمعنى انطباقها على من هو فى السبعين وما فوقها ، سواء أكان متعلما أم لا · وتنطبق أيضا على الأصغر سنا ان كان حكيما (٥١) · وبصرف النظر عن التوصية العامة باظهار الاحترام للأكبر سنا ، هناك وصية أخرى mitzvah منفصلة تنطوى على توقير الأبناء لوالديهم والخوف منهم · ووفقا لبعض وجهات النظر ؛ فان هذا التوقير يجب أن يمتد أيضا للجد والجدة لكن بشكل أقل (٥٢) · وحقوق الوالدين كما أظهرت الشريعة ، تتمثل فى عدم عصيان أوامرهما وعدم مخاطبتهما بالأسماء المجردة وعدم تعريضهما للملامة ان تصرفا ازاء أولادهما تصرفا خاطئا أمام الناس ، وألا يفقد الأبناء صوابهم أمام والديهم · ولابد أيضا أن يطعم الأولاد والديهم ويكسوهما، وأن يهبوا واقفين ان دخلا وان يتحدثوا عنهما باحترام

حتى بعد مماتهما · وان اعترى الوالدين أو أحدهما الخرف (عته الشيخوخة) وعسر على الأبناء رعايتهما كليهما أو أحدهما ، عهدوا لآخرين بالعناية بهما (٥٣) ولابد للابن أيضا أن يتأكد ان والديه قد دفنا بالطريقة الصحيحة ، وعليه ان يدفع تكاليف الجنازة ·

الموت والدفن

لا توجد فى اليهودية طقوس (شعائر) مقدسة أخيرة للشخص المحتضر · وعلى أية حال ، فان الذين حوله يطلبون منه الاعتراف بخطاياه ، ولكن يجب الا يدعوه يفهم أن هذا يعنى أنه سيموت بالتأكيد · لابد ان يقال له ان كثيرين ممن اعترفوا بخطاياهم استمروا على قيد الحياة ، وان الاعتراف على أية حال سيضمن له مكانا بعد الدينونة World to Come وان كان واهنا ضعيفا لا يستطيع الكلام ، اعترف بخطاياه فى قلبه · وثمة صيغة موجزة للاعتراف تقال على فراش الموت (ويمكن أن تضاف اليها دعوات أخرى مناسبة) ، كالتالى :

« أعترف يا الهى واله آبائى ان حياتى ومماتى بيدك · اشفنى فانت قادر على معافاتى تماما ، لكن ان مت فاجعل موتى تكفيرا لكل ذنوبى وتجاوزاتى وظلمى وكل ما اقترفته بين يديك · وأدخلنى جنة عدن (أعطنى نصيبى فى جنة عدن) واجعل لى نصيبا فى الملكوت الآتى (*) الذى جعلته لعبادك الصالحين » (٥٥) ·

ومحظور أن يتداخل المرء بأى شكل كان مع شخص على وشك الموت حتى لا يعجل بموته ، فهذا عمل يوازى القتل عمدا · ويمتد هذا المنع ليشمل أعمالا مثل الدهن بالمراهم أو الزيوت ، وغسل بدنه فعملية الغسل هذه تتم قبل الدفن (بعد الموت) ، كما يحظر حفر قبر لشخص محتضر اذا كان واعيا بما يجرى (٥٦) · ومن الواجب البقاء مع المحتضر

(*) الحياة الأخرى (المترجم) ·

حتى لا يموت وحيدا ٠ وعندما يرى الحاضرون أن الموت أصبح وشيكا ، نزعوا عباءاتهم بقوة وقبلوا حكم الله فهو حكم عدل وباركوه « تباركت يا ربنا فأنت قاض عادل » ٠ ويجب سكب كل الماء فى الأوانى القريبة ، للاعتقاد بأنه ماء لوثه ملك الموت وأصبح الشرب منه خطرا (٥٧) ٠ وعرفت الشريعة (الهالاخاه) الموت بأنه اللحظة التى يتوقف فيها التنفس ، ويمكن التحقق من هذا بتقريب ريشة أو مرآة من وجه المحتضر ٠ ومع تطور الطب الحديث ، ثارت عدة قضـــايا حول هذا التعريف التقليدى للموت وانقسم الرابيون حول كيفية تعديل هذا التعريف ، ان لم يكن استبدال غيره به استبدالا كاملا (٥٨) ٠ وبعد التيقن من الموت يجرى الاعداد للجنازة فورا ، فتأخير الدفن محرم (اكرام الميت دفنه) : فيتم اعداد قماش أبيض من كتان وتغسل الجثة جيدا قبل أن ينضح عليها بقدر من الماء ، وهو نضح له طبيعة طقسية ثم يدهن بالطيب ، واليهود الأشكيناز يضعون فوق رأسه محتوى بيضة بعد خلطه بالنبيذ ٠ وهناك عادات أخرى كثيرة فيما يتعلق بتجهيز الميت للدفن ، تعرف باسم الطهارة taharah ، ويقوم بهـا عمال يهود متطوعون هم الشـيفرا كاديشا Kadisha (الجماعة المقدسة) يراعون أن يكون الغسل بشكل صحيح ٠ ولابد أن يدفن اليهودى فى أرض موقوفة لهذا الغرض وفقا لنصـــوص الهالاخاه (الشريعة) ، ولا يمكن أن يدفن ــ ببساطة ــ فى مقابر غير اليهود (٥٩) ٠ واليهود الأرثوذكس لا يحرقون جثة الميت ومعظم الرابيين الأرثوذكس لا يوافقون على هذا ، حتى لو دفن الرماد المتبقى فى تابوت ٠ واليهودية الاصـلاحية لا تعترض على عملية الاحراق هذه ، ولا تتفق مع اليهودية الأرثوذكسية فى اعتبار احراق الجثة انكارا لبعث الجسد فى الحقبة المشيحانية messianic age ٠

ولابد أن يكون هناك حداد بين عشـــيرة الميت الأقربين وتتوقف صرامة الحداد وشدته على درجة القرابة ، وبالتالى فحداد الوالدين على ولدهما الميت هو الأشد ٠ ومنذ موت الشخص (وقبل دفنه) يصبح اسم القائم بالحداد أونن Onen ويتحتم عليه أن يمتنع عن أكل اللحم وشرب

النبيذ ، كما يتوقف عن ممارسة الشعائر اليهودية المعتادة ٠ وطوال الأيام السبعة التى تعقب الدفن، والتى يشاركها باسم شيفاه Shivah (ومعناها سبعة) ، يطلق على من هو فى حالة حداد آفل Avel وفى هذه الفترة يبلغ الحداد ذروته، فيبقى فى بيته حيث تعقد الصلوات، وعليه أن يجلس على مقعد منخفض بلا ظهر أو متكأين وقد ارتدى عباءته الخارجية التى شقها حدادا على قريبه الميت ٠ ولا يجب أن يحلق شعر رأسه أو لحيته او أن يلبس حذاء جلديا ، ويحرم عليه المباشرة الجنسية فى هذه الفترة ، كما يحرم عليه الاستحمام والعمل ودراسة التوراة والاستماع للموسيقا ٠ وانما يمكنه ان يغادر بيته فى يوم السبت ــ لأن الحداد العام محرم يوم السبت ــ ليحضر الى المعبد ٠ ويأتى الأقرباء والأصدقاء والجيران الى منزل من هو فى حالة حداد ليشاركوا فى الصلوات وليواسوه ٠ وأثناء هذا يرتل دعـوات القداش (الكاديش) kaddish prayer ، التى سيستمر فى تلاوتها طول الاحد عشر شهرا التالية ان كان الفقيد أبا وكل عام فى الذكرى السنوية (الياهرتسيت Yahrzeit) ٠ والقداش (الكاديش Kaddish) دعاء باللغة الآرامية يمجد الله ويطلب منه أن يمنحنا السلام والحياة الطيبة ٠ ولا شك أنه دعاء للميت أو من أجله ؛ لكن القائم بالحداد لا يفهم معناه (لأنه بالآرامية) والقائم بالحداد يرتل هذا الدعاء ليظهر أنه لازال راغبا فى تمجيد الله برغم المصيبة التى ألمت به بفقد عزيز عليه ٠ هذه الفكرة التى تعنى قبول حكم الله والاقرار بعدله ، مرتبطة بكثير من الدعوات والصلوات بمناسبة الموت فى الديانة اليهودية ٠ ويعتقد أن الروح بعد الموت تقضى فترة تطهير فى الأعراف (المطهر وهو منطقة بين الجنة والنار) تمتد عاما بالنسبة للشرير ، ومن هنا كانت تلاوة القداش (كاديش Kaddish) لمدة احد عشر شهرا فقط وليس لمدة سنة (اثنى عشر شهرا) ، ففى قراءتها لمدة سنة اقرار بأن المتوفى شرير ٠

وعندما تنتهى الأيام الســبعة (الشـيفاه Shivah) ، يدخل من هو فى حالة حداد مرحلة أخرى يكون فيها فى نصف حداد وتستمر هذه

الفترة حتى نهاية ثلاثين يوما بعد الجنازة . وتعرف هذه الفترة باسم شلوشيم Shloshim (وتعنى الثلاثين) ، وخلالهـا لا يحـلق شعره ولا يلبس ثيابا جديدة ولا يحضر احتفالات ولا يجلس فى مكانه المعتاد فى المعبد ، ومع هذا يسمح له بالعمل ومواصلة دوره فى المجتمع . وينهى الحزانى على أزواجهم(الزوج على زوجته او الزوجة على زوجها)او ابنائهم او اخوانهم او اخواتهم ، فترة حدادهم بنهاية الشلوشيم Shloshim (الثلاثين) . أما الحداد على أحد الوالدين فيستمر عاما كاملا ، وان كان يجوز فى فترة الحداد هذه قص الشعر بعد شهرين او ثلاثة حتى لا يصبح منظره مهوشا قبيحا (٦٠) . ويمكن النظر للحداد فى اليهودية على انه تحرك تدريجى من العزلة والانفصال الى العودة لايقاع الحياة العادية . ويعتبر عدم الحداد فى اليهودية دالا على الغلظة وقسوة الطباع ، وفى الوقت نفسه لا ينصح بالمبالغة فى الحداد . وفى اليهودية ، يحاط الحزين فى حالة الحداد بترتيبات طقسية او شعائرية على درجة عالية من الدقة ليكون مستعداً من اللحظة الأولى ، ولابد أن يعبر عن حزنه خلال فترة الحداد هذه . فحالة الذهول والارتباك التى تعترى من فقـد قريباً . تتطلب تقديم دعم له من خـلال طقوس (شعائر) وتفرض على أفراد المجتمع زيارته ومواساته . ولم تعد كثير من قوانين الحداد التى تضع بشكل واضح قيوداً على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمن هو فى حالة حداد ، موجودة خارج الدوائر اليهودية التقليدية ، فاليهودية الاصلاحية عادة ما تقلل فترة الحداد وتمنع المغالاة فيه .

الفصـل العاشر

العام اليهودى من خلال الطقوس (الشعائر) :
من بدء العام الجديد الى خيمة الهيكل النقال (المظلة) ★

اليوم

أهم ملامح اليوم بالنسبة لليهودى التقليدى هو تتابع الصلوات : صلاة الفجر او الشاحاريت Shacharit ، وصلاة بعد الظهر أو المنحة Minchah والمعنى الحرفى للكلمة هو صلاة القربان ، وصلاة المغرب أو المساء أو الأرفيت معاريف Arvit/Mariv . هذه الصلوات الثلاث ـ التى حددت لها مواقيت تتفق مع المواقيت التى كان اليهود يقدمون فيها الأضاحى فى الهيكل قبل خرابه ـ تتكون من دعاء واحد محورى تقوم عليـه العبـادة ، وهذا الدعاء المحورى هو دعاء الشيمونه عسرة Shemoneh Esreh ومعناه « الرقم ١٨ » ، وهو يتكون من ١٩ تبريكا ، اذ أضيف تبريك خاص (أو اسـتعاذة) تقاء الهراطقة ـ خاصـة « المسيحيين اليهود ـ Jewish Christians » ـ فى أواخر القرن الأول للميلاد وأوئل القرن الثانى عشر . ويتم ترديده فعليا وبدون تغيير فى كل مناسبة ، وينطوى محتواه على الأفكار الثلاث الآتية :

(★) Tabernacles (المترجم)

١ ــ الثناء على الله رب الآباء Patriarchs الواهب الرزاق الشافى المعافى الصادق العهد فى احياء الموتى القدوس holy (ثلاث تبريكات) ٠

٢ ــ دعوات لطلب المعرفة والتوبة والمغفرة والخلاص redemption والشفاء ، والأرض المباركة ، وجمع يهود المنفى والقضاة العادلين ، وتدمير الكفار (الهراطقة) واثابة الصالحين ، واعادة بناء القدس ، ومجىء المسيح الداوودى (*) Davidiv Messiah ، وطلب استجابة الدعاء (١٣ تبريكة) ٠

٣ ــ دعاء لعودة صهيون Zion واعادة بناء الهيكل واقامة العبادة به ، وشكر لله لرحمته ومعجزاته وطلب السلام والرحمة والحياة لاسرائيل (ثلاثة تبريكات) ٠ ولترديد دعاء الشيمونه عسرة (صلاة الثمانية عشر تبريكا) ، لابد أن يكون المرء واقفا ووجهه قبالة القدس ، وغالبا ما يشار اليه باسم أميداه (العاميدا Amidah) والكلمة تعنى « الوقوف Standing » ٠ وتوجد صياغات أخرى مختلفة نوعا ما بين الجماعات اليهودية المختلفة ، لكن الفحوى والتكوين واحد ٠ وعندما يردد المنيان minyan (أى المجموعة المكونة من عشرة أشخاص بالغين الذين يشكلون الحد الأدنى لصلاة الجماعة) هذا الدعاء ، فان كل واحد منهم يردده أولا فى سريرته ، ثم يقوم الامام Cantor بترديده جهرا ، وذلك ــ فى الأساس ــ لصالح أولئك الذين لا يعرفون هذا الدعاء ، فبقولهم « آمين Amin » عقب ترديد الامام للدعاء يكونون كمن رددوه بأنفسهم ٠ وعند ترديد هذا الدعاء (الأميداه أو العاميدا Amidah) ، يتم اقحام جزء خاص يعرف باسم الكدوشاه (القدوشاه Kedushah) أى قداسة الله « وصف الله بأنه قدوس » ٠ ويضم هذا الجزء الذى يصف الله بأنه قدوس : فقرة من سفر أشعياء (٦/٣)

(*) غير المسيح عليه السلام المعروف ٠ (المترجم) ٠

وآية من سفر حزقيال (٣/١٢) وآية من المزامير (١٤٦/١٠) يرددها المصلون والامام ، ويتم ترديد الأميداه (العاميدا) Amidah فى صلاة الصبح وصلاة المغرب (المساء) مسبوقة بتلاوة الشيما (١) (*) وتبريكاتها ٠ والشيما (دعاء توحيد الله والاخلاص له) Shema تشغل مكانا محوريا فى اليهودية ، وتستخدم كصيغة لتأكيد الايمان يشترك فيها كل اليهود (النص : فى حالة عدم وجود عقيدة رسمية in the obsence of a formal creed) ٠ فالمقطعان الاولان من الشيما هما اللذان يظهران فى الميتسوفاه (الوصايا الدينية mitzuvah) ، وهما اللذان يكتبان بخط اليد على لفافة من رق (بفتح الراء ــ بمعنى جلد رقيق) تعلق على عضادة كل باب من أبواب بيت اليهودى ٠ وهذان المقطعان هما أنفسهما ، بالاضافة الى فقرات توراتية أخرى ، يشكلان محتوى التفيلين tefillin (التمائم أو الاحجبة) التى تأخذ الواحدة منها شكل صندوق جلدى أسود له شراريب سوداء يضعه اليهودى فوق رأسه ويعلقه على ذراعه اليسرى اثناء صلاة الصبح فى كل يوم من أيام الأسبوع ٠ والفقرة الأولى من الشيما هى « اسمع يا اسرائيل ، الله ربنا اله واحد » (**) وهذه الشهادة يرددها المحتضر حتى يموت ، وقد نطق بشفتيه ما يفيد أن الله واحد ، وفى صلاتى الصبح والمغرب (المساء) هناك بالاضافة الى الأميداه (العاميدا Amidah) والشيما Shema الآنف ذكرهما نجد أن فى الصلوات الثلاث اليومية آيات وفقرات من الكتاب المقدس اليهودى ، خاصة من المزامير ، ومن ترانيم ودعوات وصفت فى فترة التلمود وما بعدها ٠ واطول صلاة يهودية هى صلاة الصبح التى تشمل ــ يومى الأحد والخميس بالاضافة لما ذكرناه ــ قراءات من لفافة التوراة Toran Scroll

(*) مجموعة من ثلاث فقرات من الكتاب المقدس اليهودى تتلى مرتين يوميا فى الليتورجية (العبادة الدينية الطقسية) ، يردد فيها اليهودى توحيد الله وضرورة الاخلاص له سبحانه اخلاصا بغير حد ٠

(**) النص فى سفر التثنية (٦/٤) : « اسمع يا اسرائيل ، الرب الهنا رب واحد » (المترجم) ٠

وبرغم أن التلمود والمدونات الشرعية تكرس مساحة كبيرة زاخرة بالتفاصيل فيما يتعلق بالمواقيت الدقيقة للصلوات ، فان اليهود الحاسيديم (الكاسيديم) المتصوفة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر جنحوا الى الصلاة فى الأوقات التى حرمت فيها الشريعة اليهودية (الهالاخاه) الصلاة . وبرغم أن البعض برر قيامهم بهذا (صلاتهم فى الأوقات التى حرمت فيها الشريعة الصلاة) على أساس قبالى (تصوفى) ، فانه من الواضح أنه يكمن وراء تمردهم على مواقيت الصلاة رفضهم لمبدأ « الصلاة عند الطلب » . وقد انتقد علماء الشريعة التطهريون halakhic Purists موقفهم بشدة ، ويعزى الى الرابى مندل الكوتسكى R. Mendel of Kotsk ، وهو زعيم من زعماء اليهود الحاسيديم (الكاسيديم) — قوله : « انه فى كوتسك Kotsk هناك أرواح لا ساعات » ، وهذا يعنى أنه من المحال أن تصلى لمجرد أن وقت الصلاة قد حان لأن الصلاة الحقيقية تعبير عن الروح . ونحن نجد فى المشناه Mishnah بالفعل رأيا يعارض تحديد الصلاة بمواقيت ، لأن الصلاة يجب أن تكون تضرعا لله (٤) والمعبد اليهودى — تقليديا — هو مكان اجتماع ، ومحور الحياة فى المجتمع ، وبرغم أن الكلام يبطل الصلاة فى معظم المعابد الأرثوذكسية فان هذه القاعدة لا تراعى حرفيا. وعلى هذا ، فالجو أثناء الصلاة متحرر وغير متسم بالرسمية ، والحقيقة أن كون الصلاة تجرى باللغة العبرية ، وتقرأ من كتاب الصلوات (السدور Siddur) (*) يجعل انهماك غالب المصلين فى الصلاة أمرا مشكوكا فيه . واستخدام اليهود الاصلاحيين Reform للغة العامية فى كثير من صلواتهم يمثل أحد عوامل الجذب لليهودى المعاصر ، بالاضافة الى أن كل صلاة عندهم تختلف عن الأخرى الى حد كبير ، واللياقة والذوق يسودان جو العبادة عندهم ، وبينما يفضل

(*) هذا المسمى هو المستخدم بين اليهود الاشكيناز — راجع : معجم المصطلحات بآخر الكتاب . (المترجم) .

الحاسيديم الانطلاق وعدم الالتزام بالشكليات ، لأن هذا يسمح بمشاركة أكبر عدد ممكن من المتعبدين ، ويسمح بدرجة أكبر من التعبير عن الذات ، الا ان جماعة حاسيدية على الاقل حاولت التغاضى عن مواقيت الصلوات ، بتشجيع المنتمين اليها على قضاء وقت يسير كل يوم يناجون فيه ربهم بلغتهم التى يجيدونها (المفهوم اى لغة حتى ولو كانت غير العبرية) ، وهذه الممارسة التى تمارسها الحاسيدية فى براسلاف Braslav تعرف باسم hitbodedut وتعنى : « كن بمفردك مع الله » .

الدورة الأسبوعية ويوم السبت

برغم ان الأربع والعشرين ساعة التى تبدأ وفقا للحساب اليهودى من الليل ، تعد ملمحا مهما لتوقيت الشعائر (الطقوس) ، فان الأسبوع هو الوحدة الأساسية للغرض نفسه . وليس لكل يوم من ايام الأسبوع اسم باللغة العبرية ، وانما يشار لها ببساطة على هذا النحو : اليوم الأول (الأحد) واليوم الثانى (الاثنين) .. الخ ، اما يوم الجمعة فيطلق عليه اليوم السادس او « ليلة السبت » او اليوم السابق على السبت Erev Shabbat (اريف شبات) ويقسم اليوم لأغراض شعائرية الى قسمين : الليل الذى يبدأ عند الغروب او عند رؤية اول نجم ، والنهار ويحسب من طلوع الفجر او من ظهور الشمس . وتقسم الشريعة اليهودية (الهالاخاه) كلا من الليل والنهار الى اثنتى عشرة وحدة ، تختلف مددها بين الشتاء والصيف ، فثمة وحدات نهارية أطول فى الصيف ، ووحدات ليلية اطول فى الشتاء . وهناك بعض الخلاف فيما اذا كان يجب حساب وحدات اليوم الاثنتى عشرة من الفجر حتى ظهور النجوم أو من شروق الشمس الى غروبها (٥) . وطريقة حساب الأربع عشرة ساعة بدءا من المساء قائمة على قصة الخلق كما فى سفر التكوين « وكان مساء وكان صباح » .

أما يوم السبت فيعرف ببساطة باسم « شابات Shabbat » ، ويبدأ من مساء يوم الجمعة قبل ظهور الشفق الأحمر ، وهى الفترة التى تعتبرها اليهودية وسطا بين الليل والنهار (أو بتعبير آخر هى الفترة غير المحددة أنهار هى أم ليل) وفى اشارات منفصلة للسبت فى روايتين للوصايا العشر (٦) نجد ربطا بينه وبين الخلق (سفر الخروج) وبينه وبين الخروج من مصر (سفر التثنية) . فالسبت ، اذن ، ظهر كتأكيـد لخلق الله للكون ، وهيمنتـه على القدر التـاريخى للشعب اليهودى . وتعتبر اليهودية السبت منحة خاصة من الله لليهود وليس شعيرة للعالم من حقه أن يدعيها . حقيقة ، ان (غير اليهود) ممنوعون من حفظ السبت اليهودى تحت التهديد بالاعدام ، ولهذا السبب فان المتحول لليهوديـة لن يحفظ قوانين السبت كاملة حتى بعـد تحوله لليهودية . فالسبت علامة بين الله وبنى اسرائيل ، لأنه خلق العالم فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع (*) ، بمعنى أن العـالم فى خاتمة المطاف انما هو عالم (كون) الله لا عالم الانسان. والمدراش Midrash تصور يوم السبت وهو يشـكو لله أن كل الأيام الأخرى لها شريك فالأحد:شريكه الاثنين .. الخ أما هو (يوم السبت) ، فلا شريك له . فأجـاب الله على شـكواه بأن جموع بنى اسرائيـل هى شريكه . فصورة اسرائيل وهو يتزوج السبت توضح مكانة هذا اليوم ، سواء من ناحية الشعائر اليهودية أو التصور اليهودى . وبرغم أهميته ، فان الميشناه Mishnah تذكر أن كل القوانين (الشعائر) المرتبطة بالسبت انما هى كجبال معلقة فى شعر نظرا لندرة الاشـارات التوراتيـة للموضوع ، ووفقا لوجهة النظر التلمودية فان اليهود اذا لم يحفظوا الا السبت بشكل صحيح لمدة أسبوعين متتالين لضمنوا الخلاص على يد المسيح الآتى (**) messianic Redemption . وقد فسر واحـد من الرابيين المعـاصرين هذا بمعنى أن اليهود لا يجب أن يحفظوا يوم

(*) مفهوم أن القرآن الكريم ينفى ذلك . فالله قد خلق الكون « وما مسه من لغوب » ، أى تعب . (المترجم) .

(**) غير المسيح عليه السلام المعروف (المترجم) .

السبت فقط ، وانما لابد أيضا ان يكونوا مقدسين طوال الأيام الستة الواقعة بين السبتين .

وتبدأ شـعائر السبت فى البيت اليهودى بقيام الزوجة باشعال شمعتين ، وبقيام الزوج بالكدوش « Kiddush » التقديس » على كاس نبيذ بعد عودته من الصلاة فى المعبد ، وفى اصباح السبت ـ قبل الغداء ـ يبارك كاســا أخرى من النبيذ بصيغ مختلفة نوعا ما . وتلبس الأسرة ملابس نظيفة تشريفا لهذا اليوم بعد ان يكون أفرادها قد استحموا يوم الجمعة قبل بداية السبت (من المفهوم ان السبت يبدأ قبل مغرب يوم الجمعة كما سبق آنفا) (*) ، ويتوقع أفراد الأسرة أن يتنـاولوا ثلاث وجبات احتفالية ، وجبة فى ليلة الجمعة ووجبة وقت الغداء يوم السبت ، وتتكون كل وجبة منهما من رغيفين من الخبز المخبوز خصيصا والمعروف باسم شله (حله Challah) وسمك ولحم ، أما الوجبة الثالثة فاقل كمية ويتناولونها فى فترة ما بعد الظهر يوم السبت ، وخـلال هذه الوجبات ترتل التراتيم الخاصة بالسبت على المائدة المغطاة بمفرش أبيض ، وبظهور نجوم ثلاثة فى ليلة السبت ، يكون هذا السبت (شـابات Shabbat) الشعائرى قد انتهى . ويعقب صلاة المغرب (المساء) شـعيرة (طقس) الهافلاه havalah ، وهى شعيرة احتفالية تفصل بين قداسة السبت والطبيعة الدنيوية للأيام التى تليه . وتنطوى هذه الشعيرة على تناول النبيذ أو غيره من المسكرات واستعمال الطيب ، وهذا يعنى انعاش اليهودى بعد أن غادرته الروح الاضافية التى يعتقد أنها كانت تتلبسه طوال فترة السـبت ، ثم توقد شمعة خاصة . وطوال حوالى خمس وعشرين ساعة هى مدة السبت لايجب ممارسة أى عمل دنيوى ، وتعدد الشريعة (الهالاخاه) باطناب تسعة وثلاثين عملا يحظر ممارستها يوم السبت ، بالاضافة الى كثير من الأعمال الفرعية . لابد لليهودى أن يتوقف عن التحكم فى العالم الطبيعى والعالم الاجتماعى ، حتى يتحقق

(*) ما بين القوسين توضيح من المترجم .

من أن الله وحده هو خالق كل شيء وهو المتحكم فى كل شيء . وقد أضاف الرابيون بمرور الوقت طائفة أخرى من الأعمال المحـرمة يوم السبت لتعميق مفهوم راحة السبت وتطويره ، وكان من بين المحظورات المهمة منع ايقاد النيران أو استخدامها وامتـد هذا الحظر ليشمل استخدام الكهرباء ، بل لقد أدرج البعض منع استخدام الكهرباء ضمن المحظورات التوراتية . ومادام محرما طبخ الطعام يوم السبت ، فلابد من اعداد طعام السبت يوم الجمعة ، وقد يترك على لهب ويغطى عادة بوعـاء من الأسبستوس asbestos ليستخدم خلال السبت . وأدى هذا الى ظهور عدد من الأطباق ارتبطت بالسبت ، اذ يتم طهيها ببطء فى الليل لتستخدم فى غداء السبت ، وأشهر هذه الأطباق طبق الشولنت (الحولنت Cholent) (يخنى أو يخنة من لحم وفاصوليا أو لوبيا وبطاطس) . وثمة مصـادر شرعية (هالاخاوية) تركز على أن الطعـام السـاخن يجب أن يؤكل فى صـباح السـبت ، لأن هذا يزيد بهجة السـبت Oneg of Shabbat ، ولكن هذا يخالف وجهات نظر القرائين Kavaite القاضية بعدم ترك نار موقدة فى بيت اليهودى يوم السبت (١١) . وللتأكيد على بهجة السبت والتأكيد على صلاح العالم (الكون) الذى خلقه الله ، يحظر الصيام فى هذا اليوم كما يحظر اظهار الحداد العام ، لأن هذا قد يفسر على أنه اتجاه سلبى للنظام الذى خلقه الله للأشياء . والاستثناء الوحيد الذى يسمح فيه بالصيام يوم السبت هو فى حالة ما اذا رأى اليهودى حلما مزعجا (كابوسا) فعدم صيامه ربما ـ فى الغالب ـ يجعله مضطربا مستاء يوم السبت .

وبالنسبة لليهودى التقليدى ، يعد السبت فترة زمنية خارج النظام الطبيعى ، فهو لا يستطيع أن يعد (أى يخطط) فى يوم السبت أى شيء يحتاجه فى الأسبوع القادم ، وهو يقطع نفسه كلية عن قضاياه ونسق حياته اليومية المألوفة فى الأيام المعتادة (غير السبت) . ان يوم السبت بهذا المعنى يصبح رمزا لزمن القداسة والتجديد الكامن فى الحقبة التى

يعود فيها المسيح messianic era ، ويعتقد أنه ـ أى السبت ـ انعكس ـ فى هذا العالم الذى نعيش فيه ـ للملكوت الآتى(١٢) World to Come . وتسهب القبالة (الصوفية اليهودية) فى موضـوع الوحدة والتناغم اللذين يرمز لهما السبت ، وتراث الزهر zohar (الصوفى) يرى فى هذا اليوم (السبت) الوقت الذى تتزاوج فيه الذات الالهية (يتلاحم الجانب الأنثـوى فى الذات الالهية بالجانب الذكورى فيهـا) (*) as the time when conjugal union of male and female principles takes place within the Sphere of the divine. وتركز عدة ابتهالات وترانيم ـ تعود فى أصلها للدوائر الصوفية القبالية ، ولكنها أصبحت مقبولة على نطاق أوسع بين المجتمع اليهودى ـ على الرمزية الصوفية ليوم السبت كعروس التحمت مع عريسها المقدس بسبب وصول قوى الشر التى تلعب دورا مهما فى فترة السبت .

الشـهر

الشهور فى العام اليهودى قمرية تبـدأ مع القمر الجديد وتستمر تسعة وعشرين يوما او ثلاثين يوما . وعلى أية حال ، فالعام الشعائرى (الطقسى) عام شمسى ، ومهرجاناته مرتبطة بالفصـول الزراعية . فعيد الفصح ـ على سبيل المثال ـ هو مهرجان الربيع ، ولابد أن يكبس العام القمرى باضافة سبعة شهور اليه كل تسـعة عشر عاما ، حتى تتم تغطية الأحد عشر يوما التى تمثل فرقا بين العـام القمرى والعـام الشمسى . وفى الأزمنة القديمة كان الشهر الجديد يثبت برؤية القمر الجديد ، ولابد أن يستجوب شهود القمر الجديد أمام محكمة شرعيـة خاصة Bet Din فى القدس التى يعلن رئيسها بدء الشهر الجديد . وعند اعلان بدء الشهر ، توقد النار فى منارة على جبل الزيتون ، وعن

(*) راجع مادة شخيناه فى معجم المصطلحات بآخر الكتاب . (المترجم) .

طريق ايقادها فى سلسلة من المنارات تصل أخبار بدء الشهر للجماعات اليهودية فى بابل ، وتم ابطال هذا الاجراء عندما قام يهود السامرة Samaritan – الذين اختلفوا مع الفريسيين Pharisees فى تفاصيل التقويم – بايقاد نيران خاصة بهم (للدلالة على بدء الشهر) مما سبب فوضى شديدة ، فعمدت المحكمة الشرعية Bet Din الى ارسال مبعوثين للمجتمعات اليهودية البعيدة لينقلوا اليهم الأخبار (١٣) .

وفى القرن الرابع للميلاد ، جرى تثبيت بدايات الشهور ونهاياتها بحسابها مقدما ، وأصبحت الرؤية غير معمول بها لتحديد بدايات الشهور ونهاياتها . وزمن التوراة ، كانت رؤية القمر الجديد مناسبة للاحتفالات وتقديم أضحيات خاصة . وعلى أية حال ، ففى زمن لاحق فى تطور اليهودية أصبح يجرى احتفال صغير – نسبيا – تجرى فيه صلوات وابتهالات اضافية مثل تلك المساة « نصف هلال Half-Hallel » (المزامير ١١٣ – ١١٨ ، مع وجود حذف معين) وتلاوة اضافية لدعوات الأعياد (العاميدا) والموساف Musaf احياء لذكرى الأضحيات التى كانت تقدم فى هذا اليوم . وجرت العادة على الاعلان عن مولد القمر الجديد فى المعبد فى يوم السبت السابق على بداية الشهر الجديد ، وفى المجتمعات اليهودية المتأثرة بأفكار القباله يعتبر اليوم السابق لمهرجان القمر الجديد New Moon (روش شودش Rosh Chodesh) بمكانة « يوم كفارة مصغر » يصوم فيه اليهود ويبتهلون طلبا للغفران . وعادة ما يعقد فى ليلة السبت بين اليوم الثالث واليوم الخامس عشر من الشهر القمرى حفل دينى صغير لمباركة القمر والاحتفاء بظهوره . ولابد أن يكون القمر مرئيا فى السماء أثناء الليل ، ولو للحظة عابرة . وأثناء الابتهالات احتفاء بالقمر الجديد ، يقارن اسرائيل بالقمر الذى يتجدد دائما والذى يمتثل لارادة خالقه معيدا . والقمر الآن اقل ضوءا من الشمس ، لكنه فى الأزمنة القادمة سيستعيد بهاءه ويصبح متألقا كالشمس ، لذا فان

الابتهالات احتفاء بالقمر الجديد تتضمن أن اسرائيل ستتخلص من وضعها الدونى بين الأمم ، وتستعيد بهاءها السابق فى العصر الذى سيظهر فيه المسيح messianic age .

مهرجان العام الجديد

هناك نقطتان يمكن ان يقال ان العام اليهودى يبدأ منهما . الأولى هى بداية شهر الربيع (نيسان Nisan) ، الذى يقع عيد الفصح اليهودى فى اليوم الخامس عشر منه . ويشار لهذا الشهر فى أسفار موسى الخمسة بانه « بداية الشهور ، وأول شهر فى السنة » (١٤) . وعلى أية حال ، فالأكثر ملاءمة لليهودى أن يعتبر أول شهر تشرى Tishri – وهو الشهر السابع بعد نيسان – هو بداية العام الجديد ، وهو العيد الذى يحتفى به الآن لمدة يومين لدى يهود الشتات ويهود اسرائيل – عيد رأس السنة اليهودية (روش ها – شاناه Rosh Ha-Shanah) ، وكان الاحتفال به فى الأساس لمدة يوم واحد ، لكنه امتد ليصبح يومين . ومادام هذا العيد يقع فى أول الشهر ، فقد كان من الضرورى فى الأزمنة القديمة مراعاة (حفظ) اليوم الثالث عشر من الشهر السابق عليه (أيلول Eaul) باعتباره هو رأس السنة (روش ها – شاناه Rosh Ha-Shanah) فى حالة قدوم شهود القمر الجديد – أحيانا – فى هذا اليوم . واذا لم يأتوا ، عندئذ يتم اعلان اليوم الحادى والثلاثين من ايلول ، بداية لشهر تشرى Tishri ومن ثم يكون الاحتفال ببداية العام الجديد ليومين . واذا وصل شهود القمر الجديد فى الثالث عشر من ايلول يصبح العيد يوما واحدا ، على الأقل بالنسبة للقدس وما جاورها ، لكن البعيدين عن القدس وخاصة يهود الشتات لازالوا يحتفلون به لمدة يومين . وشهر أيلول الذى يسبق مباشرة عيد رأس السنة Rosh Ha-Shanah هو شهر للتوبة والتأمل الروحى . وينفخ فى البوق (قرن الكبش أو الشوفار Shofar) لمدة وجيزة كل صباح بعد الصلوات ، فيما عدا يوم

السبت واليوم السابق على رأس السنة اليهودية (الروش ها ـ شاناه Rosh Ha-Shanah) . وبـدءا من الأسـبوع الأخير من شهر أيلول ـ وهو الأسبوع الذى يقع فيه الاحتفال بعيد رأس السـنة ـ تتلى فى الفجر ابتهالات خاصة طلبا للغفران ، وتعرف هذه الابتهالات باسم سليشوت (سلحوت Selichot) ، وما ذلك الا لأن عيد رأس السنة يعتبر يوما يقضى فيه الله بحظوظ العام الجديد (القادم) (١٥) . وهذا يجعل هذا العيد فرصة جليلة ، ويشار اليه ـ وكذلك الى عيد الكفارة الذى يأتى بعده بفترة وجيزة ـ باعتبارهما يومى الخشية من الله Days of Awe ، ومـع هذا فـان عيـد رأس السـنة Rosh Ha-Shanah لازال يعد عيد بهجـة وفـرح ، وقـد شرح التلمود هذا كالتالى :

« جرت العادة بالنسبة للشخص الذى يعلم أنه لابد أن يحاكم أمام المحكمة أن يلبس ثوبا أسـود .. وأن يطلق لحيته فهو لايدرى كيف ستسير الأمور معه .. لكن اسرائيل ليس على هذا النحو ، فهم يرتدون ثيابا بيضا ويشذبون لحاهم ويأكلون ويشربون ويفرحون ، لأنهم يعلمون أن الواحد جل جلاله .. سيصنع المعجزات من أجلهم » (١٦) .

وقبل الموسـاف Musaf (صـلوات رؤية القمر الجديد) وأثناءها تتلى ابتهالات اضافيـة ، وينفخ فى البـوق (قرن الكبش الشوفار Shofar) تنفيذا للتفسير الرابى للتوصـية التوراتية القاضية بأنه يوم ينفخ فيه البوق (العدد ٢٩/١) (*) . وفى بعض المجتمعات اليهودية تعزف نغمات موسيقية تبلغ المائة باستخدام الشوفار (البوق) ، بتشكيلات موسـيقية من أصـواته الثلاثة الرئيسية :

(*) رجعنا لسفر العدد فوجدنا النص كالتالى : (وفى الشهر السابع فى الأول من الشهر يكون لكم محفل مقدس ... يوم هتاف بوق يكون لكم ..) . (المترجم) .

التيكياه tekiah ، وهى المنغمة المتواصلة غير المقطعة ، والشيفاريم Shevarim وهى نغمة من ثلاثة أصوات قصيرة ، والترواه teruah وهى من تسعة أصوات قصيرة .

ويتناول اليهود طعاما خاصا فى رأس السنة Rosh Ha-Shanah يعتقـد أنه يرمز لعـام قـادم طيب . ففى بعـض المجتمعـات اليهودية يأكلون رؤوس السمك ، أو رؤوس الضأن أو أى رؤوس أية حيوانات أخرى مباحة ، وهذا يرمز الى أن الآكلين سيصبحون فى العام الآتى « رؤوسا لا ذيولا » ، وللسبب نفسه يغمس خبز الاحتفال فى عسل النحل بدلا من خلطه بالملح المعتاد ، وكذلك يغمسون التفاح فى عسـل النحل ، رمزا لسنة قادمة « حلوة » . وثمة ملمح آخر لعيد رأس السنة وهو تبادل التهانى ، بالقول : « عسى ان تكون مكتوبا بين السعداء فى العام الجديد » ، اعتقادا أن قدر كل شخص مسجل فى كتاب الهى . ومما ينصح به أيضا ألا ينام الشـخص فى نهـار رأس السـنة حتى لا « ينام » حظه ـ فيما يقال ـ فى العام القادم (١٧) . وثمة عادة شاعت فى أواخر العصور الوسطى بين اليهود التقليديين ، وهى الذهاب الى نهر او بحر أو أى مكان ينساب منه الماء فى فترة ما بعد الظهيرة فى اليوم الأول لهذا العيد ، للتخلص طقسيا (شعائريا) من الخطايا فى الماء . ويعرف هذا الطقس بالتشليخ Tashlikh ، ولا يعرف لهذه الشعيرة أصل ويفترض أنها طقس نقله اليهود من الأغيار . ومعنى هذه الشعيرة هو أنها ـ ببساطة ـ عمل رمزى يطهر الشخص من خلاله نفسه للعام الجديد كما تشير الى ذلك الابتهالات والمزامير المصاحبة له ، ويرى بعض الرابيين أن ترديد هذه الابتهالات فى المنزل له الأثر نفسه .

ومما يتفق مع المعنى الكامن فى هذا العيد ، أعنى قبول حكم الله بشأن ما ارتكبه المرء من خطايا ، ما هو وارد فى صلوات رأس السنة التى تركز على أن الله هو الحكم العدل ، وهو مالك الكون حقا . واليهود رعاياه

يمرون أمامه لتلقي حكمه ، وفي المحكمة الالهية يعد الشيطان الذى يمثل النائب العام موجزا يقدمه به خطايا اسرائيـــل . ولكن أفراد الشعب اليهودى يتوبون أمام مليكهم (ربهم) ويندمون على ما اقترفوا من آثام ويطلبون من الله المغفرة والرحمـــة ، ملتمسين منه الصفح لا لأنهم يستحقونه ، وانما من أجل اسمه عز وجل . وتتمثل العودة الى الله فى تلاوات وقراءات خاصة ترتل فى المعابد تحوى معنى خشية الله فى هذه المناسبة ، وتقرأ قصـــة صبر اســـحق . وفى عيد رأس السنة (روش ها ـ شاناه) لا يجوز القيام بعمل دنيوى ، تماما كما هو الحال فى عيد الفصح وعيد الحصاد ، وعيد المظال (المفرد مظلة) . وتختلف هذه الأعياد عن « السبت » و « يوم الكفارة » ، اذ يمكن فيها طهى الطعام وكذلك ممارسة الأعمال المرتبطة بالغذاء وعلى هذا فيمكن فيها استخدام النيران لا ايقادها ، ويمكن فيها نقل المواد المختلفة فى الطريق العام . وطوال العام لا يراعى غالب اليهود الحضور للمعبد بانتظام ، خلا قلة من الأتقياء ، لكن الوضع يختلف فى عيد رأس السنة : اذ تشهد معابد اليهود الأرثوذكس واليهود التقدميين زحاما بحيث أن المقاعد المصفوفة المعتادة تصبح غير كافية للحضور ، وقد تستأجر أراض مجاورة لاستيعاب فيض الحاضرين . وفى عيد رأس السنة تستغرق الصلوات فى المعابد فترة طويلة ، وتصبح البيوت اليهودية التي هى محور كثير من الشعائر فى الأوقات الأخرى ، ذوات دور ثانوى .

أيام التوبة العشرة

تعرف الأيام العشرة من شهر تشرى Tishri باسم « بأيام التوبة العشرة » ، فاليوم الذى يلى عيد رأس السنة Rosh Ha-Shanah هـــو يـــوم صـــيام Tzom Gedaliah ولا صلة جوهرية له بالعيد ، لكنه احياء لذكرى اغتيال جدليا Gedaliah حاكم يهوذا الذى عينه البابليون بعد سقوط القدس فى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد . ووفقـــا للمرويات اليهودية ، كان اغتياله بمثابة نهاية للحياة اليهودية فى مملكة

يهوذا فى الجنوب (١٨) . وليس هناك تاريخ محدد فى المصادر التوراتية التى ذكرت هذا الحادث (ملوك ٢/٢٥/٢٥ ، ارميا ١/٤١) ، لكن اليوم الثالث من شهر تشرى Tishri هو اليوم الذى حاز قبولا كيوم لهذا الاغتيال . وهو يوم مناسب أيضا بشكل جلى كيوم توبة وندم ليعرض ما ساد فى اليومين السابقين من احتمال الاعتماد المبالغ فيه على الغفران (المفهوم غفرانه سبحانه وتعالى) ، وتتسم هذه الأيام العشرة بالابتهالات والصلوات الاضافية ، التوسل الى الله لغفران ما اقترفه المرء من خطايا فى العام السابق ، ولتذكير اليهود بخطاياهم من أجل الحياة ، والتركيز على أن الله هو مالك كل شئ ، والتوبة والندم على ما فات وهو ما يعرف باسم تشــوفاه teshuvah التى تعنى حرفيا « العودة الى الله » . وتردد بعض الجماعات اليهودية أيضا ابتهالات توبة خاصة فى الفجر تعرف باسم سليشوت (سلحوت Selichot) ، بينما اعتاد اليهود التقويون Pietistical Jews قراءة كتـــابات الموســـار musar (وصايا اخلاقية) تفضى بقارئها الى التعمق فى العبادة والتوجه لله بمزيد من القداسة ، وخلال هذه الفترة تكون هناك محاولات للالتزام بالطقوس وشعائر الطهارة بشكل أكثر من ذى قبل .

ويعرف « السبت » السابق على يوم الكفارة « بسبت التوبة » ، وهو أحد مناسبتين فى العام كان يقوم فيهما الرابى فى الماضى ، بالقاء عظات يحث فيها على العودة الى الله ، أو بتعبير آخـــر يتنـــاول التشـــوفاه teshuvah ويتم اختيـــار ســـفر هوشـــع Hosea (الاصحاح ١٤) كقراءة اضافيـــة ، ذلك الاصحاح الذى يبدأ بهذه الكلمات : « ارجـــع يا اسرائيل الى الرب الهك ، لأنك قد تعثرت بائمك » وهذه الفترة تبلغ ذروتها فى اليوم السابق على يوم الكفارة ، وبعدها يتغير الجو العام اذ يجب على اليهودى أن يأكل جيدا ذلك اليوم ، وأن يتوقف عن ترديد كثير من الابتهالات المعتادة . وعند بعض اليهود الأشكيناز واليهـــود المتأثرين بالقبالة ، تقام شعيرة الكباروت Kapparot فى صباح اليوم الســـابق

على يوم الكفارة ، وهذه الشعيرة (الطقس) تقتضى تناول ديك صغير أبيض (أو دجاجة بيضاء) وتمريره حول رأس الرجـل أو المرأة ثلاث دورات ، مع ترديد العبارة التالية : « هذا فداء لى ، هذا بديل عنى ، هذا كفارتى ، هذا الديك (أو الدجاجة) سيموت وساستمر أنا على قيد الحياة الطيبة المديدة واكون فى سلام » ، ثم يذبح هذا الديك أو الدجاجة ذبحا طقسيا وتلقى أحشاؤه للطيور ، أما لحمه فاما أن يقدم لأحد الفقراء ، أو يتم طهيه وأكله على أن يدفع ثمنه لأحد الفقراء عوضا عنه . وقد ذكرت هذه الشعيرة للمرة الأولى فى القرن التاسع فى بابل ، وادرجها الرابى موسى اسرلز Moses Isserles الأشكينازى ، الـذى شارك فى وضـع المـدونة الشرعيـة شـولجان عـاروخ Shulchan Aruck ضمن الممارسات المعتادة . وعلى أية حال ، فقد عارضها بشدة بعض علماء الشريعة اليهودية فى العصور الوسطى واعتبروها تأثيرا وثنيا ، وكتب الرابى سليمان اردت Solomon Ardet فى القرن الثالث عشر :

« لقد وجدت هذه العـادة (الكبـاروت Kapparot) منتشرة انتشارا كبيرا فى مدينتنا ، بالاضـافة لعادات أخرى .. وهى عادات تبدو لى مثل الطرق الأمورية Amorite ، فبذلت كل جهدى (لمحو هذه العادات) وبفضل الله استمع أهل المدينة لكلماتى فانتهت هذه العادات وأصبحت مدينتنا خالية منها » (١٩) .

والرابى يوسـف (جـوزيف) كـارو Joseph Caro المؤلف الصـفاردى للمدونة القـانونية شـولحان عاروخ Shulchan Arukh يقول انه ينبغى منع الناس من ممارسة هذه العادة (٢٠) ، لكن برغم هذه التحفظات فقد أصبحت هذه العـادة ذات جذور عميقة فى الحيـاة اليهودية . وأولئك الذين اعتبروا هذه العادة وثنية لأقصى حد ، ولا تتمشى مع ميولهم ، وفسروها على أنها عملية نقل أو تحويل سحرية أسىء فهمها يتلقى فيها الديك العقاب بدلا من الانسـان ـ هؤلاء استخدموا النقود لاجراء هذا الطقس بدلا من الديك أو الدجاجة . وبعد أن يحركوا النقود

حول الرأس وهم يرددون الابتهالات المطلوبة ، يتصدقون بهذه النقود . وبذا ، ترتبط هذه الممارسة بالفكرة اليهودية القديمة التى مؤداها أن الصدقة Charity ، من بين أمور أخرى ، تساعد على ابعاد الشر عن المتصـدق .

ويوم الغفـران (يـوم كيبـور Yom Kippur) هو ذروة شعائر التوبة ، وطلب المغفرة من الله . وعلى أية حال ، فطالما أن هناك عقيدة مؤداها أن الله لا يغفر الخطايا التى ارتكبها الانسان ضد أخيه الانسان الا اذا سامحه صاحب الحق ، فقد تحتم أن يطلب الانسان ـ اولا ـ السماح ممن أخطأ فى حقـه قبل يوم الغفران (يوم كيبـور Yom Kippur) . وقد جرت العادة أن يتقرب اليهودى ممن أساء اليهم ويتودد لهم ويحاول ارضاءهم ، وان رفضوا مسامحته بعد ثلاث محاولات كان قد فعل كل ما فى وسعه وليس عليه أن يقوم بمحاولات أخرى . ويوصى أن يستحم كل يهودى بالميكفاه mikvel (مياه من مصدر طبيعى) فى اليوم السابق على يوم كيبور أو على الأقل أن يسكب على نفسه قدرا كبيرا من الماء دفعة واحدة ، وذلك كعلامة على الطهارة الشعائرية من اللقاءات الجنسية والاستمناء (الغسل من الجنـابة) أو كرمز ـ وفقا لوجهات أخرى ـ للتوبة والخلاص من الآثام . وقلما يمارس يهود اليوم طقس الجلد بشريط جلدى (كرباج) بعد صلوات بعد الظهر وأثناء الاعتراف العلنى بالخطايا وفقا للصياغات الواردة فى كتاب الصلوات ـ برغم أن هذا الطقس مذكور فى المدونات الشرعية . وينظر لجلد المرء نفسه على أنه يؤدى للتوبة ، ولا زال اليهود التقويون يمارسون هذه الشعيرة ، برغم أن عملية الجلد عادة ما تكون رمزية أكثر مما هى جلد حقيقى يؤدى للألم . والصوم الذى هو أحد معالم يـوم الغفران (يوم كيبور) يبدأ قبل غروب الشمس مباشرة .

يوم الغفران (يوم كيبور)

ترسخ فى الوعى الدينى العام لليهود أن يوم الغفران هو ذروة السنة اليهودية ، وهو مقياس لارتباط اليهودى بتراثه ، وسجلت الشريعة

اليهودية ذلك أيضا • فحتى اليهود غير الملتزمين بالشعائر اليهودية الأخرى يحرصون على المشاركة فى هذا العيد بالحضور فى المعبد أو ـ على الأقل ـ الصيام فيه • وفى دولة اسرائيل الحديثة حيث يسيطر اليهود الأرثوذكس على الحياة اليهودية ، يعمد اليهود العلمانيون للقيام بنزهات ورحلات فى يوم كيبور ، ويعلنون عن رحلاتهم هذه باعلانات صاخبة • ولا يتيح لهم هذا التخلص من الجو الدينى المكثف فى المدن فحسب ، وانما أيضا ليعلنوا استخفافهم وامتعاضهم من المؤسسة الدينية ، وبالاضافة الى الصيام ـ الذى يشبه فى شروطه كل صيام فى اليهودية من حيث الامتناع تماما عن الطعام والشراب ـ فان يوم كيبور يوم يمنع فيه الاستحمام والدهن بالزيت وارتداء الأحذية الجلدية والمباشرة الجنسية • وكما هو الحال فى « السبت » ، يحظر مباشرة أى عمل ذى طبيعة دنيوية فى يوم كيبور •

وتبدأ العبادة فى المعبد مساء ، بتناول لفافة أو لفافتين من لفائف التوراة من الصندوق المخصص لها الى المنصة المرتفعة فى وسط المعبد ، ويرتدى الذكور المجتمعون الشيلان ذوات الشراريب الخاصة بهم والمخصصة للصلاة ، والتى لا تلبس عادة الا فى النهار ، وغالبا ما يرتدون أيضا عباءة بيضاء أو « كتل kettel » فوق ملابسهم • وتفسر هذه الأزياء بطرائق مختلفة ، فعلى سبيل المثال نجد أن اللون الأبيض يرمز للنقاء وغفران الخطايا ، والكتل Kettel يرمز للكفن الذى يكفن به الانسان بعد الموت ولبسه يشير الى التواضع (٢٢) • وفى الصلاة الافتتاحية ، يطلب الامام الاذن من المضيفين السماويين والجموع أن يصلوا مع هؤلاء الخطاة الذين لم يحضروا للمعبد الا هذا اليوم لسبب أو لآخر • ويعقب ذلك انشاد « الكول ندرى Kol Nidrei » ويكرر اليهود الأشكيناز هذا الانشاد ثلاث مرات بنغمات وزينة وبالتناوب • و« الكول ندرى Kol Nidrei » هو ـ فى الأساس ـ ابطال للنذور (اليهودية)، ويقصد به تحرير اليهودى من النذور الدينية التى نذرها ونسى الوفاء بها ، وكان عدد من علماء الشريعة غير سعداء

بشعيرة الغاء ما نذره اليهودى تلك ، بل ان رئيس اليهود الأرثوذكس الألمان فى القرن التاسع عشر وهو الرابى سمسون ر • هيرش Samson R. Hirsch حاول ـ دون جدوى ـ ابطال هذا الطقس فى مرحلة من مراحل توليه لمنصبه الدينى (٢٣) • وبرغم أن الاتهامات المتكررة التى يوجهها غير اليهود (الأغيار) لليهود ، والتى مؤداها انه لا يوثق فى قسم اليهودى لأنه يستطيع ـ ببساطة ـ أن يتخفف من عبء قسمه هذا بشعيرة ابطال النذر (كول ندرى Kol Nidrei) ـ نقول انه برغم أن هذه الاتهامات قائمة على عدم فهم للنذور أو العهود Vows المقصودة بهذا الابطال ، فان هذه الشعيرة (الطقس) قد سببت بؤسا شديدا لليهود على مر العصور ، وكانت مبررا لهؤلاء الرابيين الراغبين فى ابطال هذا الطقس (الشعيرة) •

لقد أحيت شعبية الكول ندرى (شعيرة ابطال النذور والعهود) التحذيرات الرابية حولها ، وظلت جزءا متمما لاحتفالات يوم كيبور (يوم الغفران) • والعباءة المسائية التى تعقب ذلك تشمل اعترافا عاما بالخطايا ، وترديد الترانيم التى تنطوى على عجز الانسان ، وفيض الله ورحمته •

وخلال اليوم التالى تقام صلوات طويلة فى المعبد لاتنتهى فعلا الا عند هبوط الليل ، عندما ينفخ فى البوق (الشوفار Shofar) لاعلان انتهاء الصيام • وتراعى بعض الجماعات اليهودية بحماس نغماتها التقليدية فى انشاد الابتهالات التى غالبا ما يؤديها الأعضاء الأكبر سنا باستمتاع بالغ ، لأنها تذكرهم بالأيام التى كان آباؤهم يصحبونهم فيها للمعبد وهم شباب • ومن بين الملامح الطقسية الأساسية فى يوم كيبور الصلاة ترحما على الأموات ، وتؤدى هذه الصلاة نفسها فى نهاية عيد المظلة (خيمة الهيكل النقال Tabernacles) وعيد الفصح وعيد الحصاد ، ويتم ايقاد شمعة تذكارية طويلة قبل الصيام احياء لذكرى الكاهن الأعظم أيام وجود الهيكل ، وأثناء ذلك يسجد الحضور عند ذكر الوالدين المتوفيين • وتروى باطناب تفاصيل الطقوس التى كان يجريها

الكاهن الأعظم أيام وجود الهيكل ، وأثناء ذلك يسجد الحضور عند ذكر وقائع بعينها تقليدا لما كان يجرى زمن وجود الهيكل : الحزن العميق لموت حكماء صهيون العشرة الذين استشهدوا خلال الاعدامات التى قام بها هدريان (اتريان) فى القرن الثانى للميلاد وفقا للمرويات اليهودية ، وقراءة سفر يونان Jonah خلال صلاة ما بعد الظهر لاستحضار فكرة ان الغفران ممكن بالنسبة لمن تابوا وأنابوا وتركوا طريق الشر . والأثر العام الذى يتركه يوم كيبور (عيد الغفران) بما فيه من تكثيف للعبادات والخشية من الله ، والصيام والملابس البيض والأنغام الوقورة وسجود المنشدين وامامهم والصلوات والابتهالات ، كل ذلك يعطى جوا روحيا عميقا ، وتطهريا خالصا . وبرغم أن فكرة الشريعة المقبولة هى أن يوم كيبور هو مجرد رجم للآثام والخطايا التى غفرت حقا ، فانه من الواضح ان يهودا كثيرين يتطهرون ويتجددون لمجرد التعبد طوال يوم كامل . حقيقة ، ان حياتهم فى العام المقبل قد تختلف عن حياتهم فى العام المنصرم ، لكن الاعتقاد فى ان الله قد غفر ما سلف يتيح لهم مستقبلا يتخففون فيه من عبء الذنوب (الماضية) .

عيد المظلة (*) (خيمة الهيكل النقال)

بعد عيد الغفران (Yom Kippur) بخمسة أيام يجرى الاحتفال بعيد المظلة (خيمة الهيكل النقال / سكوت Sukkut) . والسكوت هو سقيفة أو كوخ مسقوف بأفرع الأشجار ، تقام فى مكان مكشوف يقيم فيه اليهودى التقليدى طوال الأيام السبعة التالية . وفى الأزمنة القديمة ، كان السكوت Sukkot واحدا من أعياد الحج الثلاثة والاثنان الآخران هما عيد الفصح ، وعيد الحصاد ، والسكوت كعيدى الحج الآخرين ارتبط فى التوراة بالخروج من مصر :

(*) أو المظال ، وهى الكلمة المستخدمة فى الترجمة العربية للعهد القديم (المترجم) .

، ستسكن فى السقائف سبعة أيام .. لكى تعلم الأجيال القادمة اننى أسكنت بنى اسرائيل فى السقائف عندما أخرجتهم من مصر ، (٢٤) (*) .

ومع تدمير الهيكل الثانى ، وتشتت اليهود خارج فلسطين تشتتا على نطاق واسع ، أصبح ارتباط السكوت Sekkot بالحصاد ارتباطا ثانويا تماما . وحتى الآن .. لازال يوجد فى طقوس الأعياد المختلفة ما يربطها بالحصاد ، خاصة استخدام اربعة أصناف (من أغصان الأشجار) للتلويح بها معا فى عيد المظال (أو عيد المظله / السكوت) . ويقوم هذا الطقس على تفسير ما ورد فى الاصحاح ٢٣ ، كفقرة ٤٠ فى سفر اللاويين ، وهذه الأصناف الأربعة هى : سعف النخيل (اللولاف Lulav وأغصان أشجار غبياء (الآس العطرى) وأغصان أشجار الصفصاف البرى ، تجمع معا مع الأترج Etrog (نوع من الليمون الحامض) ، ويتم التلويح بها أثناء تلاوة مزامير هللويا (**) Hallel وهى المزامير رقم ١١٣ ـ ١١٨ ، فى المعبد . وهذا التوقيت الغريب للعيد من حيث وقوعه فى فصل الخريف ، بينما الخروج من مصر كان فى فصل الربيع ـ يفسره الرابيون باستمرارية الرسالة الدينية :

(*) النص فى سفر اللاويين / الاصحاح ٢٣ : « فى مظال تسكنون سبعة أيام كل الوطنيين فى اسرائيل يسكنون فى المظال ، لكى تعلم اجيالكم انى فى مظال اسكنت بنى اسرائيل لما أخرجتهم من ارض مصر » الفقرات ٤٢ ـ ٤٣ .

(**) ١ هللويا . سبحوا يا عبيد الرب . سبحوا اسم الرب . ٢ ليكن اسم الرب مباركا من الآن والى الأبد . ٣ من مشرق الشمس الى مغربها اسم الرب مسبح . ٤ الرب عال فوق كل الأمم . فوق السموات مجده . ٥ من مثل الرب الهنا الساكن فى الأعالى ٦ الناظر الأسافل فى السموات وفى الأرض ٧ المقيم المسكين من التراب . الرافع البائس من المزبلة ٨ ليجلسه مع أشراف شعبه . ٩ المسكن العاقر فى بيت ام أولاد فرحانة . هللويا . هللويا .

المزمور المئة والرابع عشر

١ عند خروج اسرائيل من مصر وبيت يعقوب من شعب أعجم ٢ كان يهوذا مقدسه واسرائيل محل سلطانه . ٣ البحر رآه فهرب . الأردن رجع الى خلف . ٤ الجبال قفزت مثل الكباش والآكام مثل حملان الغنم . ٥ مالك أيها البحر قد هربت ومالك أيها الأردن قد رجعت الى خلف ٦ وما لكن أيتها الجبال قد قفزتن مثل الكباش وأيتها التلال مثل =

« ترتبط الوصية بالسكوت (عيد المظلة او المظال) فى الكتاب المقدس اليهودى بالخروج من مصر .. لأن .. هذا الخروج يعلم حقيقة وجود الخالق الذى خلق كل شىء وفقا لمشيئته .. والمظال التى يشير اليها الكتاب المقدس اليهودى الى ان الله قد جعلنا (بنى اسرائيل) نسكن فيها ، هى سحب جلاله وعظمته التى أحاطهم (بنى اسرائيل) بها حتى لا تسفعهم الرياح الحارة والشمس المحرقة .. فبرغم خروجنا من مصر فى شهر نيسان ، فان الله لم يأمرنا بصنع مظال فى ذلك الوقت لأن هذه الأيام كانت هى بداية الصيف ، وجرت العادة ان يقيم كل شخص لنفسه ظلة يستظل بها ، ومن هنا فان اقامتنا للمظال فى هذا الوقت قد لاتبدو وصية من وصايا الله ، لهذا فان الله أمرنا باقامة هذه المظال فى .. الفصل المطير .. لقد كان علينا أن نترك منازلنا لنقيم فى المظال وسيكون هذا واضحا للجميع على انه امر من الملك » (٢٥) .

من الواضح أن هناك عدة طبقات من المعانى كامنة فى عيد المظال (السكوت) ، يشكل الخروج من مصر واحدا منها ، والارتباط بمحصول الخريف هو احد الملامح المرتبطة بتوقيته . ويعد طقس (شعيرة) سحب

= حملان الغنم . ٧ ايتها الارض تزلزلى من قدام الرب من قدام اله يعقوب ٨ المحول الصخرة الى غدران ومياه الصوان الى ينابيع مياه».

المزمور المئة والخامس عشر

١ عند خروج اسرائيل من مصر وبيت يعقوب من شعب اعجم ٢ كان يهوذا مقدسه امالتك . ٢ لماذا تقول الامم اين هو الههم . ٣ ان الهنا فى السماء . كلما شاء صنع . ٤ أصنامهم فضة وذهب عمل أيدى الناس . ٥ لها افواه ولا تتكلم . لها اعين ولا تبصر . ٦ لها آذان ولا تسمع . لها مناخر ولا تشم . ٧ لها أيد ولا تلمس . لها ارجل ولا تمشى ولا تنطق بحناجرها . ٨ مثلها يكون صانعوها بل كل من يتكل عليها .

٩ يا اسرائيل اتكل على الرب . هو معينهم ومجنهم . ١٠ يا بيت هرون اتكلوا على الرب . هو معينهم ومجنهم . ١١ يا متقى الرب اتكلوا على الرب . هو معينهم ومجنهم . ١٢ الرب قد ذكرنا فيبارك . يبارك بيت اسرائيل يبارك بيت هارون . ١٣ يبارك متقى الرب الصغار مع الكبار . ١٤ ليزد الرب عليكم . عليكم وعلى ابنائكم . ١٥ انتم مباركون للرب الصانع السموات والأرض . ١٦ السموات سموات للرب . اما الأرض فاعطاها لبنى آدم . ١٧ ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر الى ارض السكوت . ١٨ اما نحن فنبارك الرب من الآن والى آخر الدهر . هللويا » .

الماء الذى كان يمارسه الفريسيون على أيام الهيكل بعد اليوم الأول من السكوت (عيد المظال) - ملمحا خاصا للطبيعة الزراعية لهذا العيد . وكان الصدوقيون يعتبرون هذا الطقس غير توراتى ، والميشناه تذكر كيف ان جموع الحجاج كانوا يقذفون الكاهن الصدوقى - الذى كان يريق الماء على الأرض بدلا من سكبه على المذبح - بما فى أيديهم من فاكهة الأترج etrog . والكتابات التلمودية تصف الفرحة الغامرة المصاحبة لمهرجانات سحب الماء ، والرقص والموسيقا والأغانى قائلة : « ان الذى لم يشهد فرحة موضع سحب الماء لم يشهد الفرح الحقيقى » فالمشاركون فى هذا الطقس ، بمن فيهم الزعماء الفريسيون البارزون ، كانوا يقولون انهم يسحبون الروح القدس Holy Spirit ، لقد كان هذا الطقس يتم بحماسة وتوهج (٢٧) . واحتفالات سحب الماء هذه لازالت حتى اليوم تجرى بين اليهود الأرثوذكس (الأصوليين) مصحوبة بالغناء والرقص ، اللذين يستمران حتى وقت متأخر من الليل . لقد كانت هناك ، اذن ، محاولة لاستعادة روح الحيوية والمرح كما كانت فى الطقس (الشعيرة) القديم . ويظهر الماء والارتباط بالزراعة أكثر وضوحا فى الممارسات المعاصرة فى الصلوات الخاصة من أجل نزول المطر فى اليوم الثامن من عيد المظال (السكوت Sekkot) . وهذا اليوم (يومان بالنسبة ليهود الشتات) يعد عيدا منفصلا يعرف باسم شيمينى أتزيريت Shemini Atzeret ، لكنه مرتبط بنهاية عيد المظال (Sukkot) .

وبشكل عام ، يعد عيد المظال (السكوت) أكثر الأعياد بهجة فى العام اليهودى ، ووصف فى كتب الشعائر بانه وقت « فرحنا » . والشيمينى أتزيريت هو ذروة الفرح والبهجة ، اذ يعبر عنه فى القداسات المحيطة باكتمال دورة العام التوراتى ، وهذه القداسات تعرف باسم سيمحات توراه Simchat Torah « أفراح التوراة » ، وتجرى فى اسرائيل فى اليوم الثامن للسكوت (عيد المظال) ، ويجريها يهود الشتات فى اليوم التاسع منه . ويتم انتخاب عضوين من المتجمعين لاكمال قراءة التوراة (أسفار موسى الخمسة) ، ثم يبدآن قراءتها من

جديد مبتدئين بالاصحاح الاول من سفر التكوين على التوالى . ويمتلىء المعبد بالمتعبدين الراقصين الذين يحملون لفائف التوراة فى موكب سعيد يصحبهم الأطفال ، وهم يغنون ويلوحون بالاعلام . ويقود حشد المحتفلين عادة اثنان منهم (الآنف انتخابهما) ، ويتناول المحتفلون قدرا كبيرا من الكحول لتاكيد جو المرح . وفى هذه المناسبة يظهر اليهود خارج المعبد الأرثوذكسى بمظهر غريب حقا ، وفوضوى ، وقد ذكر صاموئيل بيبز Samuel Pepys ، الـذى حضر مهرجـان أفـراح التـوراة Simchat Torah فى لنـدن فى ١٤ أكتـوبر سـنة ١٦٦٣ فى يومياته :

« لكن الله برؤيته لهذه الفوضى والضحك واللعب وعدم المراعاة وانما اضطراب فى كل العبادات ، مما يجعلهم أقرب للبهائم منهم لبشر يعرفون الله الحق ، قد يتفضل على المرء بألا يراهم مرة أخرى ، والحق أننى لم أر أبدا كهذا ، ولم أستطع أن أتصور وجود مثل هذا السخف فى أى دين فى العالم » .

وثمة يوم آخر فى مهرجان السكوت (عيد المظال) يتفرد بالطقوس المرتبطة به . انه اليوم السابع من المهرجان المعروف باسم هوشانا رابا Hoshana Rabba ، وهـو رسـميا ليس يوم مهرجـان (عيـد) Yom Tov أو مناسبة للتوقف عن الأعمال الدنيوية ، لكنه يتسم بعدد من الطقوس (الشعائر) المهمة . ففيه تتلى ابتهالات الهوشانا (بالانجليزية hosanna) حول المعبد ، ويحمل المجتمعون أثناءها أفرع الأشجار وثمار الأترج الآنف ذكرها (الكلمة هوشانا تعنى التهليل أو هتاف المجد لله) ، وتهدف هذه الابتهالات الى طلب الخلاص من الله وبعدها يقوم كل يهودى بتناول فرع من فروع الصفصاف ويظل يضربها حتى تتساقط كل أوراقها أو معظمها . ويعود هذا الطقس الى أيام طقوس الهيكل (٢٨) . وينظر للهوشانا رابا كنهاية فترة الحكم الالهى التى تبدأ من العام الجديد (تقدير الله المقادير للعام القادم) . والاعتقاد الشعبى

اليهودى أنه اذا لم يتخلص اليهود من الظلة Shadow فى مساء يوم الهوشانا رابا ، فلن يعيش بعد العام . وثمة عادة كانت تجرى فى العصور الوسطى اعادت تاكيدها أفكار القبالة اللاحقة ، وهو القيام طوال الليل لقراءة نصوص دينية خاصة بهذه المناسبة ، ويفسر هذا باعتباره آخر عمل من أعمال التوبة لايقاظ قلب المرء للتشوفاه teshuvah (ومعناها العودة الى الله) .

واستمرار كل شعائر السكوت (عيد المظال) بكل التفاصـيل كما وضعتها الشريعة (الهالاخاه) ، سبب مشاكل كبيرة لليهود الذين يعيشون بعيدا عن موطن هذه الممارسات ، فالأتـرج (تلك الفاكهـة الحمضية) بالنسبة لليهود قاطنى أوروبا يصعب الحصول عليه ، وان تم الحصول عليه كان ثمنه باهظا ، والجماعة اليهودية كلهـا لاتستطيع الحصول الا على مجموعة واحـدة من أفرع الأشجار اللازمة لأداء هذا الطقس ، بينما يقتضى الأمر أن يكون لدى كل يهودى مجموعة ، وقد تم تجاوز هذه الصعوبة بالنسبة لجموع اليهود الذين عادوا الى اسرائيل بشكل كثر أم قل ، وتم ايجاد مزارع كاملة للأترج etrog لامداد يهود الشتات به ، ويهود المدن ــ خاصة أولئك الذين يسكنون فى شقق عالية فى العمارات ، يجدون دائما صعوبة فى بناء مظال منفتحة على السماء وقريبة منهم ليقطنوها وياكلوا بها ويناموا . وفى اسرائيل وكذلك عند بعض جماعات يهود الشتات ، تم تجاوز هذه الصعوبة بتصميم شرفات (بلكونات) ليس فوقهـا شرفات أخرى حتى لاتحجب الظلة العلوية السماء عن الظلة السفلية ، وبذا يمكن اقامة ظلة فيهـا وفقا لشروط الشريعة . أما بالنسبة لليهود الاصلاحيين Reform Jews ، فلم تجر العادة بينهم أن يقيم كل واحد لنفسـه مظلة (الجمع مظـال) ، وانما تقام السكة Sukkah (المظلة) فى المعبد الخاص بهم ليشغلها المتعبدون عند قدومهم للاحتفاء بهذا العيد فى المعبد .

الفصل الحادى عشر

العام اليهودى من خلال الطقوس :
من الشانوكاه (الحانوكاه) الى شهر آب (AV)

الشانوكاه (الحانوكاه)

بعد عيد المظال (السكوت Sukkot) بحوالى شهرين فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر العبرى كيسلو Kislev ، يبدأ الاحتفال بالحانوكاه (الشانوكاه) الذى يستمر ثمانية أيام . والحانوكاه هو عيد النور اليهودى ذو الاصول غير التوراتيـة ، احياء لذكرى قصـة المعجزة المرتبطة بانتصار المكابيين على الحكام السلوقيين فى فلسطين ، فى حوالى سنة ١٦٥ قبل الميلاد . ووفقا لما ورد بالتلمود ، فان المكابيين Hosmoneans عنـدما كـانوا يعيـدون تكريس الهيـكل لم يكونوا يستخدمون سـوى جرة زيت صـغيرة كانت تحتوى على ختم Seal رئيس الكهنة ، لأنها – باحتوائها على ذلك الختم – تكون طاهرة (غير نجسة) . وهذه الكمية الضئيلة من الزيت لابد أن تبـقى ليوم على الاكثر ، لكنها – فعليا – تحرق فى ثمانيـة أيام تعتبر كافية لتجهيز زيت آخر نقى (طاهر) . وفى العام التالى ، يتم الاعلان عن هذه الأيام الثمانية كأيام عيد (١) festive days ، وثمة رواية أخرى مختلفة لهذه القصة نجدها لدى المكابيين فى القرنين الأول والثانى ، حيث يفسر هذا العيد – ببساطة – على أنه اعادة لتكريس الهيكل أو اشارة الى

احتفالات سليمان التى استغرقت ثمانية أيام بمناسبة اكمال الهيكل . وتربط رواية المكابيين أيضـا أيام الاحتفال الثمانية بأيام السكوت Sukkot (عيد المظال) ، التى كان الجنود المكابيون فيها منشغلين غير قادرين على الاحتفال . وتربط المصادر المدراشية تاريخ الحانوكاه باقامة موسى المظال فى البرية . ذلك التاريخ لابد أن يكون هو اليوم الخامس والعشرين من شهر كسلو Kislev ،لكنه أجل . وعلى هذا ، فالله جل جلاله رتب الأمـور بحيث يعيـد المكابيون Hosmoneans اعادة تكريس الهيكل فى هذا التاريخ (٢) . وقبلت اليهودية التقليدية وجهة النظر التلمودية عن أصل الحانوكاه ومعناها ، ومن هنا كان من المنطقى أن يكون تفسيرا لعادة ايقاد الشموع طوال ثمانية أيام . وعلى أية حال ، فلم يظهر ذلك كموضوع فى الابتهالات الخاصة بالحانوكاه والمعروفة باسم الهاـنسيم Ha-Nissim التى تضـاف لليتورجيـة (الطقوس العبادية) ، والتى لا تعنى سوى النصر واعادة تكريس الهيكل وضرورة شكر الله .

وباللغة الطقسية اليهودية ، فان هذا لا يعنى الاحتفـاء بالنصر العسكرى الذى حققـه المكابيون ، ولا حتى اعادة تكريس المعبـد ، بل الأقرب أنه احتفاء بالمعجزة الالهية المتمثلة فى استمرار قدر قليل من الزيت فى جرة صغيرة فى الاشـتعال طوال هذه المدة الطويلة ، مما يؤكد وجود قيمة دينية . والملمح الطقسى البارز فى الحانوكاه هو ايقاد الشموع ، شمعة فى اليوم الأول ، وشمعتين فى اليوم الثانى .. الخ وثمانى شمعات فى اليوم الثامن ، ويعقب ذلك انشاد ترنيمة دينية (ماؤز تسور Maoz Tzur) . وقد أعطى هذا الشـكل الفنى الطقسى طابعه كله متمثلا فى الشمعدان ذى الثمانى شعب المعروف باسم المينوراه (المنارة menorah) ، والذى يعرف فى اسرائيل اليوم باسم حانوكية Chankiyah . وبرغم ان شموعا ملونة خاصة تستخدم عادة فى هذه المناسبة ، فان اليهود الأتقياء يعمدون الى استخدام زيت زيتون وفتائل ، لأن قصة المعجزة تشير الى جرة زيت زيتون . ولابد

من ايقاد أضواء الحانوكاه فى مدخل أو نافذة حتى يراه المارون الجميع بالمعجزة . والحانوكاه ليس عيدا بالمعنى الحقيقى ، اذ لا تحظر فيه مباشرة الأعمال الدنيوية ، ولا يتم فيه كدوش Kiddush (تبريكات على النبيذ) . والحقيقة ، انه لا توجد فيه وجبات دينية موصى بها شرعا ، برغم وجود عادات غذائية فى هذه المناسبة اعتمدها الناس ، وترسخت بمرور الوقت : كتناول فطائر الجبن والكعك المحلى الذى يدخل الدهن فى صناعته . ويحصل الأطفال على هدايا مالية ويشجعهم أهلوهم على اللعب بدوارات على جوانبها حروف عبرية (خذاريف (*) أو دبابير خشبية أو معدنية) ، أما الكبار فقد اعتادوا لعب الورق فى هذا العيد ، مع أن هذا يغضب — على نحو ما — علماء الشريعة . وفى اسرائيـــل الحالية ، نجد أن الثورة البطولية للمكابيين الذين أعـــادوا استقلالهم عن الحكم الأجنبى يمكن ببساطة ان تكون متفقة مع أفكار العلمانيين الاسرائيليين ، ومن ثم جرى التركيز على هذا المفهوم أكثر من التركيز على المعجزة الالهية . ولهذا السبب ، فان ايقـاد أضـواء الحانوكاه أصبح شائعا على سواء بين القطاعات المتدينة وغير المتدينة فى اسرائيل . وبرغم أن الحانوكاه تقع فى وقت غير بعيد عن الانقلاب الشمسى الشتائى ، فلم تظهر محاولة عامة لربطها بفكرة النور والظلمة فى الطبيعة . الا أن أحـــد اللاهوتيين اليهود هو الرابى يهوذا لوب Juddah Loeb (من براغ) أحدث هذا الربط فى القرن السادس عشر ، وكان هو الوحيد الذى عقد هذا الربط بين الحانوكاه وفـكرة النـور والظلمة فى الطبيعة :

« يجب ان تعلم أنه من الملائم أن تكون الحانوكاه فى اليوم ٢٥ من شهر كسلو (كسلف Kislev) ، ففيه ينطلق النور للعالم . ففى الشهور الثلاثة السابقة عليه ، يتناقص نور الشمس تدريجيا . وبدءا من الحانوكاه يبدأ النور فى الانتشار » .

(★) المفرد خذروف بضم الخاء وتسكين الذال . (المترجم) .

بين الحانوكاه (شانوكاه) والبوريم (المساخر)

بعد اسبوع تقريبا من الحانوكاه يكون يوم صيام كامل يعرف باسم عسرة بى — طيت Asarah be-Tevet ، والعبارة تعنى العاشر من شهر طيبت Tevet والذى يحيى ذكرى بدء حصار نبوخذ نصر للقدس . وما دام شهر طيبت Tevet هو الشهر العاشر اذا بدأنا من شهر نيسان وهو شهر خروج اليهود من مصر ، فان التلمود يفهم هذا على انه صـــوم الشهر العاشر الوارد فى سفر زكريا (*) Zechariah (١٩/٨) . ومثل مناسبات الصيام الصغرى ، يستمر هذا الصيام فقط من الفجر حتى هبوط الليل ، لكنه يتفرد بأمر واحد . ان حدث وكان يوم جمعة فلا يتغير تاريخ الصيام ، برغم أن العادة جرت على منع صيام اليوم الســابق على السبت ، لأن حزقيال Ezekiel يقول عن اليوم الذى حاصر فيه ملك بابل القدس : « اكتب اسم اليوم حتى لو كان هو اليوم نفسه » . وهذا يعنى ان هذا اليوم لا يجب تقديمه أو تأخيره ، وانما تحيا ذكراه فى التاريخ الصحيح (٤) (**) .

وفى الشهر التـالى يجرى الاحتفـال بعـام الأشجار الجديـد New Year for Trees ، فى ١٥ شباط (شفات Shevat) ويمنع فيه الصيام وتحذف ابتهالات التوبة من طقوسه الدينية (الليتورجية) ، وجرت العادة على تناول الفاكهة فى هذا اليوم ، خاصة تلك المرتبطة بأرض اسرائيل فى التوراة : العنب والتين والرمان والتمور والزيتون . وفى اسرائيل اليوم ، أصبح التو بى — شـباط — Tu bi-Shevat (وهو الاســم الذى يعرف به هذا العيد اليوم) وقتـا لاقامة طقوس زراعة الأشجار ويشارك تلاميـذ المدارس فيه فى البـلاد كلها . وهذا التو بى — شباط — Tu bi Shevat عيد مهم أيضا لليهود المتدينين فى

(★) هكذا قال رب الجنود ، ان صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر يكون لبيت يهوذا ابتهاجا وفرحا وأعيادا طيبة فأحبوا الحق والسلام » .

(★★) النص فى حزقيال (٢/٢٤) يا ابن آدم اكتب لنفسك اسم اليوم ، هذا اليوم بعينه فان ملك بابل قد اقترب الى أورشليم هذا اليوم بعينه ... » . (المترجم) .

اسرائيل ، لأن الفاكهة التى تثمرها الأشجار بعد هذا التاريخ تعد من فاكهة العام الجديد ، ومنها تدفع العشور (*) وتنطبق عليها الشعائر (الطقوس) الأخرى المتعلقة بالزراعة .

البوريم (عيد المساخر) (**) وشهر آذار Adar :

يقع عيد البوريم (المساخر) فى الرابع عشر من شهر آذار وهو اكثر الشهور بهجة فى العام اليهودى ، فكما ورد فى التلمود اذا أتى آذار لابد أن يبتهج المرء ابتهاجا كبيرا » (٥) ، ففى السابع من آذار ولد موسى وفى التاريخ نفسه مات وفقا للروايات اليهودية (٦) . وجرت العادة بين أعضاء جماعة الدفن اليهودية Jewish burial Society (الشيفرا كاديشا Chevra Kaddisha) أن يصوموا خلال نهار هذا اليوم ، ويفطروا بالليل بوجبة ذات طابع شعائرى (طقسى) ، ولانه وفقا للتفسير اليهودى للروايات التوراتية لموت موسى ، فان الله نفسه هو الذى دفنه ، وان أحدا ما لا يعرف موضع دفنه ، وفقا لما ورد فى سفر التثنية (***) (٦/٣٤) ، فقد أصبح من المعتاد فى هذا اليوم تذكر أولئك الجنود الذين لا يدرى احد مواضع دفنهم . ويحتفى بعيد البوريم (المساخر) فى معظم الأماكن فى ١٤ آذار ، لكن فى المدن التى تعود الى زمن يشوع Jashua والتى تذكر الروايات أنها كانت مسورة فى تلك الفترة ، يجرى الاحتفاء بهذا العيد فى ١٥ آذار . وسبب هذا وفقا لسفر استير (١٨/٩) هو ان يهود شوشن Shushan – العاصمة الفارسية – كانوا يحتفلون فى ١٥ آذار ، وحتى لا تشوه سمعة مدن اسرائيل القديمة فعل سكانها مثلهم . اما تفسير التاريخ المتقدم لمدن عصر يشوع المسوره ، فهو انه فى زمن الأسر البابلى – وهو الزمن الذى وضعت فيه حكاية البوريم – كانت مدن اسرائيل فى حالة دمار .

(★) زكاة الزروع . (المترجم) .

(★★) الاسم الشائع لدى عرب فلسطين . (المترجم) .

(★★★) « ودفنه فى الجواء فى ارض مواب مقابل فغور ، ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم » . (المترجم) .

واليوم السابق على البوريم (عيد المساخر) هو يوم صوم ويعرف باسم « صوم استير Taanit Ester » ، ويراعى هذا الصوم فى ١٣ آذار احياء لذكرى صوم استير ، واليهود لمدة ثلاثة أيام قبل زيارتها للملك (١٥/٤) ، وهذا الصوم الخاص لم يرد ذكره فى التلمود . والبوريم (عيد المساخر) – مثل الحانوكاه – ليس عيدا أصيلا ، أو بتعبير آخر ليس يوم توف Yom Tov (ليس عيدا تحرم فيه معظم الأعمال الدنيوية) . فالعمل مسموح به فيه برغم انه غير مستحب بشكل عام (٨) . والملامح الرئيسية لهذا اليوم هى قراءة المجلاه Megillah (وهو مصطلح يطلق على لفافة مكتوبة بخط اليد تضم سفر استير) مرة فى المساء ومرة أثناء النهار ، وتضمين الطقوس الدينية ابتهالات خاصة بهذا العيد ، وتقديم الصدقات للمحتاجين وارسال الهدايا من الطعام للأصدقاء والجيران ، ولابد من تناول وجبة ذات طابع طقسى (شعائرى) فى فترة ما بعد الظهر ، ويلقى اليهود فى هذا اليوم تشجيعا لشرب الكحول حتى لا يميزوا بين مردخاى المبارك Mordecai (بطل قصة البوريم) وهامان Haman النذل . وبعض المصادر الشرعية لا تفسر هذه الدعوة للسكر تفسيرا حرفيا ، وتشير الى أنه يكفى أن يشرب المرء قدرا قليلا من الكحوليات اكثر من المعتاد ثم ينام ، وبالتالى فانه لا يستطيع أن يميز بين البطل والنذل (٩) . واليهودية التى عادة ما تركز بوقار على طقوسها ، لابد ان تركز على ضرورة أن يشرب المرء حتى يفقد التمييز ، وقد تعرض التراث الشرعى والقبالى لهذا الأمر بالتفصيل . ويرى البعض فى استخدام الكحول رمزا لخلاص اليهود فى قصة البوريم ، كما تظهر فى ولائم الشرب التى كان يحضرها الملك الفارسى . ويركز آخرون على البعد الأقرب للصوفية أو المنحى الباطنى بمعنى التسامى على كل ما فى العالم من خير وشر (مردخاى رمز الخير ، وهامان رمز الشر) ، الى درجة يلتحم فيها العنصران (الالتحام بين النقائض) .

وحول هذه المتطلبات الشرعية (الهالاخاوية) ، ظهرت سلسلة من العادات أعطت للبوريم (عيد المساخر) جو اللهو والمسخرة ؛ اذ يلبس

اليهود فى هذا العيد أقنعة وأزياء مختلفة وغالبا ما يرتدى الرجال أزياء نسائية والعكس بالعكس ، برغم ان العادة جرت على تحريم هذا التصرف . وينتقل الأطفال من بيت الى بيت ؛ مرتدين ملابس خاصة ويقومون بتمثيل تمثيليات عادة ما تكون مستقاة من قصة استير تعرف باسم بوريم سبيل Purim Spiel ويجمعون الأموال للصدقة . والطلبة يسخرون من معلميهم ويقدمون تفسيرات مضحكة للتعاليم اليهودية . وعند ورود ذكر هامان أثناء قراءة المجلاة Megillah (لفافة سفر استير المكتوبة بخط اليد) ، يخبط المجتمعون بايديهم وارجلهم ، ويصدرون أصوات ازدراء ويحدثون جلبة حتى لا يسمع لاسمه ذكر . وتوضع كعكات ، الواحدة منها بثلاث زوايا وقد ملئت ببذور الأفيون، وتسمى شعبيا أذنى هامان، وعادة ما يتم أكلها (تسمى باللغة اليدية هامانتاشين hamantaschen) ، وعيد البوريم هذا هو أكثر الاعياد بعدا عن الدين ، اذ لا يشار الى ذكر الله بشكل مباشر فى سفر استير ، وهو ايضا عيد ذو طابع شعبى جدا ويتم الاحتفال به فى اسرائيل المعاصرة كوقت للهو على المستوى الوطنى ، وتتحرك فيه العربات فى مواكب خلال شوارع تل أبيب . وفى السنة اليهودية الكبيسة ، يقحم شهر بعد آذار يعرف باسم آذار شينى Adar Sheni (اى آذار الثانى) ، وفى حالة اضافة هذا الشهر يعتبر كانه شهر آذار الأصلى ، وتجرى احتفالات البوريم خلاله .

عيد الفصح (*)

قصة خروج اليهود من مصر ، وما أعقب ذلك من تجل على جبل سيناء ، وتجول بنى اسرائيل فى البرية قبل أن يدخلوا ارض الميعاد ، كل هذا من الموضوعات الأولية فى الوعى الدينى اليهودى . فكل نفى أو خروج يعتبره اليهود امتدادا لتجربة خروجهم من مصر . وعيد الفصح المعروف باسم بيساح Pesach هو عيد الخروج بغير منازع برغم انه

(*) او الفسح او عيد بيساح ، وكلمة الفسح تعنى الفرج بعد الضيق ، وتعنى ايضا العبور او المرور ، او عيد الربيع عند اليهود . (المترجم) .

ايضا عيد زراعى مرتبط بمحصول الشعير . ويستمر بيساح سبعة أيام فى اسرائيل وثمانية أيام لدى يهود الشتات ، واليوم الأول فى هذه الفترة وكذلك اليوم الأخير يعدان مناسبة طقسية دينية تحرم فيهما الأعمال الدنيوية (يوم توب Yom Tov) بالنسبة ليهود اسرائيل ، واليومان الأولان واليومان الأخيران ، بالنسبة ليهود الشتات . أما الأيام الأخرى ، فهى كالأيام الوسطى فى السكوت (عيد المظال) أيام عيد Chol ha-moed وان كان يسمح فيها بممارسة الأعمال الدنيوية مع تضييق مجالها . واليوم السابق على البيساح (عيد الفصح) والذى يبدأ فى ١٥ نيسان هو يوم صيام لمن كان بكرا first-born males ، وان كان البكر صغيرا لا يصوم صام عنه أبوه حتى يبلغ النضج . بل وتوجد وجهة نظر شرعية مؤداها أن البكر من الاناث يجب ان تصوم هذا اليوم ايضا ، برغم أن الاتفاق لم ينعقد على ذلك (١٠) . والتعليل الأكثر شيوعا لهذا الصيام فى التراث اليهودى هو أن أولاد اليهود الأبكار قد أنقذهم الله ، بينما دمر الطاعون العاشر أبناء المصريين البكور . وعلى أية حال ، فان هذا الصيام لا يتم من الناحية العملية ، وبدلا منه يتم ترتيب وليمة للاحتفاء باكتمال التلمود ، وتحل هذه الوجبة الطقسية محل الصيام .

واكثر الملامح وضوحا فى عيد الفصح (بيساح) هو تحريم تناول اى شكل من أشكال الخبز المصنوع من عجينة مختمرة ، بل وتحريم اقتنائه ، ويطلق على الخبز المختمر المحرم اسم شاميتز Chametz ولا يشمل هذا المنع الخبز المألوف فحسب وانما ايضا اية عجائن من دقيق وماء ، الا اذا جرى صنعها فى ظل شروط صارمة لضمان عدم وجود خميرة بها . فلابد أن يكون الخبز المستهلك فى هذا العيد بدون خميرة ويعرف باسم ماتساه matzah ، وهو مصنوع من دقيق يتم الاحتفاظ به جافا ويخلط بالماء ويخبز فى خلال ثمانى عشرة دقيقة من خلطه بالماء . ويصنع هذا الخبز باستخدام الآلات أو باليد ، وبعض اليهود المتشددين لا يصنعونه الا يدويا ويكون على شكل رقاق مربع او بيضوى ، ولابد من استخدام أدوات مطبخ خاصة ومواعين خاصة وسكاكين خاصة لصنعه ،

حتى لا تنتقل الخميرة اليه اذا جرى استخدام الأدوات المألوفة طوال العام · لذا ، فاليهود الأرثوذكس لدى الواحد منهم فى الغالب ادوات مطبخ خاصة ومائدة خاصة لا تستخدم الا فى الفصح (بيساح Pesach) برغم أن بعض الأدوات التى تستخدم طوال العام قد تستخدم ايضا فى أيام الفصح ، بنقعها فى الماء أو غليها فيه أو تعريضها للنار حتى تصير حمراء ، وتعرف هذه العملية بتحليل استخدام هذه الأدوات Kashering (من الكلمة العبرية كاشر Kasher) · ومادامت كل أنواع الخميرة لابد من ابعادها قبل الفصح ؛ فان اجراءات موسعة « لتطهير الربيع » يتم اتخاذها فى الأسابيع السابقة عليه · ففى يوم السبت السابق على عيد الفصح والمعروف باسم « شابات ها ـ جادول Shabbat Ha-Gadol ، يلقى الرابى عظة يذكر فيها اليهود بجوانب طقوس الفصح · ولكل جماعة يهودية محرماتها التى تفرضها فى الفصح ، فاليهود الأشكيناز ـ على سبيل المثال ـ لا يأكلون البقول والحمص والأرز · لهذا ؛ فان الخبز المختمر لا ينبغى القاؤه ببساطة وانما يمكن جمعه وبيعه لغير اليهود لشرائه مرة أخرى بعد الفصح ، ولابد أن يتم ذلك من خلال وثيقة بيع صحيحة وعادة ما يكون الرابى هو ممثل الجماعة اليهودية فى عملية البيع · واذا ترك الخبز المختمر ، ولم يتم بيعه جرى التفتيش عنه فى المساء السابق على الفصح ليتم احراقه ؛ حتى لا يستخدم فى الصباح التالى ·

وليلة الفصح الأولى ـ أو الليلتان الأوليان عند يهود الشتات ـ هى أهم ليالى العيد وتعرف بليلة السدر Seder ، ففى هذه الليلة يتناول اليهود وجبة خاصة ذات طابع شعائرى ، وغالبا ما يتناولونها مع افراد العـائلة (الأسرة والأقرباء) ؛ اذ يجتمع على المائدة الجدان والأعمام والخالات وأبناء العمات وأبناء الخالات ؛ بالاضافة للضيوف المدعوين · وهذه الوجبة ذات الطابع الشعائرى ، تعد محاكاة للتجمع العائلى الذى كان يتم أيام وجود الهيكل لتناول حمل عيد الفصح المضحى به · واليهود على مختلف مستويات التزامهم الدينى ، يراعون طقوس السدر (الليلة الأولى

من الفصح ، أو الليلتين الأوليين بالنسبة ليهود الشتات) ، برغم أن بعضهم يجعل هذه الطقوس فى أضيق الحدود ويجعلون المساء فترة تجتمع فيها الأسرة معا · وفى ليلة السدر التقليدية ، تروى قصة الخروج من نص جرى اعداده سلفا أو من الهجاده Haggadah · ويزود كثير من هذه النصوص برسوم توضيحية دقيقة مع ترجمات الى اللهجات الدارجة ، وفى العصر الحديث أضيفت اليها رواية معدلة من القصة لتتفق مع لاهوت اليهودية الاصلاحية ، أو الأيديولوجية العلمانية التى أخذ بها اشتراكيو الكيبوتس Kibbutz الاسرائيليون · ولأن موضوع الهجادة هو التحرر من العبودية ، فقد تعرض للمواءمة والتعديل وأعاد اليهـود الأمريكيون الراديكاليون كتابته من وجهة نظر سياسية ليجعلوا منه اعلانا للحقوق المدنية ولحركات التحرر فى العالم الثالث · وتقوم الهجادة على النسق الأساسى الوارد فى الميشناه (١١) ؛ لكنه طور ليضم أشعارا وأغانى يجرى انشادها بأنغام مثيرة تجذب أطفال الدار ·

والطقوس الرئيسية المصـاحبة لتلاوة الهجادة هى : شرب أربع كؤوس من النبيذ احياء لذكرى تعبيرات الخلاص الأربعة الواردة فى سفر الخروج (٦/٦ ـ ٧) ، فالكأس الأولى يتم تناولهـا لكدوش العيـد festival Kiddush

يجلس الذكور حول المائدة وقد مالوا جميعا ميلا خفيفا نحو اليسار ، وفى هذا اشارة الى أنهم أحرار وفقا للدلالة القديمة · وتناول الخضراوات المنقوعة في الماء المالح ، ويتقدم أحد الأطفال الحاضرين ليوجه عدة أسئلة معدة سلفا عن طقوس المسـاء فيجيب عنها رب الدار ، انشاد مزامير هللويا (*) Hallel ، تنـاول حد أدنى محدد من الخبز غير المختمر matzah ، تناول أعشاب مرة ، عادة ما تكون الجرجير والخس ، وترتب المائدة التى توضع عليها الأطباق المختلفة ذوات الطابع الطقسى بما فى

(*) المزمور ١١٣ وما بعده (سفر المزامير) · اوردناه فى حاشية سـابقة · (المترجم) ·

ذلك عظمة ساق الحمل المحترقة رمزا لحمل الفصح ، وبيضة رمزا لأضحية الفصح ، ولا يؤكل أى منهما فى المساء . وبعد الانتهاء من تناول الوجبة ، وقبل تلاوة الجزء الختامى من الهجادة ، يتناول اليهود المجتمعون حول المائدة آخر قطعة من الخبز غير المختمر matzab ، ويعرف هذا باسم افيكومان Afikoman وهـذه الكلمة يونانيـة وتعنى عقبـة dessert (ختمة) ما بعد الوجبة ، ويكون تناولها مصحوبا بفرحة ذات طابع احتفالى . ولأن قطعة الخبز غير المختمر matzah هى آخر ما يتم تناوله ولا « ختمة » بعدها ، فقد اطلق على هذا الطقس الأخير فى الوجبة اسم الماتساه (*) matzah . وكانت هذه القطعة من الخبز غير المختمر قد

(★) ارتبط فطير الفصـح فى كل الكتابات العربية عن اليهودية وبعض الكتابات الغربية أيضا بتهمة الدم ، ومفادها اضافة اليهود لفطير الفصح أو خبزه شيئا من دم الأغيار ، ولعل هذا الطقس قد توقف لأسباب صحية على الأقل ، لكننا نورد هنا فقرات كتبها باحث مسيحى عن هذا الأمر الوارد فى كثير من المراجع العربية والافرنجية ، الكتاب بعنوان : اليهودية العالمية وحربها على المسيحية ، تأليف ايليا أبو الروس . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٩٣ (ص ص ٤٦ ـ ٤٩ ..) .

« ...... ان الاعتقاد الدينى السائد لدى اليهود تبعا لنصوص التلمود أنهم اذا لم يضعوا دم المسيحى فى خبز الفطير ، فى عيد الفصح ، فان الفطير ينتن ، ودم المسيحى ضرورى لأنه تذكار لما أمر الله به بنى اسرائيل بأن يلطخوا أبواب بيوتهم بدم الحمل المذبوح بعيد الفصح عندما كانوا تحت عبودية فرعون . ثم هم يستعملون هذا الدم فى الرش على طاولات الطعام قبل العشاء السرى ، ويضعون منه قليلا فى الخمر ، ثم يلعنون الديانة المسيحية .

وقد شرح ذلك الكاتب الفرنسى هنرى ديبورت Henri Desportes فى كتابه « سر الدم لدى اليهود فى جميع الأزمان » .

وسر الدم المكتوم لا يبوح به أحد من اليهود ، بل يبقى فى خفايا صدورهم محرما على أقلامهم وألسنتهم ، واذا اضطر أحدهم الى ذكره فى مؤلف ، كان ذلك تحت اشارات رمزية لا يفهمها أحد سواهم ، كان يقولوا ديك ويقصدون به طفلا . وقد اكتفى الحاخامون الذين رفضوا المعتقد التلمودى ، بالقول ان اليهود يستنزفون دماء المسيحيين ، ولكن لم يقل أحد منهم كيف ولماذا ، وذلك خوفا من أن ينالهم أذى اليهود .

حاخام متنصر يفشى السر

ويقول الحاخام ناوفيطوس التارك المذهب العبرانى ، والداخل فى الدين المسيحى (ترجمة توماس بنجادى البغدادى ـ مكتبة تونس الخضراء) :

. . . .

« .. ولا اقصـــد خدمة الدين المسيحى فى اشهاره بل أريد تنبيه المسيحيين حتى لا يقعوا فى الفخاخ التى ينصبها لهم اليهود ليلقوهم فى الحجب التى لا تخترقها الأبصار . وهناك حيث لا يسمع لهم صوت انين ولا تستجاب لهم استغاثة ، يستنزفون دماء عروقهم بصورة لا يستطيع أن يراها انسان ولا حيوان الا من تكون المبادىء التلمودية جرت فى عروقه . وها انا الآن بعد اطراحى ونبذى هذه المبادىء تنبض فريصتى وتاخذنى القشعريرة من مجرد مرور صورة تلك المشاهد فى وهمى مع انى حين كانت مبادىء التلمود راسخة فى فكرى ومقبولة لدى حكمى كنت أمارس بيدى هذه الراجفة الآن والقوية حينئذ طريقة استنزاف الدم . اى نعم ان هذه اليد التى كانت تحمل المدية وتتدنس بسفك الدم الزكى لا تتطهر الا باخذ واظهار هذا السر .

وبهذه الاعتبارات افشى هذا السر متمنيا أن يقع ما اكتبه تحت كل نظر وينزل فى كل سمع ، ويدركه كل فكر وملتزما سبيل السذاجة والصدق مؤيدا قولى باثباتات ظاهرة وبراهين واضحة فاقول :

ليعلم ان هذا السر لا يعلمه الا الرؤساء والحاخامات والكتبة والفريسيون المعروفون باسم خاسيدوم . وهؤلاء يكتمونه فى أخفى طيات صدورهم عن سواهم من اليهود ومن كل بنى الانسانية وهم ذواتهم لا يتسلمه أحد منهم الا بعد الايمان المغلظة بحفظه مكتوما كل الكتمان حتى ولو كان فوق رؤوسهم السيف وتحت أقدامهم النطع .

اسباب استنزاف اليهود دم المسيحيين

وأما الأسباب التى من اجلها يستنزف اليهود دم المسيحيين فثلاثة :

الأول : البغض الشديد الذى ينمو فى صدور اليهود ضد المسيحيين قبل أن ترفع عنهم لفائفهم وهم يدرجون ويلعبون فى أزقة حاراتهم المنقطعـة على حدة فى الغالب .

ولذلك فهم يعتبرون دم أحد المسيحيين مسفوكا فى أيديهم ضحية لله وقربانا كما سبق للمسيح واعلن ذلك لتلاميذه حيث قال انه سياتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقرب قربانا لله (يوحنا ص ١٨ عدد ٢) .

الثانى : هو اعتقادات اليهود المبنية على الوهم والباطل التى تصور لهم أن الدم المسيحى ذو فعل فى بعض أعمال سحرية يعملها رؤساؤهم وحاخاماتهم متخذين هذا الدم فيها بمقام التعاويذ والرقى وغير ذلك من الجهالات التى لم يبدد ظلماتها الى الآن نور التمدن العصرى ، بل قدر هؤلاء الحاخامات أن يبقوها فى قوتها القديمة توصلا الى حفظ العصبية القومية بين اليهود المبنية على مبادىء حب الذات والانفراد بجمع المقتنيات كما يشاهد فى أسرار هيئة اجتماعهم .

الثالث : هو اعتقاد الرؤساء والحاخامات الداخل بأن المسيح الذى صلبه اليهود هو المسيح الحقيقى المنتظر ، انما لا يوافق وجود هيئة اجتماعهم الاقرار بهذه الحقيقية . ولذلك فهم يجمعون رأيا على وجوب احراز الدم المسيحى لاستعماله فى بعض الطقوس الدينية على أفراد الأمة ، والنجاة من الهلاك بواسطة تطهرهم به . =

وضعت جانبا فى بداية الوجبة ، ولأن الشعيرة تقتضى ضرورة تناولها قبل منتصف الليل ، فثمة عادة لدى بعض الجماعات اليهودية أن يحاول أطفال الأسرة « سرقتها » ولا يعيدوها الا بطلب هدية ؛ نظرا لأهميتها فى اتمام شعيرة السدر . وقد ظهرت كثير من العادات الأخرى حول هذه الطقوس : كصب النبيذ فى كأس للنبى ايلياه Elijah ، وفتح الباب الأمامى للدار ودعوته للدخول ، وقلب النبيذ من كؤوس الحاضرين كلما ورد ذكر واحد من الطواعين (جمع طاعون) العشرة ، وهذا يعنى مشاركة رمزية فى معـاناة المصريين (زيادتهم بلاء على بلائهم) ، تلك المعاناة الضرورية ، ويرتدى الذكور الكتل Kittel الأبيض ، أو يلبسون ملابس كالتى كان يرتديها بنو اسرائيل عند مغادرتهم مصر . ولكل جماعة يهودية أسلوبها المحدد فى الاحتفال بالسدر ، وهذه الأساليب ظلت تعدل حتى اليوم ، ومن ذلك ترك مقعد شاغر للتذكير باليهود غير القادرين على الاحتفال بالفصح بحرية .

وبدءا من الليلة الثانية للفصح ، تبدأ فترة الأومر Omer (أعطية الشعير من المحصول الجديد) (*) ، وكل يوم من أيام أعطية الشعير هذه (Omer) يحسبه اليهود التقليديون وفقا لتفسيرهم لما ورد فى سـفر اللاويين (١٥/٢٣) :

= ثم أن للحاخامات مبدأ آخر وهو أن مقتنيات المسيحيين حلال لهم كدمهم وذلك لاعتقادهم انه سيصبحهم يوم يكونون فيه ارباب هذه الأموال » .

من دلائل كراهية اليهود الشديدة للمسيحين

ثم يقول ، بعد ان يصف بغض اليهود للمسيحيين مدللا على ذلك باشاراتهم ورموزهم وأفعالهم :

« ومن شاء ان يقف على شدة كراهية اليهود للمسيحيين وعلى ما يكتمون لهم بنوع خاص وللأمم السائرة عموما فعليه بمطالعة الراس الثالث والثلاثين من تاليف بولس الطبيب ففيه الكفاية فيستعمله اليهود فى كثير من طقوسهم الدينية ومنها الزيجة وذلك بان يصوم العروسان من المساء الى المساء عن كل شىء وبعد عقد الزيجة يناولهما الحاخام بيضة مسلوقة فياكلانها بعد ان يغمساها برماد الكتان المشرب قبلا من الدم المسيحى ... » .

(★) زكاة الزروع . (المترجم) .

« ثم تحسبون لكم من غد السبت من يوم اتيانكم بحزمة الترديد سبعة أسابيع تكون كاملة » .

ويستمر الحساب لمدة ٤٩ يوما ، واليوم الخمسون يكون هو عيد الحصاد ، بدءا من اليوم الذى تجلب فيه الأومر Omer (حزمة الشعير) لتكون قربانا من المحصول الجديد ، لتقديمها الى الهيكل فى القدس . وبرغم ان الفريسيين يفسرون هذه الفقرة فى سفر اللاويين « اليوم الذى يكون فى غير السبت » باعتباره اليوم الثانى فى الفصح (بيساح) ، واليوم الأول هو يوم توب Yom Tov (أى تحرم فيه الأعمال الدنيوية) يسمى أيضا يوم سبت لأنه لا عمل فيه ، فان الصدوقيين والقرائين بعد ذلك يأخذون بالمعنى الحرفى ، اى أن المقصود « بغير السبت » هو يوم الأحد ، وعلى هذا ، فهم يحتفلون دائما بعيد الحصاد يوم الأحد الذى يأتى بعد ذلك بسبعة أسابيع . وبالنسبة لليهود المعاصرين ، فان كل هذه الأبعاد الزراعية والمرتبطة بالفدية (تقديم حزم الشعير) لا تلعب سوى دور صغير فى حياتهم ، فكل ما يفهمونه من هذا الأمر هو أن حبوب المحصول الجديد لا يمكن تناولها الا بعد ثانى أيام الفصح (بيساح) .

وهناك شىء من الخلاف بين علماء الشريعة (الهالاخاه) حول ما اذا كان هذا الحظر ينطبق على اليهود خارج اسرائيل أم لا (١٢) . وحساب فترة الأومر Omer (طقس حزم الشعير) مازال موجودا حتى اليوم ، لكن هذه الفترة أصبحت من بين الفترات الحزينة نسبيا (تأخذ طابع الحداد الى حد ما) ، لا يحلق فيها اليهـود الأرثوذكس شعر رؤوسهم ولا يحلقون لحاهم ولا يقيمون حفـلات العرس طـوال معظم فترة هـذه الأسابيع السبعة . وأصل هذا الحداد غير واضح . وأكثر التفسيرات شيوعا بهذا الصدد هو أنه فى القرن الثانى مات تلاميذ الرابى أكيفا R. Akiva خلال فترة الأومر Omer (الفترة التى تقدم فيها حزم الشعير) . ومن الناحية العملية ، ليس هناك اتفاق على وقت بدء هذا الحداد ولا على نهـايته ، وفى تراث الشريعـة اليهودية ذكر لعادات مختلفة فى هذا

الشان (١٣) · وعلى أية حال ، هناك اتفاق عام على انهاء فترة الحداد فى اليوم الثالث والعشرين للأومر (تقديم حزم الشعير Omer) المعروف باسم لاج با ـ أومر Lag ba-Omer ، وهو يوم تشيع فيه الأعراس عند اليهود الأشكيناز ·

وطبيعة هذا اليوم Lag ba-Omer غامضة وهناك عدة تفسيرات لأصل الاحتفاء به ، وقد قبل الخيال العام تعاليم القبالة التى مؤداها أن هذا اليوم ba Omer هو اليوم الذى أفضى فيه الرابى سيمون بار يوشـــاى R. Simeon ba Yochai أخيرا بتعاليمه السرية لتلاميذه ثم مات ، والرابى سيمون هو مؤلف الزهر المشهور Zohar ، ويحتفل القباليون بهذا اليوم احتفالا كبيرا ويصفون موت الرابى سيمون بأنه حفل عرس بين روحه والله ، ويحجون الى قبره فى ميرون Meron بالجليل حيث يضرمون نارا هائلة ويرقصون كثيرا ويغنون · وهذا الحج (زيارة القبر) مهم ؛ خاصة بالنسبة لليهود الشرقيين الذين يعسكرون فى ميرون Meron ويجعلون للمكان طابع السوق ، وينحرون الخراف مما يزعج السلطات الاسرائيلية المسئولة عن الصحة ·

ومن المعتاد تماما بالنسبة لليهودى فى الجماعات اليهودية الشرقية ، أن يقدم نذرا لزيارة قبر الرابى سيمون ليشفى من مرضه أو يحظى بحظ سعيد · وتضاء الشموع على القبر فى هذا اليوم Lag Ba-Omer وتدرس الزهر Zohar ، ويحلق الأطفال الذين بلغوا الرابعة من عمرهم شعرهم لأول مرة فى ميرون ، ويلقى الشعر المحلوق فى النار التى أوقدوها والتى ذكرناها آنفا · ويجرى الاحتفال فى كل أنحاء اسرائيل فى هذه المناسبة بايقاد النيران وبالعاب رياضية باستخدام الأقواس والسهام ·

وفى الأزمنة الحديثة ظهرت أيام أخرى خـــلال الأومر Omer (تقديم حزم الشعير) اخذت شكل الأعياد الصغرى بين بعض قطاعات اليهود ، بل ان قيود الحداد تراخ فى هذه الأيام ، فهناك عيد الاستقلال الذى يحتفى به فى اليوم العشرين من الأومر Omer (اليوم الخامس

عشر من الشهر العبرى آيار وهو اجازة وطنية فى اسرائيل) واليوم السابق له هو يوم تخليد لذكرى القتلى فى الحروب الاسرائيلية · وليس هناك شكل محدد لطقس (شعيرة) دينى أصـــبح متفقا عليه للاحتفال بيوم الاستقلال ، فبينما يرى الصهيونيون المتدينون أنه كعمل يفيد الخلاص الالهى ويأخذ طابع مجىء المسيح (الذى لم يأت بعد) ، فان الأرثوذكس المناهضين للصهيونية يظهرون الحداد العام لما يعتبرونه انتهاكا من اليهود الصهيونيين للقيم اليهودية · وثمة احتفال وطنى يهودى آخر هو « يوم القدس » ، وذلك احياء لذكرى توحيد المدينة بعد حرب سنة ١٩٦٧ ، ويقع هذا العيد فى اليوم الثالث والأربعين من الأومر Omer (تقديم حزم الشعير من المحصول الجديد) الموافق ٢٨ آيار · هناك يوم آخر ذو طبيعة مختلفة لا خلاف حـوله الا قليـلا ، وهو ذكرى المحرقة (الهولوكوست Holocaust) فى اليـوم الثـانى عشر من الأومر Omer الموافق ٢٧ نيسان ؛ وفيه يجتمع اليهود فى التجمعات اليهودية المختلفة فى مختلف أنحاء العـالم لتذكر ما حاق باليهود من ابادة جماعية فى عهـد الحكم النازى (*) ، وليحتفلوا بالمقـاومة اليهودية فى ثورة جيتو وارســو Warsaw Ghetto · ولأن كثيرين ممن عاصروا المحرقة لازالوا أحياء ؛ فان هذا اليوم ظل عنصرا مهما فى الحياة اليهودية ·

عيد الحصـــاد

عيد الحصاد أو الشافوت Shavuot ـ وهو الاسم الأكثر شيوعا بين اليهود ـ يستغرق يوما واحدا! (يومان عند يهود الشتات) ولم يرد له تاريخ محدد فى التوراة · وهو فى اليوم الخمسين من الأومر Omer (تقديم حزم الشعير) · ومع استخدام التقويم القائم على الحساب أكثر من قيامه على رؤية القمر ، حدد هذا العيد بيوم السادس من شهر سيفان Sivan العبرى · ويوصف فى التوراة بأنه عيد الحصـــاد (الخروج

(*) تكتب الصحف بالاضافة لدراسات كثيرة ظهرت بما يفيد ان الروايات اليهودية من المحرفة فيها شىء كثير من المبالغة · (المترجم) ·

١٦/٢٣) ؛ لكن معناه الأساسى بالنسبة للوعى اليهودى أصبح ارتباطه بنزول التوراة على جبل سيناء . وعنصر الحصـاد فى هذا العيد تابع لموضوع العهد الذى أعطاه الله فى سـيناء ، وقد أعيد تفسير الطقوس الزراعية والعادات المرتبطة بهذا العيد (الشافوت Shabaut أو عيد الحصاد) لتتمشى مع هذا المفهوم (ارتباطه بالعهد) . وعلى هذا ، فقد جرت العادة بتزيين المعبد بالنباتات الخضراء استعدادا لهذا العيد ، وهى عادة عارضها بعض علماء الشريعة اليهودية ؛ لأنها تشبه ما اعتاد عليه المسيحيون من تزيين الكنيسة وقت الحصاد بالطريقة نفسها (١٤) ، والتى جرى تفسيرهـا باعتبارهـا رمزا للخضرة المحيطة بجبل سيناء . وعادة أكل وجبات الجبن والحليب فى عيد الحصـــاد (الشـافوت) ارتبطت بأعياد الحصاد فى الثقافات الأخرى ، وجرى تفسيرها تفسيرات مختلفة رابطة اياها بسيناء ، فعلى سبيل المثال قيل ان اليهود لم يكونوا يستطيعون أن يتناولوا سوى الحليب عندما كانوا فى سيناء لأنهم كانوا ملتزمين بشعائر التقشف بعد الوحى ، ولم يكن لديهم وقت كاف لنحر قطعانهم نحرا شرعيا . وحتى عادة خبز أرغفة خاصة للشافوت الذى هو عيد لحصاد القمح ، يعتبرها البعض تفسيرا انحرف عن المعنى الذى تقصده التوراة باشارتها لخبز اليهود الروحى Spiritual 'bread' of Jews

ويقضى اليهود الأرثوذكس ليلة العيد الأولى فى دراسة تعبدية طويلة للتوراة تنتهى مع صلاة الفجر . وفى القدس ، تتخذ الجموع بعد ليلة من دراسة التوراة طريقها قبيل الفجر للحائط الغربى (حائط المبكى) لجبل الهيكل للصلاة . وعادة دراســة التوراة طوال الليل والمعروفة باسم تيكون ليل شافوت Tikkun Leil Shavuot فسرها اليهود الأرثوذكس من الروايات المدراشية التى تشير لكيفية تغلب النوم على بنى اسرائيل فى سيناء ، وكيف أيقظهم موسى . وعلى هذا ، فان سـلالتهم يظلون مستيقظين طوال الليل ، ليكونوا مستعدين لتلقى التوراة من جديد . وأصبحت هذه العادة مؤثلة منظمة بتأثير القباليين ، فتم اعداد كتاب خاص يضم قراءات تتلى خلال الليل . وفى يوم العيد تقرأ الوصايا العشر من

لفافة التوراة فى المعبد ، بدءا من الاصـحاح الأول فى سفر حزقيال Ezekiel الذى يتناول رؤيا النبى للعرش الالهى ، وجرت العادة أيضا بقراءة سفر راعوث Ruth خلال العيد ، مادامت قصة راعوث قد وضعت زمن الحصاد وأن سليل راعوث الملك داود قد مات ـ كما اشتهر ـ فى شـهر سيفان Sivan . ويترنم اليهود فى المعبد بعدد من الترانيم الخاصة ، تشريفا للتوراة والتجلى الذى حدث فى سيناء . وفى الأزمنة الحديثة ، أضيف بعدان جديدان لهذا العيد ، فقد أصبح عند اليهود الاصلاحيين فترة لتثبيت ايمان شباب اليهود حتى يتيقنوا من « العهد » القديم ؛ ولأن قصة راعوث Ruth تفيد قبوله الدين اليهودى طوعا . وفى اسرائيل ، وجدنا أن الجوانب الزراعية للشافوت قد أحياها يهود الكيبوتس العلمانيون ، بطقوس مرتبطة بحصاد المحصول ونضوج بشائر الفاكهة . وهم باتجاههم هذا يتفقون ـ بشكل عام ـ مع الاتجاه السائد لدى الاسرائيليين العلمانيين لايجاد دين متجدد مرتبط بالأرض ذى هوية وطنية يعطى معنى للأعياد التقليدية ، ويفضلون هذا الاتجاه عن اتجاه ربط الأعياد بمناسبات تاريخية طقسية .

اسابيع الحداد الثلاثة

والجزء الأخير من العام اليهودى الشعائرى حتى شهر أيلول Elul وعيد رأس السنة الذى يعقبه ـ هو فترة حداد عميق للتذكير بتدمير الهيكل الأول والهيكل الثانى . فهذا الجزء ينطوى على مجمل تجربة المعاناة التى خاضها اليهود أثناء الخروج . وتبدأ هذه الفترة بصـوم يوم ١٧ تموز (الذى عادة ما يقع فى شهر يوليو) ، وصوم الشهر الرابع وارد فى سفر زكريا (١٩/٨) وفقا لرأى المفسرين الرابيين . والمرويات اليهودية تربط هذا التاريخ بخمسة أحداث مأسوية ، أكثرها دلالة الصدع الذى حدث فى أسوار القدس قبل تدمير الهيكل الثانى . وفى الأساس ، كان الصيام يتم فى التاسع من تموز ، وهو التاريخ الذى سجله ارمياء Jeremiah (٦/٥٢) لحدوث صدع فى أسوار القدس أثناء فترة الهيكل الأول . ونظـرا لقرب التاريخين أحدهما من الآخر

ولأن تدمير الهيكل الثانى كان بالنسبة لليهود أكثر مدعاة للأسى ، فقد تم اختيار ١٧ تموز ليمثل زمن دمار المعبدين . بل ان تلمود القدس يقرر ببساطة ان ٩ تموز ـ وهو التاريخ الأصلى ـ انما هو تاريخ خاطىء بسبب خلط التواريخ ، وأن الصدع حدث فى الحالتين يوم ١٧ تموز (١٥). وتتسم فترة الحداد التى تعقب الصوم بمنع اقامة الأعراس وتحريم اللحم والنبيذ طوال أيام الأسبوع وتحريم قص الشعر وتحريم ارتداء عباءات جديدة ، بل وتحريم ارتداء ملابس غسلت وكويت حديثا . وفى معظم المجتمعات اليهودية ، نجد هذه المحاذير ـ فيما عدا اقامة الأعراس ـ لا تراعى الا خلال الأيام التسعة الأخيرة من فترة الأسابيع الثلاثة ، والتى تنتهى بصوم اليوم التاسع من شهر آب (Tishah Be-Av) . وترى الميشناه فى هذا الشهر وقتا لأسى اليهود وأسفهم : « عندما يبدأ شهر آب ، لابد أن يتناقص الفرح والسرور » (١٦) . وباستثناء يوم الغفران Yom Kippur ، فان التاسع من آب هو يوم الصوم الوحيد الذى يبدأ من غروب الشمس ويستمر الى هبوط ليل اليوم التالى . وكعلامة على الحداد يحرم لبس أحذية جلدية (حتى لا يشعر المرء بالراحة) ، ولا يسمح بدراسة التوراة لأنها « تسعد القلب » فيما عدا المقاطع التى تعبر عن المعاناة ، ولا يجب أن يجلس اليهودى طوال نصف اليوم على كرسى أو مقعد . وتطفأ الأنوار فى المعبد ، ولا يبقى منها الا أقل القليل مما يمكن المصلين من قراءة ابتهالاتهم ، ويتم ابعاد الساتر الذى يغطى الصندوق المشتمل على لفائف التوراة . ولا يرتدى اليهودى الطاليت (شال الصلاة) ولا التيفيلين tefilin (صندوق التعاويذ) حتى صلاة ما بعد الظهر ، وتحذف الأجزاء المبهجة فى الصلوات (وفى الليتورجية) ، ويقرأ اليهود سفر المراثى ، بالاضافة الى ابتهالات ذات طابع حزين (كينوت Kinot) .

ان كل ما فى هذا اليوم (Tishah Be-Av) يجعله أكثر أيام العام اليهودى مدعاة للحزن والأسى ؛ فالمرويات تركز على أن الهيكلين الأول والثانى قد دمرا فى هذا اليوم ، برغم أن الاحتراق الفعلى للهيكل الأول

وفقا لما ورد فى سفر ارمياء (١٢/٥٢) حدث فى العاشر من « آب » . وربط هذا اليوم أيضا بأحداث ماسوية أخرى فى التاريخ اليهودى ؛ فاصبح رمزا لما عاناه اليهود من مرارة منذ ذلك الحين . ويتم تذكر صهيون Zion والقدس بالدموع المنهمرة ، لكن اليوم يجلل بأمنية ان يكون الصيام فى العام القادم فى يوم سعادة كما تنبأ زكريا (١٩/٨) . وفى اسرائيل الحديثة ، ارتفعت أصوات تطالب بالغاء الصيام على أساس أن اليهود عادوا الى وطنهم (*) ؛ لكن أحدا من الرابيين لم يبد رغبة فى اتخاذ خطوة خطيرة كالغاء الصيام كلية . وحتى الصيغة الطقسية (الشعائرية) الجديدة التى أدخلها شلوموجورن Shlomo Goren ، والتى غير فيها المناجاة المنطوية على تحسر لما مر بالقدس فى الماضى ـ لم تحظ بقبول عام ، مع أنه ـ أى الرابى جورن ـ واحد من رابيى اسرائيل الكبار .

(*) الكتابات العربية التى تفند هذا كثيرة . ومفهوم أن مؤلف هذا الكتاب يهودى . ويهمنا جميعا معرفة ما يفكر فيه الآخرون ـ (المترجم) .

الفصل الثانى عشر

المعبد والبيت والمجتمع اليهودى

المعبـد

كل مجتمع يهودى يقوم حول مركز هو المعبد الذى قد يكون مبنى راقيا بنوافذ من زجاج ملون ، وقد يكون بيتا عاديا خصص للعبادة . وفى بعض الأحيان يكون المعبد جزءا من مركز المجتمع : يلبى احتياجات أعضائه ويتيح لهم حياة اجتماعية ، ودروب تسلية . والمعبد اليهودى باللغة الييدية هو School ، وهى كلمة ألمانية تعنى مدرسة لأن المعبد فى أوروبا الشرقية كان غالبا مكانا للدراسة . وفى الواقع ، هناك نوعان من المعـابد هما : « هـا ـ كنيسـت بيت bet ha-keneset ويعنى التجمع » وهو معبد مخصص تماما للصلاة وغيرها من الشعائر الطقسية ، وبيت ها ـ مدراش ويعنى « بيت التفسير » وهو مخصص للدراسة ؛ بالاضـافة للعبادات النظامية (المنتظمة والمرتبطة بأوقات محددة) . ويختلف الموقف الشرعى من هذين النوعين : فبينما النوع الأول (بيت التجمع) هو المبنى الأعلى بين المبانى المحيطة به ولا يجوز تناول الطعام أو النوم فيه ، فان النوع الثانى (بيت التفسير) لا ينطبق عليـه ذلك (١) . وهذان المعبدان يختلفان أيضا فى تصميمهما المعمارى الداخلى وفى الأثاث والجو العام ، فمعبد بيت التفسير (بيت ها ـ مدراش) عادة ما يحوى عددا كبيرا من الكتب ، وبه أثاث مصفوف بطريقة متجاورة

لتمكين الرجال من الدراسة فى مجموعات ، بينما فى البيت ها ـ كنيست (بيت التجمع) توجد مقاعد طويلة ذوات ظهور ومنصة ثابتة bimah فى الوسط وصندوق خلف ستارة مزركشة فى نهاية المبنى فى اتجاه القدس تحفظ به لفائف التوراة ، ويوجد ممر منفصل خاص بالنساء فى المعابد التابعة لليهود الأرثوذكس .

وقد طورت كل جماعة يهودية معبدها ليكون له شكله المتفرد ، بما يتفق مع طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه اليهود، والذى يوجد به المعبد، وبما يتفق مع عادات اليهود المترددين على المعبد ووجهات نظرهم الدينية . فاليهود الشرقيون ، الذين تعمد أقلية منهم الى خلع أحذيتهم قبل دخول المعبد . يرتبون مقاعدهم ازاء جدران المعبد والمنصة الوسطى (البيماه bimah) ، بينما معظم اليهود الغربيين يجلسون على مقاعد طويلة (دكك) فى صفوف ووجوههم ناحية القدس . والجو العام فى المعابد اليهودية التقدمية Progressive وكذلك فى معابد اليهود الأرثوذكس الألمان يتسم بالرسمية والاحتشام ، بينما فى معبد الحاسيد Chasidic prayer house المعروف باسـم شـتيبل Shtible « حرفيـا : الغرفـة » نشم عبير التحرر والانطلاق ؛ لاعتقادهم أن التزمت لا يتمشى مع العبادة الصادرة من القلب . وهناك معابد يهودية أخرى تتخذ موقفا وسطا بين التحرر (عـدم الالتزام بالرسميات) فى المعابد الحاسيدية والالتزام التيوتونى Teutonic بالشكليات ، ويميل معظم اليهود الأشكيناز للاتجاه الأول . وكانت الشروط اللازم توافرها فى المعبد ليكون صالحا للصلاة ، مثار نزاع طويل بين اليهودية الأرثوذكسـية واليهودية التقدمية . فالرابيون الأرثوذكس قد رسخوا مبدأ وجود مكان منفصـل تصلى فيه النساء ، بينما لا يوجد مثل هذا الحاجز mechitzah بين الجنسين فى المعـابد اليهـودية التقدمية Progressive . وعندما أدخـل اليهود الاصلاحيون ـ لأول مرة ـ نظام العبادة المختلطة بين الجنسين فى القرن التاسع عشر فى أوروبا ، عارضها بشدة الرابيون الأرثوذكس ، فالرابى موسى سوفر Moses Sofer عالم الشريعة البارز بين يهود المجر ركز

على مبدأ انفصال الجنسين لمنع تسلل أفكار ذات طبيعة جنسية الى نفوس المتعبدين ؛ لأن هذا يجعل الله غير متقبل لصلواتهم (٢) . وكتب تلميذه موسى شك Moses Schick فتوى لتجمع يهودى ، كان بعض افراده راغبا في ادخال نظام المقاعد المشتركة (بين الجنسين) فى المعابد :

« الجنة محرمة عليكم ... ان بقيتم صامتين أمام فسق هؤلاء المنحرفين ، لأنه وفقا لأحكام الشريعة لابد من فصل الرجال عن النساء .. هذا ضرورى .. حتى لا يرى الرجال النساء ، فرؤيتهم لهن تؤدى الى انحراف قلوبهم والى آثام أخرى ، يجب أن نعترض على هذا الوضع ونوبخ هؤلاء الخطاة » (٣) .

وثمة أمور أخرى متعلقة بالعبادة فى المعبد كانت مثار نزاع شديد بين اليهود الأرثوذكس واليهود الاصلاحيين ، مثل : احتساب المرأة لاكتمال النصاب اللازم لصلاة الجماعة minyan أو الطقوس التى يلزمها هذا النصاب ، ومثل دعوة النساء لقراءة التوراة ، والسماح للمرأة أن تكون اماما أو ترسيمها لتكون رابيا ، فقد اعتبر الرابيون كل هذه الأمور مقوضة لمبادىء الشريعة التقليدية . كما أدان الرابيون الأرثوذكس - بشكل عام - استخدام اللهجات العامية فى الصلوات وما حدث من تغييرات فى الطقوس واستخدم الكورس Choirs فى المعابد والعزف الموسيقى المصاحب للانشاد الدينى باعتبار هذا تقليدا للمسيحية ، برغم ان بعض هذه المظاهر موجودة فى المعابد الأرثوذكسية الحديثة . ومقاومة التغيير من جانب التقليديين يعكس قيمة العبادات الجماعية من وجهة نظر الشريعة (الهالاخاه) ، لانه برغم امكانية أن يصلى المرء منفردا فى البيت ، فقد كان هناك اصرار فى التراث الرابى على أهمية صلاة الجماعة والتعبد مع مجموعة . وقد بدأ المعبد نفسه كمؤسسة خلال فترة الأسر البابلى بعد تدمير الهيكل الأول ، وأصبح عنصرا محوريا فى الحياة اليهودية العامة بعد تدمير الهيكل الثانى . واليوم هو جزء مكمل للحياة الدينية اليهودية الجماعية ، بل انه حل محل البيت كمحور للحياة الشعائرية (الطقسية) بالنسبة لبعض اليهود .

البيت اليهودى

البيت اليهودى هو المركز الكبير لحياة اليهود وطقوسهم ، وثمة عدة ملامح فارقة تميز البيت اليهودى (عن سواه) ، فمن الناحية التقليدية لابد ان يكون عند كل مدخل من مداخله لفافة رق (بفتح الراء) مكتوبة بخط اليد للشما Shema (فقرات من الكتاب المقدس اليهودى تشير لتوحيد الله والاخلاص له) - تعرف بالميزوزاه mezuzah مثبتة فى عضادة الباب ، تنفيذا لما ورد فى التفسير الحرفى لفقرتين فى سفر التثنية (*) ٦/٩ و ٢٠/١١ ، وتلف بحيث يمكن دقها بالمسامير فى عضادة الباب . ويلمسها اليهودى التقى بأصابعه ومن ثم ، يقبل أصابعه كلما مر بالباب، خاصة ان غادر البيت . وكثير من اليهود - وحتى لو لم يكونوا من الأرثوذكس - يحتفظون بهذه اللفافة (الميزوزاه) على الأقل فى الباب الرئيسى للبيت ، وعادة ما ينظر اليها كتميمة تحفظ البيت من الشيطان . وعلماء الشريعة المتأثرون بالقبالة يدافعون عن الخواص التميمية (الحفظ من الشيطان أو الشر) اعتمادا على سوابق تلمودية (٤) . والاعتقاد فى هذه الفقرات المعلقة المأخوذة من نص التوراة كحافظ أو مانع من الشر أدى الى اضافة صيغ أخرى مختلفة لها ؛ مما أدى الى اعتراض ابن ميمون عالم الشريعة العقلانى المشهور :

« لكن هؤلاء الذين يكتبون أسماء الملائكة والأسماء القدسية أو الأشعار أو الأختام في هذه اللفافة (الميزوزاه mezuzah) ، انما يدخلون فيها ما لا مكان له فى الملكوت الآتى (**) World to Come لانه لا يكفى هؤلاء

(*) النص :
اسمع يا اسرائيل . الرب الهنا رب واحد . فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك . ولتكن هذه الكلمات التى انا اوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على اولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك . (المترجم) .

(**) او يوم الدينونة - (المترجم) .

الأغنياء انهم أبطلوا الوصية mitzvah ؛ بل انهم تعاملوا معها كما لو كانت تعويذة تحقق منفعة ؛ ذلك لأن قلوبهم الغبية تظن أنها شىء يحقق النفع فى هذه الدنيا الفارغة ، مع أن لهذه اللفافة أهمية أكبر باحتوائها على توحيد اسم الله تقدس اسمه وتبارك ، وتحوى حبا له واخلاصا » .

وجرت العادة أيضا أن يكون فى البيت اليهودى علامة تشير الى اتجاه القدس ، وتعرف بين اليهود الغربيين باسم المزراح mizrach (ومعناها الحرفى الشرق) وعادة ما تكون من الحروف العبرية لكلمة مزراح محاطة برسوم زخرفية . ويجد المرء عند اليهود الشرقيين لوحات تشير لجهة القدس أكثر اتقانا ، وبها رسوم ومكتوب عليها صيغ من التراث القبالى ، عادة ما تأخذ شكل يد وتعلق على الحائط ، وغالبا ما ينظر اليها كتعويذة . وتشترط الشريعة اليهودية أن يبقى جزء صغير من الجدار فى بيت اليهودى دون زينة أو رسوم ، احياء لذكرى تدمير الهيكل (٦) . وعلى أية حال ، فقد تخلى اليهود المعاصرون ـ الى حد ما ـ عن هذا التقليد الأخير المعبر عن الحداد الدائم .

الأسرة

ما دام اليهود ينظرون للبيت باعتباره مركز النشاط الدينى ، فان الأسرة تلعب دورا ليس فقط باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأساسية ، وانما أيضا باعتبارها الوسط الذى تتم فيه الطقوس الدينية ، فكل الأعياد تتخللها طقوس تتم فى البيت ، فشعائر يوم السبت تقوم حول الوجبات الأسرية ، وفى الأسرة اليهودية التقليدية يحتل رب البيت (الرجل) مكانا بارزا كرب للأسرة وفى الأمور الدينية . وتصف المدراش الزوجة المثالية بأنها تلك التى تنفذ ما يريده زوجها ، وقد كتب موسى ابن ميمون فى مدونته :

« يأمر حكماء اليهود الزوجة اليهودية أن تكون حيية فى بيتها ، وألا تفرط فى الدلال والخفة أمام زوجها .. ويأمر الحكماء أيضا الزوج

أن يكرم زوجته ويقدمها على نفسه ، وأن يحبها كحبه لنفسه .. وألا يجعلها تخافه كثيرا . ولابد أن يكون حديثه معها رقيقا ، ولا يجب أن يكون شديد الحساسية غضوبا . وهم يأمرون الزوجة أيضا أن توقر زوجها ، وأن تقف : اجلالا له » .

هذه الصورة التقليدية تعدلت فى الأزمنة الحديثة مع التغيير الحادث فى دور المرأة والتزاماتها ، وقد رفض اليهود الأرثوذكس الذين يعيشون فى جيتو فرضوه على أنفسهم (باختيارهم) هذه الاتجاهات الحديثة ، ويجد المرء عند بعض الجماعات اليهودية الشرقية نماذج من الأسر المرتبطة ارتباطا شديدا بنظام سيطرة الذكور . والطقوس الدينية اليهودية نفسها تحفظ للرجل قدرا من الأولوية ، برغم أن الشكل النمطى الشائع للزوجة اليهودية ـ وكذلك الأم ـ هو أنها مستبدة متسلطة . وربما كانت السيطرة الرسمية للزوج ـ ببساطة ـ مجرد مظهر أو قشرة خارجية تغطى الدور غير الرسمى للزوجة الذى تمارس فيه سلطة حقيقية على أولادها ، وأحيانا على زوجها المطواع ، ومن المؤكد أن الأولاد والبيت يكونان الى حد كبير فى مسئوليتها ، ما دام الزوج ينشغل بالعمل وحضور الصلوات والدراسة فى المعبد .

القوانين الشرعية للطعام

كثرة الشروط الواجب توافرها فى الطعام الصالح للتناول والتى تطبع العادات الغذائية بطابعها ، تعد مسألة محورية فى حياة اليهودى الأرثوذكسى ، ومسألة محورية أيضا لكن بدرجة أقل فى حياة اليهودى التقدمى Progressive . ويتراوح الالتزام بهذه الشروط بين التمسك بها بصرامة كما هو الحال بين اليهود الأرثوذكس ، ومراعاتها جزئيا أو اهمالها كلية ، كما هو الحال بين اليهود الاصلاحيين ومعظم اليهود العلمانيين . حتى أولئك الذين يهملون البعد الطقسى للطعام diet غالبا ما يميلون لتناول طعام على نسق الطعام الكوشر Kosher (الذى تحله الشريعة) الذى ظهر نتيجة المطبخ اليهودى التقليدى . والأكل

بالنسبة لليهودى الأرثوذكس نشاط طقسى (شعائرى) متصل بالمعنى الدينى ؛ لذا فهو يبدأ وينتهى بتبريكات خاصة مناسبة . ويقتضى تناول بعض الأطعمة غسل اليدين . وتظهر قوانين الطعام الشرعية كجزء من محاولة اضفاء القداسة على الحياة العادية للانسان وتحويله الى كائن مقدس لله . والاسم الاصطلاحى العام للطعام المسموح بتناوله هو كاشر Kashrut ، الذى تحول فى الانجليزية الى كوشر Kasher بسبب نطق اليهود الأشكيناز لهذه الكلمة على هذا النحو ، وفى الشريعة اليهودية سلسلة من الكلمات الاصطلاحية تطلق على انواع مختلفة من الاطعمة المباحة Kasher ؛ لكن الكلمة كاشر Kosher هى الكلمة المقبولة على المستوى الشعبى العام للدلالة على كل انواع الأطعمة التى قد يتناولها اليهود التقليديون .

اللحم والسمك

أباحت التوراة تناول لحوم بعض الحيوانات ، وحرمت لحوم حيوانات أخرى (٨) . فالحيوانات المجترة التى لها ظلف مشقوق كالماشية والضان والماعز والأيائل لحومها حلال ، أما الحيوانات التى لا يتوافر فيها هذان الشرطان ، او ينطبق عليها شرط واحد فحرام اكل لحومها كالجمال (مع أنها مجترة) والخنازير (مع أنها مشقوقة الظلف) . والأسماك التى لها زعانف وقشور حلال اكل لحومها ، وفيما عدا ذلك فمحرم تناول لحوم كل الكائنات البحرية . أما بالنسبة للطيور فالحكم الشرعى فيها اكثر تعقيداً على نحو ما ؛ لأن التوراة — ببساطة — ذكرت قائمة بأربعة وعشرين نوعاً من الطيور محرم أكل لحومها بعضها غير معروف ولم يستطع علماء الشريعة التعرف عليه . وعلى هذا ، فالطيور تعتبر طعاماً حلالا اذا كانت هناك مرويات موثوق بها تفيد ان اليهود تناولوها فى الماضى ، واحتفظت المجتمعات المختلفة بعاداتها الخاصة المرتبطة بهذه المرويات . وذكر بعض انواع الجراد كطعام محلل Kosher ، واليهود فى البلاد التى بها جراد — كالمغرب الاقصى واليمن — ياكلون هذا الجراد ، ولديهم مرويات دينية تفيد ان اكله حلال Kasher

والأطعمة الحلال المختلفة من لحوم الحيوانات والطيور تحتاج لذبح هذه الحيوانات والطيور ، ذبحا شعائريا قبل اعدادها للتناول . وهذا الذبح الشرعى شحيتاه (شيشيتاه Shechitah) لابد أن يقوم به يهودى (من الناحية العملية يهودى بالغ) ، برغم ان المراة او صغير السن نظريا يمكن ان يقوما بالذبح . والشحيتاه (الشيشيتاه) اى الذبح الشرعى ، هو تمرير سكين حادة تماما لتقطع قصبة الحيوان الهوائية وبلعومه . ولابد ان يتم هذا بسرعة . وحرام اكل لحم الحيوان الذى مات ميتة طبيعية او اميت او قتل بطريقة أخرى غير الذبح الشرعى الآنف ذكره ، فحرام مثلا أكل طرف من أطراف حيوان قطع منه وهو حى . وبالنسبة للحيوانات او الطيور غير المنزليـة ، لابد من سفك دمها ثم تغطية هذا الدم بالتراب او الرماد وفقا للتفسير الرابى لسفر اللاويين (*) (١٣/١٧) ولابد من تبريك الذبيحة ، عند تغطية الدم المسفوح بالتراب . ولا يحتاج السمك والجراد لذبح طقسى ، وانما يمكن تناول كليهما ميتا . ولابد من فحص الحيوان جيدا قبل ذبحه للتاكد من أنه ليس مريضا ، فان ذبحه وهو مريض اعتبر تيريفـــا (طريف) terefah يحـرم اكل لحمه . ولابد من فحص الرئتين — على نحو خاص — جيدا ، وكذلك الأعضاء الداخلية فقد يكون بها ثقب نتيجة ابتلاع الحيوان لمواد صلبة .

وبعض اجزاء الدهن فى لحوم الحيوانات الداجنة محرم ولابد من ازالته ، ولابد من ازالة عصب الورك المعروف باسم عصب عرق الفخذ (١٠) the Sinew of the thigh vein ، ولابد من ازالة الشريان الاكبر من الحيوانات الداجنة وغير الداجنة . وازالة هذه الأجزاء المحرمة تحتاج لخبرة كبيرة ، وعادة ما لا يستهلك معظم يهود الدياسبورا (الشتات) كل الأجزاء الخلفية من الذبائح واذا تم استبعاد الأجزاء المحرمة ملح اللحم (البـاقى) لازالة الدم ، فاولا ينقع اللحم لحـوالى نصف ساعة

(★) « وكل انسان من بنى اسرائيل ومن الغرباء النازلين فى وسطكم يصطاد صيدا وحشا او طائرا يؤكل ، يسفك دمه ويغطيه بالتراب لأن نفس كل جسد دمه هو نفسه فقلت لبنى اسرائيل لا تاكلوا دم جسد ما ... » . (المترجم) .

لتوسيع المسام ثم يفرغ عنه الماء لفترة وجيزة قبل ان يغمر فى ملح خشن ويترك لمدة ساعة . واخيراً يتم شطف اللحم لازالة الملح وما يكون قد علق به من دم . وتقوم ربة البيت بهذه العملية كلها ؛ لكن الجزار اليوم يقوم بهذه العملية قبل بيع اللحوم . ولا يمكن ازالة الدم من الكبد بالتمليح ، وانما لابد من شوائها على النار بعد تقطيعها سطحيا وذرها بملح خفيف . ويمكن ازالة الدماء من اللحم ايضا بالشى ، لكن ازالتها بالتمليح ـ بالطريقة التى ذكرناها آنفا ـ هى الوسيلة الاكثر استخداما .

اللحم واللبن (الحليب)

حرام طبخ اللحم واللبن معاً ، وحرام تناولها معاً ، وفقاً للتفسيرات الرابية لتحريم التوراة فى ثلاثة مواضع طبخ الجدى فى لبن أمه (*) (١١) . وقد وسعت الشريعة هذا التحريم فطبقته على كل الحيوانات والطيور ، برغم أن الاشارة التوراتية فى الأساس كانت مفهومة على أنها تعنى الحيوانات الداجنة فقط . ولا يشمل هذا التوسع فى التحريم السمك والجراد (١٢) ؛ لكن السمك واللحم لا يؤكلان معا انطلاقا من أسباب صحية .

ولدى اليهودى الأرثوذكس مجموعتان من أوانى المطبخ منفصلتان وغسالتان للأطباق كل واحدة بعيدة عن الأخرى ـ آنيتان فخاريتان ، ومجموعتان منفصلتان من السكاكين وادوات المائدة ، وذلك ليضمن الفصل الكامل بين اللحم والحليب (اللبن) ، وأحياناً يتم تعليم آنية الحليب بعلامة خاصة لتجنب أى احتمال يخلطها بتلك المستعملة للحم . والأدوات والأطباق التى لا تستخدم مع الحليب او اللحم تسمى بيرف Parve ، وامتد الفصل بين تناول اللحم والحليب لدرجة مراعاة وجود فاصل زمنى بينهما يمتد من ساعة الى ست ساعات ، باختلاف التجمعات اليهودية . وتفسير الالتزام بهذا الفاصل الزمنى هو ما يتخلف بين الأسنان من بقايا لحم او بقاء طعم اللحم فى الفم ، مما يستلزم وقتاً للتخلص منه . وجرت

(*) لا تطبخ جديا بلبن أمه (التثنية ٢١/١٤) .

العادة على مراعاة هذا الفاصل الزمنى بين تناول الجبن اليابس وطبق من اللحم ، برغم أنه بعد تناول ألبان أخرى يكون كل ما هو مطلوب هو تنظيف الفم واليدين قبل اكل اللحم (١٣) . ولا يعد الحليب او البيض طعاما حلالا الا اذا كانا من حيوانات محللة (كاشير) ويستثنى من هذا عسل النحل ، فالنحل نفسه ليس كاشير (اكله ليس حلالا) وتعليل تحليل أكل عسل النحل وتحريم أكل النحل ، هو أن العسل ليس ـ على الحقيقة ـ جزءا من النحل ، وانما هو مادة يستخلصها النحل (١٤) .

الخضراوات والفواكه

مادامت الشريعة تحرم أكل الحشرات والديدان ؛ لذا فلا بد من فحص الخضراوات والفاكهة وتطهيرها مما قد يكون فيها من ديدان وحشرات قبل أكلها . فالخس ـ على سبيل المثال ـ لابد من غسله جيدا والبحث بين ثناياه للتأكد من ازاحة كل الحشرات الصغيرة عنه . وبالاضافة لهذا ، هناك محرمات عامة بشأن عدم زراعة النباتات البذرية معا (بشكل مختلط) وعدم زراعة محاصيل أخرى مع الكرم (العنب) ، وعدم تطعيم بعض النباتات بعضها ببعضها الآخر . وتفاصيل هذه الشرائع معقدة ، وعند الرابيين نظام تصنيفى خاص للافتاء بالأصناف النباتية المختلفة وبعض هذه القوانين لا تطبق الا على ما تنتجه أرض اسرائيل ، بينما هناك قوانين أخرى تطبق على يهود الدياسبورا (الشتات) . وتعرف هذه المحاذير باسم كيلايم Kilayim ، وسندها الشرعى فقرات فى التوراة (*) (١٥) .

ومحرم ارتداء ملابس منسوجة من صوف وكتان معا . واليهود الأرثوذكس ، الحساسون على نحو خاص ازاء هذا التحريم ، يستعينون بخبير ليفحص عباءاتهم الجديدة للتأكد من عدم وجود هذا الخليط (شاتنز Shaatnez) ، وفاكهة الشجرة الجديدة محرمة طوال السنوات الثلاث الأولى ولا يجب الاستفادة منها . وهذا التحريم يعرف باسم أورلاه

(*) « .. وحقلك لا تزرع صنفين » (المترجم) .

Orlah ، وسنده ما ورد فى سفر اللاويين ١٩/٢٣ (*) . وفاكهة العام الرابع لابد أن تؤخذ الى القدس لتستهلك هناك أو تباع ، ويشترى بثمنها طعام يؤكل فى القدس . وفى هذه الأيام تفتدى الفاكهة – رمزيا – بقطعة عملة صغيرة . وتنطبق هذه القوانين الشرعية أيضا على الكرم (العنب) .

وهناك سلسلة كاملة من الأحكام الشرعية تعود لزمن التوراة ، تتناول ما تنتجه أرض اسرائيل . ومعظم هذه القوانين لا تمس الا الفلاح ، لكن طائفتين منها تعدان جزءا من الأحكام الشرعية للطعام مما يمس المستهلك اليهودى . الأولى هى الحاجة لدفع عشر انتاج الأرض المقدسة ، وهذه الأعشار تقدم للكاهن Kohen واللاوى ، واما أن تقدم للفقراء أو تحمل الى القدس لأكلها هناك . أما اليوم ، فقد جرت العادة – ببساطة – على تجنيب ما يزيد قليلا على جزء من مائة من الانتاج واطلاق اسم العشر عليه ، ثم افتدائه بدفع قطعة عملة صغيرة . وباستثناء قدر صغير يجنب وقد لا يؤكل ، فان بقية الطعام قد أصبح الآن رسميا مزكى (دفع عشره) ، وبالتالى يمكن استهلاكه . وثمة عشر tithe آخر مفروض على عجين الخبز أو الكعك (١٦) ، وكان هذا « العشر » لا يدفع الا فى اسرائيل ، لكن دفعه امتد الى يهود الدياسبورا (الشتات) . فعند عجن الدقيق يجنب العشر ، ويطلق عليه شلة Challah ليعطى للكاهن ، لكنه اليوم يحرق لعدم وجود كاهن للتطهير الطقسى . وتقليديا ، يعد فصل (تجنيب) الشلة Challah وصية دينية mitzvot على ربة البيت تنفيذها ، برغم أن الخبازين اليهود عادة ما يأخذون الشلة (عشر العجين) من انتاجهم .

(*) سفر اللاويين : « ومتى دخلتم الارض وغرستم كل شجرة للطعام تحسبون ثمرها غرلتها . ثلاث سنين تكون لكم غلفاء لا يؤكل منها ، وفى السنة الرابعة يكون كل ثمرها قدسا لتمجيد الرب ، وفى السنة الخامسة تاكلون ثمرها لتزيد لكم غلتها ، انا الرب الهكم » . (المترجم) .

والطائفة الثانية من الأحكام الزراعية الشرعية التى تؤثر فى المستهلك بشكل مباشر ، هى تلك المتعلقة بانتاج أرض اسرائيل خلال السنة الأخيرة من دورة السنوات السبع (الشيمتاه Shemittah أو كل سابع سنة ، وهى السنة السبتية للأرض) (*) ، ويوصى الكتاب المقدس اليهودى بترك كل الأعمال الزراعية تماما أثناء هذا العام والشريعة اليهودية تمد هذا المنع الى انتاج الأرض المقدسة بعد أن يصبح غير متاح فى الحقول ، وتمنع كذلك الاتجار فى ما أنتجته الأرض أثناء الشيمتاه Shemittah (السنة السبتية) (**) وقد أحدث الرابيون (الحاخامات) الاسرائيليون تطويرا فى الأحكام الشرعية لحل مشكلة السنة السبتية ، حتى يتجاوزوا ما ينتج عنها من صعوبات اقتصادية لاسرائيل فى الزراعة والتصدير والسوق الداخلية . وتضمن هذا الحل بيع كل الأراضى التى يمتلكها اليهود للأغيار (غير اليهود) لمدة هذا العام السبتى ، ما دامت الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه السنة لا تطبق الا على ملاك الأراضى من اليهود . وبرغم أن هذا الحل قائم على حكم بعض الزعماء الدينيين (الحاخامات) فى المائة سنة الأخيرة ، فانه لاقى معارضة دؤوبة من علماء شريعة آخرين اعتبروه غير صحيح شرعيا وغير فعال . وكانت حجج الفريقين ذات طبيعة فنية (أى مرتبطة بالمصطلحات الشرعية) فى الأساس ، لكن أولئك الذين أيدوا حل البيع كانوا بشكل عام صهاينة ، وكان الذين عارضوه مناهضين للصهيونية . وبينما كان غالبية اليهود الأرثوذكس يعولون على بيع الأرض ، فان أقلية كبيرة مالت كثيرا الى شراء منتجات الأراضى الزراعية التى يمتلكها عرب أو المستوردة من الخارج ، اذ وجدوا هذا أفضل من تناول طعام الشيمتاه Shemittah (الذى أنتجته أراض يمتلكها يهود فى السنة السبتية) .

(*) بعض الكتب العربية (القوى الدينية فى اسرائيل للدكتور رشاد عبد الله الشامى) تسميها سنة التبوير . (المترجم) .

(**) أو سنة التبوير . (المترجم) .

النبيذ والحليب والجبن وما طبخه الأغيار

بينما كان للأحكام الشرعيــة للغــذاء نتيجة عرضية مؤداها ان اليهود الراغبين فى الالتزام بها يحتاجون للعيش فى مجتمعات يهودية حيث توجد المؤسسات الداعمة للطعام الحلال Kashrut ، فقد كانت هناك سلسلة أخرى من الأحكام الشرعية كان من بين أهدافها تقليل التفاعل الاجتماعى بين اليهود وغير اليهود (الأغيار) . انه لأمر حقيقى أن يهودا كثيرين لا يلتزمون بالأحكام الشرعية للطعام الا فى بيوتهم فقط ، ولا يجدون حرجا فى تناول الطعام غير الشرعى فى المطاعم وفى بيوت الآخرين . وربما كان ظهور التسيب بدرجة كبيرة بين اليهود فى المجتمعات الحديثة وراء ادخــال الرابيين مزيداً من الأحكام الشرعيــة التى تفرض قيودا على الطعام بقصد عدم تشجيع التفاعل الاجتماعى بين اليهود والأغيار ، ومنع ما ينتج عنه من زواج مختلط . ومن بين هذه المحرمات التى وضعها الرابيون مؤخرا ، تحريم نبيذ الأغيار وطعامهم الذى طبخــوه حتى ولو كان كاشير (أى حتى لو كان هذا الطعــام لا يحوى شيئا مما حرمته الشريعة اليهودية) . وأتى تحريم نبيذ الأغيار فى الأساس بسبب ما ينبعث منه من وثنية (بسبب صانعيه أو مقدميه) ، مما يجعله حراما على اليهودى . وحتى لو لم يقدم هذا النبيذ غير يهودى ، فانه يظل محرما فى رأى الرابيين « وذلك بسبب بناتهم » بمعنى ضرورة منع أية بهجة يسببها شرب هذا النبيذ حتى لا ينتهى الأمر بزواج مختلط (بين يهودية وغير يهودى) (١٧) . ولم يقتصر الأمر على تحريم نبيذ الأغيار ، وانمــا امتد التحريم ليشــمل النبيذ اليهودى الذى حمله غير اليهودى اذا لم تكن زجاجة النبيذ مغلقة وانواع الكحول الأخرى غير النبيذ حلال شربها (حتى لو كانت من صنع الأغيار) ، طالما شربها اليهودى فى بيته أو شربها عرضا بين أغيار ، على ألا يؤدى ذلك الى اثارة أو زواج مختلط (١٨) .

والطعام الذى طبخه الأغيار محرم اذا كانت محتوياته الأساسية لا تؤكل نيئة ، وكان من نوع الأطعمة التى تقدم على « مائدة الملك »

a kings's table . وهذه الشروط تمكن اليهود التقليديين من تناول كثير من الأطعمة التى أعدهــا الأغيــار . وبعض الرابيين لا يحرمون الأطعمة التى طبخها الأغيار ان كانت من المعلبات وتم انتاجها بكميات كبيرة ، لأن استخدامها لن يؤدى الى تفــاعل اجتماعى بين اليهود وغير اليهود . وان كان هناك طباخ غير يهودى يعمل فى بيت يهودى ، قام بعض أهل البيت بالمشاركة الرمزية فى اعداد الطعــام كاشعال الغاز أو تحريك القدر ، للتأكيد على أن الطعام المطبوخ ليس من اعداد هذا الطباخ غير اليهودى وحده .

وتحريم الحليب الذى يقدمه الأغيار لا يقوم على أســاس منــع التفاعل الاجتماعى بين اليهود وغيرهــم ، وانما بسبب الرغبة فى التأكد من أن هــذا الحليب هو حليب محــلل شرعى (كاشير Kasher) . ومن الناحية النظرية ، لابد أن يكون اليهودى حاضرا عند حلب اللبن . وعند جماعات اليهود الأرثوذكس ، لابد أن يكون انتاج الأغيار للحليب تحت اشراف يهودى . وعلى أية حال ، فاليهود ـ أساسا ـ يعتمدون على الترتيبات الحكومية التى تقصر بيع اللبن على مصــانع الانتاج التى لا تستخدم سوى لبن الأبقار ، وقد أقر هذا الاجراء واحد من الرابيين (الحاخامات) المهمين فى أمريكا ، برغم أن اقراره هذا تعرض لبعض النقد (٢٠) . وجبن الأغيار محرم أيضا لعدد من الأسباب وردت فى التراث الحاخامى (الرابى) ، ولم يكن هنــاك اتفــاق عام بين علماء الشريعة اللاحقين عن سبب هذا التحريم اذا كانت المواد التى صنع منها الجبن كلها حــلال (كاشير) . وبرغم أن بعض المراجع الدينية فى العصور الوسطى ذكرت أن هذا التحريم لم يعــد قائما ، فان غالب علماء الشريعة يصرون على أن جبن الأغيار حرام حتى لو استخدم فى صــنعه أنفحة نبــاتية Vegetarian rennet ، ولا يمكن أن يكون حلالا (كاشير) الا اذا أشرف على انتاجه يهودى .

الجماعــة اليهوديــة

الجماعة اليهودية التقليــدية تحتاج لعدد كبير من رجال الدين والمختصين بالطقوس لأداء المهام الشــعائرية والطقســية للمجتمع .

والمجتمعات الأكبر عادة ما يقوم بهذه المهام فيها أكثر من شخص فى كل مجال ، بينما تستعين المجتمعات الأصغر بأفراد من خارج المجتمع فى المناسبات المختلفة أو تعين شخصا متعدد المهام يقال له كول ـ بو ـ نك Kol-bo-nik ، ليقوم بعـدد من الأدوار المختلفـة ، وفى المجتمعات الحديثة ـ التى يعد المعبد فيها جزءا من مركز المجتمع ، نجد عددا من الاختصاصيين يقدمون برامج ، ويعملون فى مجال الخدمة الاجتماعية ، وكقادة للشباب .. الخ . وأهم هؤلاء المسئولين الدينيين أو القائمين بالشعائر الطقسية والذين يطلق عليهم كيلاى كوديش Kelei Kodesh ـ وهذا المسمى الأخير ينطوى على انقاص من قدرهم على نحو ما ـ هم :

الرابى The Rabbi

الكلمة رابى تعنى معلمى My Master وكانت تطلق على حكماء اليهود فى فلسطين فى عصر التلمود ، وكان دوره الأساسى هو أنه معلم teacher . وهو شخص خبير بالتوراة ، وتم ترسيمه ليقضى فى أمور الشريعة اليهودية ، برغم أنه يدبر أمور معيشته بوسـائل أخـرى . واستمر هذا الوضع فى العصور الوسطى ، فقد كان عدد من كبار الرابيين المشهورين أطباء أو تجارا حرموا على أنفسـهم تقاضى أموال مقابل تعليم التوراة . وجرى تبرير دفع مبالغ نقدية للرابى ، بأن هذه المبالغ ليست مقابل ما يؤديه من عمل دينى ، وانما هى تعويض له عن عمل آخر كان سيؤديه فى فترة انشغاله بمهامه الرابية . أما الآن ، فالرابى عادة ما يتقاضى أجرا من الجماعة التى يقوم فيها بدور المعلم والواعظ وخبير الشريعة والقائم بطقوس الزواج والجنائز والراعى المستشـار .

ولابد للرابى الأرثوذكسى الجديد أن يتلقى ترسيما من رابى آخر مرسم بالفعل ، ويعرف هذا الترسيم باسـم سميخاه Semikhaeh ولكى يصبح هذا الرابى الجديد أهلا للترسيم ، لابد من اتقانه أجزاء معينة من المدونة الشرعية شولحان عاروخ Shulchan Arukh ، التى تتناول الأحكام الشرعية المعقدة للطعام الحلال Kashrut ، وأن يكون

عارفا بأحكام الشريعة فى أمور الحيـاة اليومية وملتزما بها . وبطبيعة الحال ، فان هذا التدريب اللازم للحصـول على الترسـيم لا يؤهل ـ بالضرورة ـ الرابى فى المعابد الحديثة لأداء عمله ، لذا فان هنـاك برامج بحثية وتعليمية لاعداد الرابيين بين الحركات الهيودية الأرثوذكسية الحديثة والتقدمية تشتمل على مناهج دراسية وبحثية أوسع .

وفى المجتمعات اليهودية الأكبر ، نجد محاكم شرعية (رابيـة) بت دين Bet Din ـ تعمل بدوام كامل أو بعض الوقت . وتنظر هذه المحاكم فى أمور الطلاق والتحول لليهودية وكذلك الأمور الشرعية الأخرى ، ان وجـد رابيـون أكفـاء بين أفراد هذه المجتمعـات . والاشراف على الذبـح الحـلال (الشـعائرى) وتحمـل مسئولية الطعـام الحلال بشكل عام Kashrut يمكن أيضا أن تكون تحت اشراف بت دين Bet Din ، الذى تلقى أعضاؤه تدريبات ودراسات تقليدية أكثر من الرابيين المحدثين .

وبرغـم أن الاسم العـام للمسئول الرسمى الرئيسى فى المعبد هو رابى Rabbi ، فانه ليس كل من يشغل هذا المنصب رابيا Rabbi تلقى ترسيما رسميا . ورابى معبد التجمع ليس كاهنـا ، اذ يمكن أن يمارس معظم المهام فى هذا المعبد يهودى متعلم ، سواء تلقى « ترسيما » Semikhah أم لا . وفى بريطانيا ، كان القائد الروحى لليهـود الذى لم يرسم يطلق على نفسه : الموقر Reverned بينما كان يطلق عليـه فى أمريكا الشمالية لقب « رابى Rabbi » تجاوزا . واليهود السيفارد عادة ما يفضلون لقب حاخام Chakham على لقب « رابى » ، برغـم أن بعض الدول الأوروبية جنحت لاستخدام اللقب الأشكينازى ، أى رابى Rabbi . وليس من غير المألوف أن نجد أن القيـادة الدينية اليهودية للشريعة ـ مع شهرتها العالميـة ـ لا تتمثل فى الحقيقة فى أى منصب رسمى كمنصب الرابى . فالتقوى والعلم ـ وليس أى وضـع رسمى ـ هما اللذان يحققان له الشهرة كحكيم يهودى ، بالاضـافة لفتاويه فى الأمور الشرعية ، التى تلقى قبولا كفتاو موثوق بها .

امام الصلاة والابتهالات Cantor

وفقا للشريعة اليهودية ، يمكن لأى يهودى (ذكر) أن يؤم المصلين فى الصلوات وأن يقرأ التوراة ويقوم بالشعائر الأخرى فى المعبد . والمعبد اليهودى مؤسسة علمانية (غير دينية) تماما ، وليس مطلوبا منه سوى ما يقدمه الكاهن Kohen من تبريكات لمرتاديه . وفى الجماعات اليهودية الأرثوذكسية فى الشتات ، يقدم الكاهن هذه التبريكات فى الأعياد الكبرى ، أما فى اسرائيل فيقدمها فى مناسبات أخرى كثيرة بالاضافة للأعياد الكبرى . وفى معابد اليهودية التقدمية Progressive ، لا يقدم التبريكات سوى الرابى Rabbi وليس مجرد كاهن ، وبرغم أنه من الممكن أن يقوم شخص من غير رجال الدين بالمهام الدينية فى المعبد ، فان معظم المعابد الكبرى تعين امام صلاة وابتهالات تلقى تدريبات خاصة ، ليكون متفرغا لامامة الصلاة وقيادة الابتهالات .. الخ ، ويعرف باسم شازان (حازان Chazan) وهو لقب كان يطلق على احد المسئولين فى فترة التلمود كان يقود العبادات ويعود دوره الى زمن سابق على الفترة التلمودية . أما الامام المعاصر ، والأسلوب الموسيقى الذى يستخدمه الآن ، فقد بدأ فى الظهور فى القرن التاسع عشر مع الانعتاق (التحرر) اليهودى الأوروبى European Jews وقد سادت التقاليد الموسيقية الحاسيدية (الكاسيدية Chasidic) ، وكذلك الميلوديات اليهودية الشرقية والمؤلفات الموسيقية الحديثة فى اسرائيل على التأثيرات الموسيقية التى كانت سائدة فى وسط أوروبا .

والامام المثالى لابد أن يكون مبرأ من الخطايا ، غير سيىء السمعة وان يكون متواضعا مقبولا من الجماعة . ولابد أن يكون صوته جميلا ، لكن الشريعة اليهودية تركز على تقواه وعلمه أكثر من تركيزها على صوته(٢٣) . وتتوقع الجماعة اليهودية من الامام ان يقوم بدور فعال متقنا لعمله مع ضرورة توافر التقوى فيه ، فالتقوى هى الخلفية الأساسية التى تجعل دوره مقبولا .

الجزار الشرعى (الشوحيط)

كان تعيين شوحيط – جزار شرعى – أمرا ضروريا للمجتمع اليهودى بسبب الالتزام بضرورة تناول طعام كوشر (حلال) . وفى المجتمعات اليهودية الصغيرة ، قد يجمع الشوحيط (الجزار الشرعى) بين عمله كجزار وادائه لواجبات دينية أخرى : كقيامه بالتدريس والختان وامامة الصلاة والابتهالات . ولأن المسئوليات المنوطة بالشوحيط تستدعى ان يكون شخصا موثوقا به تماما ، فلابد أن يكون لديه شهادة تفيد كفاءته كذابح شرعى . وقد ثارت فى الماضى خلافات عامة حول الجزارين الشرعيين (شوحيطيم) الذين كانت طريقة ذبحهم موضع شك ، وكان لابد للرابى أن يفحص الشوحيط وسكينه ، للتأكد من صلاحيتهما . وان وجد الرابى فى الشوحيط اى نقص ، أعلن له أنه لا يصلح ذابحا شرعيا ، وبالتالى تصبح ذبائحه طعاما غير حلال (كاشير Kasher) . ومن مهام الشوحيط ، أن يفحص الحيوان الذى سيذبحه ليكتشف أى مرض به يمكن أن يجعله محرما (طريف terefah) .

وبرغم أن اليهودية توافق على تناول اللحم الحلال (كاشير) باعتبار ذلك يتفق مع الشريعة اليهودية تماما ، فقد كان هناك غموض يحيط بدور الشوحيط وازهاقه حياة ، للحصول على الطعام . ونتج هذا عن حكاية تلمودية عن الرابى يهوذا الأمير الذى اعتراه حزن شديد لأنه قال لعجل احتمى بعباءته بينما كان يقاد للذبح : « اذهب فقد خلقت لهذا » . لقد عانى واعترته الأحزان لأنه لم يشفق على هذا الحيوان ، ولم تفارقه المعاناة والأحزان الا فى وقت لاحق عندما أنقذ مجموعة فئران فى جحرها كانت خادمته على وشك قتلها (٢٥) .

وظائف صغرى ذوات طابع دينى

بالاضافة للرابى والامام (شازان) والجزار الشرعى (الشوحيط) الشخصيات الاجتماعية الدينية الرئيسية ، هناك عدد آخر من الأدوار الأقل التى غالبا ما ترتبط معا بوظائف (مهام) ذوات طبيعة مختلفة .

فهناك الشماش Shamash الذى يعتنى بالمعبد ، وكان فى الأزمنة القديمة يدعو الناس لحضور الصلوات اليومية . وهناك مساعدة الامام (الحازان شينى Chazan Sheni) الذى غالبا ما يقرأ فى المعبد القسم المحدد قراءته من التوراة كل يوم ويؤم الصلوات خلال أيام الأسبوع . وهناك الموهيل mohel أو الخاتن ، وهنـاك الميلامد melamed الذى يقوم بالتدريس فى المدرسة الدينية الملحقة بالمعبد Cheder ، والناسخ Sofr الذى يكتب بخط يده لفائف التوراة أو يرمم اللفائف القديمة منهـا كما يكتب المزوزاه Mezuzah (قطع الرق التى تحوى آيات توراتية ، والتى يعلقها اليهود على أبواب بيوتهم) . كما يكتب وثائق الطلاق فى المحكمة الشرعية Bet Din .

القيادة العلمانيـــة

ويدير المعبد نفسه موظفون منتخبون ، وهم مسئولون عن الأمور الادارية ومناصبهم شرفية . وفى المعابد اليهـودية الأرثوذكسية ، يتم انتخـاب مجلس الادارة ورئيس المعبـد Rosh Ha-Kahel والأمنـاء Gabbaim من بين الرجال فى الجماعة اليهودية . وتشكل النسـاء رابطة الأخوة النسائية التى جرت العادة أن تتولى أمانة الصندوق واعداد الطعام ، وغير ذلك من النشاطات الثانوية فى المعبد . وتلعب المرأة اليهودية فى الجمـاعات اليهودية التقـدمية Progressive دورا أكثر فاعلية فى ادارة المعبد ، بل انها فى بعض الحالات تشغل منصب الرابى بدوام كامل ، وكذلك تعمل كامام للتراتيـل والصلوات . ويقوم منع المرأة من مواقع الادارة فى المعبد اليهودى الأرثوذكسى على أحكام الشريعة التى تجعلهـا فى درجة أدنى من الرجل ، فقد كان الملوك اليهود دوما رجالا لا نساء (٢٦) . والمعارضة الأرثوذكسية لدور النسـاء كرابيات rabbis وأئمة وصلت الى مدى أبعد ، وهى قائمـة على افتراض اختلاف الأدوار الدينية للرجال عن الأدوار الدينية للنساء .

تنوع الجماعات اليهودية

يرتبط اليهـود بسلسلة من المنظومات الدينيـة والشعـائرية المتشـابكة ، ويشتركون فى ذكريات تاريخية واحدة ، كما يربطهم وعى

متجذر عميق بهويتهم وذاتيتهم وتضامنهـم . لكل هذا ، فالمجتمعـات اليهودية كتل تتسم بالتعددية تختلف ليس فقط بين مجتمع (جماعة) يهودى وآخر ، بل أيضـا بين جماعة فرعية وأخرى داخـل الجماعة الواحدة . وثمة نكتة مشهورة تفيد أنك اذا جعلت اثنين من اليهـود معا فستحصل منهما على ثلاثة آراء ، وحدثنا آخر عن اليهودى الذى جنحت سفينته عند جزيرة صحراوية فعندما أنقذ نفسه اتضح أنه بنى معبدين فى الجزيرة برغم أنه كان فيها وحيدا واعتبر نفسه منبوذا (مضطهدا) ، وقد شرح عمله الغريب قائلا : « لقد شـيدت معبدين ، واحـد لأصلى فيه ، والآخر لن أضع قدمى به » .

واحد التقسيمات التى طال أمدها بين اليهود ، هو تقسيمهم الى اشكينازيم وصفارديم . والمصطلح « أشكينازى » بمعناه الضيق « ذو الأصول الألمانية » ، والمصطلح « صـفاردى » الى حد ما « ذو الأصـول الاسبانية » ، اعتمادا على الفهم الذى سـاد فى العصور الوسـطى عن اسـتخدام المصطلحين فى سـفر التكوين (١٠/٣) (*) وعوبديا (٢٠/١) (**) . ووفقا للفكر الشائع – وان كان هذا الفكر الشائع يبسط الأمور أكثر مما ينبغى – فان يهود وسط وشرق أوروبا أشكيناز كانوا قد هاجروا من ألمانيا ، واليهود من شمال أفريقيا والشرق الأوسط والشرق الأدنى صفارديم ، وكانـوا قد قدموا من شـبه جزيرة أيبريا (اسبانيا والبرتغال) ، وعلى أية حال ، فبينما معظم اليهود الأشكيناز لديهم ثقافة مشتركة كانت فى وقت من الأوقات قائمة على اللغة اليديه Yiddish التى كانت لغة مشتركة بينهم ، فانه من غير الممكن جعـل كل اليهود الآخرين تحت عباءة الصفارديم . فيهود ايطاليـا واليمن وحوريا السوفيتية احتفظوا بتراث يهودى محدد خاص بهم ، ولا يمكن ببساطة أن نصنفهم مع الصفارديم . وهناك أيضا فوارق كبيرة بين كثير من الجماعات اليهودية الشرقيـة Oriental تشربت بعضا من ثقـافة

(★) النص : « وبنو جومر اشكيناز وريفات وتوجرمة ... » . (المترجم) .

(★★) النص : « وسبى أورشليم الذين فى صفارد يرثون مدن الجنوب ... » . (المترجم) .

يهود أيبيريا الراقية جدا الذين هاجروا الى بلادهم ، وأدمجوها بعاداتهم اليهودية ، وهناك أيضا اليهود الاسبان والبرتغاليون الذين هاجروا الى هولندا ودول شرق البحر المتوسط . وهؤلاء الأخيرون احتفظوا باللادينو Ladino ، وهى لهجة اسبانية ، كلغة يهودية لهم بعد طردهم من شبه جزيرة أيبيريا ، بالاضافة لاحتفاظهم بكثير من العناصر الثقافية اليهودية التى شاعت بين يهود اسبانيا .

وقد تطور كل من الأشكينازيم والصفارديم فى عزلة نسبية عن بعضهما فى العصور الوسطى : فالأشكينازيم عاشوا وسط الدول المسيحية ، والصفارديم عاشوا فى محيط اسلامى . وكان هناك بعض التأثير الفكرى المتبادل بالأعمال العلمية التى وجدت طريقها من ثقافة فرعية لأخرى ، ولكن قنوات الاتصال هذه كانت تختلف من زمن الى زمن ومن مكان الى مكان اختلافا كبيرا . والخلافات الأساسية بين الأشكينازيم والصفارديم هى فى الاستخدامات الطقسية لكل منهما وفى المصطلحات والمفاهيم الشرعية ، وفى العادات وفى طرائق الدراسة وفى نطق اللغة العبرية وفى التراث الموسيقى وفى اتجاهاتهم نحو الأغيار (غير اليهود) المحيطين بهم ، وفى مدى تأثير أفكار القبالة وفى المعتقدات الخرافية التى تشربها الناس على المستوى الشعبى من وحى بيئاتهم ، لكن ليس هناك فروق لاهوتية كبرى بينهما تمثل حاجزا يعوق التزاوج بين أشكينازى وصفاردى ، أو يمنع أيا منهما من التردد على معبد الآخر أو يمنعه من المشاركة فى طقوسه . ومعظم اليهود الأشكيناز اليوم يأخذون بالتعاليم والثقافة الغربيين ، مما أوجد فجوة اجتماعية واقتصادية كبرى فى اسرائيل بينهم وبين رفاق دينهم من الصفارد الشرقيين ، فالأشكينازيم فى اسرائيل يمثلون مجموعة مميزة اجتماعيا ، بينما الصفارديم الذين تعتمد ثقافتهم على أنماط سابقة زمنا على الأنماط الاسلامية الحديثة (*) — يمثلون قطاعات غير مميزة فى المجتمع اليهودى .

(★) أى تعتمد على ممارسات يهودية مختلفة سابقة على الاسلام وموجودة فى صميم اليهودية أيضا . (المراجع) .

وعلى أية حال ، فلم يمض وقت طويل جدا حتى رأينا الصفارديم الذين سبق أن هاجروا الى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية واستقروا فيهما ، أصبحوا أكثر تطورا اجتماعيا من يهود شرق أوروبا الأشكينازيم الذين هاجروا بعدهم الى هذه الأنحاء . وحتى اليوم ، هناك على المستوى الاجتماعى وصمة عار تلحق باليهودى المنتمى لعائلة صفاردية عريقة ان تزوج من أشكينازية . وفى اسرائيل ، تأخذ وصمة العار اتجاها آخر فكثير من اليهود ذوى الأصول الأشكينازية يرون أنه مما يخزيهم أن يتزوجوا من أسر يهودية شرقية . وفى اللغة اليدية عدد من المصطلحات ذات المعانى الازدرائية تطلق على اليهود الصفارديم ، وثمة أقوال شعبية تسخر منهم . واليهود الشرقيون فى اسرائيل يشيرون الى رفاق دينهم من اليهود الأشكيناز بأنهم « فوز ـ فوزيم Vuzz-Vuzzim » ، وهو مصطلح يسخر من طريقة الأشكيناز فى الحديث .

لقد وجدت الفروق كلها بين الأشكينازيم والصفارديم بدرجات كثرت أم قلت بين الجماعات اليهودية الفرعية المندرجة تحت هذين القسمين الكبيرين (أشكينازيم وصفارديم) ، فاليهود الأشكينازيون ينطقون لغتهم العبرية بطرائق مختلفة ، واليهود الألمان والمجريون واللتوانيون والروس والبولنديون يؤدون صلواتهم وابتهالاتهم بلهجات مختلفة ، كالاختلافات الموجودة بين الأشكينازيين والصفارديين أنفسهم . وعلى النحو نفسه ، هناك خلافات فى نطق العبرية بين اليهود الطليان واليهود اليمنيين وغيرهم من الصفارديين . وثمة طقوس وعادات فى هذه المجموعات اليهودية الفرعية الكثيرة ، وكذلك تتباين الاتجاهات بينها فيما يتعلق بثقافة الأغيار والقبالة والخرافات الشعبية . وفى الجماعات اليهودية الأشكينازية والصفاردية ، نجد من ينظر باحتقار لعناصر داخل القسم الذى ينتمون هم أنفسهم اليه . فهناك منافسات مريرة وأحكام جائرة بين اليهود الألمان واليهود البولنديين ، وبين البولنديين والروس ، وبين المجريين والروس والبولنديين وبين اليهود الرومانيين واليهود الآخرين فى شرق أوروبا . وهناك كثير من الفكاهات العرقية (الاثنية)

تعكس الصفات السلبية : اذ يوصف اليهـود الألمان بأنهم باردون غير واسعى الأفق ولا يفعلون أى شىء الا اذا ورد فى كتاب ، ويهـود جنوب بولندا والمجر أغبياء أتقياء ، واليهود اللتوانيون علماء غير أتقياء واليهود الرومانيون لصوص متطرفون . وكثير من هذه الأحكام المسبقة ـ كالتى بين الأشكينازيين والصفارديين ـ ظلت محفـورة بعمق فى وعى الأجيال اليهودية كبيرة السن . وعلى أية حال ، فان اتجاهات الآبـاء والأجـداد بدت للأطفال اليهود ـ الى حد كبير ـ غير مرتبطة بحقائق الحياة اليهودية فى الغرب وفى اسرائيل . فالى حد كبير حطم الاضطهاد النـازى وهجرة اليهود الواسعة خلال الأربعين سنة الأخيرة والوعى الوطنى اليهـودى ، الحدود القديمة التى كانت توجد فارقا بين جماعة يهـودية وأخـرى .

الفصل الثالث عشر

اليهودية المعاصرة : اتجاهات وحركات

الاختلافات الدينية

الانقسام بين الأشكينازيم والصفارديم (★) . يرجع ـ فى الأساس ـ الى عوامل تاريخية وجغرافية ، انه نتيجة تطور منفصل وعزلة جماعة عن اخرى طوال قرون ، لكن الانفصال بين اليهودية الأرثوذكسية واليهودية التقدمية ذو طبيعة مختلفـة ، فغالبـا ما يمثل فروقا حقيقية فى النظرة والاتجاهات ، فحتى وقت قريب نسبيا كان الانفصـال الأرثوذكسى ـ التقدمى لا يؤثر الا فى اليهود الأشكيناز وعدد قليل من اليهود الصفارديين الذين يعيشون فى أوروبا الغربيـة . ولم يؤثر هذا الانفصـال فى المجتمعات اليهودية الصفاردية الكبيرة التى تعيش فى وسط اسلامى . فلم يحدث أن تأثر هؤلاء اليهود الصفارديم بهذا الأمر الا بعـد الخروج الجمـاعى لليهود من البلاد العربية والآسـيوية بعد تأسيس دولة اسرائيل ، فمن وقتها ظهر بينهم صراع بين التقليدية والحداثة وبدأ الانفصال بين اليهودية التقليدية واليهودية الأرثوذكسية يؤثر فيهم . وعلى أية حال ، فلم تظهر بينهم ـ أى الصفارديين الذين عاشوا فى محيط اسلامى ـ حركة مهمة لاصلاح المفاهيم اليهودية وتحديثها ، ويعزى هذا الى حد كبير الى الوسط

(★) كتبناها بالصاد كما فى سفر عوبديا / ٢٠ . (المترجم) .

المختلف الذى أتوا منه ، حيث كانوا يعيشون فى عزلة ثقافية . أما اليهود الأوروبيون ، فقد أدى تحررهم واتصالهم بالعالم المسيحى ـ حيث كانت القيم المسيحية ماتزال فاعلة مؤثرة برغم حركة التنوير ـ وكذلك اليهود فى اسرائيل الحديثة ـ (حيث لازال هذا التحرر (الانعتاق) الجديد قائما) ، الى أن أصبحت الثقافة غير اليهودية السائدة هى ثقافة العالم الغربى العلمانية التى أعقبت الثورة الصناعية .

اليهودية الاصلاحية

بدأت اليهودية الاصلاحية فى القرن الثامن عشر بمطالب المفكرين اليهود الألمان بتغيير فى الشعائر والعقيدة اليهودية . وكان هؤلاء الدعاة للتحديث لايزالون يعتبرون أنفسهم فى حضن اليهودية التقليدية ودافعوا عن بدعهم الجديدة ، على أساس أنها تجعل اليهود واليهودية عناصر مقبولة فى مجتمع الأغيار . وعلى هذا ، حاول موسى مندلسون أن ينقى لغة أبناء دينه بترجمة الكتاب المقدس اليهودى للألمانية ، وهو العمل الذى بدأه فى سنة ١٧٨٠ . ورغب فى مراجعة البرامج التعليمية ، ليتيح لليهود اتقانا أكثر للغة العبرية والكتاب المقدس اليهودى والقيم الأخلاقية اليهودية . وأراد أيضا أن يتاح التدريب الحرفى لشباب اليهود ، وأن يتاح لهم أيضا خلفية موضوعية فى علوم كالرياضيات والأدب ، الى جانب الدراسات اليهودية التقليدية . وهذه العملية التى دفع بها مندلسون وتلاميذه أصبح لها زخمها الخاص الداخلى (بمعنى أنها تفاعلت بعد ذلك تفاعلا ذاتيا) ، وبدت المسيحية أقل تنافرا مع اليهودية فى عينى اليهودى المنعتق والمتعلم ، ولأن فى المسيحية كثيرا مما تشترك فيه مع الموروث اليهودى (*) ، فقد كان انتقال اليهودى الى جرن المعمودية baptismal font (أى تحوله للمسيحية) تطورا طبيعيا فى رأى بعض اليهود . وآخرون ممن اعترضوا على من رفض تراثهم

(*) المشترك بين الاسلام من ناحية واليهودية والمسيحية من ناحية أخرى ، أكثر من المشترك بين كل من المسيحية واليهودية . راجع : مقدمة الترجمة العربية . (المترجم) .

الدينى ، كانوا مع ذلك راغبين فى رؤية انعتاق اليهود الناجح ، وعملوا على احداث تغييرات فى التراث اليهودى لتأكيد هذا الانعتاق . لقد كانوا راغبين أيضا فى أن يكونوا قادرين على الاستمرار مع أولئك الذين حققوا هذه العملية بالفعل ونعنى عملية التحديث الثقافى نتيجة الاحتكاك بثقافات أخرى ، ووجدوا أنفسهم بالتالى غرباء عن معبد « العالم القديم » (المقصود ابتعدوا عن التراث الدينى اليهودى التقليدى) (*) .

والاصلاحات التى أدخلها اسرائيل جاكوبسون Israel Jacobson فى طرائق العبادة والطقوس الدينية بدأت منذ سنة ١٨١٠ ، وكانت تهدف الى دعم انعتاق اليهود الذين لم ينعتقوا بعد ، وتقديم تسهيلات لمن انعتق منهم بالفعل . ومن الخطوات التى اتخذت فى هذا الاتجاه ، ادخال الترانيم الألمانية واستخدام الأرغن والخورس المختلط وطقس التثبيت للأولاد . وبرغم أن جاكوبسون Jacobson سمى مكان العبادة الخاص الذى أنشأه معبدا Temple ليميزه عن السيناجوج التقليدى Synagogue (**) (أى استخدم كلمة temple بدلا من Synagogue) ، فانه لم يعتبر نفسه منشئا لحركة دينية جديدة ، وانما اعتبر نفسه ملتزما باليهودية فى مرحلة ما قبل الانعتاق . وفى الوقت نفسه ، فقد كانت هناك اعادة تقييم عام لعناصر فى العقيدة اليهودية بدت متعارضة مع اتجاهات اليهودى الألمانى المندمج فى مجتمع الأغيار ، مثل أفكار الأمل فى العودة الى صهيون Zion واعادة بناء الهيكل فى القدس واعادة تأسيس نظام الأضاحى ، فهى جميعا قد تجاوزها الزمن بالنظر لما حققه اليهود من انعتاق (تحرر) .

وعلى أية حال ، فلم يكن لعملية اصلاح الطقوس واعادة تقويم القيم الدينية حدود طبيعية (تقف عندها) :

(*) ما بين القوسين عبارة شارحة من المترجم .

(**) لاحظ استخدام Temple بدلا من Sytagogue ، ولاحظ أيضا أن كلمة Temple تطلق أيضا على هيكل القدس . (المترجم) .

فصدر كتـاب جـديد للصـلوات والابتهـالات لمعبـد همبورج Hamburg Temple فى سـنة ١٨١٩ ، وصـدرت طبعة ثانية فى سنة ١٨٤١ أحدثت خلافا – كانت تعكس بالفعل اعادة لتفسير فكرتى المسيح الآتى (المشياه / وهو غير المسيح عليه السلام الذى آمن المسلمون بمجيئه ، وأله المسيحيون) (*) وفكرة صهيون . وفى المراحل المبكرة ، عمد مؤيدو الاصلاح الى الاستشهاد بسوابق من الشريعة ، الا ان دعواهم تلك لم تلق قبولا من معارضيهم الأكثر تمسكا بالتقاليد . ومع تطور المناخ الفكرى الجديد كله ، ذلك المناخ الفكرى الذى ارتبط بدراسة تاريخ اليهود وآدابهم القديمة ، عرفت الحركـة باسم علم اليهودية Science of Judaism . وظهرت محاولات مد الاصـلاح الى مجالات أوسـع فى الحياة اليهودية وطقوسها . لقد أصـبح لدى الاصلاحيين الآن منظور أيديولوجى عن البنية التطورية لمسيرة الدين اليهودى . وأصبح الخلاف بين التقليديين والاصلاحيين الآن ليس – ببساطة – مسألة مقاومة احداث تغيير فى الشريعة يجعلها مقبولة (يجملها) ، وانما مقاومة تغيير أساسى فى الاتجاهات يمس طبيعة التعاليم اليهودية ومصداقيتهـا . لقـد ظهر مفكرون يهود راديكاليون فى كل من أوروبا وامريكا ، رغبوا فى اعـادة تشكيل اليهودية من جديد وحذف معظم الطقوس (الشعائر) المرتبطة بالغذاء والختان والسـبت Shabbat والأعيـاد . وكان تبريرهـم لاتجاههم هذا هو أن اليهودية قد نمت خلال ثقافات مختلفة وامتصت فى مسيرتها كثيراً من التأثيرات الخارجية ، وحتى تبقى اليهودية فى العالم المعاصر لابد أن نخرج منها الصيغ والأشكال التى عفا عليها الزمن ونحل محلها صيغاً وأشكالا جديدة .

واستمر الاختلاف بين الاصلاحيين المعتدلين مثل ابراهيم جيجـر Abraham Geiger ، والاصـلاحيين الراديكاليين مثل صـاموئيـل

(*) ما بين القوسين عبارة شارحة من المترجم .

هولدهيم Samuel Holdheim فى نطـاق اليهـودية الاصـلاحية حتى اليوم ، لقد كان هـذا الخـلاف سمة واضحة ليس فقط فى القـارة الأوروبية ، وانما ايضاً فى كل منطقة وصلتهـا الحركـة الاصلاحيـة اليهودية ، ففى بريطانيا ، ظهر أول تجمع اصلاحى فى سنة ١٨٤٠ من مجموعة من تجار لندن الأثرياء الذين قطعت صلتهـم تمامـاً بالمعابد الارثوذكسية . وكانت اتجاهاتهم الاصلاحية معتدلة ، ومنذ ذلك الوقت اصبح الاعتدال سمة من السمات الدائمة لليهودية الاصلاحية البريطانية . وهذا التجمع الذى كونوه (معبـد غرب لنـدن لليهـود البريطانيين) قبل الكتاب المقدس اليهودى واقر بقدسـيته ، لكنه اتخذ موقفـاً مرنا من التراث الرابى (الحاخامى) . وعدلوا كتاب الصلوات والابتهالات الذى نشروه ليكون على نسق كتاب الصلوات والابتهالات Shabbat الارثوذكسى مع تغييرات طفيفة فى الطقوس ، اما عن موقفهم اللاهوتى من اعادة الهيكل ومن المسيح (*) (المشياه) وعودة صهيون ، فلا تعكس تحذيرات بعض الاصلاحيين الألمان . ومع تأسيس اليهودية الليبرالية Liberal Judaism فى سنة ١٩٠٢ كان ظهور التطـور التالى الأكثر راديكالية ، فقـد وصلت هـذه الحركـة الأخيرة الى حـد تغيير حفظ السبت Shabbat واحـلال الأحـد مكانه . وقبـل كلود مونتفيور Claude Montefiore ، احد قادة اليهوديـة الليبرالية المبكـرة ، بفكرة ان أسفـار موسى الخمسـة لا صـلة لهـا بموسى ، ورفض الصهيونية لأنها تنفى عالمية اليهودية ، وتعاطف مع تعاليم يسوع ومع المسيحية . وادار ليليان مونتاج Lilian Montague – احـد معاونى مونتفيور فى تأسيس الحركة الليبرالية اليهودية ، والتى كانت معروفة وقتئذ باسـم الاتحاد الدينى اليهودى Jewish Religious Union – ادار بنفسه الطقوس التعبدية – وكان هذا ظاهرة غير معروفة لمعبد غرب لندن الذى كان ينحو نحوا اكثر ميلا للاتجاه اليهودى التقليدى . وانه

(*) الآتى وليس المسيح المعروف (المترجم)

لأمر حقيقي ذلك الذى جرى فى سنة ١٩٠٣ : فعندما طلب التجمع الليبرالى الوليد استخدام معبد غرب لندن الآنف ذكره ، كان أحد الشروط التى اشترطها مسئولو المعبد هو الفصل بين الجنسين أثناء العبادات (١) ٠

وهذا الانقسام نفسه بين المعتدلين والراديكاليين حدث فى الأيام الأولى لليهودية الاصلاحية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ٠ فاسحق م ٠ ويز Isaac M. زعيم المعتدلين واحد مؤسسى المركز الاصلاحى لكلية الاتحاد العبرى Reform Seminary Hebrew Union College – فى Cinncinatti كان هو مخطط منصة كليفلاند (بلاتفورم) Cleveland Platform – حيث وضع أساس اليهودية الأمريكية الاصلاحية ٠ وقد اعترف البلاتفورم Platform بقدسية التوراة وصحة التراث الرابى (الحاخامى) ، برغم أن وجهات نظر ويز Wise الشخصية فى هذه الموضوعات كانت بعيدة عن وجهات النظر الأرثوذكسية ، لقد أراد ويز Wise أن يتخذ موقفا وسطا واعتقد أن أية تغييرات يتم ادخالها فى طقوس العبادة اليهودية يجب أن تكون من النوع الهادف لتحسين شكل اليهودية الأمريكية ، وجعلها كافية للنمو ٠ ومن هنا ، فقد رفض الفصل بين الجنسين فى المعابد كما رفض أن تستمر الأعياد لأكثر من يوم ، وفى سنة ١٨٧٣ رفض حتى ضرورة أن يغطى المصلون رؤوسهم أثناء الصلوات والابتهالات ٠ وظهر اصلاحيون أكثر راديكالية كان على راسهم داود اينهورن David Einhorn – ومن بعده زوج ابنته كوفمان كوهلر (كولر) Kaufman Kohler – الذى عارض اتجاهات ويز Wise التجريبية النفعية وطالب باصلاح أكثر استمرارية وعمقا ٠ وفى بلاتفورم بتسبرج Pittsburgh Platform سنة ١٨٨٥ الذى شارك كوهلر Kohler مشاركة فعالة فى تكوينه ، كان من رأى المجتمعون أن الكتاب المقدس اليهودى يحوى أفكارا عفا عليها الزمن ، وهذا لايمنع من انه لازال ذا قيمة كبيرة كمصدر لليهودية ٠ فالتعاليم

الأخلاقية اليهودية فقط ، يمكن ربطها بأية شعائر تطهر حياة اليهودى المعاصر ٠ اما القيود المتعلقة بالطعام والتطلعات والوطنية للعودة لفلسطين واما عقائد مثل البعث والثواب والعقاب بعد الموت – فقد رفضت جميعا ٠ وفوق هذا ، فان الجناح الأكثر راديكالية فى اليهودية الاصلاحية هو الذى سيطر على اليهود الاصلاحيين الأمريكيين ٠

منذ الأيام الأولى للاصلاح ، زاد عدد المؤيدين للحركة خاصة فى امريكا الشمالية ٠ فمنظمتها هناك – اتحاد التجمعات العبرية الأمريكية (*) – تضم حوالى ٨٠٠ معبد اليوم ٠ وبرغم أنه لاتزال هناك خلافات بين المعتدلين والراديكاليين حول مكانة المعايير التقليدية فى الحياة الاصلاحية اليهودية ، فهناك – بشكل عام – حركة للعودة للتراث فى بعض الجماعات وميل قوى للاتفاق مع الصهيونية ودولة اسرائيل ٠ والطقوس التى كان قد تم استبعادها أعيد ادخالها فى عبادات بعض التجمعات الاصلاحية الراديكالية ٠ والجماعات الاصلاحية المعتدلة تعيد الآن دراسة جوانب الممارسات الرابية (الحاخامية) ، التى سبق أن رفضتها فى بدايات الحركة الاصلاحية ٠ وقد انشغل الرابيون الاصلاحيون فى الولايات المتحدة الأمريكية اليوم ، انشغالا خاصا بقضية قيامهم بطقوس الزواج المختلط بين اليهود والأغيار ٠ فبينما المؤسسة الرابية الاصلاحية (المؤتمر المركزى للرابيين الأمريكين) تعارض قيام الرابيين بطقوس هذا الزواج المختلط من حيث المبدأ ، فقد سمح للرابيين الأفراد باتخاذ قراراتهم الخاصة بهذا الشأن وفقا لسياساتهم الخاصة ٠ وهيئة نيويورك للرابيين New York Bord of Rabbis والمشكلة من أرثوذكس ومحافظين واصلاحيين أصدرت قرارا فى سنة ١٩٧٣ ، بمنع عضويتها عمن يعتمد هذه الزيجات المختلطة ٠ وقد أدى هذا الى استقالة عدد من الرابيين الاصلاحيين من الهيئة ٠

(*) Union of American Hebrew Congregations (المترجم) ٠

وتعد اجراءات الطلاق التى يتخذها اليهود الاصلاحيون هى أخطر مشكلة طال الخلاف حولها بين اليهود الاصلاحيين ، واليهود الاكثر ميلا الى اليهودية التقليدية ٠ فالمرأة المتزوجة التى لا تقوم باجراءات طلاق تقليدية تعتبر من وجهة نظر الشريعة اليهودية لاتزال متزوجة ، واى اطفال يولدون من زواج لاحق يعتبرون أولاد زنا (مامزيريم mamzerim) ، ولا يمكنهم ان يتزوجوا بحرية من أبناء (أو بنات) دينهم ٠ وما دام زواج الاصلاحيين لايتم وفقا للشريعة اليهودية ، فقد زاد عدد المواليد فى الجماعات الاصلاحية ممن يعتبرون أولاد زنا (مامزيريم) وهذه الوصمة ستنتقل بالتالى لانجالهم ٠ وبمرور الوقت قد يقصر اليهود الأرثوذكس الزواج فى نطاق الأرثوذكس ، وقد يفعل اليهود الاصلاحيون الشىء نفسه ، فتصبح كل جماعة مقتصرة فى زواج أفرادها على أفراد من الجماعة نفسها ، طالما أنه ليس فى الامكان ازالة وصمة المامزيروت mamzerut (أولاد الزنا) عن مثل هذا العدد الكبير ٠

اليهودية المحافظة

التوتر نفسه الذى حدث بين التقليدية والحداثة والذى أدى الى ظهور اليهودية الاصلاحية فى فترة ما بعد الانعتاق اليهودى ،هو الذى أدى أيضا الى بدايات حركة اليهودية المحافظة ٠ وكان أيديولوجيو هذه الحركة هم علماء اليهود الأوروبيين الذين طوروا ما يسمى المدرسة التاريخية فى حضن تيار علم اليهودية Science of Judaism ٠ لقد عارض زكريا فرانكل Zacharias Frankel – مؤسس المدرسة التاريخية – بشدة اصلاحات معاصريه مثل هولدهيم Holdheim وجيجر Geiger ، وانسحب من مؤتمر فرانكفورت الرابى Frankfort Rabbinical Conference المنعقد فى سنة ١٨٤٥ احتجاجا على موقفه ٠ وكان يرى أن الاصلاحات المعتدلة ضرورية ، ولكنها لابد أن تعكس روح ماضى اليهودية ، لا أن تنتهك تلك الروح خضوعا للحداثة ٠ وكون فرانكل Frankel جهازا مؤثرا للبحوث

التاريخية فى التراث اليهودى ليبين كيف تطورت اليهودية مع الزمن ، وهذا يحدد بالتالى اتجاه ما يمكن احداثه من تطورات جديدة ٠ وساعد فى تاسيس المعهد الدينى اليهودى اللاهوتى فى بريسلو Breslau ، ورأسه ، وكان هذا المعهد نموذجا للمؤسسات الدينية اليهودية المحافظة اذ مزج بين المقررات الدراسية التقليدية والدراسات التاريخية ٠ وكان اتجاه المحافظين غير مقبول من اليهود الاصلاحيين ، لنفور المحافظين (المدرسة التاريخية) من ابطال نظم العبادة « التى عفا عليها الزمن » ، كما اعتبر الأرثوذكس اتجاههم التاريخى النقدى رجسا (فيه تدنيس للمقدسات) ٠

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، رغب عدد من الرابيين الأمريكيين الذين انطلقوا من بيئة أوروبية تقليدية فى تعديل الطقوس (الليتورجية) والشعائر اليهودية لتكون متوائمة مع الحياة الأمريكية ، وكانوا منزعجين من رفاقهم فى الدين ، الاصلاحيين الراديكاليين ، برغم أنهم عملوا معهم لفترة فى محاولة لتوحيد الجماعة اليهودية فى أمريكا ٠ وكان المقدم بين هؤلاء اليهود المحافظين هو اسحق ليسر Isaac Leeser ، الذى بدأ فى نشر صحيفة فى سنة ١٨٤٣ جعل لها عنوانا هو « الغرب Occident » ، لتكون اداة لخدمة تعديل اليهودية مع المحافظة على المنحى التقليدى ٠ لقد عمل ليسر Leeser مع الرابيين المهاجرين الآخرين – مثل صباتوموريز Sabbato Morais وماركوس جاسترو Marcus Jastrow واسكندر كوهت Alexander Kohut – للمحافظة على استخدام اللغة العبرية فى الطقوس الدينية (الليتورجية) واستمرار مراعاة حفظ السبت ومراعاة قيود الطعام اليهودى الحلال (الكشروت) ٠ واتخذوا أيضا اتجاهات محافظة فيما يتعلق بالأمل فى عودة المسيح (المشياح وهو غير المسيح عليه السلام المعروف) وقضية الهوية الوطنية اليهودية والصهيونية ، مما جعلهم فى خلاف مع الزعامات اليهودية الاصلاحية ٠

واســـس موريز Morais المعهـــد الدينى اليهـــودى اللاهـــوتى فى نيويورك الذى بدأ فى تدريب الرابيين وفقا لتراث اليهودية التاريخية فى سنة ١٨٨٧ · وكان هذا المعهد يهدف فى الأساس لاستيعاب التجمعات الأرثوذكسية ليكونـوا مؤيدين لاتجاهاته ، لكن الأرثوذكس وجـدوا اتجاهاته الدينية مستحدثة كثيرا · ولهذا ، اضطر المعهد ان يطور نفسه بشكل مستقل عن كل من الأرثوذكس والاصلاحيين · وفى سنة ١٩٠٢ ، تم اسـتدعاء سـليمان شـشتر Solomon Schechter من انجلترا ليرأس المعهد ليوجه موقفه اللاهوتى المستقل · وكان شيشتر ـ الذى تلقى تعليمـه التلمودى فى شرق اوروبا وكان يقوم فى ذلك الوقـت بتدريس التراث الرابى فى كمبردج ـ قد حقق بالفعل شهرة عالميـة ، لاعادته ذخائر من المخطوطات القديمة كانت مخبأة فى مخزن بالقاهرة (*) (جنيزة Cairo Genizah) وكانت كفـاءة شـشتر فى مجـال اللاهـوت وبراعته الادارية ـ أكثر من علمـه ـ هما اللذين مكنـاه من تحويل الحركة الوليدة الى قوة كبرى بين اليهود الأمريكيين ·

وفى سنة ١٩١٣ ، أسس ششتر معبد أمريكا الموحد على نسق المعبد الموحد فى لندن مع بعض المرونة ، وذلك بهدف توحيد كل تجمعات اليهود المحافظين فى أمريكا الشمالية · واليوم ، فان معبد أمريكا الموحد هو اكبر منظمة يهودية رسمية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فهو أكبر من منظمتى اليهود الاصلاحيين واليهود الأرثوذكس ، ولا زال يزدهر بشكل أسرع من منظمات منافسيه · وبينما كان معبد أمريكا الموحد مكونا من تجمعات تختلف اتجاهاتها اختلافا كبيرا ازاء الطقوس اليهودية ، فان المعهد الدينى كان دائما يمثل أكثر المواقف تقليدية فى نطاق الحركة الاصلاحية · وكان الطعم التقليدى للمعهد من صياغة ششتر نفسه ، الذى وجه أقوى نقد للكتاب المقدس اليهودى باعتباره معاديا للسامية أكثر من غيره (٢) higher anti-Semitism ، والـــذى كـــان يـــرى أن التغيـــير فى

(★) الجنيزة مخزن تحفظ به النصوص الدينية المقدسة التى اهترات او منعت من التداول · (المترجم) ·

الطقوس اليهودية لابد ان ينطلق من اجمـاع « اسرائيـــل الشـــاملة Catholic Israel » · وفكرة « اسرائيل الشاملة » ـ الكيان الحى لليهود ـ تنطوى على يهوديتهم فى الحياة والممارسة الفعلية · وبرغم أن ششتر لم يعرفها بدقة ، فانهـــا استخدمت كخازوق Lynch-pin أيديولوجى للاتجاهات المحافظة (٣) · وتورط ششتر ايضا مع الصهيونية، برغم انه كان يعتبرها فى الأساس احيـــاء للوطنية الثقافيـة اليهودية ومانعة لاستيعاب اليهود (فى المجتمعات التى يعيشون فيها) ، أكثر من اعتبارها حركة سياسية علمانية · وبشكل عام ، فقـــد كان يرى فى الحماسة الاصلاحية لبعض اخوانه فى الدين عنصرا غريبا مقحما يطبق الاتجاهات المسيحية على الأشكال اليهودية ذات الطبيعة الخاصـــة فى التعبير الدينى ·

واتبع تلاميذ ششتر موقفه التقليدى ، وبرغم ان البعض أيد الاتجاه النقدى للكتاب المقدس اليهودى ، فانهم كانوا متحفظين ازاء ادخال تغييرات فى الشريعة (الهالاخاه) ، اذا كان ذلك يؤدى الى عداء مع القيادات الدينية الارثوذكسية · فالمعابد المحافظة سمحت ـ بمرور الوقت ـ بجلوس الرجال والنساء معا وسمحت بالنقل يوم السبت ، وأبطلت اجبار أخى المتوفى من غير عقب على الزواج من ارملة أخيـــه (*) ، كما ألغت القيود المفروضة على زواج الكهنة وبذلك منعت ضرورة استمرار استخدام النساء لمياه من مصدر طبيعى للاستحمام الشعائرى (الميكفاه mikveh) ، وسمحوا بأداء الصلوات والابتهالات باللغة الانجليزية · هذه التغييرات وكثير من التغييرات الأخرى المشابهة اعطت لليهودية المحافظـــة سمتها المميزة بوضوح عن الأرثوذكسية وجعلتها ـ الى حد كبير ـ افرازا من افرازات أمريكا الشمالية · وظلت ـ كحركة ـ متمسكة بمحاولة صياغة عقيدة الوحى لتكون ـ بعد صياغتها الجديدة ـ أساسا من أسس اللاهوت

(★) اشار ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) لهذا فى كتابه هداية الحيارى (القاهرة ، المكتبة القيمة) ص ٢٠٥ ، واشار غيره أيضا ، لكننا نورد نص ابن قيم الجوزية لتوافره بين ايدينا :

المحافظ ، وظلت متمسكة باقترابها من التراث اليهودى • وبينما نجد معظم المفكرين المحافظين اليوم يرفضون فكرة أن أسفار موسى الخمسة موحى بها من الله الى موسى ، فانهم يرغبون فى الاحتفاظ بعنصر مقدس ومعتمد فى يهودية التوراة ويهودية ما بعد التوراة ، لكن ثبت أن تحديد هوية هذا العنصر المقدس والموثق فى التراث مسألة خلافية بشكل فريد •

ومن فروع اليهـــودية الاصلاحيـــة حـــركة اعـــادة البنـــاء Reconstructionist التى أســـسها موردخـــــاى قبـــلان (*) Mordecai Kaplan ، الذى كان فى وقت من الأوقـــات ضـــمن هيئة تدريس المعهد اللاهوتى اليهودى Jewish Theclogical Seminary واعتبر « لاهوت » قبلان – غير المقبول من كثير من زملائه المحافظين –

« .. ورد عندهم فى التوراة : « اذا أقام اخوان فى موضع واحد ومات أحدهما ولم
يعقب ولدا فلا تصير امرأة الميت الى رجل أجنبى بل حموها ينكحها ، واول ولد يولدها
ينسب الى أخيه الدارج ، فان أبى أن ينكحها خرجت متشكية الى مشيخة قومه قائلة قد
أبى حموى أن يستبقى اسما لأخيه فى بنى اسرائيل ولم يرد نكاحى ، فيحضره ويكلفه
أن يقف ويقول ما أردت نكاحها ، فتتناول المرأة نعله فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها
وتبصق فى وجهه وتنادى عليه : كذا فليصنع بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه • ويدعى
فيما بعد بالمخلوع النعل ، وينتبز بنوه بهذا اللقب » •

وفى هذا كالتلجئة له الى نكاحها ، لأنه اذا علم أنه قد فرض على المرأة وعليه ذلك
فربما استحيا وخجل من شيل نعله من رجله والبصق فى وجهه ونبزه باللقب المستكره الذى
يبقى عليه وعلى أولاده عاره ولم يجد بدا من نكاحها فان كان من الزهد فيها والكراهة لها
بحيث يرى أن هذا كله أسهل عليه من أن يبتلى بها وهان عليه هذا كله فى التخلص منها
لم يكره على نكاحها ، هذا عندهم فى التوراة • ونشأ لهم من ذلك فرع مرتب عليه وهو :
أن يكون مريدا للمرأة محبا لها وهى فى غاية الكراهة له ، فأحدثوا لهذا الفرع حكما فى
غاية الظلم والفضيحة فاذا جاءت الى الحاكم أحضروه معها ولقنوها أن تقول : ان حموى
لا يقيم لأخيه اسما فى بنى اسرائيل ، ولم يرد نكاحى ، وهو عاشق لها ، فيلزمونها بالكذب
عليه وأنها أرادته فامتنع – فاذا قالت ذلك ألزمه الحاكم أن يقوم ويقول : ما أردت
نكاحها ، ونكاحها غاية سؤله وأمنيته ، فيأمرونه بالكذب عليها ، فيخرج نعله من رجله
الا أنه لا ... هنا ولا ضرب بل يبصق فى وجهه وينادى عليه : هذا جزاء من لا يبنى
بيت أخيه » • (المترجم) •

(★) بعض الكتب المنشورة فى عمان تطلق على حركة قبلان هذه اسم اليهودية
التجديدية • (المترجم) •

اليهودية كحضارة دينية متطورة ، تعد الطقوس فيها طرائق أو أساليب شعبية خارج وجودها الجمعى ، كما يعد « الله » فيها اختراعا اخترعته المثل البشرية يعكس العملية الكونية بغية الحصول على الخلاص • وتمثل حركة اعادة البناء التيار الرابع فى الحياة اليهودية ، وضمت عددا قليلا – لكنه فعال – من بين المفكرين • وتدير الحركة مؤسساتها التعليمية الخاصة بها وتصدر منشوراتها ، ولها تأثيرها فى الساحة اليهودية الأمريكية بما لا يتناسب مع حجمها •

اليهودية الأرثوذكسية

الجماعات الفرعية التى يتكون منها اليهود الأرثوذكس اليوم تجعلهم كتلة متباينة الاتجاهات غير متجانســـة العناصر • ومصطلح اليهـــود الأرثوذكس – الذى هو مجرد مظلة مفيدة يندرج تحتها اليهود التقليديون المنتمون للمعابد غير المرتبطة بالحركة المحافظة والحركة الاصـــلاحية – صاغه للمرة الأولى اليهود الاصلاحيون ليعنو به أولئك الذين يقاومون التغيير والتعديل فى الحياة اليهـــودية التقليدية ، وكان هذا المصطلح ينطوى على شئ من الازدراء لمعارضى التغيير هؤلاء • والحقيقة ، ان مصطلح الأرثوذكسية اليهودية اسم مغلوط أو مضلل فبينما معظـــم الجماعات اليهودية التقليدية يمكن وصفها بأنها Ortho-prax ، أى تمارس عمليا – ما يشترك معهم فيه آخـــرون – الالتزام بالمفاهيم الشرعيـــة (الهالاخاوية) ، فانه لا يوجد هيكل عقدى يوحدهم (بمعنى أن الالتزام بالشريعة قد يجمعهم ، لكن ليس لهم فكر عقائدى أو لاهوتى موحد) •

وفى القرن التاسع عشر ، وجـدنا أن اليهـــود الأوروبيين الذين لم يستجيبوا للانعتاق (التحـــرر) بتأييدهم لتغييرات راديكالية فى العقائد والطقوس اليهودية ، اما أنهم استمروا – ببساطة – متمسكين بالرؤية التى ســـادت فى القرن التاســـع عشر للتقليدية اليهودية Jewish traditionalism ، أو حـــاولوا تشرب الحـــداثة وادخالها فى البنية اليهودية • لقـــد كان الاختيار الأول الذى أدى الى مواقف

محافظة متشددة فى تحفظها كتلك التى اتخذها الرابى موسى سوفر البرسبورجى Moses Sofer of Pressburg ، الذى هاجم حتى الاصلاحات المعتدلة تحت شعار « التوراة تحرم البدع ، أو بتعبير آخر كل ماهو جديد حرمته التوراة » والكلمة العبرية الدالة على الجديد هى حاداش Chadash ، وتستخدم فى التراث الرابى للاشارة الى محصول الحبوب الجديد الذى يمنع – حقا – الأكل منه حتى تقدم عنه الزكاة (*) Omer فى ثانى أيام الفصح . وعلى هذا ، فهذا الشعار يعتبر حكما شرعيا مشهورا استخدمه الأرثوذكس المجريون متلاعبين بالألفاظ ، لتلخيص اتجاههم أمام الاصلاحيين . وقاد سوفر Sofer وتلاميذه فى امبراطورية النمسا والمجر هجوما مضادا على أى نوع من الاصلاح ، وأصر على أن القيم التقليدية فى القرن التاسع عشر يجب أن تستمر بدون تغيير .

وثمة تعبير آخر عن هذه المحافظة الأرثوذكسية فى الاتجاه الذى اتخذه الزعيم الدينى الحاسيدى الرابى شنور زالمان الليادى Schneur Zalman of Liadi ، الذى أيد القيصر الروسى ضد نابليون برغم سياسات القيصر المناهضة لليهود ، وبرغم ان سياسات نابليون هى الأكثر تنورا ، لقد رأى الرابى شنور زالمان فى سياسة نابليون الهادفة الى اسقاط جدران الجيتو ghetto وتحديث اليهود ، تهديدا للطبيعة التقليدية للحياة اليهودية . وقد رفض الرابى موسى سوفر والرابى شنور زالمان كلية ، ثقافة أوربا العلمانية وما نتج عنها من تأثير على السلوك اليهودى وعلى الاتجاهات التى سادت بين اليهود .

وثمة استجابة مختلفة تماما للانعتاق (التحرر) اليهودى هى الأرثوذكسية الجديدة Neo-Orthodoxy ، التى اخذ بها الرابى سامسون رافائيل هيرش Samson Raphael Hirsch فى

(*) زكاة الزروع ، وهو قدر من الشعير (أو الحبوب عامة) يجرى تقديمه من المحصول الجديد فى ثانى ايام عيد الفصح ، ولها معان اخرى . انظر معجم المصطلحات العبرية بآخر الكتاب . (المترجم) .

فرانكفورت . فبينما نجده يؤكد ثبات المفاهيم الشرعية وعدم قابليتها للتغير الا من خلال ديناميكية داخلية فى المفاهيم الشرعية نفسها تنتهى الى تكييفها (مع المتطلبات الجديدة) ، فانه يقبل تماما قيم الثقافة الأوروبية . وبالنسبة له ، لم يكن التعليم المدنى (غير الدينى) والمشاركة الفعالة فى الحياة العامة للمجتمع مجرد اذعان للزمن أو رضوخ له . ان هناك ضرورة – الصميم – لليهودية لأن تستوعب ثقافة المجتمع الذى تعيش فيه ، وأن تصيغ الأفكار والقيم اليهودية بمصطلح هذه الثقافة التى تعيش بينها .

لقد كان شعار هيرش Hirsch هو « التوراة مع الطريق الأرضى (*) Torah im derekh eretz » وهو عبارة استعارها من التراث الرابى تعنى فى الأساس أن التوراة يجب أن تكون مصحوبة بمهام دنيوية . وقد وسع هيرش معنى العبارة وفسرها بقوله ، ان التوراة – اى اليهودية – لابد أن تسير كتفا بكتف مع ما هو موجود فى المكان والعصر الذى يعيش فيه اليهود ، من ثقافة وعلم وعلاقات اجتماعية .

والحق ، ان هاتين الاستجابتين للحداثة من جانب التقليديين حددتا الطبيعة المزدوجة للأرثوذكسية حتى الوقت الحاضر . لقد رفضت قلة من اليهود الأرثوذكس – بمن فى ذلك كثير من العلماء الرابيين – ما حدث من تقدم فى الثقافة الحديثة (لقد رفضوا حتى الأزياء الجديدة) كما رفضوا التعليم العلمانى ، كما رفضوا المشاركة فى الحياة الاجتماعية والفكرية لمجتمع الأغيار (غير اليهود) . وبرغم انهم قبلوا التطورات التكنولوجية الخالصة ، كاستخدام الكهرباء والسيارات والطائرات والتليفونات والطب الحديث ، فانهم يفضلون العيش داخل جيتو ثقافى فرضوه على أنفسهم . واصبح اتصالهم بالعالم خارج الجيتو مقتصرا على الحد الأدنى مما تفرضه الأسباب الاقتصادية ، وكثير ممن يسمون « الأرثوذكس المغالون Ultra-Orthodox Jews » ، يرفضون

(*) بتعبير آخر « التوراة والعمل » . (المترجم) .

مشاهدة التليفزيون وقراءة الصحف اليومية . ومن الطبيعى ان يختلف مدى رفض ثقافة الأغيار اختلافا كبيرا بين هؤلاء اليهود ، لكن فى هذا النوع من المجتمعات المترابطة ترابطا محكما توجد شروط معينة لابد من توافرها للانتماء اليها .

وكثرة وجود الجماعات بين اليهودية الأرثوذكسية ــ وقد يكون من الملائم ان نقول ان هذا مما يميز الأرثوذكسية الحديثة ــ هى نتيجة مباشرة لاتجاه هيرش ، برغم أن معظم الارثوذكس قد لايقبلون موقف هيرش الأيديولوجى . واليهود الأرثوذكس المعاصرون يلبسون الملابس الأوروبية ويلتحقون بالجامعات الاوروبية ، ويقبلون القيم الثقافية الثانوية للمجتمع الذى يعيشون فيه . وبين اتباع هيرش نجد الرجال حليقين ويضعون الهيرستيل hairstyle الحديث على رؤوسهم . وغالب النساء فى مثل هذه الجماعات لا يستعملن الشعر المستعار (الشيتل Sheitel) ، وانما عليهن وضع القبعات على رؤوسهن عند حضور العبادة فى المعبد ، برغم أن أتباع هيرش يصرون على استخدامهن للشعر المستعار عند حضور العبادة .

وقد أسست الأرثوذكسية الحديثة مؤسساتها التعليمية على مستوى المدارس الثانوية والكليات ، وأشهر هذه الكليات هى كلية اليهود فى لندن ، وجامعة يشيفاه فى نيويورك Yeshivah Univ. ، وجامعة بار الان Bar Ilan فى اسرائيل . وبرغم أن أيا من هذه المؤسسات التعليمية لم يتبن الاتجاه النقدى التاريخى لتعليم اليهودية ، فان مناهجها تظهر الاتجاه الحداثى مما يجعلها موضع شك من الأرثوذكس المغالين . فبرغم أن الأرثوذكسية الحديثة تلتزم بالشريعة (الهالاخاه) ، فانها تفسرها تفسيرا مرنا . فلابد من النظر للتراث اليهودى من خلال عدسة ملونة بقيم الانسان المعاصر وأفكاره ، برغم انه من غير المسموح به أن يكون هذا التراث اليهودى تابعا لهذه القيم أو عاملا ثانويا بالنسبة لها .

وعادة ما يعين المعبد الأرثوذكسى الحديث رابيا (*) rabbi سبق له ان تخرج فى الجامعة ويلقى عظاته بالعامية . وبينما يعزل الجنسان أثناء العبادة ، فان الممر الخاص بالنساء لا يحجب بستارة كما فى معابد اليهود الأرثوذكس المتشددين Ultra-Orthodox . وتقوم النساء بدور فعال ــ لكنه ثانوى ــ فى حياة المجتمع . وكثير من الاعضاء الفعالين فى المعابد اليهودية الأرثوذكسية يقومون بادوارهم متراوحين بين الالتزام بالتراث والحداثة ، بصرف النظر عن الحدود الرسمية التى صاغتها مقولات الأرثوذكسية الحديثة . وقد لاتختلف مواقفهم من الطعام الحلال (كشروت terefaf) وحفظ السبت والقيود المفروضة على العلاقات الجنسية niddah ــ قد لاتختلف اختلافا جوهريا عن ممارسات اليهود المحافظين أو اليهود الاصلاحيين . وهم يعرفون أنفسهم بأنهم يهود أرثوذكس نسبة الى المعبد والجماعة اللذين ينتميان اليهما ، أكثر من النسبة الى عقيدة لاهوتية بعينها أو ممارسات شعائرية خاصة .

وبينما لايتعاون الزعماء الأرثوذكس المتشددون Ultra-Orthodox مع اليهودية التقدمية لانهم لا يعترفون بشكل من اشكال اليهودية يرونه مهملا لأسس العقيدة اليهودية ، فان الأرثوذكسية الحديثة منقسمة حول مدى جواز هذا التعاون . وأصر هيرش Hirsch نفسه على أن المجتمعات اليهودية الأرثوذكسية الحديثة Neo-irthodox يجب توظيفها بشكل مستقل تماما عن اليهودية الاصلاحية . وقد أدى هذا الى انشقاق فى صفوف اليهود الأرثوذكس الألمان فى القرن التاسع عشر ، وهاجم سليجمان بامبرجر R. Seligman Bamberger الرابى الأرثوذكس البارز اتجاه هيرش الانعزالى .

(*) سبق القول ان بعض الكتب تكتبها (ربى) وبعضها (ربانى) ، والصيغة التى نستخدمها هى الأدق . راجع مقدمة الترجمة العربية (المترجم)

واستمر التعاون المحدود بين الأرثوذكسية الحديثة ، واليهودية المحافظة واليهودية الاصلاحية مستمرا حتى اليوم بشكل أوضح ، فى الوقت الذى يشترك فيه كل اليهود فى ذكريات واحدة : معاداة السامية ، والمحرقة (الهولوكوست) والحاجة العامة لدعم الصهيونية واسرائيل . لذا ، فلم يعد من غير المألوف أن تجد زعماء يهودا من الأرثوذكسية الحديثة يعملون جنبا الى جنب مع شركائهم من اليهود التقدميين فى قضايا مشتركة وعامة . وعلى أية حال ، فان الأمور اذا وصلت لتطول الأمور الدينية استاء الرابيون الأرثوذكس ، ولم يدخلوا معهم فى مغامرة مشتركة ، خوفا من أن يعتبر هذا اعترافا شرعيا بالحركة الاصلاحية ، ولم يؤد اتجاه بعض الاصلاحيين نحو اعادة تقويم موقفهم من الطقوس التقليدية الى رأب الصدع بينهم وبين الأرثوذكسية الحديثة الا بقدر ضئيل . ان تاريخ الخلاف بينهما وشدة العداء متجذران بعمق ، والخلافات اللاهوتية والطقسية بين الفريقين كبيرة جدا بحيث يصعب تجاوز الحاجز بينهما .

الفصل الرابع عشر

اليهود والأغيار (غير اليهود)

تاريخ العلاقة بين الجماعات اليهودية التى تعيش كأقليات ـ غالبا ما تكون فى محيط مسيحى أو اسلامى ـ والمجتمعات المضيفة ، ما هو الا تاريخ يظهر ما تعرض له اليهود من ازدراء واضطهاد . ولم يحدث الا أثناء قرون قليلة من بين آلاف السنين الماضية ، ان عاش اليهود فى هدوء نسبى .

وبشكل عام ، فقد واجه اليهود من السوء فى البلاد المسيحية ، أكثر مما واجهوه فى البلاد الاسلامية . ففى البلاد الاسلامية كانوا أهل ذمة protected people (مشمولين بالحماية) مقابل دفعهم ضريبة خاصة (جزية) ، ولم يكن مسموحا لهم ارتداء ملابس شبيهة بالملابس التى يرتديها المسلمون ، بالاضافة لفرض عدد من القيود عليهم . وقلما كان المسلمون يجبرونهم على التحول الى الاسلام ، برغم حدوث هذا فى حالات قليلة كالتى حدثت فى عهد الموحدين Al-Mohades المتعصبين

فى اسبانيا فى القرن الثانى عشر ، وكما حدث فى شمال أفريقيا ، وفى ايران فى ظل الحكام الشيعة المختلفين فى فترات مختلفة .

لقد كان وضـع اليهـود فى العـالم المسيحى Christiandom غير آمن بدرجة كبيرة ، لتعرضهم لعداء شديد كثيرا ما كان يشتد أواره بسبب مزاعم مسئولية اليهود الجماعية عن موت المسيح (*) . وفى أزمنة مختلفة طرد اليهود من الدول الأوروبية ، وحظر عليهم قبول تحول المسيحيين لليهودية ، وحدد نشاطهم الاقتصادى ليقتصر على مجـال أو مجالين ـ خاصة الربا (**) . لقد كانوا عرضة للمذابح التى قتل فيها من لا يحصى عدده من اليهود وسلبـوا ونهبوا وصـودرت ممتلكاتهم أو دمرت . وكان عليهم أن يدافعوا عن مقولات دينهـم ضـد دعاوى المسيحية ، بالدخول فى مجادلات لم يستطيعوا أبدا أن يخرجوا منهـا رابحين . وجرى احراق التلمود ، وان سمح بنشره أخضـع لرقابة السلطات الدينيـة المسيحية التى كانت تعتبره معـاديا للمسيحية . لقد عاش اليهود وهم على وعى بأنهـم شعب ينبذه المسيحيون ويعتبرونه ملعونا من الرب محتقرا من البشر ، واذا لم يجبروا ـ وكان هذا يحدث كثيرا ـ على التعميد (التوجه الى جرن المعمودية) ، فقد كان المسيحيون يعاملونهم معاملة سيئة ليكونوا عبرة لكل معارض للمسيح .

(*) ليست مزاعم فيما يرى المسيحيون فالاناجيل الأربعـة تؤكد ذلك ، أما الرأى العام بين المسلمين فهو أن المسيح رفع للسماء حيا (المترجم) .

(**) التعامل بالربا خاصة مع الأغيار لم يفرضه احد على اليهود ـ راجع مقدمة الترجمة العربية (المترجم) .

ان ذكريات ما حدث كما ورد فى الكتب اليهودية ، والأشـعار الدينية الطقسية (الليتورجية) والطقوس (الشعائر) التى تحيى ذكرى ما مضى ، تعكس الجوانب السلبية للعلاقات اليهودية المسيحية . وكان لهذا اثره فى نظرة اليهود ـ خاصـة اليهود الأشكيناز(*) ـ للأغيـار the goi . كان القائمون على اضطهاد اليهود والحط من شأنهم ينظر اليهم كممثلين للعالم المسيحى : الأساقفة والصـليبيون(**) والكهنة المحليون الذين كانوا يحرضون جماهير الفصح ، ومحاكم التفتيش ، والمسيحيون الأتقياء البسطاء واللوردات والبـارونات ممن يترددون على الكنائس او حتى فى ايام وكيـل المسـيح نفسـه Vicar of Christ . والدين المسيحى بكنائسه ورمزه الأساسى ـ الصليب ـ وأيقوناته ، بل واسم المسيح نفسه ، قد ارتبط فى الوعى اليهودى بالقسـوة وعدم الانسانية . لقد أدى ما عاناه اليهود من عناء على يد المسيحيين الى تعمق شعور اليهود بأن اليهودية أرقى من مسيحية ، انجيل الحب ، رقيا بغير حدود ، فاليهود يرون الانجيل خاليا من القيم الانسانيـة الأساسية . ورغب اليهودى فى التركيز على نفسه ، يحفزه على هذا اعتقاده أنه خادم كتب عليـه العنـاء Suffering Servant يكفر بعنـائه آثـام العالم . لقد عاش فى ظلمات المنفى لكنه يتطلع لفجر العصر الذى يأتى فيه المسيح (اليوم المشيانى(***) messianic day) حيث ينزاح الكابوس ، ويصبح العالم ملكه .

(*) اليهود من أصول المانية وشرق أوروبية ـ (المترجم) .

(**) الثابت تاريخيا أن الجيوش الصليبية كانت تقتل اليهود . وهى ـ اى الجيوش فى طريقها للشـام ، كما قاتلت اليهود والمسلمين على سواء فى فلسطين . (المترجم) .

(***) غير المسيح (عليه السلام) الذى لا يعترفون به . (المترجم) .

الدين المسيحى

المسيحية ، بعقيدتها فى التثليث والتجسد واستخدام تماثيل المسيح المصلوب ومريم (العذراء)(*) وتقديس القديسين ـ تعتبر فيما يرى مفكرون يهود كثيرون ديانة وثنية(**) ، وهى تهمة لا يمكن توجيهها للاسلام . ومن هنا ، وجدنا موسى بن ميمون الذى عاش فى بلاد اسلامية ولم يخضع لضغوط السلطات الكنسية يذكر مقررا بشكل مطلق :

« اعلم أن الأمة المسيحية التى ضلت بعد يسوع ، برغم تعدد مذاهبها ، هى فى مجملها وثنية .. انه من المناسب أن نتعامل مع المسيحيين كما نتعامل مع الوثنيين » (١) .

وعلى النقيض من هذا ، فان علماء الشريعة اليهود فى العصور الوسطى ممن عاشوا فى بلاد مسيحية كانوا يميلون الى ايجاد أساس شرعى (هالاخاوى) لمعاملة المسيحية باعتبارها دينا مختلفا عن الوثنية شيئا ما . وما دامت هناك أسباب اقتصادية تشكل ضغوطا على اليهود ، فقد كان لابد من ذلك ليتمكنوا من الدخول فى علاقات عمل معهم (أى مع المسيحيين) . هذا هو التفسير العملى الى حد كبير ، خاصة حيث تمنع الشريعة اليهودية التعامل مع الوثنيين .

(★) ما بين القوسين توضيح من المترجم لكن اليهود طبعا لا يؤمنون بعذريتها ورأيهم فيها معروف . (المترجم) .

(★★) لا يعتبر الاسلام المسيحية ديانة وثنية ، وانما من الديانات السماوية التى لها « كتاب » . (المترجم) .

وبرغم أن اعادة تفسير الشريعة على هذا النحو سمحت لليهود باقامة علاقات تجارية أساسية مع المسيحيين ، فان عددا قليلا من الرابيين قد ذهبوا الى حد استبعاد المسيحيين تماما من بين الوثنيين الذين ذكر التلمود عنهم أمورا سلبية .

والوثنى « الغريب أو الذى هو من الأغيار nochri or goi ، لا يعتبر فى المستوى الثقافى الاجتماعى أو المستوى الخلقى مماثلا لليهودى ، وانما يفهم أنه موجود على نحو ما يكون الوجود الحيوانى (٢) Animal-like existence . فبينما تتطلب المعاملات بين اليهود بعضهم وبعض التزاما أخلاقيا عاليا ومسلكا يراعى فيه الدين ، فان هذا غير ضرورى عند تعامل اليهود مع الوثنيين (*) . فأفضل ما يقدمه اليهودى فى تعامله مع الوثنيين يجب ألا يزيد عن عدم اثارة النزاع او العداوة (**) .

وكان مناحم ميرى البروفنسى Menachem Meiri of Provence (١٢٣٩ ـ ١٣١٦) من بين علماء الشريعة القلائل الذين استثنوا المسيحيين من قطاع الوثنيين . لقد قدم حججا مفادها أن المسيحيين متحضرون ويخافون الله ، ولا يمكن مقارنتهم بالوثنيين سيئى الأخلاق فى العصور التلمودية (٣) . وهناك رابيون آخرون اكتفوا بابداء ملاحظة عابرة فى مقدمات كتبهم أو عندما يرد موضوع العلاقة بين اليهود

(★) المقصود غير اليهود . (المترجم) .

(★★) راجع مقدمة الترجمة العربية . (المترجم) .

والوثنيين لأول مرة ، اذ ينكرون أن ما يكتبونه ينطبق على الأغيار (غير اليهود) المعاصرين . وقد يكون هذا هو اعتقادهم فعلا ، لكن غالبا ما يفهم القارئ اليهودي هذا على أنه محاولة لتوقي اعتراض الرقيب أو لتجنب اثارة عداوة المسيحيين .

اليهودي وأرواح الأغيار

كان علماء اللاهوت اليهود في العصور الوسطى أكثر اهتماما بمحاولة اظهار صدق تعاليم اليهودية أمام المسيحية والاسلام ، من خلال شرح الوضع النسبي لكل من اليهودي وغير اليهودي .

وعلى أية حال ، فالاستثناء المهم من هؤلاء هو يهوذا هاليفي Judah Halevi الذي قدم الحجج في كتابه « كوزاري Kuzari » ، لاثبات أن شعب اسرائيل يختلف تماما في تكوينه الروحي عن الشعوب الأخرى . فكل يهودي هو وارث للطاقة النبوية (طاقة النبوة) ، التي تمكن وحدها الانسان من معرفة « نفس » الله « وارادته » . حتى المتحول لليهودية لايكون لديه هذه الطاقة عند تحوله لليهودية ، اذ تنقصه « الجينات الروحية Spiritual genes » التي لدى من يولد يهوديا ، ان جاز لنا استخدام هذا التعبير الحديث .

لقد وجدت الكراهية التلمودية للأغيار Goi وفي أقوى أشكالها في التراث الصوفي الوسيط وما بعد الوسيط ، خاصة في الزهر Zohar والقبالة اللوريانية Lurianic ، فليس فيهما — على عكس ما في التلمود — الكثير جدا عن مسألة ممارسات الأغيار التي هي محل خلاف أو مثار نقاش ، وانما فيهما ما يؤكد الاختلاف التام في الجوهر بين اليهودي وغير اليهودي . وبينما يبدو التلمود يحط من شأن الحياة الروحية والخلقية لغير اليهودي Goi ، على أساس نقص قيمه الخلقية

وعدم رغبته في تجاوز الماديات ، وجهله بما هو مقدس ، فان القبالة ترى الفرق بينهما من نوع واحد (*) .

فغير اليهودي Goi ينتمي للعالم الفرعي للشيطان ، ذلك العالم الفرعي الموجود في فكر القبالة . فروحه أدنى درجة من روح اليهودي الذي يمتلك — على الأقل — امكانات الوصول للبعد المقدس (الالهي) ، والقبالة تستند في هذا الى سابقة (شاهد) تلمودية تحكي أن حواء قد لقحتها أفعى شيطانية ومن ثم فقد تلوثت بذورها ، وظل الأمر كذلك حتى أزاح التجلي السيناوي (تجلي الله لموسى في سيناء) هذا التلوث (النجاسة) عن اسرائيل (٤) . فالصوفية يقدمون بهذا رؤيتهم الخاصة عن عقيدة الخطيئة الأولى (الخطيئة الأصلية Original Sin) . فغير اليهودي Goi كان ابنا نجسا (ملوثا) نتيجة اتصال جنسي بين امرأة وأفعى هي رمز للقوى الشيطانية ، وما دام غير اليهودي Goi لم يمر بتجربة التطهير من خلال وحي الله بالتوراة ، فانه يظل نصف انسان ونصف شيطان .

هذه الفكرة — حتى لو كانت من خلال رمزية القبالة الفاتنة — يبدو أنها تقيم حاجزا لايمكن اختراقه بين اليهود وغيرهم ، وتسبب مشكلة عويصة للمتحولين لليهودية . وتعترف الشريعة اليهودية بالمتحولين لليهودية كيهود كاملين ، لكن كيف يمكن لتحولهم أن يحدث تغييرا جوهريا في أرواحهم (أرواح الأغيار) ؟ والزهر Zohar نفسه يحل المشكلة بالنظر للمتحول لليهودية على أن روحا جديدة أعدها له الله ، وان كانت روحا أدنى من روح اليهودي (٥) (الأصلي) . وهناك قباليون آخرون يرون في المتحول لليهودية شخصا لديه روح يهودية كانت في زمن سابق قد ضلت طريقها بين الأغيار ، فعلى سبيل المثال يكون قد أجبر أجداده على قبول التعميد . فالتحول لليهودية كان في الحقيقة عودة يهودي الى

(*) أي ليست في حاجة لذكر أسبابها لأنها موجودة في الجوهر أو التكوين الأساسي . (المترجم) .

حظيرة الايمان ، عودة يهودى كانت الشرارة اليهودية مختبئة فى طياته فأعادته لحضن اليهودية .

وربما كانت أوضح صياغة عن الفاصل بين اليهود والأغيار هى تلك التى نجدها فى كتابات المعلم الحاسيدى (*) Chasidic فى القرن الثامن عشر ، الرابى شنور زالمان الليادى R. Schneur Zalman of Liadi ، فهو يرى أن لكل يهودى روحين ، روح حيوان ، وروحا قدسية . فالروح الحيوانية تنبثق من أعلى ما فى وسع الشيطان ، انها مصدر الشر لكنها أيضا ذات طبيعة خيرة ففيها الرحمة او النزعة لعمل الخير ، مادامت جذورها هى « محارة النور Shell of Light » – اقرب نقطة فى التكوين الشيطانى لجانب القداسة holiness – اما الروح القدسية ، فجذورها تمتد فى الله ، أو أنها – بمعنى من المعانى – جزء من الله ، أما غير اليهودى ، فلا تنقصه الروح القدسية فقط ، بل ان روحه الحيوانية تنبثق من مستويات شيطانية أدنى من مستوى الروح الحيوانية عند اليهودى .

الاتجاهات اليهودية نحو الأغيار فى هذه الأيام

عدة عناصر أثرت فى وعى اليهودى بنفسه وتفسير وضعه فى العالم : كثرة ما لحق به من اضطهاد ، وأفكاره التى استقاها من عقيدته عن الأغيار ، ودور اليهودى الخاص فى شهود توراة الله ، وكونه – أى اليهودى – سيكون هو الأداة المستخدمة فى الخلاص عند نزول المسيح (فى العصر المشيانى أو المسيحى) (**) . وترى اليهودية التقليدية التاريخ البشرى ونشاطات الأغيار ، باعتبارهما عوامل مساعدة (تحقق الهدف اليهودى) (***) . فما دام هدف الحياة هو عبادة الله (فما خلق الله

(*) حاسيدوت . (المترجم) .

(**) الذى لم يأت بعد . (المترجم) .

(***) ما بين القوسين توضيح من المترجم .

الناس الا ليعبدوه) ، وما دام هذا الهدف قد تحقق فى الأساس – ان لم يكن كلية – على يد اليهود من خلال رعايتهم للتوراة والوصايا mitzvot ، فان كل الخلق ليس الا عاملا مساعدا لتحقيق مثل الحياة اليهودية .

وقد وردت هذه الفكرة بالفعل فى التعاليم التلمودية : فعند الخلق اشترط الله على السماوات والأرض أنه اذا قبل اسرائيل التوراة فى سيناء فسيكون الأمر طيبا وصالحا ، وان رفضها بنو اسرائيل فسيعيد الله الطبيعة كلها الى حالة الهيولى الأولى (اللا تكون) (٧) . وقد صيغ ذلك فى تعبير حديث يعزى الى الرابى اسرائيل مير كاجان Israel Meir Kagan ، الحكيم اليهودى البارز الذى عاش فى القرن العشرين . يقول فى حكايته الرمزية :

« ان المسافر الذى لم يسبق له ركوب قطار ، ينشغل قبل أن ينطلق فى رحلة يستخدم فيها القطار باكتشاف كيف يتحرك القطار ، فيتجول فى عربات الدرجة الأولى حيث الأثرياء الذين ينعمون بالراحة أثناء السفر ، فيسألهم عما اذا كانوا هم الذين يقودون القطار فتكون اجابتهم بالنفى فيتجه الى عربات الدرجة الثانية ويوجه الأسئلة نفسها ، وهكذا حتى يصل أخيرا الى سائق القاطرة فيجده ملطخا بالسخام بسبب الفحم الذى يجرفه فى الغلاية ، وهنا فقط يجد الاجابة المؤكدة عن سؤاله » .

وهذه الحكاية الرمزية تشير بوضوح الى كيفية تسيير الكون ، ان أثرياء الأغيار (غير اليهود) ومثقفيهم الذين يتحكمون فى العالم ، ليسوا

هم الذين يسيرونه لمجرد ان الحكم العلمانى فى ايديهم ، وانما الذى يسيره هم بنو اسرائيل المتدينون المرفوضون فعباداتهم لله هى حقا التى تضمن استمرار العالم .

ان التناقض بين اليهود والاغيار ، وقيم اليهود الخاصة المختلفة المتعلقة بالاقتصاد المقدس ـ تلك الأيديولوجية الراسخة عميقة الجذور ـ قد وجد تعبيرا فى كثير من المصطلحات التى يستخدمها اليهود بينهم وبين أنفسهم ليشيروا بها الى الاغيار . وبصرف النظر عن المصطلحات المحايدة (أى التى لاتنطوى على ازدراء أو غيره) مثل مصطلح Goi ، فاكثر المصطلحات انتشارا فى اللغة الييدية للاشارة للأغيار هى شكتس Sheketz (غالبا ما تنطق شيجتس Sheigetz او Shaigetz) للذكر ، وشيكاش Shikash للأنثى ، واذا وصف يهودى يهوديا آخر بهذه الكلمة فمعنى هذا أنه يسبه . وغالبا ما يشير اليهود الأرثوذكس المتشددون Ultra-Orthodox لليهود العلمانيين او الحداثيين بالكلمة شيكاتزيم Shekatzim ، باعتبار انهم هجروا كل ما هو مقدس بتقليدهم للاغيار .

ومع انعتاق اليهودى فى القرن التاسع عشر ، وظهور التطورات الاصلاحية فى اليهودية ـ ظهرت سلسلة كاملة من الاتجاهات المختلفة ازاء الأغيار . فالأرثوذكس الاكثر اتجاها نحو التقليدية ـ الذين احتفظوا بمسافة اجتماعية وثقافية بينهم وبين عالم الأغيار ـ لازالوا يتمسكون بالانفصال بين اليهود والأغيار كما كان قبل ظهور القيم الجديدة ، فعالم الأغيار له كينونة مجهولة لايراه اليهودى الا من خلال منظومة من الاتجاهات السلبية نحو الوثنيين (بمن فيهم المسيحيون) ، ظهرت فى الأدب اليهودى . ويخشى أن يكون هذا الاتجاه نذيرا لحركة عنيفة معادية للسامية ووقودا لمعاداة العقائد اليهودية والانحلال الأخلاقى الجنسى ـ ان لم يكن ذلك قد وجد .

واليهود الحداثيون ـ سواء أكانوا أرثوذكس أم تقدميين ـ ممن كانوا على صلة مستمرة بثقافة الأغيار ، وكانت تربطهم بهم علاقات اجتماعية ـ يميلون الى اغفال الجوانب شديدة التطرف فى تراثهم الدينى ، فيما يتعلق بمسالة الأغيار . واقصى ما يمكن ان يصلوا اليه فى موقفهم الأيديولوجى فى هذه المسالة هو اخذهم بالعناصر الاكثر ميلا الى خلاص كل البشر فى النهاية والموجودة أيضا فى التراث اليهودى ، تلك العناصر التى تشير الى الفروق بين اليهود والأغيار كفروق فى الثقافة والدين ، أكثر من اشارتها الى وجود اختلاف فى جوهر ، روح ، كل منهما . وعلى اية حال ، فهناك عاملان أثرا فى وعى اليهودى المعاصر بعمق وعملا على بقاء النموذج الكلاسى الذى ذكرناه آنفا . العامل الأول هو ذكرى المحرقة (الهولوكوست) التى عمقت ـ بشدة ـ الشك فى الأغيار ومدى قدرتهم على نبذ معاداة السامية من ثقافتهم ، والعامل الثانى هو ظهور دولة اسرائيل والقومية اليهودية الجديدة .

ومعظم الأجيال الأكبر سنا من بين اليهود المعاصرين عاشوا بين الأغيار فى أوروبا قبل المحرقة (الهولوكوست) ، ويحسون تماما ـ وهم فى بلادهم (*) ـ بمثل هذا الوسط الذى سبق أن عاشوا فيه . لقد أغلق اليهود ـ بغلظة ـ باب الشعور بالائتلاف مع البشر ومشاركتهم فى الانسانية ، بسبب ما حدث لهم نتيجة معاداة السامية فى ألمانيا وأوروبا ، فقد أعاد هذا الى اذهان اليهود الفروق القديمة بين الأغيار واليهود بشكلها الحاد وكعقيدة راسخة مرة أخرى . وغالبا ما يعبر اليهود عن هذه العقيدة بقولهم ، بل ان الحلفاء كانوا فاترين ازاء معاملة هتلر لليهود ، ولولا سياسته التوسعية لما رفعت الهراوة من فوق رأس اليهود . ان فشل الحلفاء فى بدء غارة جوية ضد معسكر الموت فى أوشفتز Auschwitz death-Camp ، قد اعتبر دليلا على أن الحلفاء كان ينقصهم الاهتمام بأمر اليهود .

(*) يقصد بلاد فلسطين ـ (المترجم) .

والدعم الذى تلقاه اسرائيل والصهيونية – بشكل أو آخر – من يهود الشتات (الدياسبورا) ، لازال مرتبطا عند معظمهم بالرغبة فى بقاء الهوية اليهودية . وما يبدو من اختلاف فى مواقف الأغيار الغربيين (الأوروبيين والأمريكيين) من كفاح الكيان الاسرائيلى من أجل البقاء ، وموقفهم المنطوى على معاداة الطموحات الصهيونية – يبدو أنه يعكس موقفا اعتاده اليهود تماما – عالم غــير مهتم ينظر بعينى أعمى لمعاناة اليهود . فالدول الأخرى لها حق تلقائى فى الوجود ، لكن على الشعب اليهودى أن يعمل باستمرار على تبرير وجوده أمام الحضارة الغربية التى تنكر عليه باستمرار هذا الحق فى الوجـود . ومما يعد دلالة على هذا الاتجاه للحضارة الغربية حقيقة ، أن الفاتيكان رفض أن يعترف باسرائيل لأكثر من ثلاثين عاما بعد قيامها . وعلى هذا ، فمعاداة الصهيونية هى ببساطة – وفقا لشعور اليهودى – الشكل الأخير لمعاداة السامية (*) .

وربما كان كل هذا – بشكله المتطرف – تعبيرا عن جنون العظمة الذى يتسـم به اليهـود على نحـو خـاص ، لكن حساسية اليهود فى هذه الأمور تعكس اتجاهاتهم نحو الأغيار . فالشك فى هؤلاء الأغيار Goi – يمتد ليتنـاول كثيرا من حركات الاضـطهاد التى تعرض لها اليهود فى الماضى . وما حدث من تغير فى هذه الفكرة فى الوقت الحاضر ، لايتعدى التركيز على وعى اليهود بذواتهم (بتفــردهم) . ذلك الوعى الذى أخــذ بعــدا لاهوتيــا بأنهم « شعب يعيش وحيــدا » (**) a people which dwells alone

(★) المؤلف يتحدث هنا من آراء اليهود ومشاعرهم ، الأمر الذى يهمنا معرفته ، لكن شتان بين معاداة السامية ومناهضة الصهيونية . راجع مقدمة الترجمة العربية – (المترجم) .

(★★) المقصود من ترجمة هذا الكتاب أن نتعرف فكر اليهود ، وكثير من الأفكار ذات الطابع السياسى فيه مغلوطة ؛ لكن يهمنا – بشكل عام – لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية معرفتها للتعامل معها أسوة بما فعل الشهرستانى مؤلف (الملل والنحل) ، والبغدادى وابن حزم وابن قيم الجوزية ، وغيرهم فى التاريخ الاسلامى – (المترجم) .

حواشى الكتاب

Chapter 1 Some basic categories and complexities

1 Matthew 23:15.
2 *Contra Apion* 2:40.
3 *Wars of the Jews* 2:20:2.
4 TB *Pesachim* 87b.
5 *Yad:Melakhim* 11:4.
6 These laws are associated with God's command to Adam in Genesis 2:16. According to Maimonides, *Yad:Melakhim* 8:11 those gentiles who keep the Noachide Laws because they believe them to be commanded by God in the Bible will have a portion in the World to Come. This is not true if the laws are merely kept because reason dictates them. Maimonides' ruling puzzled many of his commentators since its source, the fourth century *Mishnat Rabbi Eliezer* was only rediscovered in the twentieth century. This may account for the more commonly held view which simply allocates a portion in the World to Come to all righteous gentiles.
7 TB *Chagigah* 13a.
8 TB *Sanhedrin* 58b.
9 *Tosefta Sanhedrin* 13:2
10 *Sefer Mitzvot Gadol* Asayin 74.

معجم المصطلحات العبرية الواردة بالكتاب (★)

آدم كادمون

ADAM KADMON

المفهوم القبالى للانسان البـدائى أو الأساسى أو الأصـلى ، وهو النموذج الذى أصبح البشر على نسقه •

آذار

ADAR

شهر عبرى عادة ما يكون حول فبراير ومارس • وفى السنة الكبيسة (٣٦٦ يوما) يضاف شهر آخر **extra month** هو شهر آذار الثـانى **Adar Sheni** •

أفيكومان

AFIKOMAN

القطعة الأخيرة من الخبز المصنوع من عجين بـلا خميرة الذى يؤكل فى وجبة عيد الفصح اليهودى •

الهجادة

AGGADAH

النصوص غير القانونية (غير المعتمدة شرعا) فى التراث الرابى وتتناول موضوعات أخلاقية ولاهوتية •

(★) ذكرنا اكثر من طريقة للنطق وفقا للمتداول فى الكتب العربيـة • كما أوردنا طرق رسم الكلمات بأشكالها المختلفة ، وأيضا أشرنا للترجمات المختلفة للمصطلح • مثال : السنة العبرية وأيضا سنة التبوير ... الخ • وعيد الفصح أو الفسح أو بيساح ...

AGUNAH

الأجونه

زوجة اختفى زوجها لكنها لا تستطيع الزواج لعدم وجود دليـل على موته •

ALEINO

الينو

دعوات تتلى بعد نهـاية كل عبـادة شـكرا لله لايحائه بطبيعته الحقيقية لاسرائيـل •

AL HA-NASSIM

الها ـ نسيم

دعوات مضمونها المعجزات التى أظهرها الله للشعب اليهودى • وتتلى هذه الدعوات فى عيدى الحانوكاه **Chanukah** والبوريم **Purim** (انظر المصطلحين الأخيرين فى موضعهما) •

AMIDAH

العميداه

تسعة عشر تبريكا (من التبركة) ، يتلوها اليهـودى وهو واقف ووجهه ناحية القدس • وهذه التبريكات التسعة عشر بصيغها المختلفة تعد جزءا محوريا فى كل ليتورجية (فى كل طقس دينى) •

AMORITE WAYS

الوسائل الأمورية

مصطلح يعنى ممارسات سحرية حرمتها اليهودية • (والأمورى نسبة الى شعوب سامية قديمة عاشت فى العراق وسورية وفلسطين عاشت فى الألفين الثالث والثانى قبل الميلاد) •

ARVIT

ارفيت (اربيت / اربيط)

صلاة المساء ، وتعرف أيضا باسم معاريف **Maariv** •

ASARAH BE-TEVET

عسرة بى ـ طيبت

صيام اليوم العاشر من شهر طيبت **Tevet** احياء لذكرى حصار نبوخذنصر للقدس •

اشكنازى

ASHKENAZI

يهودى يرجع فى أصوله الى يهود وسط أوروبا أو شرقيا .

اوفروف

AUFRUT

طقس دينى يقوم به العريس بقراءة قسم من سفر الأنبياء فى المعبد اليهودى يوم السبت السابق على العرس (الزفاف) .

آب

AV

شهر عبرى عادة ما يشتمل على جزء من يوليو وجزء من أغسطس.

آفل (آبل)

AVEL

الشخص فى حالة الحداد ، والذى لابد أن يقلل من مساهماته فى الحياة الاجتماعية المعتادة طوال فترة الحداد .

بال تسهوفاه

BAAL TSHUVAH

التائب الذى عدل عن طريق الخطية .

بار ميتسوفاه

BAR MITZUVAH

وصول الطفل اليهودى الذكر لمرحلة النضج الدينى فى سن الثالثة عشرة عندما يصبح مكلفا بمراعاة الميتسفوت mitzvot (انظر هذا المصطلح) عادة ما يحتفل به الوالدان بسخاء ، أما بالنسبة للبنت فهذه المناسبة تعرف باسم بات ميتسفاه Bat Mitzvah (انظر هذا المصطلح) لكن اليهود التقليديين لا يحتفلون بهذه المناسبة (بالنسبة للبنت) بشكل علنى :

بيت دن

BET DIN

محكمة شرعية يهودية تضم على الأقل ثلاثة رابيين مرسمين (معتمدين ordained) .

BET HA-KENESET

بيت ها ـ كينيست

بيت التجمع ، ويطلق عادة على المعبد اليهودى .

BET HA-MIDRASH

بيت ها ـ مدراش

« بيت الدراسة » يستخدم لكل من الدراسة الدينية ، والصلوات او الدعوات .

BIMAH

بيماه

المنصة المركزية فى المعبد اليهودى ، تتلى فوقها لفائف التوراة (التوراة المكتوبة فى شريط ملفوف من الرق ـ بتشديد الراء وفتحها)، ومن فوقها ايضا يوجه قائد جوقة الترتيل فى المعبد جموع المرتلين .

BUND

بوند

حركة اشتراكية يهودية ضد الصهيونية وضد الدين لكنها تؤيد الثقافة اليدية Yiddish Culture . أسست فى روسيا فى سنة ١٨٩٧ .

CHADASH

حاداش (شـبش)

الانتاج الجديد لأرض اسرائيل الذى لا يستخدم الا بعد اليوم الثانى من عيد الفصح اليهودى Passover .

CHAKHAM

حاخام (شاخام)

حكيم . تستخدم بشكل عام لتشير الى الرابيين فى الفترة التلمودية ، ويستخدمها اليهود السفارديون Sefardi كبديل للفظ « رابى Rabbi » .

حله / شـله

CHALLAH

العشر الذى يؤخذ على الخبز والكعك ، ويقدم – فى الأساس – للكاهن ، لكنه الآن يحرق . ومن قبيل التوسع فى معنى اللفظ يستخدم ليعنى أرغفة خاصة ، تخبز لاستخدامها فى أيام السبوت (جمع سبت) وفى الأعياد الدينية .

شاميتز / حاميتز

CHAMETZ

خبز من عجين مختمر محرم فى عيد الفصح اليهودى .

حانوكاه

CHANUKAH

عيد النور الذى يستغرق ثمانية أيام وهو فى شهر ديسمبر .

حانوكيه

CHANUKIYAH

المسمى الاسرائيلى الحديث لشمعدان الحانوكاه Chanukah Candelabrum ذى الثمانى شعب .

الحاسيد (الكاسيد)

CHASID

التقوى . تستخدم فى الغالب الأعم لتعنى أحد المنتمين للحركة التقوية اليهودية (الحركة الحاسيدية أو الكاسيدية) التى بداها اسرائيل بال شيم توف Israel Baal Chemtov فى القرن الثامن عشر . الجمع حاسيديم Chasidim (حاسيديين) .

حـازان

CHAZAN

قائد مجموعة المرتلين . وتعنى – فى الأساس – أحد المسئولين فى المعبد (موظف فى معبد يهودى) .

حـدر / شـدر

CHEDER

« غرفة » مدرسة لتلقى التعاليم الدينية اليهودية ملحقة بمعبد وملاصقة له .

CHEREM

حرم

الطرد من الرحمة الدينيـة . المقاطعة الاجتماعية أو النبذ الاجتماعى (من المجتمع) .

CHEVRA KADDISHA

حيرا كاديشا

العمال الذين يمارسون عملية الدفن ، وعادة ما يكونون من المتطوعين .

CHOLENT

حولنت

طبق به لحم وبطاطس وبقول يأكله اليهود الأشكناز يوم السبت .

CHOL HA-MOED

حول ها – مود

أيام الأسبوع التى تمثل أعيادا ، وهى أيام الهياكل النقالة Tabernacles وعيد الفصح ، التى يجب أن يكف فيها اليهود عن العمل .

CHOSHEN MISHPAT

حوشن مشبات

قسم من المدونة التشريعية الكبرى . والشولحان عاروخ Shulchan Aruch تتناول الشرائع المدنية والجنائية .

CHUPAH

جوباه

ظلة العرس . مصطلح يستخدم للدلالة على الجزء الأخير من طقوس الزواج .

EIN SOF

عين صوف

الذات الالهية اللامتناهية فى فكر القبالة .

ELUL

أيلول

شهر عبرى عادة ما يكون فى اغسطس وسبتمبر .

ارب صبت (شابات)

ERVE SHABBAT

يوم الجمعة ، أى اليوم السابق على السبت .

اروزين

ERUSIN

الجزء الأول (التمهيدى) فى طقوس الزواج حيث يخطب العريس عروسه مقدما لها دبلة ring ، ويعرف أيضا باسم كدوشين Kiddushin (قدوشيم) .

اتروج / اترجة

ETROG

فاكهة حمضية خاصة تؤكل فى عيد المعبد النقال (المقام فى خيمة) .

ايبن ها - ايزر

EVEN HA-EZER

قسم من المدونة الشرعية الكبرى - شولحان عاروخ Shulchan Aruch - يتناول أمور الحياة الجنسية والزواج والطلاق .

جباى

GABBAI

أمين المعبد (القيم عليه) · يشغل منصبه بالانتخاب .

جاؤون

GAMON

لقب يطلق على الرؤساء الأكاديميين فى بابل بعد الحقبة التلمودية ، كما يطلق على الحكماء المشهورين من اليهود .

الجمع : جاؤونيم Geonim .

جهنم (جيهونوم)

CEHINNOM

هى المطهر أو الأعراف حيث يمر الميت بصلية يتطهر فيها من خطاياه .

النص الانجليزى :

Hell Cum Pugatory where the dead undergo a refining process for their sins .

GENIZAH

الجنيزة

مخزن توضع به النصوص المقدسة وكذلك الكتابات الدينية التى تمزقت ، وكذلك الكتابات الدينية المحظور تداولها .

GER TOSHAV

جير توشاف

« غريب مقيم » ويقصد به واحد من الأغيار « غير اليهود » يعيش بين اليهود فى أرض اسرائيل ويراعى قوانين نوح Noachide Laws ولابد من معاملته بطريقة طيبة .

GET

جت

وثيقة طلاق ، يسلمها الزوج لزوجته .

GOI

جوى

التعبير الأكثر استخداما للدلالة على الأغيار أو الأميين أو غير اليهود .

GOLEM

جولم

انسان مخلوق بطرق صناعية ، يخلقه اليهود بوسائل القبالة لديهم .

GUSH EMUNIM

جوش امونيم

حرفيا ، جماعة المؤمنين ، جماعة صهيونية مسيحانية Group Of Messianic Zionists (تنتظر مجىء المسيح أو المشيح وهو غير المسيح عليه السلام المعروف) .

هافتاراه

HAFTARAH

قسم من « الأنبياء Prophets » تنتهى به قراءات التوراة فى يوم السبت .

هجاده

HAGGADAH

نص دينى يتلى قبل تناول وجبة عيد الفصح وبعده ، ويروى هذا النص قصة الخروج من مصر .

هالاخاه / الشريعة

HALAKHAH

الطريق اليهودى . جزء من التعاليم اليهودية متعلق بالطقوس والسلوك ، ويمثل الجانب التشريعى فى اليهودية .

هاليل (الهالوليا)

HALLEL

مزامير المديح (أرقام ١١٣ الى ١١٨) تتلى فى مناسبات احتفالية .

هافدالاه / الهابدالاه

HAVDALAH

طقس فى نهاية يوم السبت .

هيتر

HETER

الترخيص أو الاذن ، الترخيص بشىء كان الظن أنه محرم ، وهذا الترخيص لا يكون الا وفقا لقواعد تسمح بها الهالاخاه ـ انظر هذه الكلمة .

هيتبوديدت

HETBODEDUT

كون الفرد وحيدا أو لوحده ، والكلمة تعنى على نحو خاص كون الفرد وحيدا مع الله أو مع الله وحده .

HOSHANA

هوشانا

دعوات وصلوات الى الله من أجل طلب الخلاص ، تتلى خاصة فى الاحتفال بعيد المظال (المظلة أو سكوت) Festival of Tabernacles ، وطول اليوم السابع فى العيد المعروف باسم هوشانا ربا Hoshana Rabba .

IYYAR

ايار

شهر عبرى عادة ما يكون بين أبريل ومايو .

KADDISH

قديش

دعوات باللغة الآرامية فى مدح الله ، تتلى بين أجزاء العبادة اليهودية فى المعبد . ويتلوها القائمون بالحداد . وتتطلب تلاوتها حضور مجموعة من عشرة ذكور بالغين .

KAPPAROT

كباروت

طقس التكفير Atonement ، ويتم قبل يوم التكفير أو الكفارة .

KASHER

كاشر

اسم عام يطلق على الطعام الحلال وفقا للشريعة اليهودية .

KAVOD

كافود

الجليل المقدس The Divine Glory — فكرة مهمة فى تأملات المتصوفة اليهود فى العصور الوسطى .

KEDUSHAH

كيدوشاه

« القداسة » . هدف التصرف القائم على الأخلاق كما أنه هدف « ضبط النفس » ، ويستخدم اللفظ للاشارة الى أقسام الليتورجية (الطقوس الدينية) التى تركز على قدسية الله .

كيل كودش KELEI KODESH

« المراكب المقدسة » الشاغلون لوظائف دينية في المجتمع اليهودي .

كيليباه KELIPAH

الصدفة أو الغطاء الذي يحيط بالقداسة في الدنيا ، وفقا لتعاليم القبالة . وترمز لقوى الشر .

كيتوبه / كتوبه KETUBBAH

وثيقة الزواج التي تمنح الزوجة حقوقا على عقارات الزوج .

كيتوفيم KETUVIM

اسم عبري للجزء الثالث من التوراه ـ الهاجيوجرافا Hagiographa .

كيبوتس KIBBUTZ

قرية اسرائيلية تسير وفقا للمبادىء الاشتراكية . الجمع كيبوتسيم Kibbutzim (كيبوتسات) .

كدوش KIDDUSH

تبريك وتكريس للنبيذ المستخدم في بداية يوم السبت وفي الأعياد .

كدوشين KIDDUSHIN

القسم الأول في طقوس الزواج ، ويعرف أيضا باسم ابروسين (انظر هذا المصطلح) .

كيلايم KILAYIM

تحريم زراعة أصناف معينة من النباتات معا ، وتحريم تطعيم grafting بعضها ببعض .

كينوت KINOT

عبارات رثاء وتعزية تتلى في صوم التاسع من شهر آف Av (انظر تعريف هذا الشهر العبري في آف) .

كيسلو KISLEV

شهر عبري يقع عادة حول نوفمبر وديسمبر .

كيتل KITTEL

عباءة بيضاء ترمز للكفن Shroud .

كوهن KOHEN

كاهن من نسل كهنة الهيكل .

كو ـ بو ـ نيك KO-BO-NIK

انسان من أجزاء كثيرة . موظف ديني له أدوار عدة .

كول ندري KOL NIDREI

ابطال نذر ديني قبل يوم الكفارة . (يوم الغفران) .

كافاتير KAVATER

شخص يكرم باحضار الطفل لاجراء طقس الختان له ، بين اليهود الأشكناز . ومؤنث اللفظ : كافاتيرين Kavaterin .

لاج با ـ أومر LAG BA-OMER

اليوم الثالث والثلاثون من الأومر Omer (انظر هذه الكلمة في موضعها) .

ليوم LEOM

خانة الهوية الوطنية فى البطاقة الشخصية الاسرائيلية (بطاقة الهوية) حيث يقصد بكلمة (يهودى) فئة عرقية (اثنية ethnic) .

لوبافتش LUBAVITSH

جماعة فرعية من « التقوية Chasidim / الكازيديم / أو الحاسيديم » ، تتبع طريق الصوفية العقلية intellectualized mysticism .

ماريب (معاريف) MAARIV

عبادة مسائية ، وتعرف أيضا باسم أربيت Arvit (اربيط) .

مامزر MAMZER

طفل ناتج اتصال جنسى بين المحارم أى الذين تحرم الشريعة الاقتران بهم من ذوى القربى ، وكذلك الطفل ابن الزنا أى الذى تم انجابه خارج علاقة الزواج الشرعية .

ماتزاه MATZAH

خبز من عجين غير مختمر يؤكل خلال عيد الفصح اليهودى .

مازال توف MAZAL TOV

« حظ سعيد » تحية معتادة فى المناسبات السعيدة .

ميشيتزاه / محتزاه MECHITZAH

الفاصل بين الجنسين فى المعابد اليهودية الأصولية (الأورثوذكسية) .

مجله MEGILLAH

لفافة ، عادة ما تطلق على سفر استير Esther . الجمع : مجلوت (مجلات) Megillot .

ميلامود MELAMUD

معلم الصبية .

مينوراه (مناره) MENURAH

شمعدان ذو ثمانى شعب يستخدم فى الحانوكاه Chanukah (انظر هذه الكلمة الأخيرة فى موضعها) .

ميركاباه (المركبه) MERKABAH

المركبة الالهية الواردة فى رؤى المتصوفين اليهود الأوائل .

الميتزيتزاه METZITZAH

امتصاص الدم من الجرح بعد الختان الطقسى .

ميزوزاه MEZUZAH

لفافة صغيرة من الرق (بتشديد الراء وفتحها) مثبتة على عضادة الباب فى البيت .

مدراش MIDRASH

طريقة فى تفسير الكتاب المقدس اليهودى قائمة على العظات . واللفظ حرفيا يعنى المذهب أو الطريقة .

مكفاه MIKVEH

استحمام طقسى يستخدم فيه - فى الأساس - مياه من مورد طبيعى .

مينشاه / مينحاه MINCHAH

صلوات بعد الظهيرة .

منهاج

MINHAG

عادة · عنصر مهم فى السلوك المعيارى Normative behaviour .

منيـــان

MINYAN

مجموعة من عشرة يهود ذكور بالغين يعتبر وجودهم ضروريا لأداء بعض الصلوات أو الطقوس الدينية .

ميتنـــاجيد

MITNAGED

المعارضون للحركة التقوية (الحاسيديم أو الكاسيديم) فى القرن الثامن عشر · الجمع : ميتناجديم Mitnagdim .

ميتسـفاه

MITZVAH

وصية لكنها تعنى عامة أى عمل دينى مفروض .

مزراح

MIZRACH

« شرق » علامة تشير الى القدس فى المنزل اليهودى .

موهيــل

MOHEL

مباشر عملية الختان الطقسى (شعيرة الختان) .

موســاف

MUSAF

عبادة اضافية عند ظهور قمر جديد ، وأيـام السبوت وفى الأعياد الدينيـة .

موســار

MUSAR

وصايا أخلاقيـة .

ناشــات / ناحات

NACHAT

السرور · البهجة التى يشعر بها الوالدان عند انجاب أطفالهم · باللغة البيدية : ناشاز Nachas .

نيتوراى كارتا

NETUREI KARTA

الجماعة اليهودية الأصولية (الأورثوذكسية) المناهضة للصهيونية .

نبيـيم

NEVIIM

اسم عبرى لكتب الأنبياء فى الكتاب المقدس اليهودى .

نــداه

NIDDAH

الزوجة الحائض (التى أتاها الطمث) والتى يجب ان تتطهر تطهرا طقسيا قبل أن يباشرها زوجها جنسيا .

نيســان

NISAN

شهر عبرى مرتبط بالربيع ، عادة ما يكون حول مارس وأبريل .

نوشرى / نوحرى

NOCHRI

اسم شـائع يطلق على الأغيار ـ غير اليهود · وتعنى أيضا : غريب او أجنبى .

قربان الشعير من المحصول الجديد فى اليوم الثانى لعيد الفصح اليهودى · وتطلق الكلمة على سبيل التوسع على فترة الأسابيع السبعة من عيد الفصح الى عيد الحصاد اليهودى Pentecost .

اونـــاه

ONAH

الوقت الذى يصبح من الواجب على الزوج أن يباشر فيه زوجته .

اونـــج

ONEG

الفرح الذى يغمر اليهود فى أيام السبوت والأعياد .

اونين (أنين)

ONEN

وضع الشخص الذى فقد عزيزا عليه بالموت قبل دفن الفقيد .

اوراش شيم / اوراح حيم ORACH CHAMIM

قسم من المدونة التشريعية الكبرى (الشولشان اروخ The Shulchan Aruch الذى يتناول السبت والطقوس التى تجرى فى الأعياد .

اورله ORLAH

الفاكهة المحرمة من شجرة خلال السنوات الثلاث الأولى لنموها .

بيوف PARVE

الطعام غير اللحم والحليب .

بيساح PESACH

عيد الفصح .

بيلبول PILPUL

التحايل الشرعى على القوانين ، ونواميس الأخلاق .

بوريم PURIM

عيد احياء ذكرى اليهود ، كما ورد فى سفر استير Esther .

بوريم صبيل PURIM SPIEL

مسرحية قصيرة يمثلها فى البوريم (انظر هذه المادة) الأطفال وهم يرتدون ملابس تنكرية .

روش شودش (حودوش) ROSH CHODESH

عيد القمر الجديد فى بداية كل شهر قمرى .

روش ها ـ كاهال ROSH HA-KAHAL

رئيس جماعة ، أو الرئيس المنتخب لاجتماعات المعبد .

روش ها شاناه ROSH HA SHANAH

عيد رأس السنة اليهودية . يقع فى الخريف .

ساندك SANDEK

الأب الرمزى ، وهو الذى يضع الطفل على ركبتيه أثناء عملية الختان .

سانهدرين SANHEDRIN

المجلس الدينى الأعلى المكون من حكماء اليهود فى الأزمنة القديمة.

سيدر SEDER

طقوس وجبة عيد الفصح .

سفاردى SEFARDI

يهودى يعود فى أصله الى شبه جزيرة أيبيريا .

سيفيراه SEFIRAH

والجمع سيفيروت Sefirot . أحد التكوينات العشرة التى يتم من خلالها الفيض الالهى ، وفقا للمعتقدات القبالية .

سيجولاه (سيجوله) SEGULAH

فعل أو طقس يعتقد أن له تأثيرا سحريا .

سيليحوت SELICHOT

دعوات للتكفير عن الذنوب ، تردد قبل بداية العام اليهودى الجديد ، وبعد بدايته .

سميخاه SEMIKHAH

سيامة أو ترسيم من رابى مسام أو مرسم بالفعل .

شعاتنز SHAATNEZ

ثياب منسوجة من صوف وكتان ، محرم ارتداؤها .

شبات / السبت SHABBAT

السبت اليهودى الذى يمنع فيه ممارسة اى عمل دنيوى .

شبات ها ـ جادول / السبت الكبير SHABBAT HA-GADOL

السبت الذى يسبق عيد الفصح يعرف بالسبت الكبير .

شاشاريت / شحاريت SHACHARIT

صلاة الصبح .

شدخان SHADKHAN

الساعى للتوفيق بين رأسين فى الحلال matchmaker .

شالوم زاخام SHALOM ZAKHAM

وجبة طقسية يتم تناولها فى ليلة أول جمعة بعد مولد طفل ذكر وقبل طقس الختان .

شمش SHAMSH

شماس المعبد . وباليبدية : شماس Shacas .

شافوت / شابوت SHAVUOT

عيد الحصاد .

شيشيتاه / شيحيتاه SHECHITAH

الذبح بالطريقة الشرعية .

شيلوت او ـ تيشيفوت SHEELOT U-TESHUROT

«أسئلة واجابات» ويقصد بها فتاوى الرابيين المعتمدين Responsa .

شيكتس SHEKETZ

اسم احتقار يطلق على الأغيار (غير اليهود) . وباللغة اليدية شيجتز Sheigetz والمؤنث شيكساه Shiksah .

شيتل SHEITEL

حجاب يغطى شعر اليهودية الأصولية (الأورثوذكسية) المتزوجة .

شخيناه SHEKHINAH

الحضرة الالهية . أى الجانب الأنثوى فى الله (سبحانه)

★ ما بين القوسين من عند المترجم .

شيما SHEMA

مجموعة من ثلاث فقرات من الكتاب المقدس اليهودى تتلى مرتين يوميا فى الليتورجية (العبادة الدينية الطقسية) يردد فيها اليهودى توحيد الله وضرورة الاخلاص له سبحانه اخلاصا بغير حد .

شيمينى آتزيريت SHEMINI ATZERET

مهرجان فى آخر عيد المظال (المظلة) .

شمتاه SHEMITTAH

السنة السبتية التى تترك فيها أرض مراحة . (سنة التبوير) .

شيمتوت SHEMITTAT

عقيدة القباله المتعلقة بدوائر العالم (بمعنى مستويات الارادة أو التحكم به) World Cycles .

شـيمونه عشره SHEMONEH ESHREH

التبريكات التى يرددها اليهودى ثلاث مرات يوميـــا . وتسمى أيضا اميداه Amidah (عميداه) .

شيبا براكوت / التبريكات السبعة SHEVA BERAKHOT

تبريكات الزواج وعددها سبعة تبريكات .

شـــيفات / شباط SHEVAT

شهر عبرى حول يناير وفبراير .

شـــيفاه SHIVAH

أيام الحداد السبعة (التى يكون فيها الحداد شديدا) على فقيد من الأقرباء المباشرين (القريبين) .

شـــلوشيم SHLOSHIM

الثلاثون يوما الأولى من الحداد .

شـــوحيط SHOCHET

الذبح الطقسى الشرعى وفقا للشعائر اليهودية .

ســـوفير / ســـفر SOFER

الكتاب المقدس .

شـــول SHOOL

حرفيا « مدرسة » ، وشـــول هو اسم المعبد اليهودى باللغـــة اليدية :

شـتيبل SHTIBL

« غرفة صغيرة » . مصطلح يستخدم فى اللغـــة اليدية للاشارة لمعبد يهودى غير رسمى .

شـــولحان عاروخ SHULCHAN ARUKH

« حرفيا المائدة المطروحة » . اصـــطلاحا : المدونة التشريعيـــة اليهودية الرئيسية .

ســـدور STDDUR

اسم يطلق على كتاب الدعوات الأسبوعية وأيام السبوت ، المتداول بين اليهود الأشـــكيناز .

ســـيمخات توراه SIMCHAT TORAH

« بهجة التوراة » احتفال ضمن عيد .

شـــيمينى اتزيريت SHEMINI ATZERET

عند اتمام قراءة أسفار موسى الخمسة (الختمة) .

سيترا اشلا (احرا) CITRA ACHRA

« الجانب الآخر » مصطلح يستخدمه القباليون لقوى الشر evil .

ســـيفان SIVAN

شهر عبرى عادة ما يكون بين مايو ويونيو .

ســـوفر SOFER

ناســـخ .

سوكه / سكه

SUKKAH

الغرفة الصغيرة التى يعيش فيها اليهود الأورثوذكس (الأصوليون) طوال فترة الاحتفال بالهيكل النقال Tabernacles .

سوكوت / سكوت

SUKKOT

احتفال الهيكل النقال Tabernacles (خيمة الهيكل النقال) .

تانيت استير

TAANIT ESTER

صيام استير Esther قبل يوم بوريم Purim (راجع بوريم) .

طهاره

TAHARAH

غسل الميت قبل دفنه .

تاليت / طاليت

TALLIT

شال أبيض ذو شراريب يستخدم عند الصلاة . وأيضا عباءة صغيرة ذات شراريب يلبسها اليهودى دوما تحت ملابسه المعتادة وهى من الكتاب وتعرف باسم تاليت كاتان Tallit Katan .

تموز

TAMMUZ

شهر عبرى بين يونيو ويوليو .

تاناخ

TANAKH

الكتاب المقدس اليهودى .

تارجوم / ترجوم

TARGUM

الترجمة الآرامية للكتاب المقدس اليهودى .

تاشليخ / تشليخ

TASHLIKH

طقس لنبذ الخطايا والآثام فى عيد العام اليهودى الجديد .

تيفلين

TEFILLIN

صندوقان أسودان يضمان رقا (بفتح الراء وتشديد القاف وفتحها) يضم فقرات من الكتاب المقدس اليهودى يحملهما اليهودى أثناء صلاة الصبح .

تنيم

TENAIM

طقس الخطبة .

تيريفا / طريف

TEREFAH

حيوان ذبح طقسيا (وفقا لطقس معين) لكن اتضح أن أحد أعضائه الداخلية مريض أو ناقص .

تشوفاه

TESHUVAH

التوبة . حرفيا : العودة الى الله .

تيفيت

TEVET

شهر عبرى عادة ما يكون بين ديسمبر ويناير .

تيفيريت

TIFERET

السيفيراه الذكرى : وفقا لتعاليم القبالة .

راجع : سيفيراه .

التيكون

TIKKUN

التصحيح الضرورى لاستعادة التناسق بين الله والعوالم المادية ، وفقا لمعتقدات القبالة .

تيكون ليل شافوت — TIKKUN LEIL SHAVUOT

النص الذى يقرأ طوال الليل عشية الليلة الأولى من عيد الحصاد .

تيشرى بى ــ آف — TISHAH BE-AV

صيام اليوم التاسع من شهر آف (آب) احياء لذكرى تدمير المعبد (الهيكل) .

تيشيرى / تشرى — TISHRI

شهر عبرى بين سبتمبر وأكتوبر .

تــوراه — TORAH

الفكرة الأساسية التى تتحلق حولها اليهودية . التعاليم المستقاة من التوراة بمفهومها الضيق (أســفار موسى الخمسة) ومن المفهــوم الواسع الذى يعنى كل التراث الدينى التقليدى .

توبى ـ شباط — TUBI-SHEVAT

١٥ شباط / شيفات ، يجرى الاحتفال به كعــام جديد للشجر . (for Trees).

تــور / طور — TUR

يعرف أيضا باسم توريم Turim . مدونة قانونية كانت بمثابة نموذج للشولشان آروخ Shulchan Aruch فى القرن الثالث عشر للميلاد ، . راجع مادة : شولشان أروخ .

تزديك / صــديق — TZADDIK.

« القطب » وهو محور حيــاة المجتمعات الكاسيدية / الحاسيدية (التقوية) وهو بعبارة أخرى شخص صالح ذو طاقات روحية عالية .

تزيمتزوم — TZIMZUM

تقلص الذات الالهية قبل خلق الكون (لترك فراغ للمخلوقات) وفقا لمعتقدات القبالة اللوريانية .

ياهرتسيت — YAHRZEIT

مصطلح ييدى يعنى الذكرى السنوية لموت شخص ما .

يمين نوريم — YAMIN NORAIM

« أيام الخشية » فترة فى أعياد العام اليهودى الجديد ، وتشمل ايضا عيد الكفارة Day of Atonement .

يشــيفاه — YESHIVAH

معهد تعليمى للدراسة التلمودية . شكل الدراسة الرئيسى به قائم على قيام كل طالبين بدراسة النص التوراتى معا ، والتناقش حوله . وهذا لا يمنع التعليم بالتلقى بالقاء المحاضرات على الطلبة .

يتسر توف / يتسر ها ـ را — YETZER TOV/YETZER HA-RA

النزعتان : الخيرة والشريرة فى الانسان .

ييشود (الخلوة) — YICHUD

تحريم أن يكون اليهودى وحيدا داخل غرفة مغلقة أو منزل مغلق مع أحد من الجنس الآخر (الخلوة) .

ييشــوف — YISHUV

الجماعة اليهودية فى أرض اسرائيل .

يــوم كيبور — YOM KIPPUR

يوم الغفران (يوم الكفارة) .

يــوم توف

YOM TOV

عيد تحرم فيه مباشرة معظم الأعمال الدنيوية .

يــوره ديه

YOREH DEAH

قسم من المدونة التشريعية اليهودية الكبرى (الشولحان عاروخ) تتناول شرائع الطعام والحداد والطمث (الحيض) .. الخ .

زاكــن

ZAKEN

كبير الســـن .

زيونيزم / الصهيونية

ZIONISM

حركة عودة اليهود الى بلادهم القديمة (فلسطين) والتى ظهرت فى القرن التاسع عشر .

● ملحوظة : المؤلف يهودى .

المراجع

General reference works

Encyclopaedia Judaica, Keter, Jerusalem, 1972, 16 vols plus 3 year-books. (This is the most up-to-date work of reference for Jews and Judaism.)

The Jewish Encyclopaedia, originally published by Funk & Wagnalls, New York, 1901–6, reprinted by Ktav, New York, 12 vols. (Although out of date many of the articles are of a high quality, and still of some importance.)

S. W. Baron, *A Social and Religious History of the Jews*, Jewish Publication Society of America (JPS), Philadelphia, 1952–76, 17 vols including Index to vols 1–8. (A massive effort by the author, now in his eighties, which has so far reached the seventeenth century.)

L. Ginzberg, *The Legends of the Jews*, JPS, Philadelphia, 1968, 7 vols. (A collection of all midrashic legends on the Bible, with invaluable footnotes, and a comprehensive index.)

Primary sources

The Mishnah, tr. H. Danby, Clarendon Press, Oxford, 1933.

The Babylonian Talmud, tr. under the editorship of I. Epstein, Soncino, London, 1936.

.. جاء كتاب آلان أنترمان معبراً عن فكر اليهود وعقائدهم كما يراها اليهود.. وقد أشرت إشارات سريعة فى هامش بعض الصفحات إلى وجهة النظر الإسلامية بما اتفق عليه رأى المترجم والمراجع، وقد كتب الأستاذ الدكتور المترجم تعليقات وافية بأواخر الفصول بما يفيد سعة اطلاعه.

أ. د. أحمد شلبى

جانب من لوحة الفنان المجرى إيزيدور كاوفمان (١٨٥٣ - ١٩٢١)
... الجمعة (١٩٠١)

١٣٠٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب